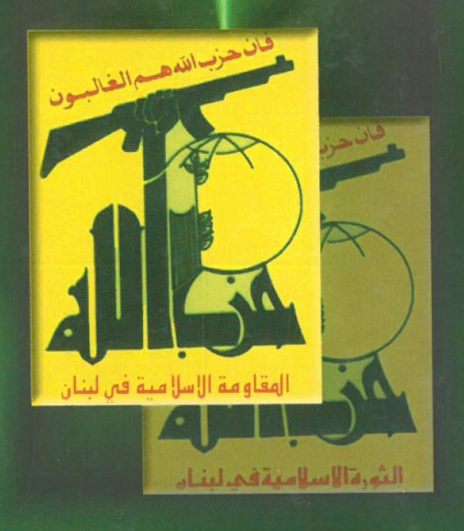
مركز الاستشارات والبحوث

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

د. مسعود أسد اللهي

الإسلاميون في مجتمع تعددي



ترجمة د. دلال عباس

الإسلاميون في مجتمع تعددي

حزب الله في لبنان نموذجاً

د. مسعود أسداللهي

ترجمة: د. دلال عباس




الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers


مركز الاستشارات والبحوث
Center for Consultation & Reasearches

٢٦٨٠٨٢٠٩٥٦٩٢. ٣٢٤ رقم ديوي
أسداللهي، مسعود
الإسلاميون في مجتمع تعددي: حزب الله في لبنان نموذجاً
ترجمة: دلال عباس - بيروت
مركز الاستشارات والبحوث، كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤
القياس: ١٧×٢٤
بيبلوغرافية : ٤٦٤ صفحة
يحتوي على هوامش بيبلوغرافية
ISBN ٩٩٥٣-٢٩-٦٦١-٨
لبنان - الحركات الإسلامية - حزب الله اللبناني

الطبعة الأولى
بيروت، كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤
١٤٢٥ هـ

ترجمة: **د. دلال عباس**
المراجعة والتدقيق اللغوي: **حسن صعب**
تصميم الغلاف: **مقداد غرافيك ٠٣/٨٣٢٦١١**



عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: ٨٦٠١٣٨ - ٧٨٥١٠٨ - ٧٨٥١٠٧ (١-٩٦١)
فاكس: ٧٨٦٢٣٠ (١-٩٦١) ص.ب: ٥٥٧٤-١٣ - بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com



الغبيري - شارع درغام - بيروت - لبنان
تلفاكس: ٠١/٨٥٨٩٢٧ - ص . ب: ٢٥/٤٠٨
e-mail: bouhouth@yahoo.com

فهرس الموضوعات التفصيلي

كلمة المركز

شكّلت انطلاقة المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الإسرائيلي في العام ١٩٨٢ محطة تاريخية فاصلة تركت بصماتها الواضحة على الواقع اللبناني برمته ، وليس على الساحة الشيعية فحسب ، بل إن تأثيرات هذه المقاومة التي أطلقها حزب الله ، ولا يزال يتحمل أعباءها ومخاطرها حتى اليوم ، قد امتدت إلى المنطقة العربية - الإسلامية وبالخصوص فلسطين منها ، وهي تشهد منذ أكثر من أربع سنوات إنتفاضة شعبية ترفدها مقاومة جهادية - استشهادية إعترف الجميع بأن انتصار حزب الله في لبنان على العدو الإسرائيلي بإجباره على الانسحاب من الجنوب دون شروط ، كان الملهم الأساسي للشعب الفلسطيني في إطلاقها عبر انتفاضة الأقصى في العام ٢٠٠٠ .

إن استقراء تاريخ حزب الله الذي تجاوز العقدين من الزمن بشكل موضوعي قد يحتاج إلى مجلدات كي يتمكن المرء من تكوين صورة شاملة لحركة الحزب وسياساته التي ارتكزت على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي والهيمنة الأميركية ، وبالإستناد إلى قاعدة فكرية - دينية بلورها حزب الله من خلال الرسالة المفتوحة التي وجهها إلى المستضعفين في لبنان والعالم في العام ١٩٨٥ ، كما عبر العديد من الوثائق والبيانات والمواقف التي صدرت عن مسؤوليه خلال الأعوام المديدة من مسيرته الشائكة !

هذا الكتاب يقدم للقارئ ملامح أساسية وبارزة من صورة الحزب الذي قدم - ولا يزال - أنموذجاً متكاملاً لشعوب المنطقة وقواها الحية ، جمع فيه بين مثالية المبادئ والقناعات التي أطلقها منذ تأسيسه وبين واقعية المواقف والممارسات وصدقيتها ،

فحافظ في النتيجة على أهدافه - بعد أن حقق بعضاً منها - من دون أن يخسر البيئة التي انطلق منها ، فرعاها ورعته وحماها وحمته إلى حد الاحتضان الكامل في الزمن الراهن .

إن تجربة حزب الله الرائدة تلك لم تصل إلى المستوى الذي تحدثنا عنه صدفة أو بسبب دعم خارجي لها من هنا أو هناك ، أو لعوامل وظروف غير واضحة المعالم ، بل إن مرتكزات هذه التجربة أعلنت على الملأ منذ نشأة حزب الله ، وهي تتضمن مبادئ الحزب وأفكاره وطروحاته السياسية ، التي تتخذ من الإسلام منهجاً شاملاً ومحدداً لكل حركة فردية أو جماعية في الحزب ، من دون أن تتجاهل الواقع التي هي جزء منه ، فتتفاعل معه ولا تذوب فيه ، وتؤثر فيه أكثر مما تتأثر به ، وتسعى لتغييره من دون إكراه أو جبر ، مع فارق أساس بين هذه التجربة الفريدة لحزب الله وتجارب الحركات الأخرى في المنطقة ، الإسلامية منها أو العلمانية ، وهو أن حزب الله نجح في التصويب على المسبِّب الرئيسي للنكبات والفواجع في هذه الأمة التي لا تزال في قلب دائرة التخلف والتبعية والاستغلال ، ألا وهو الكيان الإسرائيلي الذي زرعه المستعمرون بالتواطؤ مع الصهيونية العالمية ؛ وقد نجح حزب الله بمقاومته الشاملة في زعزعة أسس هذا الكيان ودفع حلفائه الغربيين إلى المسارعة لنجدته بشكل مباشر بعدما عجزوا عن محاصرة القوى المناهضة لهم وفي طليعتها حزب الله في لبنان ، بواسطة حليفتهم «إسرائيل» أو عبر امتداداتهم على مستوى المنطقة عموماً !

إن «مركز الاستشارات والبحوث» الذي يهتم منذ تأسيسه بمتابعة شؤون وأوضاع الحركات الإسلامية ، وبالأخص منها حزب الله في لبنان (ترجمة وتأليفاً) ، يسرّه إصدار هذا الكتاب بعد ترجمته من الفارسية ، لكل مهتم ومختص دون تحديد ، على أمل أن يقدم له رؤية جديدة تتميز عن إصدارات سبقت حول تجربة حزب الله ، قبل أو بعد تحريره لجنوب لبنان في أيار من العام ٢٠٠٠ ، بأنها تبتعد عن التوثيق العادي

للمحطات الرئيسية لحركة حزب الله ، أو الترويج الحماسي له ، وتعتمد مقاربة علمية حديثة لهذه الحركة ، لا تتجاهل الثغرات أو الممارسات الخاطئة التي شابت مسيرة الحزب كما لا تضخّم إنجازاته في المقابل ، مع تكرار التأكيد بأن عدة مؤلفات لن تستطيع أن تفي هذه التجربة حقها ، والأمر يبقى رهناً بجهود ستتوالى في المستقبل ، وحسب المركز أن يكون من المبادرين الأوائل لإطلاق هذه الحركة والتأسيس لها .

إن أهمية هذا الكتاب حول حزب الله في لبنان الذي يتشرف مركز الاستشارات والبحوث بترجمته وإصداره ، تنبع من عدة عوامل موضوعية لحظها مؤلف الكتاب ، أبرزها :

١- جاذبية الموضوع التي لم تبهت مع صدور عدة كتب حول حزب الله بعد انتصاره التاريخي على «إسرائيل» في أيار من العام ٢٠٠٠ ، بل إن هذه الجاذبية لا تزال في تصاعد بفعل طبيعة مشروع حزب الله من جهة ، كما لأدائه وسياساته المميزة ، والتي أتاحت للحزب البقاء والاستمرارية حتى اليوم .

٢- إن دراسة «حالة» حزب الله في لبنان وتطور مواقفه من مختلف القضايا اللبنانية والإقليمية خلال عقدين من الزمن تقريباً (١٩٨٢ - ٢٠٠٠) تبقى مسألة ضرورية ، خصوصاً وأن معظم الكتب أو الدراسات التي صدرت حول حزب الله لم تتضمن قاعدة نظرية - أكاديمية مثلما فعل مؤلف الكتاب الذي بين أيدينا .

٣- هذا البحث العلمي يستند إلى أحدث النظريات السياسية ضمن علم الاجتماع السياسي ، وأساسها «العمل الجماعي» و«الديمقراطية التوافقية» اللذين استند الكاتب إليهما لتبيين «موديل تحليلي» لدراسة مواقف وممارسات حزب الله في حركته السياسية الداخلية خلال مراحل مسيرته الطويلة ؛ وقد ساعد المنهج الأكاديمي المذكور مؤلف الكتاب في الاستفادة بشكل دقيق من مختلف الكتابات والمصادر التي

تحدثت عن حزب الله (العربية والأجنبية) من ناحية ، وعلى تكوين رؤية موضوعية شاملة في فهم حركة الحزب وسياساته ، والابتعاد قدر الإمكان عن التحيز ، برغم تأييد الكاتب لحزب الله على المستويين الديني والسياسي معاً !

٤ - الكتاب هو في الأصل منشور في اللغة الفارسية كأطروحة دكتوراه قدّمها المؤلف في جامعة الإمام الصادق(ع) في طهران ، وقد نالت جائزة أحسن أطروحة دكتوراه من بين كل الأطروحات الجامعية في إيران من قبل وزارة الإعلام الإيراني في العام ٢٠٠٠ ، وطبعت ككتاب مميز بعدها ؛ ومنها انبثقت فكرة ترجمة الأطروحة إلى العربية ونشرها ككتاب حول حزب الله في لبنان ، سيشكل ولا شك محطة نوعية في سلسلة الكتب ذات الصلة .

تبقى ملاحظة إلى أن مصادر الكتاب لم تتجاوز في تاريخها العام ٢٠٠٠ ، أي عام انتصار حزب الله بتحرير معظم جنوب لبنان ، لأن الأطروحة كتبت في سنة ٢٠٠٠ فهي لا تغطي سوى مراحل نضال الحزب ونشاطاته ما بين العامين ١٩٨٢ و٢٠٠٠ .

ونعود للتأكيد بأن ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية ونشره في لبنان في الظروف الراهنة سيساهم بلا شك في إغناء المكتبة العربية - واللبنانية بشكل خاص - في تقديم رؤية جديدة لتاريخ حزب الله ضمن إطاري العمل المقاوم والعمل السياسي الداخلي بكل تشعباته ؛ هذه الرؤية التي لا تبالغ في تبرير سياسات الحزب وممارساته ، كما لا تقصّر في إعطاء الحزب حقه كونه أول حركة إسلامية - عربية إستطاعت الموازنة أو المواءمة ما بين مشروعها المقاوم للاحتلال والاستعمار والظلم ، وما بين البيئتين المحلية والإقليمية اللتين لا تتقبلان بسهولة التعايش مع حركة إسلامية المنطلقات والتوجهات ، بسبب التداعيات السلبية الكثيرة التي تسببت بها معظم الحركات الإسلامية في المنطقة طيلة العقود القليلة الفائتة ، لأنها فشلت في تلك المواءمة ما بين

أهدافها التغييرية الداخلية ومواجهة الأعداء الخارجيين لهذه الأمة ، أي «إسرائيل» والولايات المتحدة ، هذا إذا افترضنا وجود هكذا أولوية لدى بعض من تلك الحركات «الإسلامية» المتطرفة ، كما تظهر لنا وقائع الأحداث اليوم !

إن التحولات التي أحدثها حزب الله في بنياته التنظيمية كما في قراءاته الشمولية للواقع اللبناني والمحيط الإقليمي المتأثر بالمتغيرات الدولية المتسارعة ، هي تحولات إتسمت بالجرأة واستندت إلى ركائز موضوعية ، برغم الكثير من الشوائب والسلبيات التي رافقتها أو تبعتها ، لكنها رسخت في النتيجة نجاح تجربة رائدة لحزب الله (الشيعي - اللبناني - العربي) ينبغي لكل القوى والحركات في مختلف البيئات العربية وحتى الإسلامية أن تتخذها نموذجاً إذا ما أرادت الوصول إلى أهدافها التغييرية التي يجب أن تصب في صالح شعوب هذه المنطقة ومستقبل أجيالها بالدرجة الأولى !

وختاماً الشكر الجزيل للدكتور حبيب فياض الذي لم يبخل على المركز في الإجابة على بعض الأسئلة والاستفسارات المهمة ، وعلى إبدائه بعض النصائح المتصلة بموضوع هذا الكتاب .

مركز الاستشارات والبحوث
bouhouth@yahoo.com

مقدمة

لقد بلغت «الحالة الإسلامية» في العالم الإسلامي أوجها في العقد الثامن من القرن العشرين ، فقد أقدمت في ذلك العقد مجموعات الإسلام السياسي على أعمال عديدة ، وقامت بمحاولات تهدف إلى إسقاط أنظمة الحكم القائمة في بلدانها وإقامة حكومات إسلامية مكانها ، وقد شهدت بلدان إسلامية عديدة وبخاصة العربية منها ، ولادة مثل هذه المجموعات ، وظهور شخصيات بارزة ، نذكر على سبيل المثال «جماعة الاخوان المسلمين» في سوريا ، ومجموعة «التكفير والهجرة» في مصر ، و«حركة الاتجاه الإسلامي» في تونس (راشد الغنوشي) و«جبهة الانقاذ الإسلامية» في الجزائر ، وجماعة «حسن الترابي» في السودان ، ومجموعة «الجحيمان العتيبي» في المملكة العربية السعودية ، والمجموعات الإسلامية الأفغانية والأحزاب الإسلامية الباكستانية ، إلخ . . .

إن الحركات الإسلامية - على الرغم من الاختلافات الشديدة في ما بينها من حيث الأساليب والبرامج - تشترك في عدة أصول ومبادئ أيديولوجية ، نذكر في ما يلي بعض هذه المبادئ المشتركة :

١ - إن الإسلام منهج حياة كامل ، ينظر إلى الحياة الشخصية للأفراد وإلى الحياة الاجتماعية ، وكذلك إلى نظام الحكم .

٢ - إن التغرب (أي التقليد الأعمى للنماذج الغربية والطروحات العلمانية) هو السبب الكامن وراء التخلف الاجتماعي والاقتصادي والعسكري والسياسي في المجتمعات الإسلامية ، وعلى الرغم من أن هذه الرؤية ترفض التغرب والعلمانية ،

إلا أن الإسلاميين لا يعارضون الاستفادة من العلم والثقافة طالما أنها لا تتنافى والمعتقدات والقيم الإسلامية .

٣ – وجوب العودة إلى الإسلام لاستعادة القوة والمكانة ، وإحلال الحكم الإلهي مكان نماذج الحكم القائمة في العالم لإقامة «المدينة الفاضلة» .

٤ – يجب إعادة عرض الشريعة من جديد كمرشد مقدس للمجتمع لتحقيق العدالة الاجتماعية والحكومة الإسلامية .

٥ – من واجب المسلمين الجهاد حتى الاستشهاد في طريق الحق الالهي .

٦ – إن النصوص المقدسة وبخاصة القرآن المجيد ، هي أفضل مصادر الإلهام لتعبئة الجماهير .

٧ – إن المساجد والمراكز الدينية هي أفضل الأمكنة وأكثرها ملاءمة لنشر الأفكار الإسلامية وتعميمها[1] .

إضافة إلى وجهات النظر المشتركة هذه ، يمكن أن نجد أيضاً بعض الصفات المشتركة الأخرى بين الحركات الإسلامية وهي :

أ- وجود قائد يتمتع بالجاذبية (الكاريزما) ، قادر على حشد الأعضاء والمناصرين وتعبئة الجماهير الشعبية .

ب- ظهرت الحركات الإسلامية بصورة عامة في أجواء مشحونة بالنزاعات المذهبية والدينية ، الحرب الأهلية بين المسلمين والمسيحيين في لبنان ، وبين اليهود الصهاينة والمسلمين في فلسطين ، ومحاربة الحكومات العلمانية للمؤسسات

---

١ - جان .إل .إسپوزيتو ، «جنگ خليج فارس ، جنبشهاى اسلامى و نظم نوين جهانى» ، ترجمه م . ضيايى ، **دانش سياسى** ، پيش شماره سوم ، بهمن و اسفند ١٣٧٢ ، مركز تحقيقات دانشگاه امام صادق(ع) ، دفتر مطالعات و تحقيقات سياسى ، ص ١٠٣ .

الدينية في البلدان الإسلامية .

ج- تتمركز الحركات الإسلامية بين «الشباب» ، و«الطبقات المحدودة الدخل أو المتوسطة» .

د- بدأت المجموعات الإسلامية تنشط في داخل الجامعات ، قبل المجموعات غير المتعلمة[2] .

هـ- هذه الحركات في ما يتعلق بعرض طرق حل للمسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، تكتفي بإطلاق الشعارات العامة .

و- أقدمت هذه الحركات - لتنظيم الأنصار والمؤيدين وتعبئتهم - على تأسيس أحزاب ومنظمات سياسية .

ز- كانت هذه المجموعات الإسلامية تعتقد أنها وحدها «على الحق» وأن أعضاءها «مختارون» ، لذلك كانت لا تجيز مصالحة أعدائها السياسيين ، وكان أعضاؤها يعارضون التوجهات الديمقراطية والأنظمة المتعددة الأحزاب .

ح- هذه المجموعات كلها تعتقد بوجود عدو مشخص ، يعدّ العامل الأساسي وراء ما يعانيه المجتمع من مشاكل وتخلّف .

ط- إن أعمال العنف الصادرة عن هذه المجموعات ، جاءت كردة فعل على سياسات القمع التي تمارسها السلطات الحاكمة[3] .

٢- غسان سلامة ، «اسلام و غرب» ، ترجمه على مرشدى زاده ، **دانش سياسى** ، پيش شماره نخست - مهرو آبان ١٣٧٢ ، مركز تحقيقات دانشگاه امام صادق(ع) ، دفتر تحقيقات و مطالعات سياسى ، ص ٣ .

يعتقد غسان سلامة بأن «الدراسات السوسيولوجية تؤكد صحة هذه المسألة . لأن نفوذ الإسلاميين في كليات العلوم أكثر منه في كليات الأدب والقانون وهذه حقيقة محيرة» .

٣- راجع :

إميل ساحلية ، **المقارنة بين الأصوليات الدينية** ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث ، (بيروت ، آب ١٩٩٨) .

غسان سلامة ، م . س ، وأيضاً :

=

يسعى الإسلاميون في برامجهم السياسية وراء تأسيس نظام حكم شديد المثالية، وأحد العوامل المؤثرة في هذا الموضوع هو تخلّف البلدان الإسلامية وعدم إلحاق هذه البلدان بالنظام العالمي الحالي، ويرى الإسلاميون - بالاتكاء على ماضي الإسلام المجيد - أن مكانة العالم الإسلامي الهامشية في النظام العالمي القائم، دليل على الظلم.

الانتقاد الأساسي الذي يوجّهه هؤلاء إلى الحركات «الوطنية»، هو أن الوطنيين على الرغم من ادعاءاتهم بأنهم حرروا البلدان الإسلامية من هيمنة الغرب العسكرية والسياسية والاقتصادية، إلا أن ذلك لم يتحقق عملياً حتى اليوم، لذلك يعدّ الإسلاميون أنفسهم القوى الوحيدة المناهضة واقعياً للامبريالية والاستكبار، فهم يقفون في وجه السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية للغرب، وأكثر من ذلك هم يحاربون المفاهيم الغربية كالليبرالية والاشتراكية والعلمانية.

أدت تلك الرؤية النضالية للإسلاميين، إلى أن تكون أولى الصفات التي يلصقها الخبراء الغربيون بالمجموعات الإسلامية، هي «استخدام العنف والتوجهات الراديكالية». وهذا هو السبب وراء النظرة السائدة عن أعضاء الحركات الإسلامية أنهم يعدّون العنف ضد الحكام غير المسلمين والبلدان الداعمة لهم، دفاعاً مشروعاً عن الإسلام (جهاداً) وهو فريضة إلهية، وكل من لا يشاركهم هذه النظرة الأصولية كافر وعدو لله[٤].

وعلى الرغم من اشتراك المجموعات الإسلامية في التوجهات المهمة الأساسية، إلا أن هذه المجموعات تختلف من بلد إلى آخر، وهي شديدة التنوع. «جان. إل. إسبوزيتو» الباحث في شؤون الشرق الأوسط، يعتقد أن تحديات الإسلام السياسي خلقت اتجاهاً سياسياً - أيديولوجياً واسعاً، هو حتماً أكثر تأثراً بالظروف المحلية

- Stephen Pelletiere, **A Theory about Fundamentalism: Hizbollah of Lebanon** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, Sep. 1995).

٤- جان. إل. إسبوزيتو، م. س، ص ٤٠١.

السياسية والاقتصادية والاجتماعية منه بالمبادئ الاعتقادية والمذهبية»[٥]. وهو يعتقد كذلك «أن ما يحدث هو ثورة إسلامية عالمية، أثرت في سياسات الجماعات الإسلامية؛ لكن هذه الثورة الإيديولوجية وتجلياتها أكثر شمولاً وتعقيداً من ثورة إيران ومن أعمال العنف الصادرة عن التنظيمات الجهادية»[٦].

في كل الأحوال، طيلة عقد الثمانينات، تصور معظم الخبراء الغربيون أن الإسلاميين «موحّدو القالب» (الهيكل)، ولم يلتفتوا إلى تأثير ظروف المحيط عليهم. وربما كان السبب الأساسي وراء هذا الخطأ، هو سرية نشاطات عدد من المجموعات الإسلامية، التي جعلت مجال المطالعة والدراسة بالنسبة إلى الخبراء الغربيين معضلة كبيرة، ودفعتهم باتجاه «التعميم والاستنتاجات القياسية»[٧].

إن إحدى أشهر المجموعات الإسلامية التي ظهرت ونمت في العالم العربي في الثمانينات وأشدها تأثيراً، هي «حزب الله اللبناني». فحين كان لبنان يكتوي بنار الحرب الأهلية، بدأت إسرائيل في حزيران في العام ١٩٨٢ هجومها الواسع على لبنان، واحتلت نصف أراضيه، وكرّست هزيمةُ المجموعات الفلسطينية وأحزاب اليسار اللبناني أمام هذا الهجوم. انَّ فشل النظريات القومية العربية، والأيديولوجيات اليسارية (الشيوعية والبعثية والناصرية)، ومهدت الأرضية الملائمة لظهور المجموعات الإسلامية في أوساط اللبنانيين المسلمين من الشيعة والسنّة، خياراً وحيداً يمكنه أن يقف في وجه هذا الاجتياح. وقد مهد وجود القوى الثورية الإيرانية في لبنان في أعقاب احتلال «إسرائيل» الأرضية الملائمة لظهور حركة جديدة بين المجموعات الإسلامية الشيعية.

٥- م. س، ص ٢٠١.

٦- م. ن.

7- Magnus Ranstorp, **Hizb'Allah in Lebanon** (NewYork: St. Martin's Press, 1997) p.22.

هذه الحركة الجديدة التي اتخذت لنفسها في ما بعد اسم «حزب الله : الثورة الإسلامية في لبنان» ، تحولت بالتدريج إلى أحد أكثر التنظيمات السياسية في العالم الإسلامي راديكالية وثورية في الثمانينات . وقد أعلن حزب الله في بداية تأسيسه الحرب على جبهات ثلاث : حرب على المحتلين الإسرائيليين ، وحرب على وجود القوات العسكرية الغربية (وبخاصة الأميركية والفرنسية) في لبنان ، وحرب على حكومة أمين الجميل التي تسلمت الحكم تحت ضغط إسرائيل ، ولم يتوان حزب الله في هذه الحرب الثلاثية الأبعاد عن استخدام الأساليب الراديكالية ، وأكثر من ذلك ، هو ابتكر في هذا السياق أساليب جديدة . وقد أدت ضرباته إلى خروج القوات الغربية من لبنان ، وإلغاء اتفاق ١٧ أيار الذي أبرم بين حكومة أمين الجميل وإسرائيل في العام ١٩٨٣ ومن ثم خروجها النهائي من لبنان سنة ٢٠٠٠ .

إن ممارسات حزب الله الراديكالية في الثمانينات جعلت صورة هذا الحزب في الأذهان العامة في العالم الغربي وكأنه «إله الانتقام» ، لهذا السبب وصفته الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الغربية والإسرائيلية بأنه على رأس قائمة «المجموعات الإرهابية» . وقد شهد عقد الثمانينات سلسلة مواجهات بين حزب الله والأجهزة الأمنية الإسرائيلية والغربية ، وكل طرف أصاب الآخر بضربات موجعة .

مع بداية التسعينات ، بدأ وجه حزب الله يتغير بالتدريج ، وتحول هذا الحزب «السري» و«الراديكالي» خلال مدة قصيرة إلى حزب سياسي علني على الساحة السياسية الداخلية في لبنان ، يراعي قواعد اللعبة الديمقراطية ، ولقد أثارت تحولات هذا الحزب في التسعينات إعجاب المحللين والمراقبين لشؤون الشرق الأوسط . يقول «ماغنوس را نستورب» الباحث في مركز الدراسات الحربية والإرهابية في إنجلترا : «إن حزب الله اللبناني ، الذي دخل ساحة الوجود بأعمال العنف وكمجموعة متشددة وميليشيوية ، أصبح في الوقت الراهن تنظيماً تخلى عن ماضيه العنيف والسري بشكل يثير الإعجاب . إن حزب الله شاهد حي على قدرة الحركات الإسلامية الثورية

على التطور والنضج بمرور الزمان»[٨] .

«مارتن كريمر» خبير آخر بشؤون حزب الله يعتقد أن حزب الله ، من بين الحركات الأصولية الإسلامية ، التي وجدت في السنوات الأخيرة ، هو الذي ترك التأثير الأقوى في الأذهان . لقد نالت هذه الحركة الإسلامية الشيعية في السنوات الأولى من ظهورها شهرة كبيرة ، تعود في معظمها إلى ابتكار أساليب عنفية ، أما [في الوقت الحاضر] فحزب الله قد تخلى بقوة عن أسلوبه المعروف ، وظهر مدافعاً ببطولة عن الديمقراطية»[٩] .

ويقول الكاتب الأميركي «ريتشارد نورثون» بهذا الخصوص «إن كثيرين يعتقدون أن حزب الله مجموعة إرهابية متطرفة ، تفتقد إلى القاعدة الشعبية ، وبخاصة أولئك الذين تستند أفكارهم إلى الظن والتخمين ، وبعيدة عن الدراسة الموضوعية ؛ لكنني أنا أرى الواقع على غير هذا النحو كلياً . هذا النوع من الدراسات لا يرى الحقيقة ، وهي أن الحزب استطاع أن يكسب قاعدة شعبية اجتماعية مؤثرة في لبنان»[١٠] .

«نيكولاس بلاندفورد» المراسل الصحافي الغربي ، يقول عن موقع حزب الله بين الفئات الشعبية اللبنانية المختلفة : «على الرغم من أن حزب الله اللبناني كحزب شيعي له مواقف تتعارض مع معتقدات أكثرية اللبنانيين الدينية ومع مصالحهم ، لكنه استطاع ، نسبة إلى بقية الأحزاب السياسية في المجتمع اللبناني الطائفي ، أن يكسب

---

٨ - ماغنوس رانستورب ، **الوجه المتغير لحزب الله اللبناني** ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث ، (بيروت ، ٢٠٠٠) ، ص ص ٤ - ١٤ .

9- Martin Kramer, "Hizballah, the Calculus of Jihad", in Martin E. Marty and R. Scott Appelbu (eds), **Fundamentalism and the State** (Chicago: The Chicago University Press, 1993), pp. 4 & 44.

10- Augustus Richard Norton, "Hizballah From Radicalism to Pragmatism", **Middle East Policy**, Volume V, No.4, January 1998, pp.73 & 81.

إحتراماً شديداً وتعاطفاً مميزاً»[١١] . المحلل الأميركي «استيفان بلليتير» يرى أن إحدى خصوصيات حزب الله اللافتة والجديرة بالملاحظة والتي تثير الأعجاب هي اتجاهه إلى إعادة النظر في مواقفه وإلى المحاسبة الداخلية»[١٢] .

إن التغيير والتحول الذي أصاب حزب الله ، لم يكن مثار إعجاب المراقبين الغربيين وحدهم ، وإنما أيضاً هنالك عدد من الكتّاب والشخصيات اللبنانيين ، الذين نظروا إلى هذا التغيير وإلى تلك التحولات وحجمها نظرة إعجاب وتقدير ، فالكاتب والصحافي اللبناني «نصير الأسعد» يعتقد «أن حزب الله تحول اليوم إلى حزب واقعي ومنطقي»[١٣] ؛ ويقول الدكتور سليم الحص رئيس الوزراء اللبناني الأسبق بهذا الخصوص : «إن حزب الله ، حزب مسؤول ذو قيادة حكيمة ، والحكومة اللبنانية تتعاون مع هذا الحزب تعاوناً غير محدود لثقتها بهذه القيادة . وسيكون لحزب الله دور مهم في المستقبل في الساحتين الإجتماعية والثقافية في لبنان»[١٤] . أما الكاتب اللبناني «محمود حيدر» فيقول عن مراعاة حزب الله لقواعد اللعبة الديمقراطية واحترام هذا الحزب لحقوق اللاعبين الآخرين : «وفي سلوكه الميداني أظهر حزب الله ما يستدل على وعيه للمضمر السياسي حياله ، وإنْ بمقدار ما أتيح له من مجالات محاورة مع مراكز الحكم»[١٥] .

إشكالية البحث

«كيف ولماذا» تمكن حزب الله من تغيير صورته من جماعة مسلحة شبه عسكرية

11- Nicholas Blandford, "Hizballah: Lebanon's Heir Apparent?" **JANE'S INTELLEGENCE Review**, November 1999, p.29.

12- Stephen Pelletiere, ***Op. Cit***, p13.

١٣- النهار ، ١٧/ ١٠/ ١٩٩٧ .

١٤- مقابلة لمراسل التلفزيون الإيراني مع الرئيس سليم الحص في بيروت ؛ بتاريخ ٩/ ٥/ ٢٠٠٠ .

١٥- محمود حيدر ، **اللايقين السلمي : أحوال لبنان ما بعد الحرب** (بيروت : دار الفارابي ، ١٩٧٧) ، ص ص ١٦٧-١٦٨ .

وعنيفة ، إلى هيئة حزب سياسي واقعي ومنطقي؟ هذا الحزب الذي كان يتمتع بجميع مواصفات الجماعة الإسلامية الراديكالية ، «كيف ولماذا» عدّل مواقفه وممارساته ، إلى حد جعل الخبراء الداخليين والخارجيين يغيّرون من نظرتهم إليه؟ هذا البحث يهدف إلى الإجابة عن هذا الموضوع المهم الذي تَشكّلَ في قالب السؤال الأصلي التالي :

السؤال الرئيسي:

«كيف ولماذا» تحولت وتبدلت مواقف حزب الله اللبناني وأفعاله خلال العقدين الماضيين»؟

الفرضية الرئيسية ومتغيرات البحث

إن الدراسات والأبحاث الأولية طرحت الجواب التالي كفرضية رئيسية ، ويعمل هذا البحث على دراسة صحتها أو سقمها :

«إن تأثر حركة حزب الله اللبناني بتعاليم الثورة الإسلامية الإيرانية في العقد الثامن من القرن المنصرم ، كان العامل الرئيسي في توجه هذه الحركة نحو الراديكالية . لكن العقد التاسع من القرن السابق الذي يؤرّخ لنهاية الحرب الأهلية ، وإحياء النظام الديمقراطي التوافقي في لبنان يعدّ العامل الرئيسي لتوجه حزب الله نحو الواقعية والتعددية» .

المقصود بالمتغير المستقل * «تعاليم الثورة الإسلامية» ، وهي الطروحات التي بثتها الثورة الإسلامية حول الحكومة الإسلامية ، ومعاداة الاستكبار ، وحماية المستضعفين ، والجهاد والشهادة ، وتحرير القدس ، والاطاحة بالحكومات غير الإسلامية في العالم الإسلامي . . وبنهجها السياسي الهادف إلى «تصدير الثورة» شجعت المجموعات الإسلامية في العالم الإسلامي لاتباع هذه التعاليم .

* Independent Variable

المراد بالمتغير المعتمد* «الراديكالية» في هذه الفرضية ، التحيز للتغييرات الأساسية واستخدام العنف السياسي لانجاز هذه التغييرات . فصفة الراديكالية تطلق على أي نظرية من النظريات التي تهدف إلى التغيير الجذري والفوري في المؤسسات القائمة . من منظار تاريخي ، كانت الراديكالية باستمرار متلازمة مع عدم الرضى عن الأوضاع القائمة والميل إلى إحداث تغييرات أساسية سياسية واجتماعية . وسعى الراديكاليون في جميع العصور لتهديم البنى الاجتماعية والسياسية القائمة ، وإيجاد بنى جديدة ، وكانوا يصرّون على استخدام العنف في العمل السياسي .

سيتم توضيح المتغير المستقل «إحياء النظام الديمقراطي التوافقي» في الفصل الأول ، هذا النوع من الديمقراطية أدى إلى إعادة الاستقرار السياسي ، وهيّأ أرضية المشاركة في النظام السياسي في المجتمع اللبناني . لـ «الاستقرار السياسي وإمكانية المشاركة في النظام السياسي» معنيين : الأول هو غياب الاستفزازات والنزاعات السياسية الحادة والعنفية ، والثاني إمكانية الوصول إلى السلطة بالطرق القانونية . فالمجتمع الذي يتمتع بالاستقرار السياسي لا يتعرض للتغييرات السياسية - الاجتماعية المفاجئة والجذرية ، وإنما يسيطر الهدوء والتعقل على التحولات في داخله ، وتتطلب المشاركة في مثل هذا النظام السياسي مراعاة قواعد اللعبة الديمقراطية واحترام حقوق اللاعبين الآخرين ، وإجراء الانتخابات العامة ونيل أكثرية الأصوات .

المتغير المستقل «الواقعية» هو توجّهٌ تُمارَسُ السياسة على أساسه وتقوّم بمنظار واقعي . في هذا الاتجاه «الوصول إلى السلطة والمحافظة عليها» هو محور الفاعلية السياسية وهدفها ، أما العنصر الثاني في الاتجاه الواقعي فهو «المصلحة» ، واللاعب العاقل هو ذلك الذي يسعى إلى تحقيق مصالحه . ويمزج الواقعيون عملياً بين مفهوم السلطة وبين المصلحة ؛ ويأخذ السلوك العقلاني في الاعتبار الواقع للوصول إلى السلطة ، ولتحقيق المصالح ، والسياسي الجيد هنا هو إنسان عاقل يفهم كيف يسعى

---

* Dependent Variable

للوصول إلى السلطة وفي الوقت نفسه يدرك أن الآخرين لديهم أيضاً هذا التوجه في سلوكهم السياسي ، وفي هذا السياق الحزم والاحتياط واجبان . يُعتمد أيضاً في هذا الاتجاه على أساليب المسايرة والأخذ والعطاء ، أما الأسلوب الأكثر فاعلية من أي أسلوب آخر فهو أسلوب الائتلاف والتفاهم .

المتغير المعتمد «التعددية» ، هو أيضاً بمعنى تعدد العوامل والعناصر في المجتمع ومشروعية مصالحها . والتعددية في السياسة معناها الاعتقاد بالكثرة الكمية والكيفية للأحزاب والجمعيات والمنظمات والمجموعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في نظام سياسي ما ، وأيضاً تنوع الآراء والعقائد في ما يتعلق بمصالح المجتمع وتعدد القوى في جميع المجالات ؛ وفي «التعددية» تأكيد على وجوب ترغيب الناس وهدايتهم نحو التحزب وتشكيل الجمعيات والمنظمات السياسية والاقتصادية والثقافية ، وأيضاً إيجاد الاتحادات والنقابات المهنية ، وبعبارة أدق تنمية المجتمع المدني وتعزيزه لتتأمن المصلحة العامة من طريق مشاركة الناس من جميع الجوانب في إدارة شؤون المجتمع بشكل أفضل وأكثر مرونة . وتكون التعددية مثمرة حين يعمل أعضاء الجمعيات والمنظمات والنقابات والأحزاب على نحو متوازن ويتبادلون الآراء فيما بينهم ويحترمون عقائد بعضهم البعض .

الفرضيات الفرعية

في الإجابة عن السؤال الأصلي لهذا البحث يمكن أن تطرح الفرضيات الفرعية التالية :

١ - شكلت مرحلة الحرب الباردة ، واحتدام الصراع في المنطقة (الصراع العربي - الإسرائيلي وحرب العراق على إيران) ، في الثمانينات ، حافزاً لتوجه حزب الله باتجاه الراديكالية ، لكن في التسعينات ، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ونظام القطبين وحل النزاعات في المنطقة (إنتهاء حرب العراق على إيران) نحا حزب الله باتجاه الواقعية في الساحة الداخلية اللبنانية .

٢ – السلطة التنظيمية والإطار التنظيمي المغلق في حزب الله ، وسريته ، وغلبة الجوانب العسكرية – الأمنية على تشكيلاته في الثمانينات ، أدت إلى توجه الحزب نحو الراديكالية ، أما في التسعينات ومع بروز التحولات التنظيمية وانفتاح التشكيلات في حزب الله واعتماد العلنية ، إتجه الحزب نحو الواقعية والتعددية في الساحة السياسية اللبنانية .

٣ – تدخل البلدان الغربية في لبنان في النصف الأول (من الثمانينات) ، ودعمها لحكومة أمين الجميل ، كانا وراء توجه حزب الله الراديكالي ، لكن في العقد التاسع وبعد التدخل السوري مجدداً في لبنان سلك حزب الله مساراً واقعياً .

٤ – فقدان العدالة الاجتماعية في لبنان في الثمانينات ، كان أحد الأسباب وراء ميول حزب الله الراديكالية .

٥ – التحولات داخل إيران في التسعينات ، والتغيير في سياستها الخارجية أدّيا إلى توجه حزب الله نحو الواقعية والتعددية في الساحة السياسية اللبنانية .

إفتراضات البحث

في هذا البحث موضوعان يمكن أن يعتبرا إفتراضيين :

١ – الحركات الإسلامية لم تنوجد في الخلاء ولم تنمو في الفراغ ، وإنما كل حركة إسلامية ظهرت وتطورت في محيط اجتماعي خاص ، وتأثرت بظروف هذا المحيط ، السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية . بناء على ذلك فإن الحركات الإسلامية لا تعدّ بأي وجه من الوجود «نسيجاً واحداً» أو أنها «موحدة القالب» ، وإنما تلحظ بينها إختلافات متعددة ، لذا فإن معرفة أي مجموعة إسلامية تفرض الاهتمام بظروف محيطها من جميع جوانبه .

٢ – شهد حزب الله اللبناني طيلة عقدين من عمره تحولات واسعة وعميقة في مواقفه وممارساته ، وهذا واقع يشهد عليه ، ليس فقط المراقبون المحليون والأجانب ، وإنما تؤيده قادة حزب الله وزعماؤه أنفسهم .

طريقة القيام بالبحث

لإنجاز هذا البحث والتعرف إلى صحة الفرضية الرئيسية والفرضيات الفرعية ، تم اعتماد منهجين : العمل النظري والعمل الميداني . وتمت الاستفادة في المنهج الأول من جميع الكتب والمنشورات والمقالات والمستندات التي أمكن الحصول عليها باللغات الثلاث الانجليزية والعربية والفارسية ، ولم يكتف الباحث في هذا المنهج بالآثار المكتوبة ، وإنما استفاد من المصادر الموجودة على شبكة الانترنت .

في المنهج الميداني أيضاً ، ومع الأخذ في الاعتبار حضور الباحث إلى لبنان وبقائه فيه لإنجاز هذا البحث ، إستخدم أسلوبي المقابلة والمشاهدة لجمع المعطيات والمعلومات . أما المقابلات التي أجراها الباحث فكانت على نوعين : خاصة وجماعية ، في المقابلات الخاصة جمع المعلومات اللازمة من طريق طرح الأسئلة المتنوعة على شخصيات مختلفة من حزب الله من مستويات متفاوتة ، أما في المقابلات الجماعية فقد تعرف الباحث كعضو في مجموعة زائرة لفروع حزب الله المختلفة إلى عمل ذلك الفرع ، وقد طرح الأسئلة المطلوبة على مسؤولي ذلك الفرع وحصل على المعلومات التي يحتاجها . إضافة على هاتين الحالتين : إستفاد الباحث من مقابلات ومحاضرات قادة حزب الله على شبكات التلفزة اللبنانية وغير اللبنانية ، وحصل على معلومات وافية .

في أسلوب المشاهدة إكتسب الباحث معلومات قيّمة باشتراكه في جلسات الوحدات المختلفة لحزب الله ، وكذلك من حضور المراسم السياسية للحزب التي كانت تقام في مناسبات مختلفة ، وتطرح فيها مواقف الحزب الرسمية ، وكذلك متابعة مواقف ونشاطات الحزب على الساحة السياسية اللبنانية .

الدراسات السابقة حول حزب الله

الآثار التي نشرت حول حزب الله (حتى زمن إصدار هذا الكتاب بالفارسية في صيف ٢٠٠٠) كتب معظمها بعد انتهاء عقد الثمانينات ، لأن هذا الحزب كان حتى

العام ١٩٨٥ يعمل بصورة سرية كلياً ، ولم يكن قد أعلن عن وجوده بعد ، كذلك بقي حزب الله حتى بعد الإعلان عن وجوده أي حتى نهاية الثمانينات يعمل بصورة شبه سرية ، ولم ينشر معلومات وافية عن نشاطاته . لكن مع ظهوره كحزب سياسي علني في التسعينات واعتماد قادته سياسة «الأبواب المفتوحة» أصبح الاطلاع والبحث حول الجوانب المختلفة لحزب الله أسهل بالنسبة إلى الباحثين والدارسين . فقد قرر حزب الله في النصف الثاني من التسعينات إقامة علاقة وثيقة وحميمة مع الاعلاميين ومراسلي وكالات الأنباء الاجنبية والصحافيين والباحثين الغربيين ، فتزايد عدد المقالات والكتب بخصوص هذا الحزب .

مع ذلك ، لم ينشر حتى الآن عمل بحثي أو مقالة مهمة عن حزب الله باللغة الفارسية ، على الرغم من كون حزب الله وإيران في الواقع على علاقة وثيقة جداً منذ بداية تشكل الحزب ، لكن هذا الموضوع لم يحظ بالاهتمام اللازم واللائق بين الباحثين الإيرانيين ، فالكتاب الوحيد الذي نشر حتى الآن باللغة الفارسية هو كتاب «الشيعة : المناضلون في سبيل الله» الذي كتبه «روبين رايت» مراسل صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» ، وترجمه إلى الفارسية السيد «علي إنديشه» . وقد طبع هذا الكتاب في أواسط الثمانينات وهو يحوي مشاهدات هذا المراسل بخصوص حوادث لبنان في النصف الأول من الثمانينات ، وتغلب عليه الصبغة الصحافية ، على الرغم من أنه عمل على تفصيل الحوادث وتحليلها .

إن أكثرية المنشورات المتعلقة بحزب الله اللبناني هي باللغات الانجليزية والعبرية والفرنسية والعربية ، وقد أظهرت حكومات أميركا وإسرائيل اهتماماً فائقاً للتعرف إلى الجوانب المختلفة لحزب الله ، كما أظهر عدد كبير من الباحثين في إنكلترا وفرنسا علاقةً بهذا الموضوع . أما الآثار المنشورة باللغة العربية حول حزب الله فيغلب على معظمها الجانب التأريخي أو الصحافي ، أو أنها كتبت على أساس موقف متحيز ، أو موقف معاد ومعارض . أما الباحثون العرب الذين كتبوا مقالات علمية وتحقيقات تستحق الاهتمام عن حزب الله ، فقد صدرت آثارهم تلك بصورة عامة باللغة الانجليزية أو الفرنسية ، وأصدرتها دور النشر الأوروبية أو الأميركية المعتبرة .

إن الآثار المتعلقة بحزب الله اللبناني ، يمكن تصنيفها ودراستها ضمن المحاور الأربعة التالية :

١ - منشورات حزب الله الرسمية

نشر حزب الله اللبناني منذ العام ١٩٨٥ وحتى اليوم ثلاثة آثار مهمة تتكلم عن تاريخ الحزب ومواقفه . المرة الأولى ، كانت في شباط ١٩٨٥ حين أعلن حزب الله عن وجوده عبر وثيقة تحت عنوان : «الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين في لبنان والعالم» . هذا الكتيب يضم أهم مواقف الحزب وأفكاره خلال عقد الثمانينات ، وهو في الواقع «المانيفست السياسي» للحزب ، ويعدّ اليوم أحد مصادر «الدرجة الأولى» المعتبرة عن الحزب .

في العام ١٩٨٩ حين توصل المسؤولون اللبنانيون المجتمعون في مدينة الطائف بالسعودية إلى عقد «اتفاق الطائف» ، واطّلع الجميع على مضمون الاتفاق في ما يخص إنهاء الحرب الأهلية وإدخال بعض الإصلاحات على النظام السياسي ، وبنشره لكتاب باسم «وثيقة الطائف» ، بدأ المكتب السياسي لحزب الله بتحليل محتوى الاتفاق . وقدعرض آراء حزب الله حوله ، وحرّر هذا الكتاب بصورة علمية موضوعية ، وربما يشير اهتمام الحزب بإنجاز قراءة نقدية لاتفاق الطائف ، إلى أن حزب الله هو الحزب الوحيد ، أو الجماعة السياسية الوحيدة التي شرعت بتفنيد اتفاق الطائف وتحليله بعمق . وانطلاقاً من أن هذا الكتاب يضم وجهات نظر الحزب الرسمية ، ويشير إلى كيفية تعاطي حزب الله بواقعية مع أحد أهم الأحداث في تاريخ لبنان المعاصر ، فإن له من هذه الزاوية قيمة دراسية كبيرة .

وفي العام ١٩٩٤ أيضاً أصدرت وحدة العلاقات الخارجية في حزب الله كتيباً تحت عنوان : «حزب الله : النشأة والرؤيا» ، تطرق إلى تاريخ الحزب وأفكاره . هذا الأثر الذي صدر بعد قبول حزب الله للنظام السياسي اللبناني ودخوله في البرلمان ، يضم وجهات نظر الحزب الجديدة والتعديلات التي أدخلها قادة الحزب على مواقفهم السابقة .

في ما يخص تسجيل الوقائع والحوادث الحربية وعمليات المقاومة الإسلامية ضد الجيش الإسرائيلي المحتل في جنوب لبنان ، بدأ حزب الله في منتصف التسعينات من القرن المنصرم بنشر كتاب سنوي في نهاية كل سنة ميلادية تحت عنوان «صفحات عز في كتاب الأمة» ، يعرض فيه بشكل مفصل لجميع العمليات العسكرية التي تمت في ذلك العام مع ذكر الأرقام والإحصّاءات والصور . وفي العام ١٩٩٨ أيضاً أصدر حزب الله كتاباً بعنوان «ومضات من المقاومة الإسلامية» تطرق بصورة مجملة إلى عمليات المقاومة الإسلامية وإنجازاتها منذ العام ١٩٨٢ وحتى العام ١٩٩٨ .

وقد سعى حزب الله منذ العام ١٩٨٤ عبر إصداره الأسبوعية «العهد» إلى طرح أفكاره الرسمية حول القضايا المختلفة ، ويساعد تحليل محتوى هذه النشرة الأسبوعية الباحثين على التعرف إلى تطور مواقف الحزب وسياساته ، ولهذا السبب إهتم الباحثون الغربيون إهتماماً كبيراً بهذه الجريدة الأسبوعية ولا يزالون(*) . وفي التسعينات أصدر الحزب (بالتنسيق مع تجمع العلماء المسلمين) مجلة أخرى تحت عنوان «البلاد» ، والتي كانت تحظى بأرشيف جيد ، أفاد منه الباحث . في العام ١٩٩٧ سعى «مكتب حزب الله في طهران» بنشره كتيباً خبرياً باللغة الفارسية تحت عنوان «نداء المقاومة» إلى التعريف إعلامياً بحزب الله وبالمقاومة الإسلامية ، وقد استند الباحث في هذا البحث إلى المواضيع التي وردت فيه .

وإضافة إلى الآثار المكتوبة ، أنشأ حزب الله مواقع متقدمة على شبكة الانترنت ، نشر فيها رؤاه وأفكاره وآخر الأخبار الخاصة بالمقاومة الإسلامية . مواقع الانترنت هذه كان لها دور مؤثر في اختراق الحظر الإعلامي داخل المجتمع الإسرائيلي ، على خسائر الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان ، وكان أحد وسائل الحرب النفسية المهمة التي شنها حزب الله ضد «إسرائيل» .

إلى جانب الآثار الرسمية للحزب ، نشر كتابان مهمان أيضاً بقلم «حسن فضل

(*) تغير اسم هذه الأسبوعية ، وهي تصدر الآن باسم «الانتقاد» .

الله» [من كوادر حزب الله]. الكتاب الأول عنوانه «الخيار الآخر» ، صدر في العام ١٩٩٤ ، وتطرق فيه الكاتب إلى تاريخ الحزب وأهم مواقفه ، والكتاب الثاني بعنوان «حرب الإرادات» الذي نشر في العام ١٩٩٧ ، وهو مخصص لتأريخ المقاومة الإسلامية وإنجازاتها . لقد سعى مؤلف هذين الكتابين - على الرغم من مناصرته وتأييده للحزب - لتقديم عرض تحليلي واقعي وغير متحيز عن تاريخ حزب الله ومواقفه(*) .

لكن الإشكالية الأساسية في هذا النوع من الآثار ، تكمن في ضآلة المنهج النقدي لأعمال حزب الله ومواقفه ، وبخاصة أنها نشرت بغاية الاعلان عن أهداف الحزب ومناصرته .

٢ - منشورات الكتّاب والنقاد العرب

لم تنشر حتى الآن كتب كثيرة باللغة العربية حول حزب الله ، والمصادر العربية فقيرة جداً في هذا المجال ، لكن كتاباً صدر في بيروت باللغة العربية كان الأكثر إثارة للجدل في المجتمع اللبناني ، من بين الكتب التي صدرت عن حزب الله ، وهو بعنوان : «دولة حزب الله : لبنان ، مجتمعاً إسلامياً» للكاتب اللبناني «وضاح شرارة» (صدر في العام ١٩٩٦) ، وشرارة سليل عائلة لبنانية شيعية معروفة ، وهو علماني ، ومن المنتقدين بشدة لحزب الله ؛ وهو في كتابه المفصل ضمن بحثه حول تاريخ الشيعة في لبنان ، تطرق إلى أعمال حزب الله ومواقفه ، دون الأخذ في الاعتبار نجاح حزب الله في ساحة الصراع مع إسرائيل ، وكذلك شعبيته ومكانته في المجتمع اللبناني ، وهو يعتقد أن تحولات الحزب في العقد التاسع (من القرن الماضي) كانت تحولات صورية وظاهرية ، وأن أهداف الحزب لم تتغير مطلقاً عما كانت عليه في الثمانينات ! إن عداء الكاتب لحزب الله دفعه إلى تجاهل الكثير من الوقائع والمسلّمات الثابتة والقطعية في ما يتعلق بتحولات الحزب وأهدافه السياسية .

(*) لحسن فضل الله كتاب ثالث تحت عنوان «**سقوط الوهم**» صدر بعد إنجاز هذه الدراسة (أي بعد تحرير الجنوب اللبناني عام ٢٠٠٠) .

الباحث اللبناني الآخر الذي كتب عن حزب الله هو «محمود حيدر» وتكلم في كتابه «اللايقين السلمي : أحوال لبنان ما بعد الحرب» ، عن تحولات المجتمع اللبناني وأحزابه وتكتلاته ، بعد نهاية الحرب الأهلية . وخصّ حزب الله بالفصل الأخير من كتابه ، وهو ضمن تحقيق منصف نسبياً وغير متحيّز ، ناقش الأجوبة الجديدة التي قدمها الحزب عن هذه التساؤلات ، ويعتقد «محمود حيدر» : «إن سائر اللاعبين على المسرح السياسي في لبنان لم يستجيبوا لمرونة حزب الله ولم يكونوا منصفين» .

من الكتّاب اللبنانيين الآخرين الذين نشروا مقالات دراسية عن حزب الله ، «هيثم مزاحم» ، الذي نشر مقالتين في مجلة «شؤون الأوسط» الفصلية ، والتي تعد من الفصليات المعتبرة في لبنان ، تطرق فيهما إلى تحليل أعمال الحزب ومواقفه ، وهو يقرّ أن حزب الله بعد اتفاق الطائف تعرض إلى تحولات شاملة ، لكنه يعتقد أن هذه التغييرات ليست حتى الآن بالقدر الكافي ، ولا يزال حزب الله يعاني من مشكلة «التوفيق بين الأيديولوجيا والواقع» !

٣ - منشورات المؤسسات الأمنية والعسكرية

لقد أثارت أعمال حزب الله في الثمانينات والضربات التي ألحقها هذا الحزب بمصالح الغرب وإسرائيل ، إهتمام الأجهزة الأمنية والعسكرية الأجنبية وبخاصة في أميركا وإسرائيل ، ودفعتها إلى التعرف إلى حزب الله ، وكانت الآثار التي نشرتها مثل هذه المنظمات عن حزب الله ، على شكل مقالات يمكن الاطلاع عليها ودراستها على شبكة الانترنت ؛ وتنظر مثل هذه المقالات إلى حزب الله من زاوية تهديده للأمن القومي لكل من أميركا وإسرائيل ، ولذلك تغلب على معظمها النظرة إلى حزب الله كمجموعة إرهابية ، لكن ذلك لم يؤدِّ إلى إغفال التحليل العلمي والواقعي المتعلق بتحولات حزب الله الداخلية في التسعينات .

في أوساط المؤسسات العسكرية والأمنية الأميركية أبدت مؤسسة الدراسات الاستراتيجية في الكلية الحربية للجيش الأميركي - ولا تزال - إهتماماً فائقاً بحزب الله ، وقد تطرق «استفان بلليتير» الباحث في هذه المؤسسة من خلال عدة أبحاث

معمّقة نشرها حول حزب الله إلى تفصيل مواقف الحزب وسياساته وتحليلها ، وكانت له في هذا المجال الدراسات التالية :

- مقالة بعنوان «حماس وحزب الله : التحدي الراديكالي لإسرائيل في الأراضي المحتلة» ، بتاريخ ١٠ تشرين الأول ١٩٩٤ .
- مقالة : «نظرية حول الأصولية : حزب الله اللبناني» ، بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٩٥ .
- مجموعة مقالات : «الإرهاب : سياسة الأمن القومي والجبهة الداخلية» بتاريخ ١٥ أيار ١٩٩٥ .

وقد تطرق الباحث في المقالات المذكورة إلى الكلام على الساحات التي تكوّن فيها حزب الله ، والعمليات العسكرية التي قام بها ، وتنظيماته ، وجهوده في منع تقدم مفاوضات «السلام» ، وأيديولوجيا الحزب وداعميه ، وكانت غاية الكاتب تقديم مقترحات إلى الحكومة الأميركية تتعلق بسياستها حول حزب الله .

المؤسسات المختلفة في إسرائيل أيضاً ، كمؤسسة الدراسات الاستراتيجية بيغن - السادات» التي تقوم بدراسات أمنية - سياسية ، وكذلك «مؤسسة السياسة الدولية لمواجهة الإرهاب» ، أظهرت اهتماماً زائداً بدراسة حزب الله . فقد نشر «صاموئيل غوردن» الباحث في مؤسسة «بيغن - السادات» مقالة بعنوان «الحرب الجوية ضد حزب الله في جنوب لبنان» ؛ تطرق فيها إلى تاريخ حزب الله ، وبشكل خاص إلى مباحث حرب العصابات ، ونظرية الحزب العسكرية والأساليب المعتمدة والمعدات الحربية المستخدمة ، والضربات التي ألحقها بالجيش الإسرائيلي .

«د . إستروبمان» الباحث في المؤسسة الدولية لمكافحة «الإرهاب» ، نشر مقالة بعنوان «نواح بارزة في نزعة العداء للسامية في أيديولوجيا حماس وحزب الله» ، إعتبر فيها أفكار حزب الله المعادية للصهيونية مساوية «لمعاداة اليهود» . وإلى جانب هاتين المقالتين ، حاولت مؤسسات مثل «سي . آي . إيه» و«الموساد» و«أم آي سيكس» [MI6] الإنجليزية من خلال نشر مسائل في مواقع مختلفة على الانترنت (وأكثرها

بأسماء مستعارة) ، أن ترسم الوجه الإرهابي المزعوم لحزب الله ، وتدعو إلى ملاحقة قادته بنشرها لصورهم والعلامات الفارقة لديهم .

العيب الأساسي في مثل هذه المصادر ، هو أنها درست حزب الله بمنظار أمني عسكري ، وتركزت جهودها على إثبات «إرهابية» هذه الجماعة . هذه النظرة المتحيزة ، أدت إلى تجاهل العديد من الوقائع والمسلّمات الخاصة بحزب الله ، والتي لا يمكن إنكارها .

٤ - الأعمال الأكاديمية والجامعية

كان ، ولا يزال للجماعات أو المؤسسات البحثية والدراسية الفاعلة في مجال العلاقات الدولية وشؤون الشرق الأوسط ، والحركات الإسلامية ، إهتمام خاص بحزب الله ، وقد نشر الأساتذة الباحثون في مثل هذه المؤسسات آثاراً متعددة : كتباً ومقالات حول حزب الله رصدت فيها شؤون الحزب باهتمام خاص ، وأهم هذه الكتب والمقالات في مثل هذا النوع من الآثار هي التالية :

كتاب «حزب الله في لبنان» الذي كتبه الدكتور «ماغنوس رانستورب» أستاذ جامعة أندروز باسكتلندا في قسم العلاقات الدولية وعضو مركز دراسات «الإرهاب والعنف» الدوليين ، الذي طبع في العام ١٩٩٧ . وقد ركز المؤلف في المحور الأساسي لبحثه على موضوع خطف الرعايا الغربيين في لبنان ، وأكد ضمن دراسته لتاريخ الحزب على موضوع التواجد السابق لقادة حزب الله من رجال الدين في النجف الأشرف وتأثرهم بآراء الإمام الخميني(قده) وطروحاته . ومع أن المؤلف أشار إلى تحولات حزب الله ، بعد اتفاق الطائف (١٩٨٩) ، لكن غالبية موضوعات الكتاب تمحورت حول مواقف حزب الله وسياساته في الثمانينات .

«ماغنوس رانستورب» يتابع بصورة مستمرة تحولات حزب الله في لبنان ، وهو نشر مقالات متعددة بهذا الخصوص ، وكان عنوان إحدى مقالاته «الوجه المتغير لحزب الله اللبناني» ، كتبه لمركز دراسات «إبن خلدون» في العام ١٩٩٩ ، وخصصه للتغييرات التنظيمية ، وتعديل اتجاهات حزب الله في التسعينات وبخاصة في النصف

الثاني منها . إن دراسة مسار كتابات الدكتور رانستورب ، تبيّن أن نظرته إلى حزب الله ككثير من المحللين الغربيين قد تغيرت تدريجياً ، وقد قدّم صورة عن حزب الله تتمتع بكامل المعايير السياسية .

«أغسطس ريتشارد نورثون» أستاذ قسم العلاقات الدولية في جامعة بوسطن في أميركا ، هو أيضاً من جملة الباحثين الذين كتبوا مقالات متعددة عن شيعة لبنان : فهو كان لفترة عضواً في قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في الجنوب ، وتعرف إلى المجتمع اللبناني عن قرب . وقد تركزت دراساته في الثمانينات على موضوع الشيعة في لبنان وحركة أمل ، وأهم المقالات التي كتبها في هذا المجال هي :

«التدخل الخارجي والسياسة اللبنانية» (١٩٨٤) ، «أمل والشيعة : النضال من أجل كيان لبنان» (١٩٨٧) ، و«المذهب الشيعي والاحتجاج الإجتماعي في لبنان» (١٩٨٨) ، وقد ركز «نورثون» اهتمامه في التسعينات على حزب الله ، وكتب عنه عدة مقالات أهمها ، مقالة : «حزب الله : من الراديكالية إلى الواقعية» (١٩٩٨) ، ومع الأخذ في الاعتبار معرفة «نورثون» الوثيقة بالمجتمع اللبناني وبخاصة الشيعة في هذا البلد ، نراه وفّق إلى عرض آراء واقعية (نسبياً) ومنصفة عن حركة أمل وحزب الله .

الدكتور «ريموند تانتر» أحد الأساتذة الجامعيين الأميركيين أنجز هو الآخر بحثاً أكاديمياً حول شؤون الشرق الأوسط وحزب الله ، فهو قد تولى الإشراف على مشروع دراسي في العلوم السياسية في جامعة ميتشيغان عنوانه «السلام بين سوريا وإسرائيل» ، مقالتان منه تختصان بدور إيران ودور حزب الله . إلا أن مقالات هذا المشروع الذي أنجز في شتاء العام ١٩٩٧ تتفاوت من حيث المستوى ومن حيث القيمة العلمية .

جامعة شيكاغو أيضاً بإنجازها لـ «مشروع الاصولية» أظهرت اهتماماً لافتاً بهذا الموضوع ، وقد طبعت نتائج هذا المشروع البحثي الدراسي الضخم الذي يعالج موضوع الأصوليات الدينية وغير الدينية ، في مجموعة من المقالات موزّعة على عدة

مجلدات . أول مقالة في هذه المجموعة عالجت موضوع «حزب الله اللبناني» عنوانها : «مقارنة بين الحركات الأصولية الدينية» بقلم «إميل ساحلية» ، وقد أجرى المؤلف في هذه المقالة مقارنة بين الأصوليين السنَّة في فلسطين والإسلاميين الشيعة في لبنان ، والسيخ الراديكاليين في الهند ، حيث سعى إلى أن يبيّن أن الأصوليات الدينية بصرف النظر عن ماهياتها وتنوعها الديني ، لديها نقاط مشتركة عديدة ، ومبادئ مشتركة أيضاً . المقالة الثانية في «مشروع الأصولية» خصصت لحزب الله اللبناني ، وعنوانها : «حزب الله اللبناني : حساب الجهاد» ، بقلم «مارتن كريمر» ، تطرق المؤلف في هذه المقالة إلى ماهية حزب الله وأفكاره ورؤاه ، وحلّل مكانة المفهوم المحوري في رؤية حزب الله ، أي مفهوم «الجهاد» .

«مارتن كريمر» باحث متابع بصورة دائمة للمسائل المتعلقة بحزب الله ، وقد نشر مقالات عديدة في هذا المجال . وكنموذج نذكر مقالة «المبادئ الأساسية لحزب الله» الذي أنجزها كريمر في العام ١٩٨٨ لمركز «موشيه دايان لدراسات الشرق الأوسط وإفريقيا» التابع لجامعة تل أبيب ، وقد عرض فيها تحليلاً لآراء حزب الله ؛ وأشار كريمر (في هذه المقالة التي كتبها في الثمانينات) إلى الاختلاف في وجهات النظر بين حزب الله والعلامة السيد محمد حسين فضل الله . ومن بين مقالات «مارتن كريمر»الأخرى يمكن الإشارة إلى مقالة «المنطق الأخلاقي لحزب الله» التي طبعت في العام ١٩٩٠ في كتاب «جذور الإرهاب» الصادر عن جامعة كمبريدج ، الذي جمع كذلك مجموعة من المقالات لكتّاب مختلفين في كتاب عنوانه : «الشيعة ، المقاومة والثورة» .

وكما ذكرنا من قبل ، فقد نشر عدد من الباحثين والأساتذة الجامعيين اللبنانيين دراسات مهمة حول حزب الله باللغة الإنجليزية ، ومن بين هؤلاء ، الدكتور «نزار حمزة» أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت ، وقد نشر الدكتور حمزة حتى الآن آراء ومقالات متعددة في هذا المجال ، أهمها مقالة بعنوان : «حزب الله اللبناني : من الثورة الإسلامية حتى التسوية البرلمانية» ، وهي باللغة الانكليزية ومترجمة إلى اللغة الفارسية . وتحظى آراء الدكتور حمزة باهتمام الباحثين والإعلاميين بشكل مستمر .

«هلال خشان» ، أستاذ آخر من أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، كتب أيضاً مقالات عن الحالة الإسلامية في لبنان ، وقد تطرق في إحدى مقالاته وهي بعنوان : «البرامج الخيرية الاجتماعية لدى الجماعات الإسلامية في لبنان : مصدر الشرعية الشعبية» ، تطرق إلى أوضاع المسلمين في لبنان وتأثير تقديم المجموعات الإسلامية للخدمات الرفاهية والاجتماعية على المسلمين من السنّة والشيعة ، وتحتوي هذه المقالة على نتائج أحد التحقيقات الميدانية واستطلاع الرأي بخصوص هذا التأثير ، وقد فُصِّلت النتائج وحلّلت على شكل أرقام وإحصاءات في جداول متنوعة ، وجاءت هذه النتائج دقيقة جداً .

«شبلي الملاط» باحث لبناني آخر أنجز أيضاً دراسة بعنوان «جوانب من الفكر الشيعي من جنوب لبنان» لمركز الدراسات اللبنانية في جامعة أوكسفورد ، تطرق فيها إلى الآراء السياسية لكبار علماء الشيعة في لبنان ، وهم الشيخ الراحل محمد جواد مغنية والشيخ الراحل محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله ، كما حلل آراء حزب الله السياسية ، ليتمكن بهذه الطريقة من تشخيص النقاط المشتركة ونقاط الاختلاف في ما بينهم .

الكاتبة «هلا جابر» مراسلة وكالة «رويترز» و«آسوشيتد برس» ، في كتابها الذي نشر في العام ١٩٩٧ تحت عنوان «حزب الله : مولود مع الثأر» بحثت في عوامل تأسيس حزب الله ومواقفه وأعماله ، وعلى الرغم من أن معظم مضمون كتاب «جابر» ذو منحى صحافي من خلال الحوارات والمقابلات التي أجرتها المؤلفة مع قادة حزب الله ، وبسبب مشاهداتها العينية كذلك ، إلا أن الكتاب يتمتع بقيمة ومصداقية جيدتين . وقد طبع هذا الكتاب باللغة الانجليزية ، وصدر عن منشورات جامعة كولومبيا في أميركا .

باحثة لبنانية أخرى تدعى «منى حرب القاق» قدمت دراسة باللغة الفرنسية بعنوان «سياسات التنظيم المدني في ضاحية بيروت الجنوبية» ، في العام ١٩٩٦ لـ «مركز دراسات الشرق الأوسط المعاصر» التابع للحكومة الفرنسية ، حيث أخضعت المؤلفة ضاحية بيروت الجنوبية – التي تقطنها أغلبية شيعية ، والتي تعد قلعة نفوذ حزب الله –

لتحليل مفصل من جميع النواحي، العمرانية والثقافية والاجتماعية والقوى السياسية الفاعلة. وقد تطرقت - بشرحٍ وافٍ - إلى تأثير حزب الله في تقديم الخدمات الاجتماعية في هذه المنطقة.

آخر كتاب يمكن أن نشير إليه هو كتاب: «سوريا وإيران: تنافس وتعاون»، الذي أعده باحثان هما «حسين. ج. آغا» و«أحمد. س. خالدي»، تطرقا فيه إلى تاريخ العلاقات الإيرانية - السورية بعد انتصار الثورة الإسلامية، وقد بحث المؤلفان في كتابهما مواطن التعاون التنافس بين سورية وإيران حول شؤون المنطقة، وتطرقا إلى موضوع حزب الله، وإلى تأثير كل من سورية وإيران في لبنان.

جميع الآثار التي عرضناها في هذا الفصل تطرقت بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى قضية حزب الله في لبنان، ودرس كل منها هذا الحزب وحلّل مواقفه وآراءه من زاوية معينة، وانطلاقاً من وجهة نظر خاصة. هذه الآثار كلها تتضمن في الواقع مباحث جيدة، لكن مواطن الضعف المشتركة في ما بينها تكمن في أنه ما من واحد من هذه الآثار، قد تطرق بصورة جامعة مانعة إلى فهم الأبعاد المختلفة لحزب الله، ولم يقدم أي منها تحليلاً لتحولات هذا الحزب من جميع جوانبها، وقد ركز كل منها على موضوع معين، وحاول تعميم النتائج التي توصل إليها في بحثه، على جميع أعمال الحزب ومواقفه؛ لهذا السبب تركز جهد المؤلف في هذا الكتاب على دراسة حزب الله ومواقفه وأعماله من جميع الجوانب في العقدين الثامن والتاسع من القرن المنصرم، كما درس أبرز العوامل المؤثرة في توجهات هذا الحزب، وبيّن بعد ذلك الدافع الأصلي وراء تحول حزب الله نحو الراديكالية في عقد الثمانينات والعامل الرئيسي وراء توجهه باتجاه الواقعية والتعددية في التسعينات.

الهدف من إنجاز البحث

الهدف من هذا البحث، هو تبيين كيفية تأثر مجموعة إسلامية بواقع مجتمعي تعددي.

«حدود البحث»

- **زمانياً**: يغطي البحث المرحلة الممتدة من العام ١٩٨٢ وحتى العام ٢٠٠٠.

- **مكانياً**: لبنان هو المنطقة الأساسية التي يتناولها البحث، لكن سيتم التطرق أيضاً بصورة مجملة إلى أماكن أخرى من العالم.

- **موضوعياً**: على أساس نظريتي «العمل الجماعي» و«الديمقراطية التوافقية»، طرح «أنموذج» تشرح على أساسه العوامل المؤثرة في تغيير وتحول مواقف حزب الله وأفعاله، و«كيفية» نمو الميول الراديكالية والواقعية لدى الحزب و«لماذا» [أسباب ذلك].

تبويب البحث

هذا البحث يتألف من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. سيطرح في المقدمة، عرض للمباحث: كطرح القضية والسؤال الأساسي والفرضية الأصلية، ومتغيرات البحث، وتعريف المفاهيم والفرضيات الفرعية، وافتراضات البحث، وطريقة اختبار الفرضية وأسلوب تجميع المعطيات والمعلومات، وتحقيق الآثار الموجودة، والهدف من إنجاز البحث وحدوده ونطاقه.

في الفصل الأول ستطرح المباحث النظرية، وستدرس في هذا البحث نظرية «العمل الجماعي»، وستخضع للشرح وللبحث المفصلين، ومن نتائج هذا البحث دراسة العلل المؤثرة في الأعمال الجماعية لدى المجموعات الإسلامية. وعلى أساس نظرية «الديمقراطية التوافقية» ستدرس المجتمعات المتعددة الطوائف والفرق كالمجتمع اللبناني، ومن توليف هاتين النظريتين سيتم عرض أنموذج (موديل) تحليلي عن الأسباب والعوامل المؤثرة في تغيير وتحول مواقف وممارسات حزب الله؛ وهذا الأنموذج (موديل) التحليلي هو الذي سيستخدم في الواقع كأساس نظري في هذا البحث، أما المباحث المتعلقة «بالعمل الجماعي» فستستخدم كمقدمة فقط لعرض الأنموذج التحليلي.

في الفصل الثاني سيتم عرض مسيرة حزب الله من النشأة إلى النمو ، وكذلك سياسات الحزب طيلة الثمانينات من القرن المنصرم لتقديم صورة إجمالية عن تاريخ هذا الحزب وعمله خلال تلك الفترة .

الفصل الثالث يختص بتأريخ حزب الله بعد اتفاق الطائف وانتهاء الحرب الأهلية حتى الانتصار التاريخي للمقاومة الإسلامية على الجيش الإسرائيلي في أيار ٢٠٠٠ .

الفصل الرابع يتألف من قسمين : يتعرض القسم الأول لسياسات حزب الله ومواقفه في الثمانينات لتشخيص الراديكالية لدى الحزب واستخدام العنف السياسي للوصول إلى الأهداف التنظيمية ، وكذلك لتشخيص كيفية توجه حزب الله باتجاه الراديكالية . وفي القسم الثاني من هذا الفصل سيتم التعرض إلى العوامل المؤثرة في توجه حزب الله الراديكالي ، ومن ثم تفصيل الفرضيات الرئيسية والفرعية وتحليلها ، لتوضيح صحة كل منها أو سقمها ، وللإجابة عن سؤال «لماذا توجّه حزب الله نحو الراديكالية» !

الفصل الخامس يتألف أيضاً من قسمين ، يعالج القسم الأول أعمال حزب الله ومواقفه في التسعينات لتشخيص واقعية الحزب في هذه المرحلة وابتعاده عن استخدام العنف في نهجه الجديد ، ولتشخيص «كيفية توجه الحزب نحو الواقعية والتعددية» . في القسم الثاني من هذا الفصل يتم التعرض إلى الأسباب أو العوامل المؤثرة في اتجاه حزب الله في الساحة الداخلية نحو الواقعية ، ومن ثم تفصيل وتحليل الفرضيات الرئيسية والفرعية بهذا الخصوص لتوضيح صحة كل واحدة منها أو سقمها ، وللإجابة عن توجه حزب الله نحو الواقعية والتعددية .

في ختام هذا البحث ، وبعد استعراض المباحث التي طرحت في الفصول كلها ، سيتم التوصل إلى النتيجة النهائية والسعي إلى عرض الرؤية العلمية والتوقعات المتعلقة بمستقبل حزب الله في لبنان .

مسعود أسداللّهي

m_asadollahi@yahoo.com

الفصل الأول

بحث نظري

لا شك أن اتساع الموجة الإسلامية ، وظهور مجموعات الإسلام السياسي ، كان أحد أهم التحولات السياسية والاجتماعية في الربع الأخير من القرن العشرين ، وعلى الرغم من وفرة المباحث التي تناولت الجوانب المختلفة لظاهرة «الأسلمة» ، أو ما عُرف في المحافل الجامعية الغربية بـ «الأصولية الإسلامية» ، إلا أن المباحث النظرية التي وضعت الأطر المفهومية لشرح أسباب بروز هذه الظاهرة السياسية وعواملها ظلت محدودة ، كما أن معظم هذه المباحث النظرية ظهرت في إطار الخطاب «الحداثوي» والصراع بين التجديد والتقليد في مجتمعات العالم الثالث بعامة ، والمجتمعات الإسلامية بخاصة ، وكان علماء الاجتماع الذين تصدوا لتحليل ظاهرة الأصولية يميلون إلى تركيز بحث «الإسلاموية» في إطار مقولة الحداثة .

في كل الأحوال تركزت الجهود التي بذلت لشرح الظاهرة الإسلامية المعاصرة -إن في إطار الخطاب «الحداثوي» أو خارجه - على جذور العوامل التي أدت إلى ظهور التيارات الدينية - السياسية وانتشارها في البلدان الإسلامية . ومن الجدير بالذكر هنا أن أحد الأسباب الأساسية لسيطرة مثل هذا التوجه النظري ، هو جهل العالم الغربي لأسباب نمو الإسلام السياسي الذي سرّعه انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، وهذا هو ما حفز المحافل الجامعية والسياسية الغربية على البحث والتنقيب عن الجذور التي أدت إلى نمو هذه الظاهرة ، لكن المباحث النظرية التي تناولت أسباب توسّل الإسلاميين بالأعمال الجماعية ، والعوامل المؤثرة في إعطاء هذه الأعمال شكلها «السلمي أو العنفي» جاءت باهتة وغير وافية ، وبخاصة بحث التغييرات التي طرأت على مواقف

هذه المجموعات وأعمالها في المراحل الزمنية المختلفة .

للإجابة عن هذه القضايا ، تم التنقيب والبحث في إطار الدراسات النظرية في العلوم السياسية حول «العمل الجماعي» الذي يتمتع بأهمية كبيرة في تحليل وشرح الدوافع الفردية والجماعية للنشاطات الاجتماعية . مع ذلك فإن هذا البحث لا يهدف إلى شرح العمل الجماعي في إحدى الحركات الإسلامية ، لكنه – مع التأكيد على هذا البحث النظري وإيجاد القاعدة المناسبة لشرح العوامل المؤثرة في شكل العمل الجماعي للإسلاميين – سيجيب عن السؤال التالي : **لما لم يتخذ العمل الجماعي للمجموعات الإسلامية في مجتمع من المجتمعات وفي مختلف المراحل الزمنية شكلاً واحداً أو صورة واحدة؟ وأين يجب البحث عن سبب الاختلاف في أشكال العمل الجماعي؟ بعبارة أخرى ، لماذا نحا العمل الجماعي لمجموعة إسلامية ما في مرحلة زمنية معينة منحى العنف ، ولماذا رجّحت هذه المجموعة نفسها إستخدام الطرق السلمية في مرحلة زمنية أخرى؟**

للإجابة عن هذه الأسئلة المذكورة أعلاه ، يتمتع إدراك منطق العمل الجماعي للإسلاميين والمجموعات السياسية المرتبطة بهم بأهمية خاصة . إن إدراك البواعث والأسباب والعوامل التي تدفع الفرد إلى الإنخراط في المجموعات الإسلامية السياسية والانخراط في الأعمال الجماعية مهم لأنه يمكّننا من التعرف إلى شكل العمل الجماعي والاتجاهات السياسية للحركات الإسلامية ومن بينها حزب الله اللبناني . لهذا السبب ، سنقف أولاً على نظريات «العمل الجماعي» ثم سنستعين بواحدة « أو أكثر من هذه النظريات ، لنقدم إطاراً نظرياً في ما يخص «العمل الجماعي» لدى المجموعات الإسلامية ؛ مع الأخذ في الاعتبار ظروف المجتمع اللبناني التي تختلف عن ظروف المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى ، وسنستفيد من الإطار النظري المذكور لطرح نموذج تحليلي خاص لشرح الأسباب والعوامل المؤثرة في توجهات حزب الله خلال عقدين من عمر هذا الحزب . هذه القاعدة التحليلية ستكون نقطة الارتكاز الأصلية والأساسية للبحث النظري المعتمد في هذا التحقيق في الفصول اللاحقة .

العمل الجماعي (Collective Action)

لقد أجريت دراسات عديدة تشرح أسباب الأعمال الجماعية للأفراد وارتباطها بالحركات الاَجتماعية من ناحية ، كما تشرح شكل الأعمال المذكورة من ناحية أخرى ؛ ويضمّ الحيّز الواسع لهذه الدراسات ، النظريات المتعلقة بالأعمال الجماعية المسالمة ، والممارسات الفردية والجماعية العنفية – إنطلاقاً من عنف الشارع وصولاً إلى الثورة الإجتماعية – وقد طُرحت الأطر الأساسية للنظريات المتعلقة بالعمل الجماعي بعد ظهور الحركات الجديدة الاجتماعية إبتداءً من أواخر الستينات من القرن الماضي وما بعده .

إن مفهوم العمل الجماعي جزءٌ من دراسة أكثر عمومية للتطور الإجتماعي تتضمن مفاهيم عامة : كالإستقرار وعدم الإستقرار ، والعنف والثورة ، وعلى الرغم من أن هذه المفاهيم مرتبطة بعضها بالبعض الآخر على نحو من الأنحاء في بحث التطور الاجتماعي موضوع الدراسة ، إلا أننا عرّجنا أيضاً على الآثار الخاصة بكل منها على حدة ، فهنالك نظريات متنوعة حول مفهوم «العمل الجماعي» ، وتتمركز هذه النظريات حول الأسباب والعوامل التي تحدد النشاطات المنظمة للجماعات التي تسعى إلى تحقيق أهداف خاصة .

إذا عرّفنا العمل الجماعي أنه «مجمل المساعي والجهود التي تقوم بها مجموعة من الأشخاص المترابطين إلى حد ما ، الذين يتحركون لتحقيق هدف معين أو رغبة مشتركة»[١] ، نرى أن ذلك هو سلوك إجتماعي يمكن أن يكون كسائر الأفعال وأنماط السلوك الاجتماعية موضوع دراسات علم الاجتماع .

عرّف «تشارلزتيلي» «العمل الجماعي» أنه «تحرك الناس مع بعضهم البعض لمتابعة

1- J.A Banks, ***The Sociology of Social Movements*** (London: Macmillan, 1972) p.7.

2- C. Tilly, ***From Mobilization to Revolution*** (New Haven: Yale University Press, 1978), p.7.

مصالحهم المشتركة» ، وذلك ناشئ بحسب رأيه من «التركيب المتغيّر للمصالح ، والتنظيم ، والتعبئة ، والفرصة»[٢] ، أما «أوبرشال» فلا يرى أن وجه تميّز العمل الجماعي من التحرك الفردي في «الأهداف والشخصية والدوافع والمعطيات الذهنية للمشاركين» ، وإنما يؤكد على البعد غير الروتيني (non-routine) للعمل الجماعي و«تهديده للمجموعات القائمة ، وقدرته على أن يتبدل إلى عامل تغيير اجتماعي»[٣] .

إن «العمل الجماعي» لفريق من أفراد المجتمع ، لتحقيق هدف محدد يمكن أن يتضمن تحركات إجتماعية مختلفة ، ويمكن كذلك بشكل محدود أو موسّع أن يتوصّل إلى إحداث التّغيير المطلوب ، أو منع حدوث التّغيير غير المرغوب به ، مرتكزاً على أداة مؤسساتية أو غير مؤسساتية ، قانونيّة أو غير قانونيّة ، عنفيّة أو سلميّة ، تكون نتائجه محدودة أو غير محدودة ، منشودة أو غير منشودة ، وأن يكون له في الساحات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية أشكالاً ودرجات متفاوتةً من التنظيم أو العنف . المقصود بمصطلح العنف أيضاً «جميع الحملات الجماعية داخل مجتمع سياسي ضد النظام السياسي وسياساته وفاعلياته - ومن ضمنها الجماعات السياسية والمتصدّين للأمور كذلك»[٤] .

علم الاجتماع والعمل الجماعي

يمكننا القول بصورة مجملة إن علم الاجتماع الكلاسيكي والعلوم الاجتماعية المعاصرة كذلك ، تهتم كلها «بالعمل الجماعي» ، ومن الممكن ملاحظة المحاولات التوضيحية في هذا المجال لدى التيارين كليهما ؛ أما الاختلاف البارز في نظريات

3- A. Oberschall, ***Social Movements: Ideologies, Interests and Indentities*** (New Brunswick: Transaction Books, 1993), p.1.

٤- تد رابرت گر ، **چرا انسانها شورش می کنند** ، ترجمه علی مرشدی زاد (تهران : انتشارات پژوهشكده مطالعات راهبردی ، ١٣٧٧) ، ص ٢٤ .

التيارين ، فهو في كون علم الاجتماع الكلاسيكي قلّما تطرق إلى «العمل الجماعي» كعنوان مستقل ، وإنما عالجه على الأكثر في ذيل سائر المباحث الأخرى وعلى حواشيها ، وفي النتيجة ليس هنالك في نصوص علم الاجتماع الكلاسيكي أية إشارة إلى وجود نظرية خاصة بـ«العمل الجماعي» ، لكن حين أصبحت الدراسات الاجتماعية أكثر تخصصاً في القرن العشرين ، إحتل «العمل الجماعي» بالتدريج حيزاً خاصاً بين مباحث العلوم الاجتماعية .

لقد اهتمّ علم الاجتماع الكلاسيكي الذي كان إلى حدٍّ ما وليد الاضطرابات الاجتماعية - السياسية في القرن التاسع عشر ، بالانقسامات والتصدّعات الاجتماعية والثقافية والسياسية الناجمة عن «الثورات» أو «التناقضات الاجتماعية» . وتدل آراء «ماركس» حول الحركات الاجتماعية التي تنتهي بالثورة وبهزيمة النظام الرأسمالي ، وتفسير «دوركهايم» «للأنومية» (اللامعيارية) بعنوان إختلال التضامن الاجتماعي الذي تنتج عنه الاضطرابات الجماعية ، وتركيز «لوبون» على الممارسات اللاعقلانية للجماهير ، وفكرة «پارتو» عن إمكانية تعبئة الجماهير ومشاركتها غير العقلانية في الأعمال السياسية ، واهتمام «فيبر» بتأثير «الكاريزما» في الحياة الاجتماعية - السياسية ، كلها تدل على وجود نظرية «العمل الجماعي» في أذهان هؤلاء العلماء .

«ماركس» ونظرية العمل الجماعي

إن «ماركس» هو أحد أبرز ممثلي سنّة التناقض والتعارض في علم الاجتماع ، فهو يؤكد على أثر التضاد والتناقض بين الطبقات الاجتماعية - على أساس موقع كل منها في علاقات الإنتاج - في إيجاد التحولات الاجتماعية . فهو لا يعتبر الأيديولوجيا نموذجاً للوفاق الاجتماعي ، وإنما هي عمل أشخاص يسيطرون على وسائل الانتاج الفكري ، والواقع الداخلي للسياسة هو صراع «الطبقات الفرعية» (sub-classes) الاقتصادية المختلفة للسيطرة على السلطة ويعتبر القدرة السياسية مرهونة بالظروف المادية القادرة على تعبئة طبقة من الطبقات ، أو شرذمتها ، كي لا تتمكن من تحقيق مصالحها الاقتصادية .

يبدو منذ الوهلة الأولى أن فهم «ماركس» للتحولات الاجتماعية بنيوي (بنياني) (structural) ولا يقيم وزناً للأفعال ولا لنوايا الفاعلين، حيث يقول في مقدمة كتابه «نقد الاقتصاد السياسي»: «... إن تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية يخضع بصورة عامة لنمط إنتاج الحياة المادية. إن وعي الناس ليس هو الذي يحدد حياتهم الاجتماعي، وإنما على العكس من ذلك، إن الحياة الاجتماعية للبشر هي التي تعيّن وعيهم..»[٥]، وهكذا بحسب رؤية «ماركس»، لا معنى للأعمال الجماعية للبشر، ومن بينها السعي لتغيير الظروف التي تتحكم بحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، إلا إذا جاءت منسجمة مع التطور التاريخي لعلاقات الانتاج الاقتصادي، التي هي «معيّنة وضرورية ومستقلّة» عن إرادة الأفراد.

يشير «ماركس» إلى أن عمدة التغييرات الاجتماعية - الاقتصادية، تأتي نتيجة الثورات الاجتماعية، والثورات نفسها هي أيضاً نتيجة التضاد بين قوى الانتاج من ناحية وعلاقات الانتاج من ناحية أخرى[٦]. إن أفعال الناس تحققها في الواقع مجموعة ظروف خارجية مستقلة عن إراداتهم، وعلى هذا الأساس ومن منطلق أن التناقض الأصلي في المجتمعات يشكله التناقض بين الطبقات، فإن جميع الأعمال الجماعية هي تحركات طبقية، والطبقات الاجتماعية هي أيضاً العنصر الفاعل والأساسي فيها.

مع أن تحليل «ماركس» للثورات والأعمال الجماعية مبني على أساس الظروف الاقتصادية والاجتماعية، لكنه يهتم أيضاً بمستوى الإقدام والفعل. يعتقد «تيلي» أن «ماركس» في تحليله لثورة ١٨٤٨ قدم نظرية عن «العمل الجماعي»، فالطبقات الاجتماعية تعمل كفاعل أساسي بمرتكزات طبقية، قيمها نابعة من مصالحها

٥- ريمون آرون: مراحل اساسى انديشه در جامعه شناسى (**مراحل التفكر الأساسية في علم الاجتماع**) ترجمه باقر پرهام (تهران: جيبي، ١٣٥٤ [١٩٧٥])، ص ١٦٣.

٦- م. ن.، ص ١٦٥.

الأساسية، ومن رغباتها الواعية، ورفضها، واستعدادها الجماعي للعمل على أساس المنافع المشتركة. والوعي المتبادل؛ كما اهتم «ماركس» أيضاً بالعلاقات داخل الطبقة الواحدة في سبيل العمل الاجتماعي[٧]. إن مردّ العمل الجماعي - بناءً على تحليل «ماركس» - يعود إلى التضامن داخل المجموعة، وإلى تضارب المصالح بين المجموعات.

يشير «دانييل ليتل» في تحليله لمنهجية «ماركس» إلى إمكانية استخراج نظرية حول السلوك السياسي (Political Behavior) من آثار «ماركس» (عن العمل الثوري أو المشاركة في الأعمال الجماعية)، وهو يعدّ هذه النظرية نوعاً ما نظرية الخيار العقلاني أو الرشيد (Rational Choice Theory)، يبحث الأفراد على أساسها، وعلى مقاس منافعهم الخاصة، عن سلوك سياسي واجتماعي مناسب يوصلهم إلى أهدافهم ويؤمّن مصالحهم[٨].

ترافق تحليل «ماركس» عدة مشاكل، ففي تحليله البنياني (Structural Analysis)، حصر الإنشقاقات الاجتماعية التي تشكل الأرضية المناسبة للعمل الجماعي للمجموعات داخل المجتمع[٩]، في تناقض واحد أساسي، أي التناقض الطبقي الذي يتشكل على أساس العلاقة بين الطبقات ووسائل الانتاج في نمط إنتاجي خاص مترافق مع قوى الانتاج والعلاقات الانتاجية الخاصّة بها. في حين أن هنالك في العصور المختلفة، وفي المجتمعات المختلفة، إمكانية حدوث انقسامات إجتماعية أخرى قومية وعنصرية ودينية وجنسية تمهد أرضية الصراع بين القوى الاجتماعية.

تحتمل نظرية «العمل الجماعي» لماركس النقد أيضاً، فحصر التناقضات

7- C. Tilly, ***Op. Cit***, pp 12 - 15.

٨- دانييل ليتل. **تبيين در علوم اجتماعى: در آمدى به فلسفه علم الاجتماع**، ترجمه عبد الكريم سروش (تهران: نشر صراط، ١٣٧٣ [١٩٩٤])، ص ص ٢٠٩ - ٢١١.

٩ - راجع: حسين بشيريه، **انقلاب وبسيج اجتماعى** (تهران: دانشگاه تهران، ١٣٧٢ [١٩٩٣]).

والانقسامات الاجتماعية في الصراع الطبقي أمر جدير بالمناقشة ، وهنالك مجال كبير للشك بالنسبة إلى موضوع حصر العوامل الاجتماعية في الطبقات ؛ فالتجربة الواقعية تدل أن القياديين في المجتمع أو الفاعلين في «الأعمال الجماعية» يمكن أن تكون لديهم دوافع غير المصالح الطبقية . ونشير كمثال على ذلك إلى أن بقاء النزاعات القومية واستمرار تدنّي مكانة المرأة في المجتمعات الإشتراكية ، يتبعها بالضرورة الإختلال في المجال «العمل الجماعي» بين القوميات والنساء .

يبدو أن تحليل «ماركس» كان خاضعاً - إلى حد بعيد - إلى واقع أن الحركات العمالية كانت الشكل الأساسي «للعمل الجماعي» السياسي والاجتماعي في عصره ، وهذه التجربة العينية دفعت «ماركس» إلى اعتبار واقع عصره - أي غلبة التناقض الطبقي - هو المبدأ العام ، ولم يلتفت إلى إمكانية استقلال الانقسامات والتناقضات الاجتماعية الأخرى ؛ ومن ناحية أخرى لا يجوز تجاهل هذه المسألة ؛ وهي أن الاهتمام بالتناقضات الطبقية والتركيب الطبقي يمكن أن يساعد أكثر في إدراك أكبر ، ما لم يتحول الاهتمام بهذه العوامل إلى نوع من «الحصرية» تؤدي إلى اقتصار التوضيح على هذه العوامل ، فإن الطريق مفتوح لتوضيح جميع جوانب وأنواع «الأعمال الجماعية» . لقد ألهمت نظرية «ماركس» الكثيرين من الماركسيين الكلاسيكيين والماركسيين الجدد الذين تكلموا على «العمل الجماعي» والثورة والعنف ، نذكر من بينهم «برينغتون مور» و«إريك وولف» كنموذجين من المنظّرين المعاصرين الذين درسوا ، متأثرين بنظريات «ماركس» الأعمال الجماعية في المجتمعات المختلفة[١٠] .

«دوركهايم» والعمل الجماعي

لقد وضع «إميل دوركهايم» أساس المفهوم النفساني من خلال نماذج

١٠- حميد أحمدى «آينده جنبشهاى اسلامى در خاورميانه» ، فصلنامه مطالعات خاورميانه ، سال پنجم شماره ٢ و٣ (تابستان و پائيز ،١٣٧٧[١٩٩٨]) ، ص٦٧ .

وأنماط من الأعمال الجماعية ، فهو في نظريته «الانتقال إلى المجتمع الصناعي» (Transition to Industrial Society) عرض مفهوماً عن العمل الجماعي ، له جذور نفسانية ناشئة من ردة فعل الفرد تجاه الظواهر الصناعية . وتنعكس آراء «دوركهايم» حول هذا الموضوع في أثرين من آثاره حول «تقسيم العمل»(Division of Labour) و«الانتحار» ، حيث يرى أن العمل الجماعي هو حاصل ظروف الشخص المتردية ، وهذه ناتجة أيضاً عن البون الشاسع بين «مستوى التمايز (Level of Differentiation) ومستوى الوعي أو الوجدان العام أو الضمير الجمعي»[١١] (Collective Conscience) ، ويرى «دوركهايم» أن العمل الجماعي هو جواب مباشر نسبياً للتنظيم أو التفكك الاجتماعي (Social disorganism) في جميع المجتمعات .

لقد عُرف مفهوم «دوركهايم» عن فطرة المجتمع - مع تأكيده على مفهوم التضامن والوجدان العام - كأحد النماذج البارزة لنظرية «الاجماع» على الحياة المجتمعية ، ويعتقد «دوركهايم» ، وهو يشرح الاجماع الاجتماعي إلى مفهوم التضامن ، أن التضامن ميكانيكي في المجتمع الذي لم يبرز فيه التمايز الاجتماعي بعد ، أي أنه مبني على التشابه ووحدة المشاعر والقيم لدى أفراد المجتمع . في المقابل ، في المجتمع الذي يكون فيه التناسق الإنسجام الاجتماعي ناتجاً من التمايز الاجتماعي للأفراد ، يشكل التضامن العضوي (Organic Solidarity) مبنياً على التمايز والتفاوت بين أعضاء المجتمع ، ووجود رابطة بينهم شبيهة بتلك الموجودة بين الأعضاء المختلفة في الكائن الحي[١٢] .

وبحسب ما ذكره «تشارلز تيلي» ، شرح أتباع «دوركهايم» نوعين من أنواع العمل الجماعي «الروتينية وغير الروتينية» (Routine and Non-Routine Collctive Action) .

ففي الظروف التي يسود فيها التضامن في المجتمع يكون العمل الجماعي ذا منحى

١١- م . ن . ص ٦٤ .

١٢- ريمون آرون . م . س . ص ص ١٥ و١٦ .

روتيني وعادي ، ويؤدي إلى توطيد أواصر هذا التضامن[١٣] ، في هذه الظروف ، الضمير والشعور الجماعي(Collective Conscience) ، كمجموعة المعتقدات والمشاعر المشتركة لمتوسط أعضاء مجتمع من المجتمعات ، سينتشر ويعمّم في جميع أوساط المجتمع ؛ في المقابل في الظروف التي يختل فيها التضامن الاجتماعي ، يختل أيضاً تقسيم العمل الذي يشكل أساس التضامن بين النظائر ، ويضعف الوجدان والشعور الجمعي ، ولا يوجد في المقابل ضمير جمعي جديد ، فتظهر حينئذ - ما يسميه هو - الأنومية (اللامعيارية) (Anomie)[١٤] ، ويظهر مثل هذا الوضع بصورة خاصة في الظروف الإنتقالية ، قبل أن يتشكل وعي جديد مبني على وحدة المصير والتضامن المتبادل (التضامن العضوي) ، بعد زوال الوعي التقليدي المبني على التضامن الآلي[١٥] . وهكذا فإن الأشكال الغير العادية للعمل الجماعي هي حاصل سخط الأفراد وسعيهم وراء المصالح الآنية ، الناتجة عن تلاشي تقسيم العمل .

يعتقد «دوركهايم» أن البشر في المجتمعات الجديدة «على الرغم من تمايز الأعمال والأشخاص وتدني سلطة التقاليد ، وازدياد تحكيم العقل باستمرار ، وارتفاع أسهم الابتكارات الفردية» ، ليسوا بالضرورة أكثر سعادة مما كانوا عليه في الماضي التقليدي[١٦] ، لأن السرعة في حصول التمايز تؤدي إلى «سرعة التنقل الاجتماعي (Social Circulation) المتزايدة وفقدان حس تشخيص الاتجاه»[١٧] . وتظهر في سلوك الناس نماذج من «الأمراض النمطية» يمكن أن نشير من بينها إلى الانتحار ، وتزايد الجرائم والجنايات ، وعصيان العمال وأعمال العنف وغير ذلك .

إن فكرة «دوركهايم» هي التالية : إن الهيجان والمشاعر غير المنضبطة تؤدي إلى

13- Tilly. ***Op.Cit.*** p.15.

١٤- م .ن .ص ص ٨١ و٧١ و٧٢ .

15- Tilly. ***Op.Cit.*** p.17.

١٦- ريمون آرون . م .س . ص ٢٧ .

17- Tilly, ***Ibid.***

حالة الأنومية واللامعيارية ، ويكون ذلك في الظروف التي تزداد الحاجة فيها إلى الانضباط ، فالعمل الجماعي في مثل هذه الظروف ، - على العكس من وجود التضامن - ليس عملاً عادياً روتينياً ، وإنما هو عمل أنوميك . وكذلك هو عمل إصلاحي (Restorative) تقوم به بعض المجموعات لإعادة الظروف السابقة ، أو للتخلص من الظروف الجديدة التي أوجدتها التمايزات الاجتماعية المستجدة[١٨] .

يمكن القول بصورة مجملة ، أنه بحسب وجهة نظر «دوركهايم» ، فإن انهيار التضامن التقليدي وعدم الإسراع في إيجاد البديل (التضامن العضوي) مع الضرر الذي لحق بتقسيم العمل ، وعدم تشكل الضمير الجمعي ، ومن ثم سيطرة الأوضاع الأنومية ، تفسح كلها في المجال للأعمال الفوضوية والتغييرية التي تمهد الأرضية المناسبة للتعبئة الاجتماعية[١٩] . وهكذا بحسب رأي «دوركهايم» ، فإن العمل الجماعي الأنومية هو نتيجة الوضعية البنائية (Structural Positivism) ، وهو في شرحه لهذه التحركات لا يأخذ في الاعتبار ظروف الأشخاص المشاركين الخاصة ، الروحية والنفسية ، وإنما يؤكد على الناحية الإلزامية للضغط الاجتماعي في مثل هذه الظروف على دفع الأفراد للقيام بهذه الأفعال غير المنظمة .

إن اعتبار «دوركهايم» للأعمال الجماعية أمراضاً من جنس ظواهر أخرى كالجرائم والجنايات والانتحار وغيرها ، يعبّر عن نظرة «دوركهايم» السلبية بالنسبة إلى «العمل الجماعي» ، ويوضح كذلك أن الأعمال الجماعية ناتجة في نظره عن الحزن والاضطراب العقلي والمرَضي وردات الفعل غير العقلانية ، وهو لم يتطرق إلى قضية أن بعض الأفعال الجمعية تهدف إلى إيجاد التضامن والتعاضد الاجتماعيين ، ولذلك يمكن عدّها ردات فعل عقلانية و«لاذُهانية» (Psychosis) ؛ وحتى إذا وافقنا على إمكانية بروز تحركات غير منظمة في ظروف الأنومية ، فذلك لا يعني انعدام إمكانية التنظيم

18- Tilly. ***Ibid.***

١٩- حسين بشيريه . م .س . ص ٩٤ .

والتشكل والسعي العقلاني وراء المصالح من طريق العمل الجماعي الواعي .

إن نظرية «دوركهايم» عن العمل الجماعي أدت إلى نضج نظريات النزعة السيكولوجية المتنوعة حول العمل الجماعي ، ومن المنظّرين المعاصرين الذين تأثروا بنظريات «دوركهايم» ، نذكر «تيد روبرت غر» و«صامويل هنتينغتون» و«تشارلز جونسون»[٢٠] .

«لوبون» والعمل الجماعي

نشر «غوستاف لوبون» في العام ١٨٩٥م كتابه حول علم نفس الجماهير والغوغائية الثورية والهيجان الجماعي . ويمكن أن يعد هذا الأثر النموذج الأول للنظريات السيكولوجية ، بالإضافة إلى اعتبار العمل الجماعي في التحركات الاجتماعية عملاً «غير عقلاني» كلياً . فقد كان «لوبون» في أثناء كتابته لهذا الكتاب واقعاً تحت تأثير متطرّفي الثورة الفرنسية في بداية القرن التاسع عشر ، والخوف كذلك من تكرار وضع مشابه في قالب ثورة اشتراكية ، وهذا ما شكل الأرضية الأساسية لسوء ظنّه .

يعتقد «لوبون» أن الأفراد في المجموعات الكبيرة تصدر عنهم أفعال تختلف عن تلك التي تصدر عنهم وهم منفردون أو في داخل المجموعات الأصغر ، فالجماهير أو الجماعات الكبيرة أفعالها غير واعية ، والتفكير العقلاني لديها في حده الأدنى ، ولديها القدرة على التخريب والهدم وتفتقد إلى الرأي الشخصي . ففي داخل الجماعة يعود الأفراد إلى طبيعتهم الأولى ، ويفقدون تأثرهم بالقوانين والمؤسسات الثّقافية ، وتتجه مشاعرهم - لوجود الروح المشتركة بينهم - باتجاه واحد ، وهذه الروح المشتركة وجودها مستقل عن الأفراد الذين يشكلون الجماعة ، وليست حصيلة جمع الأفراد أو معدلهم الوسطي ، وإنما تمّحي الروح الفردية في تركيب الأفراد داخل الجماعة ،

٢٠- حميد احمدى ، م .س . ص ٧٦ .

وتتشكل بدلاً منها أجزاء جديدة .

يرى «لوبون» أن هنالك ثلاثة عوامل مؤثرة في إيجاد الروح الجماعية الهدامة غير العقلانية : أولها أن الأفراد يحسّون وهم داخل الجماعة بأنهم أقوياء لا يقهرون ، فيتحولون عن طاعة العقل إلى إطاعة المؤثرات الغرائزية . والثاني أنهم يخضعون بقوة لسلطة الهياج ، والثالث أنهم يصبحون طيّعين مستعدين لتقبل الإيحاءات ، في هذه الظروف تخرج تصرفاتهم عن سيطرة الإرادة الفردية ويتحولون إلى دمى يسهل تحريكها ، تتحكم عواطفهم بعقولهم ، يصدقون ما يسمعون بسهولة ، مبالغون وآحاديو النظرة ، وترافق هذا الغلو العاطفي طمأنينة كاملة ، لا يشوبها شائبة من شك أو رغبة في التقييم أو التسامح والتساهل . هذه النظرة الآحادية وغلبة العواطف لدى الأفراد ، تؤدي إلى اعتناقهم للمعتقدات بسهولة ودون تردد ، أو إلى رفضها بصورة قاطعة ، فهم لا يحتملون الاختلاف ، ويصبحون شديدي التعصب . ويستنتج «لوبون» أن الجماعة تجعل حتى المثقف شرساً ، وكائناً قاسياً ، تسيّره غرائزه ، لذلك يتحول العمل الجماعي إلى عمل عاطفي وغير عقلاني ، وهنالك برأي «لوبون» علاقة عكسية بين سلطة التفكير وسلطة العمل الجماعي ، بمعنى أنه بمقدار ما تقل قدرة الإنسان على التفكير بقدار ما تتزايد قدرته على الإقدام[٢١] .

وفي تقويم رأي «لوبون» في ما يختص العمل الجماعي ، وكما أكد «أنطوني غيدنز» ، لا يمكن عدّ سلوك جميع المشاركين في الجماعة غير عقلاني ، فمعظم الأفراد يعون أهدافهم ، وليسوا بالضرورة مستعدين للقيام بتصرفات غير مسؤولة ، والتجارب شاهدة على أن المشاركين في الحركات المختلفة (إبتداء من فتح «الباستيل» إلى اضطرابات القرن العشرين) لم يكونوا أرذالاً أو مجرمين ، كما أن أعمال العنف خضعت أحياناً للمحاسبة[٢٢] ، إن تشكيل الجماعات يتيح للأفراد الفرصة لتحقيق

٢١- للمزيد من الاطلاع على تفاصيل نظرة «لوبون» يراجع : «گوستاف لوبون ، **روان شناسى توده ها** ، ترجمه ك . خواجوى ها (تهران : روشنگران ، ١٣٦٩ [١٩٩٠]) .

٢٢- انتوني گيدنز ، **جامعه شناسى** ، ترجمه م . صبورى (تهران : نشر في ١٣٧٢ [١٩٩٣]).

والتشكل والسعي العقلاني وراء المصالح من طريق العمل الجماعي الواعي .

إن نظرية «دوركهايم» عن العمل الجماعي أدت إلى نضج نظريات النزعة السيكولوجية المتنوعة حول العمل الجماعي ، ومن المنظّرين المعاصرين الذين تأثروا بنظريات «دوركهايم» ، نذكر «تيد روبرت غر» و«صامويل هنتينغتون» و«تشارلز جونسون»[٢٠] .

«لوبون» والعمل الجماعي

نشر «غوستاف لوبون» في العام ١٨٩٥م كتابه حول علم نفس الجماهير والغوغائية الثورية والهيجان الجماعي . ويمكن أن يعد هذا الأثر النموذج الأول للنظريات السيكولوجية ، بالإضافة إلى اعتبار العمل الجماعي في التحركات الاجتماعية عملاً «غير عقلاني» كلياً . فقد كان «لوبون» في أثناء كتابته لهذا الكتاب واقعاً تحت تأثير متطرّفي الثورة الفرنسية في بداية القرن التاسع عشر ، والخوف كذلك من تكرار وضع مشابه في قالب ثورة اشتراكية ، وهذا ما شكل الأرضية الأساسية لسوء ظنّه .

يعتقد «لوبون» أن الأفراد في المجموعات الكبيرة تصدر عنهم أفعال تختلف عن تلك التي تصدر عنهم وهم منفردون أو في داخل المجموعات الأصغر ، فالجماهير أو الجماعات الكبيرة أفعالها غير واعية ، والتفكير العقلاني لديها في حده الأدنى ، ولديها القدرة على التخريب والهدم وتفتقد إلى الرأي الشخصي . ففي داخل الجماعة يعود الأفراد إلى طبيعتهم الأولى ، ويفقدون تأثرهم بالقوانين والمؤسسات الثّقافية ، وتتجه مشاعرهم - لوجود الروح المشتركة بينهم - باتجاه واحد ، وهذه الروح المشتركة وجودها مستقل عن الأفراد الذين يشكلون الجماعة ، وليست حصيلة جمع الأفراد أو معدلهم الوسطي ، وإنما تمّحي الروح الفردية في تركيب الأفراد داخل الجماعة ،

٢٠- حميد احمدى ، م .س . ص ٧٦ .

وتتشكل بدلاً منها أجزاء جديدة .

يرى «لوبون» أن هنالك ثلاثة عوامل مؤثرة في إيجاد الروح الجماعية الهدامة غير العقلانية : أولها أن الأفراد يحسّون وهم داخل الجماعة بأنهم أقوياء لا يقهرون ، فيتحولون عن طاعة العقل إلى إطاعة المؤثرات الغرائزية . والثاني أنهم يخضعون بقوة لسلطة الهياج ، والثالث أنهم يصبحون طيّعين مستعدين لتقبل الإيحاءات ، في هذه الظروف تخرج تصرفاتهم عن سيطرة الإرادة الفردية ويتحولون إلى دمى يسهل تحريكها ، تتحكم عواطفهم بعقولهم ، يصدقون ما يسمعون بسهولة ، مبالغون وآحاديو النظرة ، وترافق هذا الغلو العاطفي طمأنينة كاملة ، لا يشوبها شائبة من شك أو رغبة في التقييم أو التسامح والتساهل . هذه النظرة الآحادية وغلبة العواطف لدى الأفراد ، تؤدي إلى اعتناقهم للمعتقدات بسهولة ودون تردد ، أو إلى رفضها بصورة قاطعة ، فهم لا يحتملون الاختلاف ، ويصبحون شديدي التعصب . ويستنتج «لوبون» أن الجماعة تجعل حتى المثقف شرساً ، وكائناً قاسياً ، تسيّره غرائزه ، لذلك يتحول العمل الجماعي إلى عمل عاطفي وغير عقلاني ، وهنالك برأي «لوبون» علاقة عكسية بين سلطة التفكير وسلطة العمل الجماعي ، بمعنى أنه بمقدار ما تقل قدرة الإنسان على التفكير بقدار ما تتزايد قدرته على الإقدام[٢١] .

وفي تقويم رأي «لوبون» في ما يختص العمل الجماعي ، وكما أكد «أنطوني غيدنز» ، لا يمكن عدّ سلوك جميع المشاركين في الجماعة غير عقلاني ، فمعظم الأفراد يعون أهدافهم ، وليسوا بالضرورة مستعدين للقيام بتصرفات غير مسؤولة ، والتجارب شاهدة على أن المشاركين في الحركات المختلفة (إبتداء من فتح «الباستيل» إلى اضطرابات القرن العشرين) لم يكونوا أرذالاً أو مجرمين ، كما أن أعمال العنف خضعت أحياناً للمحاسبة[٢٢] ، إن تشكيل الجماعات يتيح للأفراد الفرصة لتحقيق

٢١- للمزيد من الاطلاع على تفاصيل نظرة «لوبون» يراجع : «گوستاف لوبون ، **روان شناسى توده ها** ، ترجمه ك . خواجوى ها (تهران : روشنگران ، ١٣٦٩[١٩٩٠]) .

٢٢- انتوني گيدنز ، **جامعه شناسى** ، ترجمه م . صبورى (تهران : نشر في ١٣٧٢[١٩٩٣]).

أهدافهم بأقل كلفة ممكنة وهذا من أبرز التصرفات العقلانية (Rational Behaviour) ، ويستفيد هؤلاء في النتيجة من قوة الجماعة وحمايتها لتحقيق أهدافهم الخاصة ، ومثل هذه الأعمال – بغض النظر عن وجهها اللاقيَمي والذرائعي من حيث العلاقة بين الوسيلة والهدف – عقلانيةٌ ومبنيةٌ على الحسابات المنطقية .

يرى «تيلي» أن ما يقوم به أعضاء الحركة ، عن وعي ، من أعمال فوضوية وغوغائية وأعمال عنف ، تدل على أن الأفراد المحبطين لم يجدوا سبيلاً آخر للتعبير عن سخطهم ، أو لحثّ السلطات والمؤسسات والمجموعات الاجتماعية الأخرى على القيام بالإصلاحات التي يريدون ، وتكون لهذا النوع من الأعمال أحياناً نتائج إيجابية ، تدفع المسؤولين إلى إنجاز الاصلاحات التي يطالب بها المشاركون في «الأعمال الجماعية»[٢٣] ، إضافة إلى أن «لوبون» بالغ في تأكيده على دور الدوافع الذاتية في عمل الجماعات ، في حين أن التنظيم والبرامج من العناصر المهمة التي تدل على البعد العقلاني في الأعمال الجماعية ، وتؤثر كذلك في ضبط الأفعال ذات الدوافع الفردية .

«پارتو» والعمل الجماعي

المفكر الإيطالي «پارتو» في تصنيفه لأنواع السلوك الإنساني ، إعتبر أن التصرفات المنطقية ، هي تلك التي ترتبط فيها الوسائل والأهداف بعلاقة منطقية موجودة في الوعي الذاتي للمشارك ، كما أن الواقع العيني يؤكد كذلك وجود مثل هذه العلاقة ، إن أبرز التصرفات المنطقية يمكن البحث عنها في سلوك التجار . في المقابل ، الأفعال غير المنطقية هي التي تخلو – ذهنياً وواقعياً – من الإنسجام المنطقي . والنوع الغالب في هذه التصرفات ، تلك التصرفات غير المنطقية واقعياً ، لكن من يقوم بها يتصور أنها منطقية . بعبارة أخرى ، المشارك في هذا النوع من التصرفات غير المنطقية يضع علاقة ذهنية بين أهدافه ووسائله ، لكن النتائج العينية تأتي عملياً غير متطابقة مع

23- Tilly, *Op. Cit.*, p.20.

النتائج الذهنية التي يتوقعها المشارك[٢٤] .

إذا أردنا – على أساس المباني الفكرية لـ «پارتو» – أن نضع الإقدام الجمعي من ضمن تصنيفه هو للأعمال الإنسانية ، يجب أن نعدّه دون شك جزءاً من الأعمال غير المنطقية ، فـ «پارتو» يؤمن بثبات الذات البشرية وبنى الحياة الاجتماعية ، ويرفض إمكانية إيجاد تغيير أساسي فيها ، ويستنتج «پارتو» أن الممارسات السياسية ذات الأهداف التطلعاتية والمثالية التي تعد بتغيير أنماط الحياة التقليدية في المجتمعات ، ترتكز على ممارسات مبنية على الخيال : «يعرض على الأفراد هدف معين ، لكن النتيجة الواقعية تأتي غير متناسبة مع الهدف الذي كان القيّمون على التحرك قد حدّدوه من قبل»[٢٥] .

إن المفهوم المهم لدى «پارتو» هو مفهوم «الغير متجانس» بمعنى أنّ كل مجتمع يضم فريقين : النخبة أو الصفوة من ناحية ، والجماهير من ناحية أخرى ، النخبة تسترضي الجماهير بالمكر والحيلة وتجعلهم مستعدين لإطاعتها ، ترى وجود النخبة متطابقاً مع مصالحهم . أما في حال وجود خلل في تركيب النخبة ولم يفعل الضغط ولا المكر فعلهما بشكل مؤثر ، يأتي فريق آخر من النخبة لم يجد – على الرغم من صلاحية أعضائه – طريقاً إلى القيادة ، فيعمد إلى خداع الجماهير مستخدماً الشعارات الأيديولوجية التي تصوّر العمل الجماعي وكأنه قائم على الإيثار والإخلاص والتنظيم – إلى ما هنالك – ويحض الجماهير على التحرك في الاتجاه الذي يريده[٢٦] .

إذاً المشاركة في العمل الجماعي بالنسبة إلى الثوريين الذين يؤمنون بإمكانية تحقيق التغيير في البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، تُعد فعلاً غير منطقي ، ولكنه فعل عقلاني بالنسبة إلى النخبة التي تعمل عن وعي على ترغيب الجماهير باتّباعها من

٢٤- ريمون آرون ، م . س . ص ص ١١٠ – ١١٣ .

٢٥- م . ن . ص ١٥٤ .

٢٦- لقد كان هذا النوع من التعبئة الاجتماعية مورد اهتمام المفكرين ، لكن هذا الموضوع قطعي : إذا كان الثوريون هم قادة التحرك ويؤمنون بما يقولون ، تتشجع الجماهير على المشاركة في التحرك .

طريق الاستحواذ الذهني عليهم، وإغراقهم بوعود التغييرات الجذرية، لكن هدفها الأساسي هو السلطة. يقول الدكتور «بشيرية» في هذا السياق: «إن الصراع الأساسي في المجتمع ليس بين الجماهير وبين النخبة، وإنما بين أعضاء النخبة المتنافسين في ما بينهم، فالجماهير لا مبالون أساساً، وإنما هم يحتاجون إلى قيادة، وتعبئتهم هي التي تفتح الطريق أمام النخبة لتحقيق أهدافها»[٢٧].

«پارتو» لا يهتم مطلقاً بسخط الجماهير العام ولا بمقداره ومسبباته، ويرفض احتمال أي نوع من أنواع التغيير الجذري في البنى السياسية والاجتماعية، أو بعبارة أخرى إمكانية التغيير في ماهية اللعبة السياسية. وهكذا، لا يتوضح في نظرية «پارتو» سبب انجذاب الجماهير في مراحل تاريخية معينة إلى معادلة سياسية أو نظريات يطرحها الطامحون إلى السلطة.

«ميل» والعمل الجماعي

وضع «جان ستيوارت ميل» أيضاً نظرية أخرى بخصوص العمل الجماعي، كان لها أنصارها في القرن العشرين، ونظرية «ميل» هذه لا تقول بالتمايز بين أنواع الأعمال الجماعية المختلفة، وهو يرى أن الفعل الجماعي هو بشكل واضح نتيجة المتابعة العقلانية للمصالح الشخصية. يبحث «ستيوارت ميل» عن العمل الجماعي في الحساب العقلي والمصالح الفردية، ونظريته مبنية على أساس تحليل القواعد المختلفة للقرارات التي تحوّل المصالح الشخصية إلى مصالح جماعية، فتظهر بنتيجتها الأعمال الفردية كأعمال جماعية[٢٨].

لكن في التأكيد المبالغ به على المصالح المحسوبة في شرح الأعمال الجماعية تجاهل لبعض أشكال الأعمال الجماعية التي يكون فيها تأثير الحسابات النفعية قليل جداً. فمن الأمور التي يراها منتقدو نظرية الخيار الرشيد، وجود الرغبة بالمجازفة لدى البشر

٢٧- حسين بشيريه، م. س. ص ٤٦.

28- Tilly, ***Op. Cit.***, p.18.

في ارتباطهم بالتحركات الاجتماعية، وفي مشاركتهم في الأعمال الجماعية؛ على الرغم من ذلك، فإن نظرية «ميل» وضعت الأسس النظرية لكتابات الباحثين المؤيدين لنظرية «الخيار الرشيد أو الخيار المدروس» (Rational Choice theory) كـ «أولسون» (Mancur Olson) و«كولمن» (James Colman) و«هيرشمن» (Albert Hirsch-man) و«بانتون» (Micheal Banton) و«هشتر» (Micheal Heschter)[٢٩].

«فيبر» والعمل الجماعي

إن موضوع علم الاجتماع الأساسي بنظر «ماكس فيبر» هو العمل الاجتماعي، والمقصود «بالعمل»، السلوك الذي له معنى بنظر فاعله، والمقصود «بالاجتماعي»، هو أنه في المعنى الذهني للعمل يأخذ الفرد تصرفات الآخرين بعين الاعتبار. تخلق أنماط العمل الاجتماعي في علاقتها في ما بينها «العلاقة الاجتماعية»، ويمكن الإشارة من بينها إلى «النضال»، أي العلاقة التي يكون فيها «التصرف المتعمد للشخص في تحكيم إرادته يرتبط بمقاومة شخص آخر أو أشخاص آخرين»، يمكن أن يكون النضال مترافقاً مع العنف الجسدي أو أن يكون سلمياً»[٣٠].

إن أنماط السلوك المختلفة التي تصنّف تحت عنوان النضال الاجتماعي تبدأ من المنافسة في العشق وصولاً إلى التنافس التجاري والسياسي، مع إمكانية اعتبار العمل الجماعي نضالاً أيضاً لكسب الامتيازات أو من أجل البقاء (هذا شكلان من أشكال النضال بحسب وجهة نظر «فيبر»)، لكنه لم يتطرق تحت هذا العنوان إلى مبحث خاص عن العمل الجماعي.

إن الفرق بين وجهة نظر «فيبر» ووجهتي نظر «دوركهايم» و«ماركس»، هو في أن «فيبر» يأخذ في الاعتبار النظام العقائدي والبنى الفكرية ويرى أن لها تأثيراً مهماً، في

٢٩- حميد احمدى، م. س. ص ص ٦٧ و ٦٩.

٣٠- ماكس وبر، **مفاهيم اساسى در جامعه شناسى**، ترجمه احمد صدارتى (تهران: نشر مركز، ١٣٦٧ [١٩٨٨]) ص ص ٣٣ و١٠٣.

حين أن «ماركس» و«دوركهايم» يريان أن التناقضات الاجتماعية هي الدافع إلى «التحرك الجماعي» . فالعمل الجماعي بنظر «فيبر» ينبع بشكل عام من التزام أعضاء تلك الجماعة المبدئي بنوع خاص من النظام العقائدي ، وللمعتقدات بنظر «فيبر» منطقها الخاص وقوتها الخاصة ، إن سلطة الأفكار والمعتقدات كأسس للإقدام وللعمل تنعكس في بحث «فيبر» حول الأنواع الثلاثة من السلطات «التقليدية ، القانونية ، والكاريزمية (Charismatic)» ، وحول تأثير الأخلاق البروتستانتية في ظهور العقلية الرأسمالية ؛ بناء على ذلك فإن العمل الجماعي هو بنظر «فيبر» حصيلة الالتزام بنظام عقائدي خاص ، وكـ «دوركهايم» قدّم أنصار «فيبر» آراء متناقضة حول العمل الجماعي العادي والعمل الجماعي غير العادي . في العمل الجماعي العادي يكون للعقائد المشتركة لدى المجموعة تأثير قوي ومباشر ، في حين أن العمل الجماعي يكون غير عادي إذا حدثت ظاهرتان :

الأولى : ينمو التنظيم فيصبح واسطاً بين النظام العقائدي والعمل الجماعي ،

الثانية : حين يكون لمصالح الجماعة دور مباشر وطويل المدى في العمل الجماعي[٣١] .

إن عدداً كبيراً من دارسي النصف الثاني من القرن العشرين الذين وضعوا نظريات حول الحركات الاجتماعية (Social Movements) كـ «ويلكينسون» (Wilkinson) ، و«مايكل يوزيم» (Micheal Useem) و«غاسفيلد»(J. Gusfield) إستعانوا بالإطار النظري لـ «ماكس فيبر» المتعلق بأهمية تأثير العقائد في الأعمال الجماعية[٣٢] .

«علم الاجتماع المعاصر» والعمل الجماعي

على الرغم من توجيه علماء الاجتماع العام نحو الأعمال الجماعية ، كانت

31- Tilly, *Op. Cit.*, p.16.

٣٢- حميد احمدى . م . س . ص ٦٧ .

الحركات الشيوعية ، ومن ثم الحركات الفاشية في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين هي التي مهدت الأرضية في أوروبا «للكشف مجدداً» عن العمل الجماعي ، ومع الأخذ في الاعتبار ماهية الشيوعية والفاشية والنازية غير الديمقراطية ، فقد رافق سوء الظن الدراسات حولها ، مع التأكيد على تأثير الأيديولوجيا الفاشية وأيضاً الشيوعية في بلورة الأعمال الجماعية ؛ بعد ذلك ركز علماء الاجتماع إهتمامهم أيضاً على دراسة الأعمال الجماعية في بلدان العالم الثالث ، وبالتدريج دخل علماء الاجتماع وعلماء السياسة بصورة جدية حقل الدراسات المتعلقة بالنشاطات الجماعية . ومنذ أواسط السبعينات إتسعت دائرة الأعمال الجماعية في البلدان الصناعية المتقدمة ، ولفتت إليها الأنظار ، وبدأ عهد جديد من عهود التنظير في هذا المجال .

ويمكن القول بصورة مجملة ، أن عدة نظريات أساسية في التنظير المعاصر قد وُضعت حول النشاطات الجماعية ، كل واحدة منها مبنية على مبادئ نظرية خاصة ، مع توجيه الاهتمام إلى أبعاد محدّدة من التحركات الجماعية .

نظرية المجتمع الجماهيري

إن مفهوم «المجتمع الجماهيري» (Mass Society) هو أحد المفاهيم الأساسية التي استخدمت بعد الحرب العالمية الثانية لتحليل الحركات الاجتماعية ، ويؤكد هذا المفهوم على أن مجالات تحرك الناس بدلاً من أن تنحصر في قالب محلي ، تنحو منحى جماهيرياً – وطنياً ، ويعتقد أنصار هذه النظرية أن المؤسسات والمجموعات التقليدية قد فقدت سيطرتها على تصرفات الناس في المجتمع الصناعي ، وخسرت ولاءهم لها ، كما أن ضعف العلاقات في الجماعات الأولية (Primary Groups) ، وصفة غير شخصية في المنظمات الكبيرة ، أبعد الناس عن منابع يمكن من خلالها إيصال قضية سياسية ديمقراطية إلى المواطنين وتلقينها لهم . في مثل هذه الظروف يمكن لهؤلاء الأشخاص الغرباء عن ذواتهم أن يُعبَّؤوا بسهولة ؛ والأعمال الجماعية

المتطرفة هي ، على أساس هـذه الرؤية ، نتيجـة ظهور المجتمع الجماهيري ، الذي تفتت أفراده وتجعلهم ذرات (atomized) ، وارتفعت لديهم القابلية على التعبئة ، وباتوا ينجذبون بسهـولة إلى قادة التحـركـات الجـماعيـة . صـاحبـة هذه النظرية هي «هانا آرنت» .

إن تحليل «هانا آرنت» للأعمال الجماعية للجماهير مبني على مفهومه عن وضع الفرد داخل المجتمع الجماهيري ، فهي ترى «أن الجماهير تتنامى بحدّة من عناصر المجتمع المتفتت ، بحيث تتعدل بنية التنافس القائمة على الفردانية من طريق الانخراط في إحدى الطبقات» ، ومن خصوصيات الأفراد الذين يشكلون الجماهير «الانزواء وفقدان العلاقات الاجتماعية المعتدلة»[٣٣] . إن وحدة هذا الفرد المنزوي ، ليست بمعنى «عدم التواجد مع الآخر» ، وإنما بمعنى أنه «ليس مع ذاته» أيضـاً[٣٤] . والجماهير التي تقوم بأعمال جماعية جماهيرية ليست هي وحدها المحبطة ، وإنما قادة هذه الأعمال هم أيضاً محبطون ، مهزومون في حياتهم الشخصية والعملية والاجتماعية ، وهذا هو عامل جذب الجماهير نحوهم لأنهم يجسدون «مصائر الجماهير المعاصرة لهم» . فالحركة الجماهيرية بحسب رؤية «آرنت» جواب عن احتياجات الأفراد المنعزلين ، في مجتمع أعضاؤه متفتتون ، يتوصلون من هذا الطريق إلى تضامن مصطنع[٣٥] ؛ يظهر المجتمع الجماهيري ، الذي هو عكس المجتمع التعددية والمجتمع الديمقراطي ، في غياب المجتمع المدني ومؤسساته الوسيطة بين الجماهير والسلطة الحاكمة ، وهو حاصل انهيار التضامن بين المجموعات[٣٦] .

وعليه ، يمكن القول أن تحليل «آرنت» مكمّل إلى حد ما لبحث «فيبر» ومستند إلى

٣٣- آنا ارنت ، **توتاليتاريسم** ، ترجمة محسن ثلاثى (تهران : جاويدان ، ١٣٦٣ [١٩٨٤]) .

٣٤- حسين بشيريه ، **جامعه شناسى سياسى ، نقش نيروهاى اجتماعى در زندگى سياسى** (تهران : نشر نى ١٣٧٤ [١٩٨٥]) ، ص ٣٣٦ .

٣٥- آنا آرنت ، م . س . ص ص ٧١ و٧٢ .

٣٦- حسين بشيريه ، م . س . ص ٣٣٧ .

نظرية «دوركهايم» ، فهي تبحث عن تأثير الكاريزما على الجماعات الاجتماعية ، وترى هذه الظروف بشكل خاص في ما يسمى بالمجتمع الجماهيري أو المجتمع اللاطبقي . وقد حصرت «آرنت» في دراستها الأعمال الجماعية بالنشاطات الجماعية المتطرفة ، وفي هذا الإطار الضيق الذي عرضته إنتفت إمكانية تحليل وشرح أشكال الأعمال الجماعية الأخرى . وتبقى العلاقة مبهمة بين هذا النوع من الأفعال والأفعال الأخرى في نظرية «آرنت» ، فهل هي في الأساس ظواهر مختلفة؟ أليس هنالك إمكانية توضيح عام للأفعال الجماعية؟ هل التعبئة الإجتماعية ممكنة فقط في المجتمع الجماهيري؟ وهل كل عمل جماعي متطرف هو شمولي بالضرورة؟ هذه الأسئلة لم تطرحها «آرنت» بشكل جدي .

علاوة على ذلك فإن ظهور الأعمال الجماعية المتطرفة في البلدان الديمقراطية ، والتعددية ، وحيث تكثر المنظمات والجماعات التطوعية كأميركا مثلاً ، تعرّض نظرية العمل الجماعي الجماهيري في ما يتعلق بنضج العمل الجماعي المتطرف في المجتمعات الجماهيرية ، للتساؤل . فالتجارب تشهد كيف يتبدل التنظيم وأشكال التطوع التي تمنع هي نفسها تشكل المجتمع الجماهيري ، إلى عامل تعبئة اجتماعية ، وكيف تنخرط الفئات الاجتماعية غير المنعزلة عن المجتمع كالمثقفين والطلاب والمعلمين والأساتذة ، بسهولة في معرض التعبئة الإجتماعية . حتى أن «أوبرشال» يعتقد أن نظرية المجتمع الجماهيري لا يمكنها أيضاً أن تشرح أسباب ظهور الحركة النازية في ألمانيا ، لأن ألمانيا في مرحلة «جمهورية ويمار» (جمهورية ألمانيا بين الحربين العالميتين) بحسب وجهة نظرها لم تكن مجتمعاً جماهيرياً ، ولم تكن الفئات التي استقطبتها النازية هي الفئات المهمّشة في المجتمع[٣٧] . بناء على ذلك ، فإن ظروف التعبئة الاجتماعية بحسب رؤية «أوبرشال» وسائر منظّري الحركات الاجتماعية ، تقع في الجهة المقابلة للحالة التي وصفتها «آرنت» .

37- Oberschall, **Op. Cit,** pp. 102-112.

نظرية السلوك الجماعي

إن ما يُعدُّ حدثاً أساسياً في العلوم الاجتماعية في أميركا ، هو نظرية خاصة عن الوضعية تسمى « الوضعية الذرائعية» (Instrumental Positivism). وعملياً ، تعتبر الدراسات الصادرة عن مدرسة شيكاغو نقطة البداية لدرس هذا النوع الخاص من أنواع الوضعية ، يمكن أن نذكر من خصوصياته المنهجية الفردية ، والتأكيد في النتيجة على المستوى الجزئي للتحليل ، والاعتماد على الأساليب العلمية التجريبية ، مع التأكيد كذلك على الفصل بين القيم وبين الوقائع (Facts) في الدراسات الاجتماعية ؛ ومع أفول مدرسة شيكاغو تأثرت العلوم الاجتماعية في أميركا في الأربعينات بشدة بآراء «تالكوت پارسونز» ، فپارسونز كمنظّر للعمل الجماعي في المرحلة الأولى من عمله التنظيري ، أو كمنظّر للأنظمة وللبنيانية الوظيفية (Functional Structuralism) في المراحل اللاحقة من حياته العلمية ، أثّر في المسار المبدئي للعلوم الاجتماعية . لم يتطرق «پارسونز» بشكل خاص إلى قضية السلوك الجمعي وقضايا التعارض ، لكن أبحاثه حول السلوك المنحرف والرقابة الاجتماعية ، والتغيير الاجتماعي ، تتضمن نقاطاً تدخل في هذا الحقل ؛ وقد ركز «پارسونز» في تحليله للعمل الجماعي على أن الفاعل يعتمد على أكثر الوسائل تأثيراً لتحقيق أهدافه ، واهتم «پارسونز» كذلك بقضية التغيير الاجتماعي ودوره ، كما اهتم بدور الأفكار لدى الفاعل في توجيه أعماله ، لكن تركيزه على الاجماع القيَمي منعه من تقدير الأبعاد المتناقضة في الحياة الاجتماعية بالقدر الكافي . مع هذا لم تقفل نظرية «پارسونز» الخاصة بالحياة الاجتماعية الطريق على عرض تحليلي للتعارضات الاجتماعية وللحركات الاجتماعية ، لذلك تمكن بعض أتباعه في إطار نظريته من تقديم نظريات عن الثورات والحركات الاجتماعية[٣٨] .

٣٨- جرج ريتزر ، **نظريه جامعه شناسى دوران معاصر** ، ترجمه محسن ثلاثى (تهران : علمى ، ١٣٧٤ [١٩٩٥]) ، فصل چهارم .

أشار «أسملسر» أحد أتباع «پارسونز» إلى شروط ستّة كمصادر للأعمال الجماعية وللحركات الإجتماعية :

١ - **الحقل البنيوي** : الظروف الاجتماعية العامة الملائمة أو غير الملائمة لتشكل الأعمال الجماعية .

٢ - **الضغط البنيوي** : التوترات التي تؤدي إلى بروز تعارض المصالح في المجتمع .

٣ - **إنتشار المعتقدات التعميمية** : الأيديولوجيات التي تبلور عوامل السخط العام وتطرح الحلول .

٤ - **العوامل المسرّعة** : الحوادث والوقائع التي تستوجب دخول الأفراد في ساحة العمل .

٥ - **المجموعة المتجانسة المعبّأة** : المجموعات التي تملك شبكات اتصال ودعماً مالياً .

٦ - **عمل الرقابة الاجتماعية** : جواب الحكومة على التحرك ، إما بإنجاز الإصلاحات المطلوبة أو القمع أو غير ذلك .

هذه الشروط الستة تظهر على مراحل ، وكل مرحلة هي شرط لحدوث المرحلة اللاحقة[٣٩] .

يعتقد منتقدو «أسملسر» أن نظريته تؤكد أكثر من الحد على العناصر غير العقلانية وعلى الآثار الشمولية للمعتقدات التعميمية ، فأوبرشال يعتقد أن طرح «أسملسر» لتحقيق الظواهر جامد ، وأنه يفهرس النتائج المحتملة فقط ، ولكنه لم يشر إلى احتمال حدوث كل واحدة منها ، ولم يلتفت إلى التفاعل بين عمليات التعبئة وبين الرقابة التي توفرها العناصر الفاعلة في النزاعات والأعمال الجماعية ، كما أن المعطيات التجريبية

٣٩- آنتونى گيدنز ، م . س . ص ص٦٧٣-٦٧٤ .

التي استخدمها غير مناسبة وغير كافية[٤٠] .

«غيدنز» أيضاً يرى أن المراحل المذكورة آنفاً ، ليست موجودة بالضرورة في جميع الأفعال الجماعية والحركات الاجتماعية ، فمن الممكن مثلاً أن لا تقع حادثة معينة تسرّع التحرك ، أو حركة تكون هي الباعث على التوتر وليست منبعثة منه . بالإضافة إلى أن «أسملسر» يعتبر جميع الحركات «جواباً» عن حيثية معينة ، ولا يأخذ في الاعتبار أن أعضاء الحركة يمكن أن ينظموا تلقائياً للحصول على التغييرات الاجتماعية المطلوبة[٤١] .

أما النقاط الايجابية في نظرية «أسملسر» فهي عبارة عن : - الانتباه إلى تأثير المتغيرات الدالة على الأسباب ، وتقديم مقترحات علمية لتوضيح العناصر المؤثرة التي تعبّد طريق دراسة أكثر علمية للأعمال الجماعية والحركات الاجتماعية ، وكذلك الانتباه إلى التفاعل بين العوامل المذكورة من قبل ، وبخاصة بين الحقل والضغط البنيويين من ناحية ، وبين المعتقدات التعميمية والرقابة الاجتماعية من ناحية أخرى ، وفي النهاية إيجاد رابط بين السلوك الجمعي وبين التحول الاجتماعي ؛ إضافة إلى أن «أسملسر» يؤكد على الحقل البنيوي الذي يصنع العمل الذي يعتبره استجابة للضغوطات ، وفي الإجمال يمكن القول أنه بتأكيده على الحقول البنيوية لحدوث الأعمال الجماعية كان متأثراً بـ «پارسونز» ، وهو في الحقيقة يوضح منحى البنيانية الوظيفية (Functional-Structural approach) في الأعمال الجماعية .

نظرية الإحباط والحرمان النسبي

إن الاهتمام بالمستوى الجزئي للتحليل ، وخصوصيات الفرد الشخصية ، واعتبار المجتمع مجموعة من الأفراد ، إضافة إلى غلبة تيار المذهب السلوكي في العلوم

40- Oberschall, ***Op. Cit***, pp. 23 - 24.

٤١ - آنتوني گيدنز ، م . س . ص٦٧٥ .

الاجتماعية في أميركا ، مهدت كلها الأرضية المناسبة لطرح النظريات السيكولوجية ، وعلم النفس الاجتماعي ، حول مختلف أنواع التحرك الجماعي ، ومن ضمنها الثورة والعنف والحركات الاجتماعية . في هذا النوع من التحليل للأعمال الجماعية تأكيد على الوضع الروحي والذهني للمشاركين ؛ والعمل الجماعي بحسب هذه النظرية بيان وتجلٍّ للمعطيات الروحية للمشاركين فيه ، وتجلٍّ لسخط الفرد واحتياجاته. وتسعى النظريات النفسانية في الحقيقة وراء البحث عن دوافع الأفراد الذين يشاركون في العمل الجماعي ، وأما الافتراض الأساسي للدراسات النفسانية للأعمال الجماعية فهو أن الحاجات الفردية هي الأسس التي يتركز عليها تشكل الجماعات .

إن أكثر النظريات النفسانية شمولية هي نظرية «الحرمان النسبي» (relatively Deprivation) لـ «تيد روبرت غر» التي تهدف إلى توضيح العنف المدني (Civil Violence). إن المتغير المعتمد في نظريته هو «العنف السياسي» الذي يمكن أن يكون على شكل حركة سياسية - إجتماعية أو لا يكون ؛ يعتقد «تيد غر» أن الحرمان النسبي يؤدي إلى الاحباط ، والاحباط يؤدي إلى الغضب الذي يمكن أن ينتهي بالعنف . و«تيد غر» على عكس المنظّرين السابقين لا يقفز من الحالة الروحية مباشرة إلى العمل الجماعي العنفي ، وإنما هو يشير إلى متغيرات تحدد شدة الغضب واحتمال ظهور العنف . لكن هو في النهاية يعتبر شدة العنف الجماعي تابعة لميزان الحرمان النسبي للأفراد ، ويشير «غر» إلى ثلاثة أنواع من الحرمان :

١ - **الحرمان النزولي**(Decremental Depriviation) : الثبات النسبي للتوقعات القِيَميّة وافتراض زوال الأمكانات .

٢ - **الحرمان الناشئ عن الطموح** (Aspirational Depriviation) : الجمود النسبي للإمكانيات وارتفاع شديد في التوقعات .

٣ - **الحرمان التصاعدي** (Progressive Depriviation) : التزايد المبدئي للتوقعات المتزامن مع تدني القدرات .

هذه الأنواع الثلاثة من الحرمان ، يمكن أن تكون عاملاً مسبّباً للعنف أو أرضية ملائمة لنموه"[٤٢] . وشدة الغضب ناتجة عن المتغيرات الروحية – الثقافية ، ومما يزيد من احتمالات العنف ، عمق الهوة بين التوقعات والقدرات ، وإيلاء القيم أهمية كبرى ، وعدم امتلاك طرق بديلة لإشباع التوقعات ، وبقدر ما يتزايد الغضب ، تطول مدته ، وتبدّل الغضب إلى عنف تابع لعوامل منها المجتمع والتقاليد ومشروعية النظام السياسي .

إن نظرية «غر» بتركيزها على تعدد المتغيرات الداخلية والسعي لعرضها في قالب منطقي ، تواجهها إلى حد ما المشكلات نفسها التي تواجه نظريتا عدم التأقلم والإحباط ، وهي في الأساس نظرية نفسانية وفردانية ، فالتصرفات والرغبات الجماعية هي في رأيه حصيلة مجموع التصرفات والرغبات الفردية ، ومستوى حرمان الجموع هو المعدل الوسطي لحرمان المجموعة ؛ هذا المفهوم يعتبر الأفراد وحدات سلوكية مستقلة ومجزّأة ، والنتيجة أنه لا يهتم بتأثير تفاعل الأعمال الجماعية في تقوية الشعور بالإحباط أو إضعافه . وكما يقول «أوبرشال» : «لا يمكن إستنتاج طبيعة السلوك العام الجماعي من فرضيات سلوكية فردية ، ويجب الأخذ بعين الاعتبار التأثيرات الناجمة عن علاقات الأفراد داخل الجماعة ، أي المؤثرات الناجمة عن طبيعة تركيب الجماعة»[٤٣] .

لم يوضح «غر» كيف يتحول إحباط الأفراد إلى شكل من أشكال التضامن المفضي إلى تمرد جماعي على أصحاب السلطة ، وقد اضطر في آثاره اللاحقة إلى بحث مفهوم الضغط (Strain) كعامل بنيوي ليوضح كيفية تحول الإحساس بالحرمان النسبي إلى معارضة سياسية – اجتماعية ، وهو بذلك قد ابتعد إلى حدٍّ ما عن تحليله الأصلي أي النفساني[٤٤] ؛ بالإضافة إلى ذلك ، إذا كان الحرمان النسبي يحدث حين

٤٢- تد رابرت گر ، م .س . ، ص ص ٨٠ إلى ٩٠ .

43- Oberschall, ***Op. Cit***, p.50.

44- Tilly, ***Op. Cit.*** p.23.

تتحسن الأوضاع أو حين تكون ثابتة أو حين تسوء ، فلا يجوز القول إن للحركة الاقتصادية تأثير في الأعتراض والعنف السياسيين ، لأن إمكانية حدوث تحرك عنيف في كل نقطة من نقاط العجلة الاقتصادية قائمة ، وهذا ناتج في الحقيقة «عن النظرة التبسيطية لمحورية الاقتصاد» المتحكمة بنظرية «غر» ، ومن ناحية أخرى ليست نظرية «غر» سوى بيان معقد عن أمر واضح وبديهي يعرفه الجميع ، وهو أن الناس يتمردون لأنهم ساخطون ، وهم ساخطون لأنهم يشعرون أن حقوقهم مهدورة .

لقد ظل المسار الأساسي لدراسة «الأعمال الجماعية» حتى أوائل السبعينات واقعاً تحت تأثير النظريات الثلاث المذكورة آنفاً : أي نظرية المجتمع الجماهيري ونظرية السلوك الجماعي والنظرية النفسانية . وعلى الرغم من الاختلاف بين بنود النظريات الثلاث وبين قوالبها النظرية ، إلا أنها تشترك في المستوى الجزئي للتحليل وفي التركيز على كيفية ظهور التحرك وليس على عمليات تحوله ، كما أن هنالك توجهاً في النظريات الثلاث لاعتبار التصرف الجماعي جواباً غير عقلاني أو متهوراً على التغيير .

إن مراجعة آثار أصحاب النظريات المذكورة آنفاً تبين أنهم كانوا جميعاً يتتبعون الأعمال الجماعية في المجتمعات غير الديمقراطية ، وغير التعددية ، وكانوا في الواقع يعدّون العمل الجماعي ظاهرة مضرة ؛ وجاءت التحركات الجماعية الواسعة في المجتمعات الديمقراطية في أميركا وأوروبا في أواخر الستينات لتخضع الافتراضات الأساسية في هذا «الشكل التحليلي» (Paradigm) للتساؤل ، ولتمهد الطريق أمام ظهور نظريات جديدة حول التحركات الجماعية .

نظرية التنظيم والتعبئة

على عكس النظريات المذكورة آنفاً ، التي كانت متأثرة بالحركات الفاشية والشيوعية والعالم – الثالثة ، ألهمت الحركات التي عمّت أميركا وأوروبا في الستينات وأوائل السبعينات والباحثين لتقديم نظريات جديدة حول التحرك الجماعي ، وبخاصة أن الأرضية الاجتماعية – السياسية التي ظهرت فيها تلك

الحركات هي البلدان الديمقراطية التي تسودها مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات والمنظمات التطوعية ، وليس المجتمعات الجماهيرية أو التي تعاني من أزمات إقتصادية ، والناشطون الأساسيون (في حركات اليسار الجديد) أيضاً لم يكونوا منحرفين فوضويين ، ولا متفتتين متهورين لا انتماء لهم ، كما أن نموذج «أسملسر» (الضغط البنيوي/ المعتقدات التعميمية) لا ينطبق على نوعية تصرفاتهم .

في التنظير لهذه الحركات ، وبخاصة في النظريات الجديدة ، تأكيد على «عقلانية المشاركين» ، «فالمشارك العقلاني» كنموذج على السلوك الواعي له سوابق في الفكر التقليدي في أوروبا وأميركا ، ففي المفهوم النفعي للتحرك الجماعي (كما في آثار «ستيوارت ميل») تركيز على أن دوافع هذا النوع من التحرك هي في السعي المدروس وراء المصالح ، في هذه النظرة تأكيد المبدئي على «الفرد» كفاعل أساسي وليس على المجموعات المتنافسة ، وافتراض للمصالح الحتمية ، وتأكيد على الأسباب والنتائج والوسائل المختلفة للتحرك لتأمين هذه المنافع[٤٥] .

في هذا الفهم المبني أساساً على النظرة إلى الإنسان «كإنسان اقتصادي» (Homo Economicus) ، يعدّ سلوك المتعامل باقتصاد السوق - الذي يبادر إلى إنجاز عمل ما أو يحجم عنه بحساب الربح والخسارة - أنموذجاً لسلوك الإنسان في جميع أنواع العمل الجماعي ، يلاحظ الاعتماد على الفهم الاقتصادي للعنصر المشارك في الثورة في نظرية «الخيار العقلاني أو الاقتصادي» للثورة ، فعلى أساس هذه النظرة ، يقرر الفرد في مواجهته للوضع السياسي المتردي من ناحية ، ووجود المجموعات الثورية التي تسعى إلى التغيير من ناحية أخرى ، وبعد أن يحسب أرباحه الشخصية في حال انتصار الثورة ، وخسائره في حال فشلها ، يقرر الانضمام إلى الحركة الثورية ، أو الانسحاب منها ، وإذا جاءت حسابات عدد كبير من أعضاء المجتمع لمصلحة الانخراط في الحركة الثورية تتشكل هذه الحركة ، وإلا فلا .

45- *Ibid*. pp. 15 - 29.

«أوبرشال» كأحد منظّري التنظيم والتعبئة ، يبدأ بحثه الخاص حول التحرك الجماعي من مبدأ التعارض الاجتماعي ، فالسخط (الأعم من السخط السياسي أو الاجتماعي) موجود في أي مجتمع ، لكن احتمال وجوده أقوى في المجتمعات ذات البنية المؤسساتية والاجتماعية الخاصة ، حيث يُحلّ في بعضها بصورة سلمية ، ولا يُحلُّ في بعضها الآخر ؛ إن مجال الاعتراض في الأنظمة الديمقراطية تفاقمه تعقيدات المشاكل الحكومية ، بسبب المشاركة الشعبية الواسعة في النظام السياسي ، وتطلعات الناس التي تتجاوز الواقع ، وتعدد الشخصيات القيادية والأحزاب وتنافسها الذي يؤدي إلى المبالغة في تقدير حجم المشاكل ، وفي تسهيل الوصول كذلك إلى حلّها . . ومن المؤكّد أن وجود المؤسسات التي تلبي المطالب يخفف إلى حد ما من حدة التعارضات[٤٦] .

يعتقد «أوبرشال» أن التعارضات الاجتماعية إذا كانت مبنية على المُثل والقيم فإنها تكون أقوى من غيرها من أنواع التعارضات ، وتنظيمها أصعب ، لأن حل هذا النوع من التعارض لا يمكن أن يتم لمنفعة الطرفين في الوقت نفسه ، وهنالك استمرار في الممارسات اليومية المؤسساتية والتعارض والسلوك الجماعي[٤٧] .

ويرى «أوبرشال» أن الأرضية الاجتماعية للتحركات الجماعية - على عكس نظرية «الحركة الجماهيرية» - يمهدها وجود الانسجام والتنظيم داخل المجموعات وبين الناس ، قبل أن تتم عملية التعبئة ، وتختلف درجة الاستعداد التعبوي باختلاف المجتمعات ، وفرضية «أوبرشال» مفادها أنه في المجتمعات المتفتتة المجزأة (Segmented) لفقدان العلاقات العامة بين الطبقات العليا والدنيا - كلما كانت المنظمات في المجتمع أكبر عدداً وأكثر تنوعاً ، ودرجة مشاركة الأعضاء في هذه الشبكات أرفع ، فإن تعبئة الفئات المعارضة تتم بسهولة وبسرعة وتستمر لمدة أطول ؛ أما في المجتمع الذي يفتقد إلى التنظيم التقليدي ، ولم تنشأ فيه مؤسسات مدنية وتطوعية ولا مرتبطة

46- Oberschall, ***Op. Cit***, pp. 69 - 70.
47- ***Ibid***. p. 50.

(Associtional) ، فإن إمكانية الاعتراض الجماعي أو الإحساس المشترك بالظلم بين الجموع المشرذمة أقوى ولكنه يكون أقصر مدة وأكثر عنفاً ، والخلاصة أن المشاركين في التحركات الجماعية هم في الدرجة الأولى من الأفراد الذين اجتذبتهم التجمعات المتشكلة وليسوا من الأشخاص المنزوين والمتفتتين[٤٨] .

ويرى «أوبرشال» كسائر أصحاب نظريات «تعبئة المصادر» ، أن أساس التضامن والتحرك الجماعي ، على الرغم من كلفته العالية ، كامنٌ في التشكيلات والتنظيمات ، في حين أن عوامل التضامن المهمة في التحركات الجماعية هي العوامل الثقافية والأيديولوجية ، وهذا ما لم يلتفت إليه «أوبرشال» الذي يعتبر الأيديولوجيا تعاليم توظّف لشرح أخطاء الأفراد ومتاعبهم الناجمة عن الخلل الاجتماعي ؛ كما أنه لم ينتبه إلى أن المعتقدات التي طُرِحت في التحركات الجماعية ليس لها كلها حقل أيديولوجي ، وتأكيده المبالغ به علىَ التنظيم «كعامل انتقال لحجم عظيم من الإمكانات الفردية بواسطة الرابطات القائمة والقيادة لتحقيق الأهداف الجماعية»[٤٩] ، جعله يتجاهل واقع أن التنظيم وحده لا يمكن أن يكون العامل الموجّه لنقل الإمكانات لخدمة التعبئة .

من بين منظّري «تعبئة المصادر» ، «تشارلز تيلي» الذي تتركز نقطة انطلاقه النظرية على مفهوم العمل الجماعي ، الذي هو في رأيه عبارة عن «تحرك أفراد الشعب مع بعضهم البعض لتحقيق مصالحهم المشتركة» ، وهو «ناشئ عن التركيبات المتغيرة للمصالح ، وعن التنظيم والتعبئة والفرصة» ، وتبدأ الخطوات التحليلية التي يتبعها من «التنظيم إلى التعبئة إلى العمل الجماعي إلى الثورة»[٥٠] . ومع أخذه في الاعتبار أن من الصعب في مجال العمل الجماعي صياغة النماذج العلّية التي تتضمن إهتماماً جدياً بمصالح المشاركين ودوافع استيائهم ، وكذلك صياغة نماذج تهدف إلى تشخيص

48- ***Ibid.*** pp.125 - 135.
49- Oberschall, ***Social Movements***, p. 85.
50- Tilly, ***Op. Cit.*** p.7.

«الضغوط المعرقلة للمصالح والشكاوى والآمال كذلك» ، يتطرق «تيلي» في تحليل العمل الجماعي إلى تشابك المصالح ، وإلى التنظيم والتعبئة والفرصة ، ويطرح في دراسته للأعمال الجماعية ضرورة إنجاز محورين على الأقل من أصل ثلاثة محاور هي : «التجمع الخاص ، مجموعة المعتقدات ، وأنواع معينة من الأعمال»[٥١] .

يعرض «تيلي» لشرح العمل الجماعي نموذجين من التفاعل : المجتمع السياسي (Polity) والتعبئة (Mobilization) ، وبحسب رأيه عناصر المجتمع السياسي عبارة عن : الشعب ، الدولة ، وأحد أو عدة متنافسين على السلطة (Contender) ، مجتمع سياسي ، وأحد أو عدة ائتلافات . جميع الطامحين إلى السلطة - أعم من أعضاء الدولة أو المتنافسين من خارجها - يتصارعون على السلطة ويستغلون جميع المصادر والإمكانيات لتحقيق مصالحهم . في نموذج التعبئة يصف سلوك أحد الطامحين إلى السلطة كأحد المتغيرات مع أربع خصوصيات مهمة :

١- المصالح (الامتيازات أو مواطن الضعف المشتركة) .

٢- التنظيم (يحدد الهوية المشتركة ويوحّد الأفراد ، وهو ناتج عن مقولة إجتماعية ذات هوية جماعية ، وشبكة إتصال جامعة) .

٣- التعبئة (نسبة المصادر الموضوعة تحت مراقبة أحد الأطراف ، أو عملية مراكمة المصادر) .

٤- العمل الجماعي (نسبة العمل المشترك للفريق الطامح ، لتحقيق الأهداف المشتركة) .

أما النقطة الجامعة الخامسة فهي الفرصة ، بمعنى العلاقة بين مصالح الشعب وبين الأوضاع السائدة في العالم المحيط ، التي تتضمن عناصر القوة أو الهزيمة ، الفرصة أو التهديد ، إن تزايد التهديد (وليس الفرصة) هو الذي يضاعف بنظر «تيلي» إحتمال

51- ***Ibid***, pp. 6 - 10.

العمل الجماعي ، وكلما كان التنظيم أقوى كلما زادت إمكانية جذب مصادر التمويل للمجموعات الطامحة إلى السلطة ، كما أن اتساع حدود العمل وتزايد قوة المجموعة يقلّل من احتمال القمع .

إن نظرية «تيلي» على الرغم من أخذها بعين الاعتبار لأهمية بعض العناصر ، كالمصالح والقوة ، والتنظيم وتعبئة المجموعات المعارضة والمقموعة ، وتساهل الدولة وتسامحها ، تولي اهتماماً خاصاً للعملية السياسية في العمل الجماعي ، فهو يبدأ البحث حول كيفية سير العمل الجماعي من التنظيم إلى التعبئة حول المصالح المشتركة وفي النهاية إلى العمل الجماعي الكفوء عندما تتيح له معطيات معينة فرصة التحقق ، وهذه المعطيات نفسها تتغير بتغير الظروف التاريخية والثقافية . وقد أولى «تيلي» وزملاؤه في تحليلهم التاريخي للحركات الأوروبية إهتماماً بالتأثير الواسع للتغييرات البنيوية على العمل الجماعي ، وأوضحوا كيف يتيح انفتاح الأجواء السياسية والاجتماعية الحديثة داخل المجتمع المدني في مجال الأعمال الجماعية الحديثة ، وتغيير أنماطها .

على الرغم من نقاط القوة في نظرية «تيلي» إلا أنها ووجهت أيضاً بالنقد ، فنموذجه التوضيحي يبدو للوهلة الأولى «أنموذجاً علمياً» بمعناه الوضعي مع فرضيات ومتغيرات ومعالم ، لكن في الوقت نفسه في تحقيقه حول بعض الحركات الخاصة ، يسيطر التحليل التاريخي على هذا النوع من التوضيحات الوضعية ، وتؤدي خالجات الوضعية إلى فصل المفاهيم عن الحقول التاريخية والاجتماعية ، وإلى عدم الاهتمام ببعض العناصر كالوعي والهوية والمعنى .

❖ ❖ ❖

من خلال المباحث السابقة حول النقاط الإيجابية والسلبية في نظريات الأعمال الجماعية ، وعناصر القوة أو الضعف في هذه النظريات ، يمكن الاستنتاج أن كل نظرية منها مصباح يضيء جزءاً من الواقع ، ويمكّننا من رؤية هذا الواقع من زاوية خاصة ،

لكن في ما يختص بأسباب الأعمال الجماعية وأشكالها في تجارب الحركات الإسلامية المعاصرة ، تجيب هذه النظريات عن التحدي القائم بدرجات متفاوتة . فالحركات الإسلامية التي ظهرت منذ أواخر العشرينات على مسرح الشرق الأوسط وعرضت نوعاً من منطق العمل الجماعي ، تبدو إمكانية شرحها في إطار النظريات الإقتصادية والنفسانية محدودة . إن مجال استخدام النظريات الاقتصادية ، ماركسية كانت أم غير ذلك ، في تحليل أسباب ودوافع مشاركة الناشطين الإسلاميين في الأعمال الجماعية للجماعات الإسلامية ليس واسعاً ، فأعضاء هذه الجماعات وقادتها ليسوا محصورين بطبقة خاصة كطبقة العمال أو الطبقة البورجوازية ، وإنما هم ينتمون نسبياً إلى جميع طبقات المجتمع وفئاته[٥٢] ، كذلك لا يمكننا الاعتماد على نظرية الخيار المدروس لشرح أسباب الأعمال الجماعية للجماعات الإسلامية وأشكال هذه الأعمال ، لأن أضرار المشاركة في مثل هذا النوع من الأعمال أكبر بكثير من الفوائد بالنسبة للمشاركين فيها ، وهذه النقطة مهمة من منطلق أن المشاركة في الأعمال الجماعية للمجموعات الإسلامية وبخاصة في العمليات العنفية الموجّهة ضد الحكومات ، تحمل في ثناياها مخاطر عديدة من بينها الخطر على الحياة ، وهنالك عدد كبير من القادة والناشطين في هذه المجموعات قد حكم عليهم بالموت . أما نظرية «النخبة» لـ «پارتو» ، ونظرية «المجتمع الجماهيري» لـ «آرنت» ، فلا تنطبقان على واقع المجتمع اللبناني المتعدد الأديان والمذاهب .

على الرغم من أننا سنستخدم نظريات «دوركهايم» و«أسملسر» و«تيدغر» و«أوبرشال» و«تيلي» في شرح العوامل المؤثرة في توجه حزب الله في لبنان نحو الراديكالية أو توجهه نحو الواقعية ، إلا أننا سنعتمد بشكل أساسي على نظرية «ماكس فيبر» لعرض إطار نظري لأسباب الأعمال الجماعية للجماعات الإسلامية ولأشكال

٥٢- هراير دكمجيان ، **جنبشهاى اسلامى در جهان عرب** ، ترجمه حميد احمدى (تهران : كيهان ، ١٣٧٢ [١٩٩٣]) ، ص ص ٧٨ - ٨٢ .

هذه الأعمال ، لأن نظرية «فيبر» تتمتع أكثر من النظريات الأخرى بالقدرة على توضيح أهمية الأفكار والمعتقدات في الأعمال الجماعية للجماعات الإسلامية . لذلك فإن القسم التالي من البحث هو محاولة للتوصل إلى إطار نظري يمكّننا من فهم أسباب تشكل الحركات الإسلامية الجماعية بشكل أفضل .

العمل الجماعي في الحركات الإسلامية: عرض إطار نظري

إبتداءً من السبعينات ، بدأت الجماعات القومية واليسارية تفقد أهميتها في منطقة الشرق الأوسط مقارنة بالنمو المطّرد للجماعات الإسلامية . وعلى الرغم من أن الحركات القومية العربية ، كانت في الخمسينات والستينات مسيطرة على الساحة السياسية في العالم العربي ، إلا أن هزيمة العام ١٩٦٧ ، أدت إلى تدني شعبية الفكر القومي العربي وظهور التيارات الإسلامية منافساً جدياً للأفكار اليسارية والقومية .

وعلى الرغم من أن هذا التطور التاريخي من ناحية ، وانتصار الثورة الإسلامية في إيران من ناحية أخرى ، مهدا الأرضية لنمو الحركات الإسلامية ، إلا أن التحولات التاريخية المذكورة لم تكن وحدها المسبّب الأساسي لظهور الميول الإسلامية ، فأسباب ظهور هذه التيارات ودوافع مشاركة المسلمين في الجماعات الإسلامية وقيامهم بالأعمال الجماعية ، يجب أن يُبحث عنها في داخل النظام العقائدي للدين الإسلامي وفي السنن التاريخية للمسلمين ، بعبارة أخرى إن النظام العقائدي للإسلام هو الذي مهّد الأرضية قبل أي عامل آخر لمشاركة الأفراد في الأعمال الجماعية الإسلامية . لذلك من الواجب أن يتم البحث حول الحركات الإسلامية ، لأهمية النظام العقائدي لديها بشكل مختلف عن سائر الحركات غير الدينية ، ففي ذات هذا النظام العقائدي يكمن نوع من الإلتزام الأيديولوجي ، يرى الإسلاميون أنفسهم ملزمين بالتمسك به والسعي إلى ترجمة المبادئ الدينية عملياً ؛ أي أن النظام العقائدي للإسلام يفرض على المؤمنين به واجبات معينة ، يشكل السعي من أجل تطبيقها جزءاً من التزاماتهم

الدينية ، التي تحدد لهم أهدافاً سياسية خاصة ، وتضعهم في مواجهة الأنظمة السياسية غير الدينية[٥٣] .

إن المبدأ المحوري في النظام العقائدي الإسلامي هو بنظر الإسلاميين ضرورة إيجاد نظام حكم إسلامي والعمل على استمراريته ، أما البنية الأساسية لهذا المبدأ المحوري فهي إيمان المسلمين الملتزمين بتحقيق المجتمع الإسلامي بعدم الفصل بين الدين والدولة أو بين الدين والسياسة ، والدولة الشرعية الوحيدة بنظر الإسلاميين هي التي يرتكز دستورها على مبادئ الشريعة الإسلامية ؛ بعبارة أخرى يجب أن تكون الدولة في المجتمعات الإسلامية إسلامية شكلاً ومضموناً ، ومفهوم الحكومة الإسلامية في نظرهم مبدأ وظاهرة مستمرة ، وأي حكومة أخرى تتولى زمام الحكم في المجتمعات الإسلامية ، هي حكومة غير شرعية ، ويجب أن تتنحى لصالح الحكومة الإسلامية . ومهمة هذا التغيير والتحول السياسي ، تقع على عاتق مؤمنين مخلصين ، يضحُّون بأنفسهم لتحقيق هذا المبدأ .

إتجاهات العمل الجماعي الإسلامي وأشكاله

على الرغم من أن النظام العقائدي الإسلامي يهيّء الدافع الأساسي لمشاركة الأفراد في الحركات السياسية - الدينية ، والعمل الجماعي الإسلامي ، إلا أن أشكال هذا العمل الجماعي واتجاهاته السياسية لم تكن متشابهة دائماً من حيث استخدام العنف أو الطرق السلمية .

فقد ظل العمل الجماعي للإخوان المسلمين والجماعات المرتبطة بهم حتى أواخر الأربعينات ثقافياً - سياسياً سلمياً ، لكن بعد حرب العام ١٩٤٨ ، وبعد العام ١٩٥٢ خاصة ، أي في السنوات الأولى من حكم الضباط الأحرار في مصر ، اتجه هؤلاء نحو العنف ، وتزايد هذا الميل لديهم من أوائل السبعينات وحتى منتصف الثمانينات ؛

٥٣- حميد أحمدى ، م . س . ص ص ٥٩-٦٣ .

لكن ، إبتداءً من أواسط الثمانينات تمكن الجناح المعتدل في الأخوان المسلمين أن يبسط سلطته على الساحة السياسية حيث تتحرك التيارات الإسلامية ، ليس في مصر وحدها وإنما في سائر مناطق الشرق الأوسط العربية ، وقد حدث هذا التحول في العمل الجماعي الإسلامي من الراديكالية باتجاه «الاعتدال» في كل من الجزائر ولبنان والأردن والسعودية وتونس والسودان وغيرها من البلدان العربية . وهكذا ، على الرغم من الدور الذي لعبه النظام العقائدي الإسلامي في تشكيل العمل الجماعي الإسلامي ، وانخراط الأفراد في الحركات الإسلامية ، لكنه لم يكن بالضرورة المعيّن لنوع التحرك الجماعي أو لشكله . يمكن أن نتساءل هنا ، لماذا لم يتخذ التحرك الجماعي للجماعات الإسلامية في مجتمع ما وفي محطات زمنية مختلفة شكلاً واحداً؟ وأين يجب البحث عن سبب هذا الاختلاف في شكل العمل الجماعي؟

في الإجابة عن هذا السؤال يجب القول ، أنه على الرغم من وجود المعطيات والدوافع العقائدية الثابتة (المتغير المستقل) ، التي تكوّن المحرك الأساسي للجماعات الإسلامية (المتغير المعتمد) ، إلا أن اتجاه العمل الجماعي الإسلامي وشكله تحدده عوامل سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية متعددة (المتغيرات الوسيطة) ؛ بعبارة أخرى ، إن الدوافع الفكرية الثابتة المنبثقة عن النظام العقائدي الإسلامي ، الذي تشكل فيه «المدخَلات» (Input) الإطار المفهومي ، تعرض على مدى الزمان تحت تأثير العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصاديةَ للمحيطين الداخلي والخارجي ، «مُخرَجات» (Output) متفاوتة على شكل تحركات جماعية إسلامية مختلفة .

وتحت تأثير هذه العوامل ذاتها ، وتأثير ظروف المحيط المتغير ، لا تكون الأعمال الجماعية الإسلامية متساوية من حيث الدرجة ومن حيث شدة الميل نحو العنف أو نحو النشاط المسالم في جميع الأمكنة ، وفي جميع الأوقات . بعبارة أخرى ، إن اتجاه الأعمال الجماعية الإسلامية نحو العنف أو المسالمة مرتبط بميزان وبدرجة تأثير المتغيرات المتنوعة ، هذه المتغيرات الوسيطة يمكن تصنيفها إلى «متغيرات الضبط» (Control Variables) بالعنف و«متغيرات التسهيل» (Faciliting Variables) للعنف .

إن المقصود بـ «متغيرات الضبط» ، تلك المجموعة من الأسباب والعوامل التي تضبط وتراقب العمل الجماعي الإسلامي وتحدّ من نسبة العنف ، وكلما اشتد تأثير هذه العوامل والمتغيرات ، كلما تحاشى العمل الجماعي الإسلامي العنف ، ونحا منحى سلمياً ، أما متغيرات التسهيل ، فهي على العكس من ذلك ، تلك العوامل التي تسهّل الأعمال الجماعية الإسلامية ذات الطابع العنفي ، وكلما اشتد تأثير هذه العوامل كلما اتخذ العمل الجماعي شكلاً أكثر عنفاً ، وإذا أخذنا في الاعتبار خصوصية المحيط السياسي في الشرق الأوسط ، داخلياً وخارجياً ، يمكننا تحديد المتغيرات الوسيطة التي تؤثر في شكل العمل الجماعي الإسلامي ، وفي توجهه العنفي أو السلمي ، نذكر من بينها ستة «متغيرات التسهيل» وخمسة «متغيرات الضبط» :

- متغيرات التسهيل التي تقوّي الاتجاه نحو العمل الجماعي الراديكالي لدى عناصر الحركات الإسلامية ، هي :

١- التعاليم القيميّة والعقائدية ، ٢- التقاليد والسوابق التاريخية ، ٣- السلطة التنظيمية والمؤسساتية ، ٤- العلمانية ، ٥- القمع والضغوطات ، ٦- التدخل الأجنبي والاعتداءات الخارجية .

أما متغيرات الضبط التي تخفف من حدة العمل الجماعي الراديكالي وتؤثر في تحويله إلى تحرك سلمي فهي عبارة عن :

١- تغيّر النظام العالمي .

٢- إنتهاء الحروب الأهلية أو الإقليمية .

٣- حل النزاع العربي - الإسرائيلي .

٤- الاصلاحات والانفتاح الاقتصادي .

٥- الاستقرار والمشاركة السياسية .

هذه المتغيرات الوسيطة المضبطة أو المسهّلة ، تقوم بدور أساسي في تحديد اتجاه

العمل الجماعي وشكله ؛ إذاً في الجواب عن السؤال المتعلق بسبب اختلاف شكل العمل الجماعي الإسلامي في مراحل زمنية متفاوتة ، وفي ساحة جغرافية وقومية متنوعة ، يجب القول أن العمل الجماعي الإسلامي لا يحدد بنفسه إتجاهه وشكله ، وبتأثير العقيدة الإسلامية وحدها ، وإنما تتدخل عوامل المحيط السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تقوم بدور أساسي في هذا السياق . لذلك يتجلى شكل العمل الجماعي تحت تأثير هذه العوامل [المتغيرات الوسيطة المضبطة أو المسهلة] ، في مرحلة زمنية معينة ، بصورة جماعة إسلامية راديكالية ، وفي مرحلة أخرى ، تظهر هذه الجماعة نفسها كجماعة إسلامية معتدلة راغبة في المشاركة في النظام السياسي الديمقراطي . وهكذا يتبين أنه من الممكن في مرحلة زمنية واحدة مشاهدة شكلين للعمل الجماعي للحركات الإسلامية ، أحدهما يميل نحو الراديكالية والآخر نحو الاعتدال والمسالمة .

متغيرات التسهيل وتأثيرها في العمل الجماعي الإسلامي

١ - التعاليم القيميّة والعقائدية : المقصود بالتعاليم القيميّة والعقائدية تلك التي تسمح أو تبيح استخدام الحركات الإسلامية للعنف ، وتعتمد الحركات الإسلامية من هذا المنطلق على القرآن الكريم (المصدر الإسلامي الأساسي) ، مستلّة منه الآيات العديدة التي تحث المؤمنين على قتال الحكام الظالمين أو الكافرين المعتدين ، لإعلاء كلمة الدين ، ولإقامة الحكومة الإسلامية ؛ ويستشهد عدد كبير من الجماعات الإسلامية الراديكالية (شيعيّة أو سنيّة) بهذه الآيات ، لتأييد التحركات الراديكالية ضد الدول القائمة في الشرق الأوسط . وتؤكد أدبياتها السائدة هذه النقطة ، ومن الآيات التي يستند إليها الإسلاميون :

﴿**فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**﴾ سورة التوبة ؛ الآية/ ٢١ .

﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ سورة البقرة ؛ الآية/ ١٩٣ .

﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم**﴾ سورة التوبة ؛ الآية/ ١٤ .

﴿**ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء**﴾ سورة النساء ؛ الآية/ ٧٥ .

﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم . . واقتلوهم حيث ثقِفتموهم**﴾ سورة البقرة ؛ الآيتين/ ١٩٠ - ١٩١ .

٢ - السنن والسوابق التاريخية : لقد استمدت الحركات الإسلامية الراديكالية الإلهام من النماذج التاريخية لأعمال المسلمين الجماعية في مواجهة اعتداءات غير المسلمين ، أو الحكام المسلمين الظالمين ، في محطات من تاريخ صدر الإسلام وقف فيها الزعماء والقادة المسلمون في مواجهة الظلم دفاعاً عن الأصول والقيم الإسلامية ، واضطروا إلى استخدام المواجهة العنيفة ، وكان جهاد الإمام الحسين(ع) ثم استشهاده مع أصحابه في كربلاء النموذج الأرفع للصراع الثوري ضد الأنظمة الظالمة وغير المؤمنة ، وكان لفريضة الجهاد من ناحية أخرى ، والصراع ضد الاعتداءات الخارجية أو الظلم الداخلي لتحقيق الأهداف المقدسة ، تأثير فاعل على الحركات الشيعية والسنية على حد سواء ؛ إن العديد من الحركات السنّية التي أقدمت على أعمال جماعية عنفية ضد حكوماتها كانت مؤمنة بفريضة الجهاد لمحاربة الأعداء الداخليين والخارجيين ، وقد كتب «محمد عبد السلام فرج» منظّر «منظمة الجهاد» في مصر كتاباً تحت عنوان «الفريضة الغائبة» ، متوسلاً فريضة الجهاد بحسب فتاوى «إبن حنبل» و«إبن تيمية» وتلاميذه ، للقيام ضد «الحكام الظالمين» كأنور السادات . «سيد قطب» أيضاً ، تحت تأثير فتاوى «إبن تيمية» و«أبي الأعلى المودودي» ، وصف النظام الحاكم في مصر (حكم عبد الناصر) بالنظام الجاهلي وأجاز إسقاطه باستخدام العنف(٥٤) .

٣ - السلطة التنظيمية والمؤسساتية : لميزان السلطة والإنسجام التنظيمي وسلطة القيادة دور مؤثر في التشجيع على العمل الجماعي . فقد استخدمت الحركات

---

٥٤ - هراير دكمجيان ، م . س . ص ص ١٣٩ - ١٤٣ ؛ وجيل كپل ، **پيامبر وفرعون** ، ترجمه حميد احمدى (تهران : كيهان ، ١٣٧٥ [١٩٩٦]) ص ص ٤٢ - ٥٥ .

الإسلامية المعاصرة التي كانت تتمتع ببنية تنظيمية متماسكة وقيادة قوية كمنظمة التحرير الفلسطينية وحركة الإخوان المسلمين ومنظمة الجهاد في مصر أو حزب التحرير الإسلامي في الأردن ، أكثر من سائر المجموعات الإسلامية ، الأعمال الجماعية العنفية .

٤ - **العلمانية** : مع الأخذ في الاعتبار أن الإسلاميين يؤمنون بعدم الفصل بين الدين والسياسة ، ويعارضون أي نوع من أنواع الفصل بين هاتين المؤسستين ، فقد ضاعف اعتماد السياسات العلنية اللادينية والعلمانية من التحركات الجماعية الإسلامية العنفية . والأنظمة التي تعرضت أكثر من غيرها لتحدي الإسلاميين الأصوليين هي تلك التي اصطنعت السياسات العلمانية . على العكس من ذلك ، كلما تناقص مقدار استخدام الحكومات للسياسات غير الدينية أصبح توجه التحركات الجماعية العنفية أصعب واستخدامها أقل .

٥ - **القمع والضغط** : كلما ازداد ميزان قمع الحكومات للإسلاميين وللحركات الإسلامية ، إزداد الميل لاستخدام الأعمال الجماعية العنفية بين أعضاء هذه الحركات ومؤيديها ، وإذا أمكن أن تؤثر سياسة الضغط والقمع التي تعتمدها الحكومات سلباً على مستوى التحركات الجماعية العنفية وتحدّ منها ، فسيكون هذا التأثير قصير المدة ، ولكنه سيرفع على المدى البعيد من ميزان السخط وعدم الرضى ، وإذا فُقدت الطرق السلمية في الصراع ستحلّ محلها الأعمال الجماعية العنفية .

٦ - **التدخل الخارجي أو الاعتداءات الأجنبية** : إن لمساندة الدول الأجنبية للحكومات المحلية في الشرق الأوسط وللسياسات القمعية المستخدمة ضد الحركات الإسلامية ، تأثير أكبر على القيام بتحركات جماعية إسلامية عنفية ، ويحدث ذلك حين يتخذ الدعم المذكور شكل التدخل الخارجي . إن التدخل الأجنبي المباشر في منطقة إسلامية ، يجرُّ معه الحد الأعلى من استخدام العمل الجماعي العنفي الذي يتجلى بصورة الجهاد . كما أن تقسيم العالم إلى فسطاطين : «دار الإسلام ودار الحرب» ، في الفكر الحقوقي العالمي والعلاقات بين الدول الإسلامية ، والاعتقاد بأن

القوى غير الإسلامية تسعى دائماً لإضعاف قوة المسلمين ، يسهّلان اعتماد العمل الجماعي العنفي لمواجهة التدخل الخارجي .

إن بعض نماذج المقاومة الإسلامية المسلحة للقوى الخارجية غير الإسلامية في العصر الحاضر هي عبارة عن : حركة المهدي في السودان وإعلان الجهاد ضد الانجليز في أواخر القرن التاسع عشر ، إعلان الحركة السنوسية الجهاد في شمال أفريقيا ضد الحلفاء والقوات الإيطالية في أوائل القرن العشرين ، ثورة العام ١٩٢٠ الشيعية المسلحة في العراق وإعلان الجهاد ضد الانجليز ، المعارك المسلحة التي خاضها الإخوان المسلمون في مصر ضد الحكومة المصرية والقوات الإنجليزية في منطقة قنال السويس في أوائل العام ١٩٥٢ ، والمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي .

متغيرات الضبط للأعمال الجماعية العنفية

تعمل متغيرات الضبط بعكس متغيرات التسهيل ، على تخفيف شدة العمل الجماعي العنيف ، وكلما كان حضور وتأثير متغيرات الضبط في المجتمع أكبر ، ستقلّ لدى الجماعات الإسلامية المؤيدة لأعمال العنف فرص العمل الجماعي . هذه متغيرات الضبط التي تمثل الإطار النظري لهذا البحث كما ذكرنا من قبل هي عبارة عن :

١ - **تغيّر النظام العالمي** : مع انتهاء الحرب الباردة وسقوط نظام القطبين ، تقلصت الظروف المناسبة على المسرح العالمي لقيام الجماعات الثورية (الإسلامية وغير الإسلامية) بأعمال ذات طابع راديكالي . ففي مرحلة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي ، وجدت الأجواء المناسبة لنمو الراديكالية ، واستطاعت المجموعات الراديكالية اليسارية واليمينية والإسلامية ، إستغلال الصراع بين القوتين العالميتين ، مستفيدة من دعم إحداهما المباشر أو غير المباشر للقيام بأعمال راديكالية . وقد شهدت السبعينات والثمانينات تيارات راديكالية في أماكن مختلفة من العالم ؛ أما في

التسعينات وما بعدها ، أي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ، فقد تراجعت هذه المواجهة التي كانت واسعة إلى حد ما ، وقلّ المستوى الكمي والكيفي للأعمال الراديكالية ، واضطرت مجموعات راديكالية متعددة أن تتصالح مع حكوماتها (كما أن عدداً كبيراً من الدول الدكتاتورية وجدت نفسها مجبرة على اعتماد الأساليب الديمقراطية) ، وهنالك نماذج عديدة من هذا التحول في أميركا اللاتينية وفي جنوب شرق آسيا ، وفي شرق آسيا وأفريقيا .

٢ – **إنتهاء الحروب الأهلية والإقليمية** : كانت الخلافات والحروب بين الدول تفسح دائماً المجال المناسب لنمو الجماعات الراديكالية ، وفي أثناء الحرب الأهلية في لبنان وحرب العراق على إيران ، أو احتلال العراق للكويت ، دخلت المجموعات الراديكالية الإسلامية وغير الإسلامية ميدان العمل إلى جانب أحد طرفي النزاع ، مهاجمة مصالح الطرف الآخر . وكانت الهجمات المتعددة على سفارة العراق في لبنان ، وعمليات التفجير في الكويت ، وخطف الطائرات الكويتية أو الأردنية أو غيرها ، وخطف الدبلوماسيين أو اغتيالهم ، حوادث عادية على المسرح السياسي في الشرق الأوسط ، لكن بعد انتهاء حرب العراق على إيران وهزيمة العراق في الكويت ، إنتفت الأجواء الملائمة لمثل هذه الأعمال الراديكالية ، وشهدت التسعينات تراجعاً في عدد هذه العمليات في الساحة الشرق أوسطية .

٣ – **حل الصراع العربي – الإسرائيلي** : كانت القضية الفلسطينية حتى أواخر الثمانينات هي المحور الأساسي للأوضاع العربية – الإسلامية الصعبة ، وقد وضع شعار تحرير الأماكن المقدسة الإسلامية من «الاحتلال الصهيوني» على رأس أولويات الإسلاميين ، فبيت المقدس والمسجد الأقصى يعدّان أقدس الأماكن الإسلامية بعد مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة .

بناء على ذلك ، فإن أي التزام واقعي بالقضية الفلسطينية ، تتعهد به الحكومات يقوّي شرعيتها ، ويخفف مستوى العمل الجماعي الإسلامي ، وعلى العكس من ذلك ، فإن إقامة العلاقات مع إسرائيل وتطبيعها أمر يستحيل أن يرضى عنه

الإسلاميون . وعلى سبيل المثال ، أكثر الجماعات الإسلامية راديكالية في الشرق الأوسط كحزب التحرير الإسلامي ، والتكفير والهجرة (الجماعة الإسلامية) ومنظمة الجهاد ، ظهرت في مصر رداً على سياسة «السادات» المتساهلة مع إسرائيل بعد العام ١٩٧٤ ، و«خالد الإسلامبولي» أحد أعضاء الجناح العسكري لمنظمة الجهاد ، الذي قتل «السادات» ، قال في أثناء محاكمته : «إن السبب الأساسي والأهم لقتله كان صلحه مع إسرائيل»[٥٥] .

هذا الموقف الحاد للجماعات الإسلامية من موضوع الصلح مع «إسرائيل» تعدّل في التسعينات ، فبعد مؤتمر مدريد في بداية التسعينات أقدمت معظم الدول العربية في منطقة الشرق الأوسط على مصالحة كيان الاحتلال ، وموقف الدول العربية هذا جعل الرأي العام في العالم العربي يميل نحو اليأس واللامبالاة ، وقبول الصلح مع «إسرائيل» كحدث مؤلم . لذلك بعد معاهدة «أوسلو» والمعاهدات اللاحقة بين الفلسطينيين والصهاينة ، لم يلاحظ أي تحرك راديكالي في البلدان العربية ، وانحصرت العمليات العسكرية ضد الصهاينة على تلك التي تقوم في فلسطين ولبنان .

٤ – **الإصلاحات والانفتاح الاقتصادي** : إن سياسات الحكومات الاقتصادية المبنية على تأمين الرفاه الاجتماعي ، وتقليص المسافة بين الفقراء والأغنياء ، ونزاهة النخبة الحاكمة وعدم تورطها في الفساد المالي ، والتوزيع العادل لمصادر الثروة الوطنية ، تخفف من حدة الأعمال الجماعية العنفية . وعلى العكس من ذلك ، فإن غياب هذه العوامل والسياسات يؤدي إلى تزايد أعمال العنف ، فتصاعد مستوى التضخم ، والزيادة المفاجئة والشديدة في قيمة السلع الأساسية ، يفسح في المجال للمعارضة الجماعية العنفية .

٥٥- محمد حسنين هيكل ، **پائيز خشم [خريف الغضب]** ، ترجمة محمد كاظم موسائى (تهران : امير كبير ، ١٣٦٣[١٩٨٤]) ، ص ٣٩١ .

٥ - **الاستقرار والمشاركة السياسية** : إن الاستقرار والمشاركة السياسية الحقيقية والانتخابات الحرة في المجالات المختلفة للمؤسسات التشريعية والتنفيذية ، وتنافس الأحزاب السياسية في المجتمع ، وحرية التعبير ، ووجود مؤسسات المجتمع المدني الحركي الفاعل ، يخفف من مستوى العنف في العمل الجماعي الإسلامي . ففي مجتمع يتيح الفرص الكافية لأبنائه للتعبير بحرية عن معتقداتهم ، وعن برامجهم السياسية ، لا مسوّغ لأعمال العنف ، والعمل الجماعي المقبول في مثل هذه الظروف هو الذي يعتمد الطرق السلمية في نشاطه السياسي .

تشير تجربة الحركات والاتجاهات الإسلامية - السياسية ، أن هذه المجموعات فضّلت المشاركة السياسية على العمل العنفي ، لكن فقدان الاستقرار والمشاركة السياسية لم يعطيا الإسلاميين الأصوليين الفرصة لعرض عضلاتهم فقط ، وإنما شجعهم على العمل الجماعي العنفي .

وتدل تجارب الحركات الإسلامية في مصر وتركيا والجزائر والأردن وأفغانستان والسودان على تأثير وجود هذين العاملين الأساسيين ، فقد كانت الحركات الإسلامية المعارضة في ظروف الإنفتاح السياسي ترغب في المشاركة في النشاط السياسي من طريق الانتخابات البرلمانية ، ولكن الحدَّ من المشاركة السياسية دفعها قسراً باتجاه التحرك الجماعي العنفي ؛ وتدل تجربة جبهة الانقاذ الإسلامية في الجزائر قبل ضربها في العام ١٩٩١ ، وبعد ذلك ، على التأثير الواضح للمشاركة السياسية في سلمية العمل الجماعي . فقد بدأ الجيش الجزائري من ضمن عمله على إبطال نتائج الانتخابات بضرب الإسلاميين ، وهذا ما دفع العناصر الراديكالية الإسلامية في الجزائر إلى استخدام العنف الجماعي طريقاً وحيداً لمواجهة السلطة .

في أفغانستان أيضاً كان عدم الاستقرار وراء نمو أكثر المجموعات الإسلامية راديكالية ، فبعد خروج القوات السوفياتية من أفغانستان وتشكيل الحكومة الإسلامية المؤقتة ، بدأت الحرب الأهلية بين الحلفاء السابقين ، وعمّ الإضطراب أفغانستان من أقصاها إلى أقصاها ، وقد أدى استمرار هذه الاضطرابات وفقدان الاستقرار إلى بروز

مفاجئ لمجموعة إسلامية جديدة تحمل اسم «الطالبان» سيطرت بسرعة على أفغانستان مستخدمة أشد الأساليب راديكالية وعنفاً .

الوضع اللبناني أيضاً ، نموذج آخر من النماذج المهمة في هذا المجال ، وللبنان من بين الدول العربية وضع خاص ينفرد به ربما عن دول العالم أجمع ، فالإستقرار والمشاركة السياسية في هذا البلد مبنيان على نوع خاص من الديمقراطية ، المعروف باسم «الديمقراطية الاجماعية أو التوافقية» ، التي تتيح في حال سيطرتها نوعاً من الاستقرار وإمكانية المشاركة السياسية النسبية ؛ ولمعرفة هذا النوع الخاص من الديمقراطية التي تقوم بدور متغيّر الضبط القوي على عمل الجماعات الراديكالية اللبنانية ، يجب الشروع ببحث الديمقراطية التوافقية أو الإجماعية أو الترابطية بصورة مجزّأة[٥٦] .

«الديمقراطية التوافقية» (Consociational Democracy)

هنالك مجتمعات في أنحاء العالم ، أهلها مختلفون ، إما عرقاً ، أو لغةً ، أو ديناً . ولا تشكل أي مجموعة أو طائفة الأكثرية في تلك المجتمعات ، وإذا وجدت أكثرية فهي على الأرجح ضعيفة ، وهذا النوع من المجتمعات يتكون عادة من مجموعة من الأقليات ، نذكر من بينها بلدان كسويسرا وهولندا وبلجيكا في أوروبا ، وماليزيا ولبنان وأفغانستان في آسيا ، وأفريقيا الجنوبية في القارة الأفريقية .

لم تكن هذه المجتمعات مبنية عادة على نظام ديمقراطي نسبي وعلى انتخابات على أساس الأكثرية النسبية ، ولا تتمتع بالاستقرار السياسي - الاجتماعي الضروري ، لأنها بسبب تركيبتها اللامتجانسة وخصوصية فرقها وطوائفها ، تتولى الفرقة الأكبر عادة مراكز السلطة الحساسة فيها ، ولا تتخلى عنها في عملية الانتخابات التي تجري على أساس الأكثرية النسبية ، ولا تتنازل لبقية الفرق ، وهذا ما يؤدي إلى استياء سائر

٥٦- للإطلاع أكثر على الإطار المفهومي لـ «العمل الجماعي الإسلامي» راجع : حميد احمدى ، م . س .

التجمّعات، وبروز اللاإستقرار السياسي – الاجتماعي، وانهيار النظام السياسي في هذا النوع من المجتمعات. هذا اللااستقرار السياسي – الاجتماعي أيضاً يؤدي بدوره إلى ظهور الاتجاهات الراديكالية لدى الفئات المهمشة.

إن تعدد الفرق والطوائف في هذه البلاد يؤدي إلى تشكل السياسة واللعبة السياسية في إطار الفرق والطوائف، فتؤثر تركيبة هذه الفرق وقوتها وموقعها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على النظام السياسي للبلاد، وعلى عكس المجتمعات ذات اللون الواحد، تخفّ حدة الشعور القومي والوطني في المجتمعات الطائفية، والمجموعات المذهبية تخلص قبل كل شيء إلى مجتمع الطائفة أو المجموعة الصغيرة، وهوية الفرقة والطائفة تكون هي الأقوى في الواقع، والاخلاص للدولة كظاهرة جامعة هو الأضعف.

مع ذلك، فإن مجموعة من الباحثين والمنظّرين يؤكدون على إمكانية تثبيت الإستقرار السياسي والديمقراطي في المجتمعات المتعددة الطوائف. وقد قدم هؤلاء المنظّرون، طريقة حل لمشاكل هذا النوع من المجتمعات في نظرية «الديمقراطية الاجماعية أو التوافقية» التي سمّاها البعض «تقاسم السلطة» (منحى المساهمة في السلطة) (Power-Sharing Approach)، هذه النظرية طُرحت في الواقع للمجتمعات التي تفتقد إلى الوحدة الدينية واللغوية، وكما يوحيَ اسم هذه النظرية بحسب وجهة نظر واضعيها، يمكن في هذه المجتمعات إقرار الديمقراطية والإستقرار السياسي فقط من طريق إجماع الآراء والتوافق العام بين جميع الفرق والطوائف، أو بعبارة أخرى مساهمة جميع الفرقاء السياسيين مساهمة فعالة في السلطة.

لقد طرحت النظرية الديمقراطية المبنية على الاجماع في الأصل كنوع من التحدي النظري لمواجهة الاتجاه المتزايد لدى الباحثين في العلوم السياسية في الغرب (وبخاصة أميركا) لتحديث النظريات، وتصنيف أنظمة العالم السياسية، وحركة الانفتاح الالزامية للمجتمات التقليدية على المجتمعات الصناعية، وبعبارة أخرى طرحت إعتراضاً على تسويغ استخدام النموذج الغربي للتطور والتحديث والمواطنية لبَلدان

العالم الثالث. لقد تركز البحث الأساسي للباحثين المعتبرين في العلوم السياسية كـ «آلموند و«وربا» و«أبتر»، و«روستو» و«كارل دوتش» (منظّرو الحداثة والتحديث) وأتباعهم، على أن الاستقرار السياسي مرتبط بنوعية النظام الحزبي والنظم الاجتماعية؛ ويركز الرأي الغالب بشكل أساسي على أن الأنموذج (الانجليزي – الأميركي) المبني على نظام الحزبين، قادر على إيجاد الاستقرار السياسي في المجتمع، أما النظام الأوروبي القائم على تعدد الأحزاب (كفرنسا وألمانيا وإيطاليا)، فنتيجته اللاإستقرار السياسي حتماً. بناء على ذلك فإن الطريق الوحيد لتحقيق الاستقرار والديمقراطية، هو اتّباع النظام السياسي الانجليزي – الأميركي، ويجب على أوروبا وغيرها من المناطق في العالم، لتتوصل إلى الاستقرار السياسي والديمقراطي، أن تسير في طريق الانفتاح السياسي والاقتصادي المذكور.

تعرضت نظرية التحديث للنقد في الستينات على يد عدد من الباحثين في العلوم السياسية وعلى رأسهم «آرند ليبهارت» (Arend Lijphart)، فهو لم يكن مقتنعاً بوجهة نظر «آلموند» حول تصنيف الأنظمة السياسية، واتخذ موقفاً من مؤيدي نظرية التحديث الذين كانوا يقولون إن الاختلاف والتفرق بين دول العالم الثالث الجديدة يقف حائلاً في وجه الاستقرار السياسي وفي وجه الديمقراطية. «ليبهارت» في أثناء المؤتمر العالمي الذي عقدته «الرابطة العالمية للعلوم السياسية»، قدم مقالة يخالف فيها الأفكار المذكورة، ثم عاد وتطرق إليها على نحو أوسع في آثاره اللاحقة؛ من الممكن في نظره – على عكس أنصار نظرية التحديث – إيجاد نوع من الاستقرار السياسي والديمقراطية النسبية في المجتمعات المتعددة الإثنيات والطوائف، ولإثبات نظريته قدم نموذج الديمقراطية المبنية على الإجماع والتوافق، وهو يعتبر هذا النموذج «نوعاً من النظام السياسي الذي لم يُرَ حتى الآن في الدراسات المقارنة»[٥٧].

57- Arend Lijphart, "Typologies of Democratic Systems", ***Comparative Political Studies*** 1 (1968), pp. 3 - 44.

نظرية الديمقراطية المبنية على الاجماع أو تقاسم السلطة ، انتقدها أيضاً الباحثون السياسيون الآخرون ، وأجروا حولها التحقيقات ووسّعوا فيها ، وقد نشرت دراسات حولها لكل من «ليبهارت» و«غيرهارد لامبروتش» (Gerhard Lumbruch) و«إريك نورد لينغر» (Eric A. Nordinger) .

ترتكز الديمقراطية المبنية على التوافق في نظر «ليبهارت» على أربعة مبادئ أساسية هي خصوصيات النموذج المذكور الأساسية وهي عبارة عن :

١- إدارة أئتلاف واسع .

٢- وجود الفيتو المتبادل والأكثرية المتنافسة .

٣- المحاصصة كمبدأ أساسي للتمثيل السياسي .

٤- درجة عالية من الحكم الذاتي في كل فرقة لإدارة أمورها الذاتية(٥٨) .

ويعتقد «ليبهارت» كذلك أن الديمقراطية المبنية على الإجماع والتوافق ستكون مؤثرة حين تتوافر في المجتمع الظروف التالية :

أ- وجود الخطوط التي تشخّص الانقسامات الطائفية والفئوية .

ب- توازن القوى المتعددة الجوانب .

ج- الآراء المؤيدة للإئتلاف الواسع .

د- وجود التهديدات الخارجية .

هـ- الوطنية المعتدلة .

و- قلة الضغط على النظام(٥٩) .

58- Arend Lijphart, ***Democracy in Plural Societies*** (New Haven: Yale University Press, 1977), p. 25.

59- Arend Lijphart, ***op. Cit.***, pp.25 - 30.

لقد اعتمد «ليبهارت» في «نظرية الديمقراطية المبنية على التوافق» على مطالعاته عن النظام السياسي وبنية القوى الاجتماعية في هولندا ، لكنه في دراساته اللاحقة في ما بعد ، إستنتج أن هنالك دولاً أخرى كبلجيكا وسويسرا في العالم الغربي ، ومن بلدان العالم الثالث ماليزيا ولبنان ، كانت أنظمتها السياسية مبنية على الديمقراطية التوافقية ، ثم درس إمكانية تطبيق نموذجه على الهند ، واستنتج أيضاً أن الهند أيضاً لديها نظام سياسي ينطبق على الأنموذج المذكور(٦٠) .

بعد «ليبهارت» حاول باحثون آخرون من مناصري نظرية الديمقراطية التوافقية ، البحث عن نماذج أخرى من الأنظمة السياسية التي تتلاءم مع هذا الأنموذج ؛ «نورد لينغر» إعتبر النظام السياسي الماليزي نوعاً من توزيع السلطة على الأقوام والطوائف المختلفة ، واعتبر أنه ينطبق على مبادئ الأنموذج المذكور أعلاه . «كنث دوغلاس مك ري» (Kenneth Douglas Mcrae) ، أحد مناصري الديمقراطية التوافقية ، رأى أن النظام السياسي في كندا يتلاءم إلى حد ما مع الأنموذج المذكور ، ودرس كذلك في الثمانينات النظام السياسي في أفريقيا الجنوبية تطبيقاً على أنموذجه . وبعد قيام النظام الجديد في أفريقيا الجنوبية ، عدّ «ليبهارت» وآخرون هذا النظام نظاماً مرتكزاً على الديمقراطية التوافقية وعلى المحاصصة في السلطة(٦١) .

إن بعض هذه المجتمعات الطائفية وغير المتجانسة ، كلبنان وأفغانستان ، شهدت في العقود الأخيرة تنامياً للمجموعات الإسلامية الشيعية والسنّية (هذه الجماعات الإسلامية ، على الرغم من شدة الاختلافات التي كانت في ما بينها ولا تزال ، يصنّفها المحللون الغربيون معاً كمجموعات أصولية وراديكالية) . وقد تزامن ظهور وتنامي هذه

60- Arend Lijphart, "The Puzzel of Indian Democracy: A Consociational Interpretation", ***American Political Review 90***, 2 (June 1996), pp. 258 - 268.

٦١- لمزيد من الاطلاع ، تجدر مراجعة :
حميد أحمدي : «الثبات السياسي والديمقراطي والمجتمع المدني في المجتمعات غير المتجانسة» ؛ فصلية الدراسات الشرق أوسطية ، العدد ٤ (شتاء ١٩٩٧) ص ص ١٢٣ - ١٦٦ .

المجموعات الإسلامية ، مع وجود اللا إستقرار السياسي – الاجتماعي في هذين البلدين ، وكانت مواقف هذه المجموعات أصولية ومثالية ، العمل الجماعي العنفي على رأس أولوياتها ، طالما سيطر اللاإستقرار على الأوضاع في هذين البلدين .

في ما يخص لبنان ، الذي سيُدرس في هذا الكتاب ، فقد شهد مراحل متناوبة من الاستقرار واللا استقرار ، فهو منذ بداية استقلاله في العام ١٩٤٣ وحتى العام ١٩٧٥ ، شهد مرحلة من الاستقرار السياسي وتطبيق النظام الديمقراطي التوافقي ، ونظام المحاصصة في السلطة ، ومنذ العام ١٩٧٥ وحتى العام ١٩٩٠ ، كان هذا البلد عرضة لحرب أهلية ولاعتداءات خارجية ، وسيطر فيه اللااستقرار السياسي ، واختلّ نظامه الديمقراطي التوافقي ، وشهدت هذه المرحلة ظهور المجموعات الراديكالية بين المسلمين والمسيحيين ، لأنه كان للمتغيرات المسهلة على العنف في هذه المرحلة تأثير قاطع وعميق على المسرح السياسي في لبنان .

تحولات الحركات الإسلامية

إن تأثير العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المذكورة في شكل واتجاه العمل الجماعي الإسلامي (المتغير المعتمد) ، يدل أنه على الرغم من أن النظام العقائدي الإسلامي (المتغير المستقل) هو الدافع الأساسي لانخراط الأفراد في الحركات الإسلامية وفي الاقدام على العمل الجماعي الإسلامي التوجه ، لكن هذه العلاقة بين المتغير المعتمد والمتغير المستقل ليست كافية وحدها لتوضيح العمل الجماعي الإسلامي توضيحاً وافياً ؛ كما أن تأثير هذه الأصول العقائدية لا يشرح بنفسه شكل العمل الجماعي واتجاهه ، لكن عوامل متعددة (عوامل المحيط) تتدخل لتعدل أو تضاعف تأثير العناصر العقائدية . ويقدّم اللاعبون على مسرح الحركات الاجتماعية – الإسلامية ، تحت تأثير هذه الظروف الاجتماعية ، تفسيرات متنوعة للنظام العقائدي الإسلامي في الممارسة السياسية ، هذه النقطة الأساسية المتعلقة بتأثير متغيرات الضبط على العمل الجماعي الراديكالي تستحق الاهمام ، ومن بين هذه المتغيرات الخمس ، للإستقرار

والمشاركة السياسية الأثر الأقوى على شكل العمل الجماعي الإسلامي .

تشير تجارب بلدان متعددة في الشرق الأوسط أن «الاستقرار السياسي والمشاركة الواسعة» لهما قبل أي متغير الضبط آخر دور خلّاق في تعديل العمل الجماعي الإسلامي ، فقد أدت التجربة السياسية لحكم حسني مبارك في مصر خلال الثمانينات إلى تخفيف عنف الإسلاميين ، وتقوية العمل الجماعي السلمي للإخوان المسلمين . وهذه القضية نفسها حصلت في الأردن ، حيث ظهر على المسرح السياسي إسلام سياسي معتدل منذ العام ١٩٨٩ ، كما أن الحضور الكاسح لحزب «الرفاه» في السياسة التركية طيلة الثمانينات والتسعينات يدل على أهمية وجود الاستقرار والمشاركة السياسية ودورهما في تعيين شكل العمل الجماعي الإسلامي ؛ وكذلك أنموذج الجزائر ، حيث كان «الاستقرار والمشاركة السياسية» يحدّان من المواقف الراديكالية للحركات الأصولية ، والمناخ المفتوح الناشيء عن سياسات الشاذلي بن جديد بعد العام ١٩٨٨ ، تجلّى في الانتخابات البلدية في العام ١٩٩٠ والانتخابات البرلمانية في العام ١٩٩١ ، وتحول العمل الجماعي العنفي إلى عمل جماعي سلمي ، وأصبحت جبهة الإنقاذ الإسلامية ذات الاستراتيجية المعتدلة هي الجماعة الأساسية في الإسلام الجزائري . ومع ذلك لم يطل عمر الديمقراطية كثيراً في هذ البلد ، وأدى الانقلاب العسكري الذي قام به الجيش في العام ١٩٩١ وإسقاط الحركة الإسلامية إلى تحول الإسلاميين باتجاه العنف ، وتعرض آلاف الجزائريين إلى القتل في مجازر جماعية قام بها الطرفان .

لبنان وتحرك حزب الله فيه ، نموذج آخر من النماذج المهمة في هذا المجال ، وكما قيل من قبل ، فإن لبنان قد تجاوز مراحل اللاستقرار المتعددة التي مر بها ، وأكثر مرحلة عانى فيها من اللاستقرار هي مرحلة الحروب الأهلية بين عامي (١٩٧٥ و١٩٩٠) ، التي ظهرت فيها مجموعات متطرفة بين جميع الطوائف المذهبية ؛ لكن في العام ١٩٩٠ ، وبمساعدة عربية ودولية ، وقّع «اتفاق الطائف» ، المتعلق بإصلاح النظام

السياسي في لبنان، الذي أجريت على أساسه تعديلات على نظام المحاصصة في السلطة بين الطوائف المختلفة (آخذة في الاعتبار التغييرات الديمغرافية وواقع المجتمع اللبناني)، وهكذا انتهت الحرب الأهلية في لبنان. بعد هذا التطور الكبير فقدت متغيرات التسهيل على العنف تأثيرها الفائق إلى حد كبير، وكان الإقرار مجدداً بالنظام الديمقراطي التوافقي (الإجماعي) كمتغير ضبط للعنف تأثير أساسي على إنهاء أعمال العنف الجماعية، لهذا السبب برزت تغييرات جذرية في مواقف الجماعات الراديكالية في لبنان، وضعفت بعض هذه المجموعات أو انحلّت كحركة «التوحيد الإسلامية» و«القوات اللبنانية» المسيحية، ولم يعد لها حضور في الساحة السياسية في لبنان، لكن أهم مجموعة إسلامية في لبنان أي «حزب الله»، بتعديله لمواقفه واتخاذه الأساليب المعتدلة والمواقف الواقعية، لم يضعف أو ينحل، وإنما احتل موقعاً أكثر أهمية من موقعه السابق.

❖ ❖ ❖

مع الأخذ في الاعتبار نظرية «العمل الجماعي»، والإطار المفهومي «للعمل الجماعي الإسلامي» اللذين شرحناهما، يمكن القول أنه على الرغم من وجود العوامل والدوافع العقائدية الخاصة في إطار الفكر الإسلامي (المتغير المستقل) التي لها تأثير مهم في العمل الجماعي للحركات الإسلامية (المتغير المعتمد)، فإن للعوامل الاجتماعية والسياسية (المتغيرات الوسيطة)، تأثير فائق في اتجاهات الأعمال الجماعية للإسلاميين وفي أشكالها؛ بعبارة أخرى، إن العناصر الفكرية في الفكر السياسي الإسلامي ليست هي وحدها، التي تحدد اتجاه وشكل العمل الجماعي، وإنما هنالك تأثير كبير للعوامل السياسية والاجتماعية الموجودة في محيط العمل الإسلامي في تعديل المواقف لدى الإسلاميين. كذلك فإن المواقف تتغير بتغير الزمان والمكان، ولهذا السبب يطرح الناشطون السياسيون أو المفكرون الإسلاميون تفسيرات ونظريات مختلفة للأصول الفكرية الإسلامية.

أنموذج (Model) للدراسة والتحليل

إن طرح إطار نظري للدراسة مبني على نظرية عامة سيستخرج من آفاقها الجواب عن السؤال الذي طرح في البداية[٦٢]. ستعرض النظرية للتوضيح ثم للحل والفصل في قضية علمية، وطرحها هو في الواقع سعي لعرض صورة للواقع[٦٣]، الذي يمكن نقده على نحو عقلاني من طريق وسائله ونتائجه، بناء على ذلك، هذه النظرية هي طريق حل تجريبي ومؤقت ليكون الموضوع عقلانياً[٦٤].

إن تبديل النظرية إلى أنموذج في الأساليب العلمية سيستخدم ليعبّد الطريق للتعرف إلى العلاقة المنطقية بين مقولات النظرية[٦٥]. وبصياغة أنموذج تحليلي، تحدّد النتائج التي يتوقع الحصول عليها بموجب الفرضية أساساً[٦٦]؛ الأنموذج الذي يستخدم في العلم للتوضيح والشرح وإعطاء المعنى للنظرية يجب أن يكون في حدود معينة فهرساً منظماً للعوامل التي يجب الاهتمام بها لدرك الواقع[٦٧]؛ إن عرض مثل هذا الأنموذج كأسلوب مبتكر لتصور مؤلّف من عناصر مفيدة يساعدنا في فهم الواقع. وفي الحقيقة إن التوجيه الإفتراضي هو أحد معطيات أي أنموذج لدراسة الواقع، مع الأخذ في الاعتبار المواضيع التي ذكِرت من قبل، والمباحث النظرية التي

٦٢- ريمون كيوي ولوك فان كامبنهود، **روش تحقيق در علوم اجتماعى**، ترجمه عبد الحسين نيك گهر (تهران: توتيا، ١٣٧٦[١٩٩٧])، ص ٢٥٤.

٦٣- آلن اف جالمرز، **چيستى علم**، ترجمة سعيد زيبا كلام (تهران: علمى وفرهنگى ١٣٧٤ [١٩٩٥])، ص ٢٠٨

٦٤- عبد الكريم سروش، **درسهايى در فلسفه علم الاجتماع** (تهران: نى، ١٣٧٤ [١٩٩٥])، ص٤٤٧.

٦٥- فرامرز رفيع پور، **كند وكاوها وپنداشتها** (تهران: انتشار، ١٣٧٢ [١٩٩٣])، ص ١٠٨.

٦٦- كيوى وكامپنهود، م. س. ص ٢٥٩.

٦٧- سروش، **علم شناسى فلسفى: گفتارهاى در فلسفه علوم تجربى**، [**علم المعرفة الفلسفي: مقالات في فلسفة العلوم التجريبية**] (تهران: مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگى، ١٣٧٢[١٩٩٣])، ص ص ١٢٥-١٤٥.

طرحت في هذا الفصل ، الآن في قالب إطار نظري وأنموذج للدرس ، سيشار إلى السؤال والفرضية لهذا التحقيق في المثال الذي سيعرض في الصفحة التالية . هذا الأنموذج التحليلي باستخدام المباحث النظرية التي طرحت من قبل ، تمت صياغته في هذا الفصل بحسب الترتيب الآتي :

- دراسة النظريات المتعلقة بالعمل الجماعي .
- عرض إطار نظري للعمل الجماعي للجماعات الإسلامية .
- عرض وصياغة أنموذج تحليلي لمواقف وممارسات حزب الله .

العوامل المؤثرة في تطور مواقف وسياسات حزب الله

عوامل التسهيل للراديكالية لدى حزب الله

- تعاليم الثورة الإسلامية في إيران
- الاحتلال الإسرائيلي للبنان (١٩٨٢)
- الحرب الأهلية في لبنان وانهيار النظام الديمقراطي التوافقي
- الحرمان وفقدان العدالة الاجتماعية
- تدخل الدول الأجنبية في لبنان
- الحرب الباردة والنزاعات الإقليمية
- السلطة التنظيمية والإطار التنظيمي المغلق

عوامل الضبط للراديكالية والتسهيل للواقعية لدى حزب الله

- توقيع اتفاق الطائف وإحياء النظام الديمقراطي التوافقي
- التحولات السياسية في إيران في أواخر الثمانينات
- إنتهاء الحرب الباردة وانهيار نظام القطبين
- إحياء محادثات التسوية العربية – الإسرائيلية
- التحولات التنظيمية
- النفوذ السوري في لبنان

الفصل الثاني

نشأة حزب الله اللبناني وتطوره

الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢م

في السادس من حزيران ١٩٨٢م ، بدأ الجيش الإسرائيلي هجوماً واسعاً على لبنان براً وبحراً وجواً ، وتقدم بسرعة وبدون أي مواجهة تذكر إلى مشارف بيروت ، محاصراً للمرة الثانية إحدى العواصم العربية(١) .

أعلنت «إسرائيل» أن الهدف من وراء هجومها هذا ، هو إخراج الفدائيين الفلسطينيين من لبنان ، لكن هدفها الأساسي كان إيصال مسيحي مناصر لها إلى سدة الرئاسة ، وإضعاف قوة سوريا العسكرية والسياسية في الساحة اللبنانية(٢) . وقد ذكر «باتريك سيل» في كتابه عن «حافظ الأسد» أن « . .شارون كان ينوي تنصيب «بشير الجميل» رئيساً للبنان ، لأن هذا الاقطاعي الماروني أبدى استعداداً لعقد معاهدة سلام مع إسرائيل . .»(٣) . وبحسب «روبرت فيسك» : «كان شارون يخفي جدول أعمال خاصاً به ، فهو لم يسع إلى إبعاد الفلسطينيين عن المنطقة الحدودية فحسب ، بل سعى أيضاً إلى إقصاء لبنان عن بقية الدول العربية ، وفي نظر شارون كان المسيحيون حلفاء طبيعيين لإسرائيل»(٤) . وهكذا ، فإن إسرائيل كانت تهدف من وراء اجتياحها

١- أول عاصمة عربية احتلتها إسرائيل ، كانت مدينة القدس في فلسطين .

٢- أحمد خالدي وحسين ج .آغا ، **سوريا وإيران : تنافس وتعاون** ، ترجمة عدنان حسن (بيروت : دار الكنوز الأدبية ؛ تشرين الأول ١٩٩٧) ، ص ٩٢ .

3- Patrick Seale, ***Asad*** (Berkeley, C.A.: University of California Press, 1988), p.347.

4- Robert Fisk, ***Pity the Poor Nation*** (London: Oxford University Press,1992), p.386.

العسكري أن تجعل من لبنان الدولة الثانية التي توقّع «معاهدة سلام» مع إسرائيل بعد مصر[٥] .

لقد أدخل الجيش الإسرائيلي ثلثي قواته العسكرية تقريباً من الجيش النظامي وقوات الاحتياط إلى لبنان : ستة ألوية من أصل عشرة ؛ وشارك في اليوم الأول للعمليات أكثر من ثلاثمئة قاذفة قنابل جوية في القصف[٦] .

بعد ثلاثة أيام من بدء الاجتياح وصل الجيش الإسرائيلي إلى منطقة خلدة على مشارف بيروت ، مهدداً بإزالة كل البنى العسكرية والسياسية الموجودة ، دون أن تظهر أي علامة على إمكانية إيقاف هذا التهديد ؛ فالقوى العسكرية اللبنانية والفلسطينية مكشوفة أمام التقدم الإسرائيلي ، وحالها المعنوية لا تقل عن حالها الميدانية انهياراً ، في حين لم تسمح سرعة التراجع الفلسطيني للقوى العسكرية الإسلامية ، بالمشاركة في معارك الجنوب ، إذ لا بنى مسلحة قادرة على المواجهة في القرى ، حيث اختارت تلك القوى القتال عند مداخل بيروت حين وصلتها أنباء تقدم الجيش الإسرائيلي ، فعدلت عن إرسال مجموعاتها إلى الجنوب ، بعد أن اضطرت أن تعيد بعضها من طريق الساحل إثر سقوط المنطقة بيد الإسرائيليين .

أول مقاومة أساسية حصلت في منطقة «خلدة» ، المدخل الجنوبي لمدينة بيروت ، حيث استطاع عدد من الشبان الشيعة الإسلاميين وبعض مجموعات حركة «أمل» ، المسلحين بالأسلحة الخفيفة وبشعار «الله أكبر» أن يقطعوا الطريق على التقدم الإسرائيلي وحين سأل الصحافيون الذين قدموا لاستطلاع الموقف هؤلاء الشبان عن هويتهم ، قالوا إنهم أنصار الإمام الخميني (قده) ، لم تكن هذه المجموعة تنتمي إلى أي من

٥- مقابلة مع السفير الإسرائيلي في باريس ؛ صحيفة **السفير** ٥ أيار/ ١٩٨٢ .

٦- حسين بهزاد ، **در انتهاى افق : زندگينامه سرلشگر پاسدار حاج احمد متوسليان** (بى جا : بنياد شهيد ، ١٣٧٦) ، ص ٢٨٩ .

[حسين بهزاد ، **في نهاية الأفق : سيرة حياة اللواء الحاج أحمد متوسليان** (لا . ت . نشر : بنياد شهيد ، ١٩٩٧) ، ص ٢٨٩] .

التنظيمات الموجودة آنذاك ، وإنما كانت تنتسب إلى الجماعات التي نشأت في المساجد ، واتخذت من «خلدة» ومن «كلية العلوم» مراكز للمقاومة ، وقد نجح عناصرها في إلحاق الخسائر الفادحة بالجيش الإسرائيلي ، واستولوا على عدة دبابات وناقلات جند ، عرضوها على الرأي العام في شوارع بيروت[٧] .

إن نجاح هذه المجموعة الصغيرة في إيقاف الجيش الإسرائيلي ومنعه من دخول الضاحية الجنوبية ، حفّز الفدائيين الفلسطينيين المتمركزين في بيروت والمجموعات اليسارية اللبنانية ، لأن يبادروا إلى مهاجمة الجيش الإسرائيلي ؛ لكن الوضع بالنسبة إلى قادة حركة «أمل» ، كان مختلفاً . يقول المحلّل الإسرائيلي «يوسي أولمرت» بهذا الخصوص : «كان واضحاً منذ بداية الحرب أن قيادة «أمل» لا تنوي مواجهة إسرائيل ، لكن الأمور في بيروت كانت تختلف عما هي عليه في جنوب لبنان ، وقد اضطر قادة «أمل» تحت ضغط سوريا والجماعات والأحزاب اليسارية اللبنانية ، أن يصدروا بيانات شديدة اللهجة تدين الاجتياح الإسرائيلي . مع ذلك كان بادياً للعيان ، منذ أن بدأ حصار بيروت ، أن حركة أمل على استعداد للانضمام إلى المجموعات التي تضغط على منظمة التحرير الفلسطينية لمغادرة لبنان»[٨] .

تسربت عناصر المقاومة إلى بيروت وإلى ضاحيتها الجنوبية ، وأخذت تشارك في القتال على محاور الضاحية ، وكانت مدة إثنين وأربعين يوماً من القتال (بين ٩ حزيران و١٢ آب ١٩٨٣) كفيلة باختبار القوات الإسرائيلية ، والتعوّد على أساليب مواجهة جيش نظامي ، وتوطين النفس على المخاطر ، إذ كانت المواجهات تحمل كل خصائص الحرب ، من عمليات الكرّ والفرّ وسقوط الضحايا والجرحى وتوزيع المجموعات والمهمات وتلقي التعليمات من القادة ووضع خطط الهجوم والتراجع . إنتهت الحرب في بيروت بانتهاء الهجوم الإسرائيلي الواسع على العاصمة ، وبقيت الضاحية

٧- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** (بيروت : دار الهادي ، الطبعة الثانية ١٩٩٨) ، ص ص ٥٦ - ٥٩ .

8- Joseph Olmert, "The Shiites of Lebanon" in Martin Kramer (ed), ***Shiism, Resistance and Revolution*** (London: Mansell Publication,1987), p.6.

الجنوبية البقعة الوحيدة التي لم يدخلها الجيش الإسرائيلي ، الذي تجنب الدخول إلى عمق الضاحية بعد أن خاض معركة في منطقة الغبيري التي شكلت نقطة المواجهة الثالثة مع الإسلاميين بعد خلدة وكلية العلوم ، وهو ما وفّر للمجموعات الإسلامية فرصة الاحتفاظ بأسلحتها وعناصرها بعيداً عن ملاحقة الإسرائيليين[٩] . مقابل يقظة أهالي بيروت والضاحية ومقاومتهم الباسلة ، أدركت إسرائيل أنها ستتكبد خسائر باهظة في حال دخولها إلى الضاحية ، وهذا ما عبّر عنه حينئذ «موشيه آرنز» سفير «إسرائيل» في واشنطن لـ «ألكساندر هيغ» وزير خارجية أميركا : «إن إسرائيل لا ترغب مطلقاً باحتلال بيروت وتكبّد هذا الثمن الباهظ»[١٠] .

إن الاجتياح الإسرائيلي للبنان الذي استمر لمدة شهر ونصف ، من البر والبحر والجو ، نجمت عنه خسائر فادحة ، كانت على الشكل التالي[١١] :

- ١٩٠٥٠ ضحية من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين .
- ١٥٠٠ قتيل فلسطيني ولبناني في أفظع مجازر الاحتلال الإسرائيلي في مخيمي صبرا وشاتيلا .
- ٩٨٠ مليون ليرة لبنانية في البنى التحتية (أبنية ، مرافق عامة ، وشبكات) .
- ١٦٠ مليون ليرة لبنانية في القطاع الزراعي .
- ٢٤ مليون ليرة لبنانية في القطاع الحيواني (الثروة الحيوانية) .

أي ما مجموعه ملياراً و٤٦ مليون ليرة لبنانية (ما يعادل ٢٩١ مليون دولار أميركي

٩- حسن فضل الله م . س . ص ص ٦٢ و٦٣ .

١٠- جرج بال ، **خطا وخيانت در لبنان** ، ترجمه حسين ابوترابيان (تهران : اطلاعات ، ١٣٦٦) ، ص ٥٢ .
[جورج بال ، **الخطأ والخيانة في لبنان** ، ترجمه إلى الفارسية حسين أبو ترابيان (طهران : اطلاعات ، ١٩٨٧ ، ص ٥٢] .

١١- العلاقات الخارجية لحزب الله ، **حزب الله : النشأة والرؤيا** ، ص ٣ .

آنذاك) بحسب تقريرين : أحدهما للصليب الأحمر اللبناني والآخر لغرفة تجارة وصناعة الجنوب اللبناني .

وقد خسر الإسرائيليون حوالي ٥٠٠ جندي في «عملية سلامة الجليل» ، أي أن الانتصار كان ظاهرياً من نصيبهم ، لكن شريحة واسعة من الشعب الإسرائيلي عارضت هذه العملية ، وذهلت من حجم الخسائر من الجانبين . لقد أدرك قادة «الليكود» أن المزيد من الخسائر البشرية في صفوف الجيش الإسرائيلي سيؤدي إلى إسقاط حكومتهم ؛ فبدأوا بالبحث عن مخرج من هذه الورطة[١٢] .

لهذا السبب أوفد الرئيس الأميركي رونالد ريغان إلى المنطقة السفير «فيليب حبيب» وهو سياسي أميركي من أصل عربي لبناني ، لإجراء محادثات بين إسرائيل ولبنان . وقد شكل «الياس سركيس» رئيس الجمهورية اللبنانية الذي كان يمضي الشهور الأخيرة من مدة رئاسته ، هيئة من خمسة أعضاء من الزعماء اللبنانيين أسميت «هيئة الإنقاذ الوطني» لتباشر المحادثات مع فيليب حبيب وإسرائيل ، وهم[١٣] :

١ - شفيق الوزان : رئيس الوزراء .

٢ - فؤاد بطرس : وزير الخارجية .

٣ - بشير الجميل : قائد القوات اللبنانية - المسيحية المتحالفة مع إسرائيل .

٤ - وليد جنبلاط : زعيم الحزب التقدمي الإشتراكي .

٥ - نبيه بري : رئيس حركة أمل .

بدأت هذه الهيئة المباحثات مع فيليب حبيب ، وكانت النتيجة الموافقة على خطة «حبيب» التي قضت بوقف إطلاق النار ورحيل المقاتلين الفلسطينيين عن بيروت على

12- Robert Fisk, ***Op. Cit,*** p.270.

١٣- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** (بيروت : دار الهادي ، ١٩٩٤) ، ص ٣٠ .

ثلاث عشرة دفعة في الفترة الممتدة بين ٢١ آب و٣ أيلول ١٩٨٢[١٤] .

لكن الاتفاق بين هيئة الإنقاذ الوطني وفيليب حبيب جوبه برفض عارم من المسلمين . وقد رفضه رئيس الحكومة الراحل رشيد كرامي ، فاعتبر هيئة الإنقاذ محاولة لتمرير قرارات مصيرية ضد مصلحة لبنان والقضية الفلسطينية ؛ وبعد خمسة أيام أعلن جنبلاط الانسحاب من الهيئة ، بعد أن اتهم الوزان وبطرس بالضلوع بالمؤامرة ، لأنهما رفضا إدانة الاحتلال . لقد ترك تشكيل هيئة الإنقاذ ومشاركة بري فيها ، إنعكاسه السريع على الوضع الشيعي وعلى حركة أمل ، فمشاركة رئيس مجلس قيادتها آنذاك ، جاء مخالفاً لرغبة بعض القيادات الأساسية ، وللتوجه داخل القيادة الرافض دخول تسوية سياسية ، والمصرّ على متابعة القتال[١٥] .

الانشقاق داخل حركة أمل

بالنسبة إلى أعضاء حركة أمل الأكثر تديّناً ، لم تكن مشاركة نبيه بري في هيئة الإنقاذ ، وموافقته على «خطة فيليب حبيب» مخالفة لخط «أمل» ولمقررات مؤتمرها الرابع فحسب ، بل كانت أيضاً مخالفة للإسلام . حتى أن سفير إيران في بيروت «موسى فخر روحاني» طلب من بري الخروج من هذه الهيئة[١٦] ، وهكذا بدأت بوادر الانشقاق في حركة أمل ، وقد أعلن حسين الموسوي (أبو هشام) نائب رئيس الحركة وعدد من الكوادر الإسلاميين في بيانات أصدروها إدانتهم لمواقف بري التساومية ، كما أعلنوا انسحابهم من حركة أمل واتهموا بري «بالإنحراف عن الهدف الأصلي : أي مقاومة إسرائيل وتحريم التعامل معها ، كما كان الإمام موسى الصدر قد أفتى»[١٧] ؛ وتولى السفير الإيراني آنذاك في دمشق «علي أكبر محتشمي پور» عملية

١٤- العلاقات الخارجية لحزب الله ، م . س . ص ٤ .

١٥- حسن فضل الله ، م . س . ص ٣١ .

16- Magnus Ranstorp, ***Hizb'Allah in Lebanon*** (NewYork: St. Martin's Press, 1997) p.22.

١٧- **السفير** ، ١١ تموز ١٩٨٢ و٩ أيلول ١٩٨٢ .

التحكيم بين الفريقين ، وأصدر حكماً لصالح «الموسوي»[١٨] ولما رفض بري الالتزام بالحكم الإيراني ، إستقال الموسوي[١٩] وعدد آخر معه من حركة أمل (الذين كان معظمهم مثله من أهل البقاع) ، وتمركزوا في بعلبك[٢٠] .

في ١٢ حزيران ١٩٨٢ ، وحين كان بري يشارك في الجلسة الأولى لـ «هيئة الإنقاذ الوطني» ، أعلن «أبو هشام» في بعلبك تشكيل حركة «أمل الإسلامية» ، مؤكداً أنها «لن تكون المنافس لحركة أمل ، ولكنها ستعمل على المحافظة على الأصالة الحقيقية للحركة ، لأن «أمل» كانت معارضة لفكرة الالتزام بتعاليم الإمام الخميني»[٢١] .

السيد «إبراهيم أمين السيد» الذي كان ممثل «أمل» في طهران ، كان أيضاً من الذين عارضوا مشاركة نبيه بري في هيئة الإنقاذ الوطني ، وصرح بذلك علانية[٢٢] ، وفي الوقت الذي أعلن فيه «أبو هشام» تأسيس حركة «أمل الإسلامية» ، أعلن «السيد» في مؤتمر صحافي عقده في طهران إنسحابه من الحركة ، وطلب من بقية «الأخوة» أن يفعلوا مثله[٢٣] . وقد أدى انسحاب «أبو هشام» و«السيد» من حركة أمل إلى انشقاقات أخرى داخل الحركة ، شكّلت معاً تعبيراً عن بداية التصدع البنيوي لحركة أمل .

«أبو هشام» عزا تركه حركة أمل إلى «التساهل الذي مارسه بعض الآخرين الذين

18- Magnus Ranstorp, ***Ibid.***

19- Augustus Richard Norton, ***Amal and the Shi'a: Struggle for Soul of Lebanon*** (Austin, TX: University of Texas Press, 1987), p.88.

20- Robin Wright, "Lebanon", in Shreen T. Hunter (ed), ***The Politics of Islamic Revivalism*** (Indianapolis. I.N.: Indiana University Press, 1988), p.63.

٢١- أسبوعية «**المجلة**» ١٥ آب ١٩٩٣ .

22- Nassif Hitti, "Lebanon in Iran's Foreign Policy: Opportunities and Constrains", in Hooshang Amirahmadi and Nader Entessar (eds.), ***Iran and the Arab World*** London: Macmillan, 1993), p.183.

٢٣- مجلة **الشراع** ، ١٧ مارس ١٩٨٦ ؛ مجلة **الوطن العربي** ، ١١ كانون الأول/ ١٩٨٧ .

كانوا معنا في قيادة الحركة ، وبشكل خاص الأسلوب الذي اتبعه نبيه بري بقبوله المشاركة في هيئة الانقاذ التي أسست بإشراف أميركي وبرعاية إسرائيلية»[٢٤] . وقد نعت «أبو هشام» صراحة مشاركة بري في هيئة الإنقاذ بأنها «غير إسلامية» ، مستدلاً بما صدر عن القادة الإيرانيين : «لأن الذي يقرر ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي ، هو الثورة الإسلامية التي أعلنّا نحن جميعاً في حركة أمل ، في المؤتمر الرابع للحركة في آذار ١٩٨٢ ، أننا جزء لا يتجزأ منها» ؛ وأوضح أبو هشام كذلك أنه «بعد التداول بيننا كقياديين في هذا الموضوع ، أحلنا المسألة على القيادة الإيرانية لتحكم بيننا» ، وكان الجواب : «إن الثورة الإسلامية ترفض المشاركة في هيئة الإنقاذ الوطني»[٢٥] .

تمركز الإسلاميين الشيعة في البقاع

باحتلال الجيش الإسرائيلي لبيروت ولجنوب لبنان ، لم يبق سوى الشمال والبقاع (الذي يقع في الشمال الشرقي من لبنان) خارج المنطقة المحتلة . وبما أن أهل شمال لبنان هم في معظمهم من السنّة ، وأهل البقاع هم في معظمهم من الشيعة ، لذا تمركز الإسلاميون السنّة في مدينة طرابلس في شمال لبنان ، وأسسوا بزعامة «الشيخ سعيد شعبان» حركة التوحيد الإسلامية ؛ أما الجماعات الشيعية فقد تمركزت في مدينة بعلبك وهي تشكلت من مجموعات صغيرة من الإسلاميين الشيعة ، التي كانت قد بدأت ، حتى قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ ، بنشاط ضد النظام العراقي وأنصاره في لبنان ، فقدكانت تضم الأطر التالية[٢٦] :

١ - مجموعات تأسست في المساجد ، وكانت تعرف بأسماء شتى كالشباب المؤمن أو المتدينين .

٢٤- وضاح شرارة ، **دولة حزب الله : لبنان ، مجتمعاً إسلامياً** (بيروت : دار النهار ، الطبعة الثالثة ١٩٩٨) ، ص ١١٩ .

٢٥- م . ن .

٢٦- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ٥٣ .

٢ - المنظمات الطلابية الشيعية (إتحاد الطلبة المسلمين) .

٣ - مجموعات عسكرية وسياسية صغيرة ، كانت تعمل تحت غطاء حركة أمل .

٤ - عدد من العناصر العسكرية الشيعية ، من الذين كانوا أعضاء فاعلين في المنظمات الفلسطينية .

٥ - اللجان المساندة للثورة الإسلامية .

لقد ساهمت الحروب الداخلية ، قبل الاجتياح الإسرائيلي ، في إبقاء هذه المجموعات مشرذمة ، حيث لم تتمكن من تشكيل تنظيم موحد . ومع سقوط بيروت في قبضة الجيش الإسرائيلي ، ومحاصرة الضاحية الجنوبية ، إنتقل معظم عناصر هذه الجماعات إلى مدينة بعلبك وتمركزوا فيها . وقد ظهرت الصورة الشيعية الجديدة في ذلك الحين على الشكل التالي[٢٧] :

١ - المجموعات الإسلامية المتمركزة في البقاع وتضم رجال دين ورموزاً عسكرية لمجموعات إسلامية ، والمنشقين عن حركة أمل .

٢ - حركة أمل بزعامة نبيه بري .

٣ - المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى برئاسة الشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي نأى بنفسه عن تأييد مواقف «أمل» أو تأييد المنشقين عنها .

٤ - العلماء المستقلون الذين لديهم تأثيرهم في الأوساط الشيعية كالعلامة السيد محمد حسين فضل الله ، وقد كان هؤلاء العلماء ينسقون مع الإسلاميين المتمركزين في البقاع في المواقف والتوجهات .

٥ - رجال السياسة الشيعة الذين كانوا يؤيدون الحكم القائم آنذاك .

٢٧- م . ن . ص ٧٠ .

دخول إيران على المسرح اللبناني

في الأسبوع الأول من حزيران ١٩٨٢م ، إستضافت طهران مؤتمر الحركات التحررية ، الذي انعقد بمناسبة النصف من شعبان ، ويوم المستضعفين ، على إثر الانتصارات العسكرية المهمة في الحرب مع العراق وتحرير خرمشهر . وقد شارك من لبنان ممثلو القوى الإسلامية ، وشخصيات دينية كالسيد محمد حسين فضل الله والشيخ راغب حرب والشيخ صبحي الطفيلي[٢٨] .

ولكن ما إن باشر المؤتمر أعماله ، حتى بدأت تصل تباعاً من لبنان أنباء عن عمليات عسكرية إسرائيلية في منطقة الجنوب ، واحتلال الجيش الإسرائيلي للعديد من المواقع الاستراتيجية . ومع مرور الوقت ، بدأت الأمور تتوضح في طهران ، وهيمن على مؤتمرها عنوان رئيسي ، هو اجتياح إسرائيل للبنان ، وكيفية مواجهة مخاطره ، وتوجهت حينها أنظار المتحدثين في المؤتمر إلى الدولة الراعية للإسراع في تقديم الدعم والعون للمسلمين اللبنانيين والفلسطينيين ؛ وفي إحدى جلسات المؤتمر ألقى رئيس مجلس الشورى في حينه الشيخ هاشمي رفسنجاني كلمة ، أعلن فيها عن إرسال وفد عسكري وسياسي إلى سوريا للتباحث مع المسؤولين السوريين في كيفية تقديم المساعدة لمواجهة الاجتياح ، ودعا المؤتمرين أن ينتظروا عودة الوفد[٢٩] .

أجرى الوفد العسكري الإيراني برئاسة العقيد «سليمي» وزير الدفاع ، و«محسن رضائي» قائد قوات الحرس والعقيد «صياد شيرازي» قائد القوات البرية في جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، لقاء مع حافظ الأسد ، كانت نتيجته : «توقيع اتفاقية بين إيران وسوريا ، لإرسال قوات إيرانية إلى لبنان والتصدي للاجتياح

28-Hala Jaber, ***Hezbollah: Born With a Vengeance*** (NewYork: Columbia University Press, 1977), p.47.

٢٩- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ص ١٢ و١٣ .

الإسرائيلي»[٣٠] . وحين أعلن هذا الخبر في طهران ، أسرعت الشخصيات اللبنانية المشاركة في المؤتمر في العودة إلى لبنان[٣١] .

وصلت أول مجموعة من حرس الثورة الإسلامية من «فرقة محمد رسول الله(ص)» بقيادة الحاج أحمد متوسليان إلى دمشق غروب الحادي عشر من حزيران ١٩٨٢ ، أي بعد ستة أيام من بدء الاجتياح الإسرائيلي . وقد فاجأ وصول هذه القوات إلى دمشق القيادة والشعب في سوريا الذين كانوا يظنون أن إيران بسبب انهماكها في الحرب مع العراق ، ليست قادرة على إرسال قوات ، وأن خبر إرسالها ، كان هدفه دعائياً لدعم سوريا ولبنان ، أو حرباً نفسية ضد إسرائيل ، لكن مشاهدة قوات الحرس مع تجهيزاتها الكاملة في مطار دمشق ، أذهل الجميع ؛ وقد استقبلت استقبالاً شعبياً عفوياً ، وبخاصة في محيط حرم السيدة زينب(ع) ، وكان تحرير خرمشهر قد أضفى شهرة واسعة على هذه القوات في البلدان العربية[٣٢] .

كان للغزو الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ تأثير عميق على وجود إيران في لبنان عن طريق توسيع دورها في الصراع العربي - الإسرائيلي ، حيث أتاح الغزو الفرصة لإيران للمساهمة المباشرة في المجهود الحربي المعادي لإسرائيل . وقد جوبهت في السابق المساعي الإيرانية لإقامة وجود عسكري مستقل في لبنان برفض الرئيس السوري حافظ الأسد نفسه ، لكن الموقف السوري بعد الغزو الإسرائيلي أضحى -ربما- أقل صداً لعروض المساعدة الإيرانية من ذي قبل ؛ كان عرض إيران للدعم الفاعل يتعارض بحدة مع لا مبالاة بقية البلدان العربية والاتحاد السوفياتي ، وضاعف

٣٠- **السفير** ، ١١ حزيران ١٩٨٢ .

٣١- في العام ١٩٨٢ ، وأثناء عودة العلامة فضل الله إلى بيروت من دمشق ، اختطف على يد مجموعة مسلحة تابعة لميليشيا القوات اللبنانية ، بقيادة بشير الجميل . وبقي قيد الاحتجاز لمدة ثلاث ساعات ، قبل تدخّل شخصيات على مستوى عال لإطلاق سراحه ، راجع : حسن فضل الله ، م . س . ص ٨٧ .

٣٢- للتعرف على تفاصيل سفر الوحدة الأولى من قوات الحرس الثوري للجمهورية الإسلامية إلى سورية ، وكيفية الاستقبال الرسمي والشعبي لها تجدر مراجعة : حسين بهزاد ، م . س ، ص ص ٢٧٦ إلى ٢٨٤ .

انعدام رد الفعل العربي من قيمة العلاقات العسكرية مع إيران بالنسبة إلى سوريا ، وعزز قناعاتها بأن مرحلة ما بعد «كامب ديفيد» كانت تستلزم إعادة اصطفاف استراتيجية ، يمكنها أن تحد من هوامش المناورات الإسرائيلية التي تتوسع باطراد (وبخاصة في لبنان) ، مع وجود إيران كشريك سوريا الوحيد - الموثوق به عن بعد - في ساحة المواجهة[٣٣] .

لذا استطاعت سوريا أن تحصل على إنجاز مهم ، في ما يتعلق بإعادة صياغة «معادلة استراتيجية» لصالحها ، إضافة إلى مساعدات مادية واقتصادية من إيران ، مع قوة بشرية تمثلت في شرائح واسعة من الشعب اللبناني المؤيدة لها . كما ربحت سوريا من وراء التقارب بينها وبين إيران ، ورقة ضغط جديدة على عدويّها في المنطقة : «إسرائيل» والنظام العراقي ، وركزت من جديد التوازن العسكري ، الذي كان قد اختلّ لغير مصلحتها بعد توقيع اتفاقية «كامب ديفيد» .

بعد دخول قوات الحرس الثوري الإيراني إلى سوريا ، بانتظار الانتقال إلى لبنان ، إتضح تدريجياً أن الحكومة السورية لم تكن متحمسة لإنجاز هذا الأمر ، وقد تصدت له بذرائع متعددة ، بحيث أن «الحاج أحمد متوسليان» في مقابلة مع «رفعت الأسد» الذي كان يعدّ في ذلك الحين الرجل الثاني في سوريا قال ما يلي :

«نحن لم نأت إلى سوريا للضيافة ، فانتم تعلمون جيداً أن حربنا مع صدام لم تنته . . . وإذا كان هنالك قرار لأي سبب من الأسباب أن يكون وجودنا في سوريا مظهر تسوية ، وورقة رابحة في المحادثات السياسية ، فنحن غير مستعدين لذلك»[٣٤] .

٣٣- أحمد خالدي وحسين ج آغا ، م .س ، ص ٣١ .

٣٤- حسين بهزاد . م .س ، ص ٢٩٠ .

في ٥ حزيران ١٩٨٢ ، سافر كل من الحاج «أحمد متوسليان» والسيد «محسن الموسوي» القائم بالأعمال الإيراني في بيروت ، و«كاظم اخوان» مراسل ومصور وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، و«تقي رستكار مقدم» إلى بيروت . وقد اختطفتهم الميليشيات المسيحية على حاجز البربارة في طريق عودتهم من شمال لبنان ، وبقي مصيرهم مجهولاً منذ ذلك التاريخ .

لكن الأسباب الواقعية لعدم رغبة سوريا في السماح لقوات الحرس الثوري بالمشاركة المباشرة في العمليات العسكرية ضد «إسرائيل» ، أنها كانت تسعى في الوقت الذي وقّعت فيه الاتفاق مع إيران ، لأن تحافظ على المسافة الضرورية بين البلدين ، حتى تمنع إيران من أن تقوى أكثر من الحد اللازم في الساحة الداخلية اللبنانية ، أو أن تستقل فيها ؛ فسوريا لم تكن ترغب في البداية أن تنحصر العمليات ضد «إسرائيل» بالإيرانيين وحدهم أو بالعناصر المدعومة من قبلهم ، وكانت تعطي أهمية شديدة أن لا يضر اختلال التوازن داخل الطائفة الشيعية كثيراً بحركة أمل ، ولم تسمح توجهات سوريا في مجال الصراع ضد إسرائيل ، أن يكون لإيران موقعاً مستقلاً في لبنان ، لأن هذا الأمر من شأنه أن يضعف النفوذ السوري في لبنان[٣٥] .

وهكذا تغيّرت مهمة قوات الحرس الموفدة ، وألغي موضوع مشاركتها المباشرة في العمليات العسكرية ضد الجيش الإسرائيلي ، لكن حاجة شيعة لبنان الماسة للتدريب العسكري ، والتربية العقائدية ، إستدعت مهمة جديدة لعناصر الحرس ، بأن يدخلوا إلى الساحة اللبنانية كمستشارين ومدربين عسكريين وعقائديين ، ويتركوا للبنانيين مهمة الدفاع عن بلدهم . وقد سمحت سوريا على إثر هذا التحول المهم ، لأول وحدة من قوات الحرس التي يبلغ تعدادها ثمانمائة عنصر ، ترك مقرّها في منطقة «الزبداني» على الحدود السورية - اللبنانية ، والتمركز في بعلبك في لبنان[٣٦] . وبعد ذلك بوقت قصير إنضمت إليها وحدة أخرى من سبعمائة عنصر ، وقد تمركزت هذه القوات - إضافة إلى مدينة بعلبك - في الهرمل وفي عدد آخر من القرى والبلدات في سهل البقاع . وعلى الرغم من أن الوحدات الإيرانية كانت مؤلفة من عناصر عسكرية ، لكن كان بينهم عدد من رجال الدين ، قاموا بتثقيف المجموعات الإسلامية المتمركزة في

٣٥- أحمد خالدي وحسين ج . آغا ، م .س ، ص ص ٣٨ - ٤١ .

36- Robin Wright, ***In the Name of God: The Khomeini Decade*** (NewYork, N.Y.: Simon Schultz, 1989), p. 108.

البقاع سياسياً ودينياً [٣٧] .

قبل دخول قوات الحرس الثوري إلى لبنان كان عامة اللبنانيين منهارين نفسياً ، حتى أن عدداً كبيراً من سكان المناطق التي احتلتها إسرائيل بسرعة قياسية ، رفعوا الأعلام البيضاء على أسطح المنازل . . لكن ما إن وصلت أخبار انتشار عناصر الحرس الثوري في لبنان ، حتى تغير فجأة الجو الروحي والنفسي ، وانتعش الأمل في قلوب الناس ، فأنزل الكثيرون منهم الأعلام البيضاء[٣٨] .

بدأ الحرس مهمته إنطلاقاً من مسجد الإمام علي(ع) في بعلبك ومن مقر «عشاق الشهادة» ، حيث تدفقت قوافل المتطوعين لتسجيل أسمائهم في دورات التدريب العسكري ، وفي الدورات الثقافية . أعدت لوائح الدورة الأولى للمتطوعين الذين بلغ عددهم مئة وثمانين متطوعاً ، بينهم عدد من علماء الدين ، وكان في طليعتهم السيد الشهيد عباس الموسوي الذي أصبح في ما بعد أميناً عاماً لحزب الله . وبدون أي نوع من أنواع الإعلان ، أو الإعلام ، وبسرية محضة ، أنجزت دورة التعليم الأولى للمتطوعين على يد الحرس ، ومن ثم بدأ توجههم إلى مناطق القتال ، وإيجاد ارتباط بينهم وبين مراكز المقاومة العفوية في جنوب لبنان وبيروت[٣٩] .

إن استقرار الحرس في البقاع قد نتج عنه ليس فقط تدريب المقاتلين عسكرياً ، وإنما أيضاً انتقال أفكار الثورة الإسلامية والإمام الخميني (قده) على نطاق واسع ، بحيث أن شعارات الثورة الإسلامية التي أطلقها الإمام وعلى رأسها شعار «إزالة إسرائيل من الوجود» وجدت صدى سريعاً على ألسنة المشاركين في دورات التدريب ، وعلى جدران مدينة بعلبك التي أقام فيها الحرس الثوري مقراته ، وأخذ من هنالك يبث

37- Shimon Shapira, "The Origins of Hizballah", ***The Jerusalem Quarterly***, Vol.46, (Spring 1988), p.115.

٣٨- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ٤١ .

٣٩- م . ن ، ص ١٥ .

تعاليم الإمام الخميني في كيفية المواجهة مع إسرائيل حتى حدودها القصوى ، في معانيها السياسية والدينية ، بحيث تصبح القدس هدفاً ، وبذلك يمكن نقل الحرب إلى بعدها الأكبر ، بما يؤدي وظيفة مزدوجة : «إستنهاض الناس في عملية تعبئة عامة ، وإبقاء القضية الأولى ، أي قضية فلسطين ، حية»[٤٠] .

لقد أدى دخول الحرس إلى لبنان في الواقع ، إلى ثورة ثقافية ، لأن عناصر الحرس نقلوا معهم أفكار الإمام الخميني والثورة الإسلامية إلى اللبنانيين (الشيعة بالخصوص) ، وجذبوا بسلوكهم وتصرفاتهم الجميع إليهم «من خلال طبيعة السلوك في مخيمات التدريب ، مما أدى إلى اجتذاب عطف المشاركين ، وإلى تأثرهم الشديد بهذا السلوك ، مما جعله يمتد إلى خارج مخيمات التدريب ، بخاصة خلال أيام العطل الاسبوعية ، عندما كان عناصر الحرس يتوجهون إلى القرى ، لتقديم المساعدة للفلاحين وللمزارعين ، مما أكسبهم حب المواطنين واحترامهم ، فكانوا يتدافعون للتبرك منهم ، مما ساهم في انقلاب روح الناس المعنوية بعد أن اصبحوا على تماس مباشر مع الثورة الإسلامية»[٤١] . وفي الحقيقة ، لم يكن الدور غير العسكري الذي لعبه حرس الثورة - «كمرشدين روحيين» - حيوياً لإنماء حزب الله ورفع مستوى حماسته الدينية فحسب ، بل كان مهماً أيضاً باعتبار أن الحرس الثوري الإيراني في لبنان ، كان المؤسسة التي استطاع الحزب أن يعتمد عليها في أوقات الشدة ، سواء في وجه التحدي السياسي والعسكري للميليشيات اللبنانية ، أو في مقاومة الجيش الإسرائيلي ، من قبل سوريا ، أو مواجهة الضغوطات التي كانت تمارسها العناصر المختلفة داخل الحكومة الإيرانية[٤٢] .

بعد ستة أشهر من دخول قوات الحرس إلى هذه المنطقة ، بدأ عدد النساء اللواتي يرتدين العباءة (التشادور) يتزايد يوماً بعد يوم . والملصقات والصور الجدارية اللافتة

٤٠- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ٦٧ .

٤١- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ١٥ .

42- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.34.

والجذابة ، تظهر الإمام الخميني قائداً للمقاتلين المضرجين بالدماء على طريق تحرير القدس . والمشروبات الروحية أريقت بعيداً من المخازن . وكان للحرس اليد الطولى في جميع الأمور . وعلى بوابة مسجد «رأس العين» في بعلبك نصبت لوحة تقول : «المقر الأساسي لعشاق الشهادة» ؛ وكانت تلاحظ على الملصقات واللوحات شعارات تقول : «الموت لأمريكا» ، «الشهادة هدف كل مؤمن وأمنيته» ، «ثورتنا إسلامية أولاً ، وبعد ذلك إيرانية» و«ثورتنا هي ثورة المستضعفين في أنحاء الدنيا» . كذلك افتتحت إذاعة باسم «إذاعة الإسلام ، صوت المستضعفين» تبث لمدة ثماني ساعات يومياً الأحاديث والخطب والمقابلات والأناشيد الثورية[٤٣] .

إلى جانب الأنشطة الثقافية والعقائدية ، إقترحت قوات الحرس على المقاتلين اللبنانيين إعتماد تكتيك حرب العصابات ، من منظار إضعاف قدرة القوات الإسرائيلية الغازية ، وحرمانها من فرصة التمركز والاستقرار في المناطق المحتلة[٤٤] ، لأن عدم التوازن العسكري بين قدرات الجيش الإسرائيلي العسكرية وقدرات لبنان ككل لا يتيح إمكانية خوض الحرب الكلاسيكية . لكن هذا الاقتراح كان يتطلب وجود الدعم الشعبي ، ووجود المقاتلين المحليين المنظمين .

شورى لبنان

كان على المجموعات الإسلامية السياسية والعسكرية المجتمعة في بعلبك ، الاندماج في نهج واحد يشكل غطاء لكل تحركاتها ولمشروعها ، وإن انتمت إلى مدارس فقهية وفكرية عديدة تلتقي أو تفترق بحسب كل مدرسة ، فكان اتفاقها على «الإلتزام بولاية

٤٣- رابين رايت ، شيعيان : **مبارزان راه خدا** ، ترجمه على انديشه (تهران : نشر قومس ، ١٣٧٢) ص ص ٦٣ - ٦٤ .

[روبين رايت ، الشيعة : المناضلون من أجل الله ، ترجمة علي انديشه (طهران : قومس ، ١٩٩٣) ص ص ٦٣ - ٦٤] .

٤٤- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ٦٠ .

الفقيه» و«مقاومة الاحتلال الصهيوني» للبنان . من جهة أخرى كان هؤلاء الشباب والعلماء المجتمعين في بعلبك يعتقدون بأن ما كان متواجداً على الساحة من أحزاب وتنظيمات ، لم يعبر عن طروحاتهم السياسية ، ولا عن الشكل البنيوي الذي كانوا يسعون إلى تحقيقه ؛ وقد ساهم أيضاً في هذا المنحى ، نجاح الثورة الإسلامية في إيران في العام ١٩٧٩ ، حيث أقام هؤلاء علاقات معها واستفادوا من تجاربها . وهكذا تبلورت لديهم منذ العام ١٩٧٩ وحتى العام ١٩٨٢ رغبة في تأسيس تنظيم يترجم اهتماماتهم وأفكارهم الإسلامية[٤٥] .

هذه العوامل مجتمعة أدت إلى دمج القوى المتفرقة - تحت وصاية إيران ومراقبتها- في تنظيم موحد وجديد ، وقد أتاحت الحكومة الإيرانية بواسطة سفيرها في دمشق «علي أكبر محتشمي پور» ، وقوات الحرس المتمركزة في بعلبك ، المجال لأن يجتمع كوادر هذه المجموعات الإسلامية ويجرون المحادثات في ما بينهم . بعد المحادثات التمهيدية تشكلت لجنة من تسعة أشخاص يمثلون ، علماء الدين الشيعة اللبنانيين وشخصيات من حركة أمل الإسلامية وحزب الدعوة (اللبناني) ، واللجان المؤيدة للثورة الإسلامية الإيرانية إضافة إلى بعض الشخصيات المستقلة . كان لدى لجنة التسعة مهمة تأسيس تنظيم سياسي جديد من تلك التيارات الإسلامية المتفرقة على أساس «الالتزام بولاية الفقيه» و«محاربة إسرائيل»[٤٦] . وقد شكلت اللجنة وفداً برئاسة السيد عباس الموسوي ليقابل الإمام الخميني وليضع بين يديه خلاصة ما توصلت إليه المجموعات الإسلامية اللبنانية . وقد استمع الإمام حينها إلى خطاب السيد الموسوي ، ورد على الوفد بالقول : «إن المهم هو العمل» ، لافتاً إلى خطورة المرحلة[٤٧] .

45- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p.48

٤٦- هيثم مزاحم : «حزب الله وإشكالية التوفيق بين الإيديولوجية والواقع» ، فصلية «**شؤون الأوسط**» ، العدد ٥٩ ، ص ٦٨ .

٤٧- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ٣٣ ؛ حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ٩١ .

إقتصرت مهمة التسعة على إيجاد القواعد الأولية للصيغة السياسية ، ولذلك لم تعمر طويلاً ، واستبدلت بلجنة خماسية أطلق عليها اسم «شورى لبنان» ، التي عقدت أول اجتماع لها في مطلع العام ١٩٨٣ ، وحصلت على تأييد الإسلاميين في لبنان ، وعلى دعم القيادة الإسلامية في إيران وتأييدها . إعتمدت «شورى لبنان» أسلوب القيادة الجماعية ، ومبدأ رأي الأكثرية في قراراتها ، ولم تختر شخصاً معيناً كرئيس أو أمين عام لها أو للتنظيم الجديد(٤٨) .

وعلى الرغم من أن خبر تشكيل «شورى لبنان» قد تسرب بصورة غير رسمية ، لكن هوية أعضائه وبناءه السياسي كانا ضمن إطار من السرية تامة ، فلا عناوين رسمية أو مسؤوليات مشخصة ، وأعضاء الشورى غير معروفين إلا لقلة قليلة ، والنشاط السياسي يحاط بالكتمان ، واللقاءات تعقد بعيدة عن الأضواء ، ولا تنشر أخبار الاجتماعات في وسائل الإعلام ، وذلك خشية استهداف الحركة الوليدة قبل اكتمال عناصر بنائها . فالمؤسسات المدنية كانت تستظل بالجناح العسكري المرتبط بعلاقة وثيقة مع الحرس الثوري الإيراني في البقاع باعتباره المشرف على أعمال التدريب والتجهيز ، لذلك كان التعاطي الإعلامي مع ما يحدث في البقاع يتم كجزء من نشاط الحرس ، الذي تشارك فيه لبنانياً مجموعة شخصيات علمائية وسياسية(٤٩) .

مهمات شورى لبنان

كان على الشورى أن تواجه المعضلات المتداخلة مجتمعة(٥٠) :

١ - التنظيم العسكري والأمني .

٤٨- م . ن . ص ٤٩ .

٤٩- م . ن . ص ٩٢ وكذلك .

Hala Jaber, *Ibid*.

٥٠- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ٣٥ ؛ وحسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ٩٤ وكذلك .

Hala Jaber, *Op. Cit.*, p. 49.

٢ - التنظيم السياسي .

٣ - تصعيد العمل العسكري ضد الاحتلال الإسرائيلي .

٤ - مواجهة السلطة اللبنانية المدعومة دولياً بوجود القوات المتعددة الجنسيات إلى جانبها .

٥ - منع لبنان من الإنجرار إلى أي صلح مع «إسرائيل» .

٦ - تعميم الأفكار الإسلامية بتفعيل النشاط الثقافي والتعبئة الإعلامية .

وقد تعاطى الإسلاميون اللبنانيون مع الشورى باعتبارها المرجع لجميع المسلمين ، «إطاعتها واجبة وقراراتها ملزمة» ، وبدأ مصطلح الشورى يتردد في الأوساط الإسلامية ، مع الاحتفاظ بسرية أسماء أعضائه ، مع ذلك فقد عرفت الشخصيات العلمائية التالية أسماؤها في بعلبك كقادة للإسلاميين : السيد عباس الموسوي ، الشيخ صبحي الطفيلي ، الشيخ حسين كوراني ، السيد حسن نصرالله ، الشيخ محمد يزبك ، الشيخ عفيف النابلسي والسيد إبراهيم الأمين ، وأشخاص مدنيين كحسين الموسوي (أبو هشام) ومحمد فنيش ومحمد رعد(٥١) .

كانت النقطة المهمة في تشكيل قيادة هذا التنظيم الجديد ، الدور الذي لعبه شيعة البقاع في التحولات السياسية ، فقد كان هؤلاء يشعرون باستمرار أن دورهم في التحولات السياسية في لبنان ضئيل مقارنة بشيعة الجنوب ، وكانوا مستبعدين من الكوادر القيادية العليا في حركة أمل . لذلك وجدوا في التنظيم الجديد في بعلبك كيانهم لأنه حرص على إعطائهم مكاناً مهماً في كوادره القيادية ، فعلماء الدين من أمثال الشيخ صبحي الطفيلي والسيد عباس الموسوي والسيد إبراهيم أمين السيد والشيخ محمد يزبك هم من البقاع . وقد اختير الأولان منهم في ما بعد كأول وثاني

---

(٥١) حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص٣٥

أمين عام لحزب الله .

أما المسألة المهمة الأخرى فهي انضمام المقاتلين اللبنانيين الذين كانوا أعضاء في التنظيمات الفلسطينية إلى التنظيم الجديد . ففي السبعينات كان عدد كبير من الشباب الشيعة قد انخرطوا في التنظيمات الفلسطينية ، وقد تركوا بدون قيادة أو غطاء ، حين أجبرت إسرائيل التنظيمات الفلسطينية في أيلول ١٩٨٢ على مغادرة لبنان ، ولم تبد حركة أمل إهتماماً بجذب هؤلاء الشبان الذين كانوا يعدّون «أيتام الثورة الفلسطينية» إلى صفوفها (وهذا ما ندمت عليه في ما بعد) ، وإنما بادرت إلى تعنيفهم وتقريعهم بذريعة أنهم كانوا يخدمون أهدافاً غير لبنانية ، جرّت الفقر والخراب على أهل الجنوب ، لكن مبعوثي إيران لم يوجهوا اللوم إلى هذه المجموعة مطلقاً ، وبخاصة أن عدداً كبيراً من الإيرانيين المعارضين للشاه قبل الثورة الإسلامية ، كانوا قد تلقوا التدريب في المخيمات الفلسطينية ؛ إضافة إلى أن الثورة الإسلامية كانت ترى في مساعدة الفلسطينيين خدمة للهدف الأسمى لديها وهو تحرير القدس والقضاء على إسرائيل ، لذلك منحت إيران هذه المجموعة من الشبان الشيعة اللبنانيين الكثير من الاعتبار ، وأشعرتهم أنهم يخدمون هدفاً مقدساً ، فانضموا بحماس شديد إلى صفوف التنظيم الجديد ، وأصبحوا بعد وقت قصير نسبياً ، من أبرز قادته العسكريين والأمنيين[٥٢] .

حزب الله اللبناني

في الوقت الذي اتسعت فيه عمليات المقاومة ضد المحتلين الإسرائيليين والتي كان يشرف عليها أعضاء شورى لبنان ، ظهرت شعارات تحمل اسم حزب الله ، لكن هذه العبارة لم تكن تعني رسمياً مجموعة سياسية وإنما بمعناها العام ، إلى أن قررت

٥٢- أشهر أفراد هذه المجموعة «عماد مغنية» الذي كان يتعاون مع الجهاز الأمني لحركة فتح «القوة – ١٧» ، ثم تحول إلى أحد القادة الأمنيين الفاعلين في حزب الله ، تجدر مراجعة :
Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.95.

«الشورى» في أيار ١٩٨٤ إعتماد تسمية ثابتة وشعار مركزي يتصدر كل البيانات هو «حزب الله – الثورة الإسلامية في لبنان» ، وأنشئ في الوقت نفسه المكتب السياسي ، وأقرّ إصدار المطبوعة الأسبوعية «العهد» ، وارتفع عدد أعضاء الشورى إلى سبعة[٥٣] . لكن ، وعلى الرغم من اختيار اسم «حزب الله وتشكيل المكتب السياسي ، إلا أن ذلك جرى بشكل سري ، كما أن أسبوعية «العهد» لم تقدّم كناطقة رسمية باسم حزب الله . في تلك الأثناء كان مقاتلو حزب الله يعملون تحت عنوان «المقاومة الوطنية اللبنانية» ، ولم يعلن الحزب مسؤوليته عن أي من العمليات الجريئة التي بدأت تترك أثراً في نفوس الجنود الإسرائيليين المحتلين[٥٤] .

المواجهة مع الحكومة اللبنانية

في آذار ١٩٨٣م ، إتخذت قيادة الجيش اللبناني قراراً بارسال قوة إلى البقاع ، وتحديداً إلى المنطقة التي تتمركز فيها المجموعات العسكرية الإسلامية ، وكان واضحاً أن الجيش هدف إلى فرض هيبة رئيس الجمهورية أمين الجميل خارج بيروت . وعلى مفرق بريتال ، تصرف الضباط بعصبية مع مفاوضيهم ، وأطلقوا النار باتجاههم ووقع الصدام ، فاضطر الجيش إلى التراجع . وقد اعتبر هذا الصدام ، بمثابة الظهور العلني الأول للمجموعات العسكرية التي أصبح اسمها يتردد في الأوساط السياسية والشعبية تحت عنوان «حزب الله»[٥٥] .

لكن المواجهة الأهم حدثت بعد ذلك بتسعة أشهر . فقد عمد حزب الله بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٣ من طريق تسيير مظاهرة شعبية ، إلى السيطرة على الثكنة الأساسية للجيش اللبناني المشرفة على مدينة بعلبك ، والمعروفة باسم ثكنة «الشيخ

٥٣- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ٣٥ .

54- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p.51.

٥٥- حسن فضل الله ، م . س . ص ٤٧ .

عبدالله» . في هذه المظاهرة ، دخلت النساء اللبنانيات المتظاهرات بعباءاتهن السوداء وهنّ يحملن الأسلحة إلى الثكنة ، لكن لم تقع عملياً مواجهة مسلحة ، وسلّم عناصر الجيش الثكنة إلى قيادة حزب الله بصورة سلمية ، وغادروها بعد أن أقاموا الصلاة وراء علماء الحزب . وقد برّر قياديو الحزب سبب السيطرة على الثكنة بالقول : «إن الحكومة اللبنانية تضع جيشها في خدمة الأميركيين»[٥٦] . وقد ظلت هذه الثكنة بعد ذلك لمدة عقد من الزمان مركزاً لقوات الحرس الثوري ومعرضاً لقوة حزب الله العسكرية .

حزب الله في بيروت وفي جنوب لبنان

أجبرت ضربات المقاومة المتلاحقة الجيش الإسرائيلي على الانسحاب من بيروت والضاحية والتقهقر حتى نهر الأولي شمالي مدينة صيدا في العام ١٩٨٣ . وبعد سيطرة الهدوء النسبي على بيروت والضاحية ، أرسل حزب الله عالمي دين من مسؤوليه هما السيد إبراهيم أمين السيد والسيد حسن نصرالله إلى ضاحية بيروت الجنوبية التي كانت في ذلك الحين مقراً لحركة أمل ، حيث استقرا هناك كقائدين أساسيين معتمدين لحزب الله في بيروت[٥٧] .

لكن في جنوب لبنان ، أعاقت هيمنة حركة أمل ونفوذها في المنطقة توسع حزب الله بادئ ذي بدء ، غير أن فشل الحركة في مواجهة التحدي الذي فرضه الوجود العسكري الإسرائيلي في الجنوب اللبناني ، أدى إلى ظهور تنظيمات عسكرية أكثر نزوعاً إلى القتال في ظل قيادة علماء دين «راديكاليين» مرتبطين أيديولوجياً بإيران ؛ وقد توحّد هؤلاء تحت راية تجمع علماء جبل عامل الذي ضم - على مستويات أقل

٥٦- صحيفة **الحياة** ، ٢ شباط ١٩٩٠ ، وصحيفة **السفير** ، ٣ أيلول ١٩٨٣ ، وكذلك
Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.35.

٥٧- صحيفة **النهار** ، ٦ شباط ١٩٨٩ ، وكذلك
Hala Jaber, ***Op. Cit.***, pp.52, 54.

بروزاً[٥٨] - عدداً من الخلايا الشيعية الصغيرة المنظمة ، بقيادة الشيخ «راغب حرب» الذي شجع هجمات المقاومة ضد إسرائيل[٥٩] .

هذه المجموعات الصغيرة وهؤلاء العلماء الشبان المتلهبون حماسة شكلوا الركن الأساسي في عملية تمدد حزب الله إلى الجنوب ؛ ونشاطهم المقاوم لم يقوّض نفوذ «أمل» في المنطقة فحسب ، بل شكل أيضاً تهديداً خطيراً للاحتلال العسكري الإسرائيلي نفسه[٦٠] .

وهكذا بات لحزب الله بعد بعلبك وجود في بيروت ، ثم في الجنوب ، لكن على الرغم من صدور بيان بتوقيع حزب الله في العام ١٩٨٤[٦١] ، إلا أن هذا الحزب ظل كما كان عليه يعمل بصورة سرية كاملة ، ولم يبادر إلى الإعلان عن وجوده رسمياً حتى مطلع العام ١٩٨٥ .

خروج القوى الفلسطينية من لبنان

كنا قد ذكرنا أن خطة فيليب حبيب فرضت خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان ، وقد بدأت عملية ترحيلهم في ٢١ آب ١٩٨٢ وانتهت في ٣ أيلول ، وقد وزعوا

58- Augustus Richard Norton, ***Op. Cit.***, p. 112.
- Shimon Shapira, ***Op. Cit.***, p. 128.

59- Martin Kramer, "Redeeming Jerusalem: The Pan-Islamic Premise of Hizballah", in David Menashri (ed.) ***The Iranian Revolution and the Muslim World*** (Boulder, Co: Westview Press, 1990), p.128.
- Shimon Shapira, ***Op. Cit.***, p. 129.

60- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p. 38.

٦١- محمد شمص وحسين مرجي ، **الجمهورية الإسلامية في لبنان** (بيروت : الوكالة الشرقية للتوزيع ، الجزء الأول ١٩٨٩) ، ص ٢٨٣ .
[في آب ١٩٨٤ ، أجرت مجلة الشراع مقابلة مع السيد ابراهيم الأمين ، وأفادت هذه المجلة أنه أحد قادة حزب الله . وفي أيلول ١٩٨٤ ، نشر حزب الله بمناسبة الذكرى الثانية لمجزرة صبر وشاتيلا ، بياناً حمل توقيع الحزب وشعاره] .

على بلدان عربية مختلفة[٦٢] ، ولهذا الغرض دخلت بيروت في ٢١ آب ١٩٨٢ أول فرقة من القوات الدولية المتعددة الجنسيات (أميركيين وفرنسيين وإيطاليين وإنجليز) لمراقبة خروج القوات الفلسطينية ، وقد غادرت لبنان بعد انتهاء مهمتها[٦٣] .

في الوقت الذي تم فيه خروج الفلسطينيين من لبنان ، واستقرار القوات المتعددة الجنسيات ، نجح فيليب حبيب في تهيئة الأرضية الملائمة ، لانتخاب بشير الجميل قائد الميليشيات المسيحية المسماة «القوات اللبنانية» ، رئيساً للجمهورية في لبنان .

ومع الأخذ في الاعتبار انتهاء ولاية رئيس الجمهورية الياس سركيس ، اجتمع المتبقون من أعضاء المجلس النيابي اللبناني في ثكنة «الفياضية» في ٢٣ آب ١٩٨٢ ، وانتخبوا «بشير الجميل» رئيساً للجمهورية ، الذي قتل بعد ذلك بثلاثة أسابيع على إثر انفجار ضخم دمّر مكتبه في مقر حزب الكتائب . وبعد يومين من مقتله أي في ١٦ أيلول أقدمت الميليشيات المسيحية على شن هجوم على مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين ، حيث ارتكبت مجزرة وحشية دون أي رادع ، ذهب ضحيتها ألف وخمسمائة فلسطيني من الأطفال والنساء والشيوخ والعجز كانوا قد تركوا دون حام أو معين بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت . بعد أسبوع من مقتل بشير الجميل إجتمع النواب مرة أخرى وانتخبوا أخيه «أمين الجميل» رئيساً ، وبعد ثلاثة أيام عادت القوات المتعددة الجنسيات إلى لبنان بذريعة حفظ الأمن[٦٤] .

ألحق خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان ضربة قاصمة باليساريين اللبنانيين ،

٦٢- رايزنى فرهنگى جمهورى اسلامى ايران در لبنان ، **كتاب سال آسيا ١٩٩٣ : نگاهى به تاريخ معاصر لبنان** (تهران : مركز اطلاع رسانى سازمان فرهنگى و ارتباطات ، سند شماره ٨٩٠٨) .
[المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في لبنان ، **كتاب آسيا السنوي/ ١٩٩٣ : نظرة في تاريخ لبنان المعاصر** (طهران : مركز االتوثيق ، الوثيقة عدد ٨٠٩٨] .

٦٣- حسن فضل الله ، م . س . ص ٣١ .

٦٤- فضل الله ، م . س . ص ٣٢ ؛ روبين رايت ، م . س . ص ٥٣ ؛ العلاقات الخارجية لحزب الله ، م . س . ص ٤ .

لأنهم كانوا المصدر الأساسي لتسليح معظم المجموعات اليسارية اللبنانية ، كما كانوا في كثير من المناطق الملهمين الإيديولوجيين ، والمرجع الأساسي التنظيمي والمالي لهذه المجموعات . في المقابل ، أقدمت حركة أمل وكذلك الحزب التقدمي الإشتراكي في تلك الفترة ، على الرغم من التأييد الظاهري للفلسطينيين في البيانات ، وعلى الرغم من الراديكالية الكلامية واللفظية في إدانة الاحتلال الإسرائيلي ، على تشكيل مجموعات طائفية مسلحة ، ولم يشارك أي منهما (كتنظيم) في أي عملية ضد الإسرائيليين[٦٥] .

مقاومة الاحتلال الإسرائيلي

بعد أن بدأ الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان ، وبعد التقدم السريع والخاطف لهذا الجيش إلى ضواحي بيروت الجنوبية ، لم ينتظر المقاتلون المتواجدون هنالك تأمين الأسلحة الكافية ، وإنما بدأوا المقاومة بما تيسر لهم من سلاح ، كما بدأوا بتنظيم أنفسهم ، لكن الفرق الهائل في مستوى التسلح وعدم التوازن العسكري ، مكّن إسرائيل من محاصرة بيروت حصاراً كاملاً ، والسيطرة على الطرق الموصلة إليها[٦٦] ، وقد أقدمت في هذه المرحلة مجموعات متفرقة على القيام بعمليات عسكرية بصورة عفوية ضد القوات الإسرائيلية ، كزرع المتفجرات أو إلقاء القنابل على الدوريات الإسرائيلية ، ولم تكن هذه المجموعات مؤطرة في تنظيم معين ، ولم تكن موحدة القيادة ، وكانت عملياتها غير منظمة وهي مجرد ردود أفعال أو كتعبير عن اندفاع عاطفي ، في هذه المرحلة كان للمقاومة منحى «أمني» ولم يكن لها هدف محدد أو برنامج «سياسي»[٦٧] .

65- Joseph Olmert, ***Op. Cit.***, p. 49.

٦٦- كان الطريق الساحلي الشمالي ، هو طريق الدخول الوحيد إلى العاصمة بيروت ، وهو يمر كذلك عبر مركز التحقيق التابع للميليشيات المسيحية . وفي هذا المركز إختطف الدبلوماسيون الإيرانيون الأربعة وفقد أثرهم . راجع : حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ٦٢ .

٦٧- حسن فضل الله ، م . س . ص ص ٨٢ - ٨٣ .

بدأت هذه المجموعات الصغيرة والمتفرقة ترتبط بالتدريج بأحزاب ومنظمات متنوعة ، وأول الأسماء التنظيمية التي استخدمت ، كان «جبهة المقاومة الوطنية» التي صارت مع الوقت عنواناً لكل العمليات العسكرية التي تنفذ ضد الاحتلال ، مع أن الاسم مصدره أحزاب اليسار اللبناني التي دعت في أيلول ١٩٨٢ إلى تشكيل جبهة وطنية لمقاومة الاحتلال ، وصار هذا الإسم يأخذ طريقه إلى الإعلام بشكل منظم مع بداية العام ١٩٨٣ ، عندما كانت الجبهة تحصي العمليات ، وتصدر بياناً أسبوعياً باسمها ، من دون أن تحدد الجهة التنظيمية المسؤولة عن هذه العملية أو تلك ، فأحياناً كثيرة كان يتم ذكر العمليات في البيان الرسمي بعد وقوعها بأيام ، وقد تستقصى من وسائل الإعلام أو من الاعترافات الإسرائيلية[٦٨] .

على الرغم من اتصاف التسمية بصفة يسارية ، إلا أن قوى أخرى استخدمت هذا الاسم ، واصدرت بيانات باسم الجبهة ، أو باسم المقاومة الوطنية ، ومنها حركة أمل ، حتى أن أحد بيانات الجبهة بدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»[٦٩] . وهذا ما تبدأ به عادة بيانات القوى الإسلامية ؛ وظهرت بيانات أخرى عديدة تتبنى العمليات ، منها «الكفاح المسلح» ، «جبهة التحرير اللبنانية» ، «قوات حزيران» ، «جبهة الصمود» ، لكن هذه التسميات لم تعمر طويلاً ، إذ صارت التسمية الملازمة للعمليات هي «المقاومة الوطنية» ، التي تشمل كل أنواع المقاومة المسلحة وجهاتها والقوى المسؤولة عنها[٧٠] .

لقد شكلت البنية التنسيقية الفضفاضة المعروفة باسم المقاومة الوطنية اللبنانية ، كجبهة عريضة للعناصر المدعومة من إيران وسوريا ، بما في ذلك حزب الله الحديث الولادة آنذاك وشرائح معينة ضمن حركة أمل ، إضافة إلى مكوّنات الحركة الوطنية

٦٨- م . ن .

٦٩- البيان المتعلق بعملية «وادي الزينة» صحيفة **السفير** ، ١٤ آذار ١٩٨٣ .

٧٠- حسن فضل الله ، م . س . ص ٨٠ .

اللبنانية ، وبقايا الوجود العسكري الفلسطيني الموالية والمعادية لعرفات على حد سواء ، وتظل درجة التعاون العسكري ضمن المقاومة الوطنية اللبنانية غير مؤكدة ، مثلما هي طبيعة القيادة والدعم اللوجستي المقدمين من سوريا أو من إيران ، لكن هذا كان خيالاً مناسباً من الناحية السياسية أكثر مما كان تنظيماً عسكرياً متماسكاً حقاً[٧١] .

برنامج ضم جنوب لبنان إلى إسرائيل

ما إن فرض الجيش الإسرائيلي سيطرته على الجنوب ، حتى باشر بتعميم قوانينه وسياساته وإشاعة مناخ من التطبيع والعلاقات الاقتصادية المباشرة ، وبدأ الإعلام الإسرائيلي يتحدث عن زيارات متبادلة ، «فبعثة من التجار اللبنانيين وصلت إلى إسرائيل تلبية لدعوة من مدير عام وزارة الصناعة والتجارة»[٧٢] . وبعد أيام أعلن عن «عقد أول صفقة تجارية بقيمة ٣٠ ألف دولار»[٧٣] . وأعلن الجانب الإسرائيلي عن تأمين خدمات بريدية لسكان الجنوب ، ثم أنشأت شركة «إلعال» للطيران مكتباً لها في مدينة صيدا ، لنقل المسافرين عبر المطارات الإسرائيلية ، ورفع العلم الإسرائيلي فوق سراي صيدا الحكومي ، وأقيم سوق للخضار قرب الحدود ، لتجار صيدا وصور والنبطية لنقل البضائع إلى السوق اللبنانية[٧٤] .

وعلى المستوى المالي ، بدأ الإسرائيليون يتصرفون وكأنهم المرجع المالي للمصارف في الجنوب ، فزار وزير المالية الإسرائيلية مصرف لبنان في صيدا ، وتبعه مسؤولون آخرون بهدف التنسيق ، ثم بدأت المصارف الإسرائيلية بإنشاء فروع لها في الجنوب لتمويل الصفقات التجارية ، مع فرض يوم السبت عطلة على المصارف[٧٥] . لقد

٧١- حسين آغا وأحمد خالدي ، م . س . ص ٣٨ .

٧٢- **السفير** ، ٣ تموز ١٩٨٢ .

٧٣- **النهار** ، ٨ تموز ١٩٨٢ .

٧٤- حسن فضل الله ، م . س . ص ٦٤ .

٧٥- م . ن . ص ٦٥ .

تدهورت الحالة الاقتصادية بالتدريج في جنوب لبنان ، لأن محاصيل المنطقة ومنتوجاتها لم تستطع الوصول إلى أسواق بيروت ، أو بقية المناطق اللبنانية . وقد كان تكتيك إسرائيل ضرب اقتصاد الشعب اللبناني[٧٦] .

بدأ الحاكم الإسرائيلي العسكري لكل منطقة ، يتحول إلى مرجع قضائي لفض النزاعات ، أو تحديد مهام مسؤولي الحكومة في الوزارات الخدماتية ، بينما السياح الإسرائيليون يتجولون في المناطق الجنوبية ، وتحول الجنود الإسرائيليون إلى شرطة سير ؛ وهكذا ، بادر الإسرائيليون إلى تحويل جنوب لبنان تدريجياً إلى جزء من الوضع القائم في المناطق العربية المحتلة الخاضعة للقانون الإسرائيلي ، والمفروض على أرضها مستوطنات ، كانت طلائعها في الجنوب إقامة معسكرات للجيش مع بيوت جاهزة ، أخذت تجد أمكنتها على المساحات الخالية[٧٧] .

مقابل السياسات الإسرائيلية هذه ، ظهرت أشكال متعددة من الممانعة الشعبية والمقاومة السلبية في المناطق المحتلة في الجنوب أهمها[٧٨] :

١- رفض التعامل مع العدو وحتى استقباله ، خصوصاً إذا كان الرافضون من القيادات السياسية والدينية ، والإدارات الرسمية اللبنانية ، وكان رمز هذه المواقف الشهيد الشيخ راغب حرب .

٢- رفض المساهمة في إنشاء «الحرس الوطني» و«اللجان المحلية» في معظم القرى والبلدات في الجنوب والبقاع الغربي .

٣- مقاومة التطبيع الاقتصادي من خلال القيام بحملات تدريجية لمقاطعة البضائع الإسرائيلية ورفض التعامل بالعملة الإسرائيلية .

٧٦- روبين رايت ، م . س . ص ١٤٦ .

٧٧ -حسن فضل الله ، م . س . ص ٦٥ .

٧٨- **ومضات من المقاومة الإسلامية** (١٩٩٨) ، ص ٤٥ .

٤- رفض التطبيع الثقافي مع الاحتلال ، والعمل الحثيث من أجل إفشال برنامج تعليم اللغة العبرية .

٥- اللجوء إلى حالات العصيان المدني في وجه قوات الاحتلال ، والتي تجلت في العديد من الإضرابات والاعتصامات .

٦- تنظيم التظاهرات والتجمعات الشعبية ضد المحتلين وعملائهم ، وإطلاق الهتافات المعادية لإسرائيل .

٧- المواجهة العسكرية المباشرة في معارك غير متكافئة مع قوات الاحتلال .

٨- التحركات الشعبية الواسعة ، وخصوصاً لذوي المعتقلين لدى الاحتلال والعملاء .

إن أول انتفاضة شعبية ضد الاحتلال والعملاء ، كانت بقيادة شيخ الشهداء الشيخ راغب حرب[٧٩] ، وكان من نتائجها أن عمّت الانتفاضات الشعبية قرى الجنوب ، إنطلاقاً من المساجد والحسينيات ، والتي أدت إلى إنكفاء قوات الاحتلال من شوارع القرى ، وإقفال مكاتب العملاء في هذه القرى ، وأول مكتب للعملاء أقفل في الجنوب بعد اجتياح ١٩٨٢م ، كان في بلدة جبشيت عبر دعوة وجهها إليهم الشيخ راغب حرب[٨٠] .

٧٩- كان الشيخ راغب حرب الناطق باسم اللجان المؤيدة للثورة الإسلامية ، وكان أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان يشارك في مؤتمر الحركات التحررية في طهران . ثم عاد بعد ذلك إلى بلدته «جبشيت» في جنوب لبنان ، حيث نظم التحركات الشعبية ، إلى أن اعتقله الجيش الإسرائيلي في ١٧/ ٣/ ١٩٨٣ ، لكنه اضطر إلى إخلاء سبيله على إثر الاحتجاج الشعبي الواسع في ٣/ ٤/ ١٩٨٣ ، بعدما تحولت بلدة جبشيت إلى مركز أساسي لتجمع المقاومين . لكن الشيخ راغب حرب تعرض في النهاية لعملية اغتيال على يد عملاء إسرائيل واستشهد في ١٦/ ٢/ ١٩٨٤ . راجع : حسن فضل الله ، م . س . ص ٩٥ .

٨٠- **ومضات من المقاومة الإسلامية** ، ص ٢٦ .

تشكّل المقاومة الإسلامية

بعد إتمامها دورات التدريب العسكرية في البقاع على يد قوات الحرس الثوري، بدأت خلايا المقاومة تتشكل تدريجياً، وقد انتقلت في البداية إلى بيروت المحاصرة، حيث تأسست تنظيمات لتوجيه العمليات، كانت مرتبطة مباشرة وبشكل سري بقيادة المقاومة في البقاع، وقد اتصلت الخلايا المنطلقة من البقاع بالخلايا العفوية التي كانت قد تشكلت في جنوب لبنان، وفي ضاحية بيروت الجنوبية، والتي كانت تعتمد بشكل أساسي على الشباب المتدينين الذين كانت لهم تجارب قتالية في حركة أمل أو في التنظيمات الفلسطينية[٨١] .

تزامن التحرك العسكري الأولي لحزب الله مع المهلة التي أعطتها إسرائيل لياسر عرفات والمقاتلين الفلسطينيين للخروج من لبنان في آب/ ١٩٨٢، وقد بدأ بعمليات محدودة داخل القرى الجنوبية، ثم شرع بتوسيع نطاق هذه العمليات. وكانت أهم عمليات حزب الله العسكرية في تلك المرحلة تفجير مقر قيادة الجيش الإسرائيلي في مدينة صور، حيث قاد شاب جنوبي يدعى «أحمد قصير» بتاريخ ١١ كانون الأول/ ١٩٨٢ سيارة مفخخة بمئات الكيلوغرامات من المواد المتفجرة في عملية استشهادية، إستهدفت المقر وسوّته بالأرض، وقتل في هذه العملية ٧٦ ضابطاً وجندياً إسرائيلياً[٨٢] .

مع تشكل مجموعات المقاومة في المناطق المحتلة، كان عناصرها - المستقرون في هذه المناطق بصورة سرية ويمارسون أعمالاً تمويهية - يهاجمون حين تسنح الفرصة

٨١- حسن فضل الله، م. س. ص ٦٢ .

٨٢- حسن فضل الله، **الخيار الآخر**، ص ٥٦ - كانت المقاومة في البداية تستخدم أسلوب «العمليات الاستشهادية» ضد إسرائيل. وكان أحد المجاهدين العراقيين ويدعى «أبو مريم» قد أقدم قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان، في ربيع العام ١٩٨١، على تفجير السفارة العراقية في بيروت بعملية استشهادية. راجع: حسن فضل الله. م. س. ص ٢٧ .

المناسبة مقرات الجيش الإسرائيلي وقوافله العسكرية، ويلحقون بها الخسائر الفادحة. وكان المنفذون يتخفون خلف مهنهم أو في مدارسهم وحقولهم ومجالهم التجارية، إضافة إلى بقاء بعضهم منضوياً في حركة أمل، التي كانت تمثل غطاءً تنظيمياً يستطيع المنتسبون إليه أن يمارسوا نشاطهم دون أن يكتشف أمرهم، وبخاصة أن الحركة رفعت في تلك المرحلة شعار المقاومة السلبية، شكلاً من أشكال العمل المقاوم للاحتلال[٨٣] .

على المستوى التنظيمي، تم تقسيم الجنوب إلى سبعة قطاعات، وتم تعيين مسؤول لكل قطاع مع نائب له، إضافة إلى مسؤول عن الأمن، مع حوالي ثمانين عنصراً مقاتلاً، كانوا قد نظموا في مجموعات منفصلة، ولا يعرف بعضهم البعض الآخر، حتى داخل المجموعة الواحدة أحياناً، ولم يكن هؤلاء العناصر يتقاضون بدلاً مالياً، إذ كانوا يؤمّنون مصاريفهم من أعمال حرة يمارسونها، وبعضهم كان لا يزال يتابع دراسته أو يمارس مهنة ما. وكان على مسؤولي المجموعات - وهم أنفسهم مسؤولو القطاعات - إستقبال العناصر القادمين إلى قراهم بعد إنهاء مرحلة التدريب في البقاع. أما مسؤولو القطاعات فيرتبطون بشخص واحد هو المسؤول العسكري لمنطقة الجنوب الذي يعتبر صلة الوصل بين المجموعات ومركز القيادة[٨٤] .

وقد اقتضت الأوضاع في الجنوب تشكيل لجنة قيادية كانت تجتمع في ظل الاحتلال، وتتخذ القرارات بشأن المواجهة مع الجيش الإسرائيلي، وإن كان هناك تمايز في هذه القرارات بين ما له شأن عسكري، وتتولاه قيادة ميدانية، وما له شأن شعبي ويخضع لشورى منطقة الجنوب، التي كانت توجه الاعتصامات والنشاطات الشعبية المعادية للاحتلال، وتنظم العلاقة مع علماء الدين الذين كانوا يقودون المعارضة الشعبية؛ لم تكن القيادة العسكرية منفصلة عن الشورى، وإنما كانت ممثلة بمسؤولها،

٨٣- حسن فضل الله، **حرب الإرادات**، ص ص ٧١ و٧٢ .

٨٤- م. ن. ص ص ٧٣ - ٧٤ .

لكنها كانت تتصرف وفق ما تمليه الأوضاع الميدانية ، فالقرار المركزي في هذا الشأن كان واضحاً ، لا مركزية في القرارات لحاجة الجنوب تحت الاحتلال إلى قرارات سريعة ، وهو ما كان يحصل فعلياً . ولم تعتمد منطقة واحدة للعمليات ، وإنما جرت تغطية قرى الجنوب بأكملها ، لكن الضغط العسكري تركز على منطقة شمالي نهر الليطاني ، بينما اختيرت منطقة جنوب النهر لتنظيم الأوضاع وتخزين السلاح ، وكانت بعض القرى مقراً للإجتماعات ولمراكز القيادة ، فتم الحفاظ على الهدوء فيها ، كي لا تفتح عيون الإسرائيليين عليها[85] .

سرعان ما أدان حزب الله حالة التسامح التي وسمت تعاطي الكثير من المسلمين الشيعة مع الجيش الإسرائيلي ؛ وعمد فوراً إلى استخدام نفوذه ؛ وآنذاك ، كان من الضروري التأكيد على أن الجنود (الإسرائيليين) محتلون وليسوا مخلصين[86] ، ولم يكن هذا التأكيد ضرورياً من أجل تنفيذ برنامج حزب الله التعبوي الأولي فحسب ، بل أيضاً من أجل ضمان نجاح النضال واستمراره[87] .

وعلى هذا النحو ، تشكل تحرك حزب الله العسكري في قالب «المقاومة الإسلامية» ، دون تشخيص هوية مقاتلي حزب الله السياسية . رأى القادة المتمركزون في البقاع ، أن ليس من مصلحة المقاومة أن تعلن عن وجودها ، قبل أن يكتمل تنظيمها ويتمكّن ، وكان عليها أن تعلن عن عملياتها في إطار «جبهة المقاومة الوطنية» .

إتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣

بدأت الحكومة الإسرائيلية بعد أربعة أشهر من وصول «أمين الجميل» إلى سدة الرئاسة وتثبيت سلطته ، بإجراء محادثاتها الرسمية مع هذه السلطة ، تحت الوصاية

٨٥- م . ن . ص ٧٥ .

٨٦- في بداية الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ ، شعر الكثير من شيعة لبنان - الذين كانوا قد ذاقوا الأمرّين على يد الميليشيات الفلسطينية المسلحة - بالارتياح ، لأن هذا الاجتياح أدى إلى خروج المسلحين الفلسطينيين من لبنان .

87- Hala Jaber, *Op. Cit.*, p.50.

الأميركية . كان الهدف من هذه المحادثات توقيع اتفاقية سلام ، وتشريع الاحتلال الإسرائيلي للجنوب . بدأت الجولة الأولى من المفاوضات ، في ٢٨ كانون الأول ١٩٨٢ ، في فندق «ليبانون بيتش» في خلدة ، وحضرتها وفود مثلت الحكومة اللبنانية والحكومة الإسرائيلية والإدارة الأميركية . وعقدت الجولة الثانية في كريات شمونة شمالي فلسطين ، ثم توالى انعقاد الجولات على مدى أربع وثلاثين جولة ، إنتهت بوضع نص اتفاق بين لبنان وإسرائيل ، وافق عليه مجلس الوزراء الإسرائيلي في ٦ أيار ١٩٨٣ ، ووافق عليه مجلس الوزراء اللبناني في الرابع عشر من الشهر ذاته ؛ وفي ١٧ أيار ، تم توقيع الإتفاق في «خلدة» وفي «كريات شمونة» شمالي فلسطين ، وأحاله رئيس الجمهورية اللبنانية إلى المجلس النيابي الذي صدّقه في منتصف حزيران[88] .

أهم بنود هذا الاتفاق ، هو البند المتعلق بالترتيبات الأمنية في جنوب لبنان . في هذا الإطار يستقر الجيش الإسرائيلي في منطقة عيّن هو حدودها ، يتولى فيها المحافظة على الأمن ، وكان هذا معناه إعطاء المشروعية للإحتلال ، إستناداً إلى فحوى اتفاق ١٧ أيار الذي سمحت بنوده للميليشيا المسلحة الموالية لإسرائيل بالسيطرة على شريط عرضه ٣٠ ميلاً في جنوب لبنان ، كما سمحت للجيش الإسرائيلي بتسيير دوريات مشتركة مع الجيش اللبناني وصولاً إلى نهر «الأولي» شمالي صيدا[89] . وتتعلق باقي بنود الاتفاق بتطبيع العلاقات ، وتبادل السفراء ، وتأسيس العلاقات الاقتصادية والثقافية وغيرها . .

كان هذا الاتفاق معيباً إلى حد أن «ريمون إده» أحد الزعماء اللبنانيين المسيحيين ،

٨٨- المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان . م . س . وحسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ٤٨ .

٨٩- حسن فضل الله ، م . س . ص ٥٠ وكذلك :

Hala Jaber, *Ibid.*

وصفه بأنه معاهدة استسلام، ونصرٌ لإسرائيل، وبأن لبنان هو الخاسر الأكبر[٩٠]. واعتبر سليمان فرنجية رئيس جمهورية لبنان الأسبق يوم توقيع المعاهدة «يوم شؤم في تاريخ لبنان»، وقال: «نحن بتوقيع هذه الاتفاقية، خسرنا الدنيا والآخرة، ووقعنا في المصيدة الأميركية»[٩١]. في الواقع، يعدّ اتفاق ١٧ أيار المعاهدة الثانية بين إسرائيل وإحدى الدول العربية، بعد معاهدة «كامب ديفيد» التي وقّعتها مصر مع إسرائيل في العام ١٩٧٩.

أثار توقيع الاتفاقية موجة من الغضب والاستنكار في أوساط المسلمين، وبخاصة الحركات الإسلامية، وقد اعتصم علماء الدين بدعوة من «تجمع العلماء المسلمين» من الشيعة والسنّة في مسجد الإمام الرضا(ع) في «بئر العبد» في منطقة الضاحية الجنوبية، كما تجمع المواطنون وتظاهروا أمام المسجد تأييداً ودعماً لهذا الاعتصام. وطوّق الجيش اللبناني المكان، وكانت حصيلة الصدام الذي جرى بعيد انتهاء الاعتصام، إستشهاد أحد الأشخاص وجرح آخرين. حمّلت الحكومة اللبنانية إيران مسؤولية هذا الاعتصام، وهددت بقطع العلاقات بين البلدين. لكن الشعب اللبناني منع بتظاهراته خروج القائم بالأعمال الإيراني من لبنان[٩٢].

النضال ضد الغرب

إن أدوار أميركا والدول الغربية في دعم الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان،

٩٠- **النهار**، ١٨ حزيران ١٩٨٣.

٩١- **السفير**، ١٨ أيار ١٩٨٣.

٩٢- رايزنى فرهنگى جمهورى اسلامى ايران در لبنان، «**آشنايى با تجمع علماى مسلمين**» (تهران: مركز اطلاع رسانى سازمان فرهنگى و ارتباطات، سند شماره ٦٠٧١).
[المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في لبنان، «**التعرف إلى تجمع العلماء المسلمين**» (طهران: مركز التوثيق، الوثيقة ٦٠٧١].

حسن فضل الله، **الخيار الآخر**، ص ٨٤.

وفي دعم حكومة أمين الجميل بواسطة القوات المتعددة الجنسيات[٩٣]، وكذلك دور أميركا في توقيع اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣، مهد الأرضية الملائمة للمواجهة بين اللبنانيين والغرب[٩٤].

حصلت هذه المواجهة في ١٨ نيسان ١٩٨٣. ففي هذا اليوم هز انفجار ضخم السفارة الأميركية في بيروت، وقد أدى الانفجار إلى تهديم قسم أساسي من مبنى السفارة، وإلى قتل «روبرت آميس» المندوب الأسبق لمنظمة «سي. آي. إيه» في لبنان وثمانية عناصر من أعضائها السريين، فقضي بذلك على القيادة الجاسوسية «سي. آي. إيه» في لبنان[٩٥]. وكان هذا الانفجار بداية حرب طويلة ضد التواجد السياسي والعسكري والثقافي للغرب في لبنان.

ظلت القوات الأميركية حتى صيف العام ١٩٨٣ تسعى لأن تظهر بمظهر القوات المحايدة، إلى أن وقعت أولى الحادثتين المصيريتين؛ ففي يوم الأحد ٢٨ آب ١٩٨٣ هاجمت الميليشيات المسيحية الشبان المسلمين في بيروت الغربية. ثم انجرَّ الجيش اللبناني بذريعة دعم المسيحيين إلى هذه المواجهة، التي اتسعت رقعتها بسرعة، وقد كان الشيعة وسائر الفصائل الإسلامية، قد أعلنوا من قبل أن الجيش الذي يسيطر على قيادته المسيحيون الموارنة قد اتخذ موقفاً عدائياً منهم؛ وفي مدة لا تتجاوز الأربع وعشرين ساعة كان ١٣ ألف جندي لبناني (أي ٤٠٪ من تعداد الجيش) في حالة

٩٣- في العام ١٩٨٣، حضر إلى بيروت ٢١٠٠ عنصر من أفراد القوات المتعددة الجنسيات المؤلفة من ١٦٠٠ عنصر أميركي، مئتي عنصر فرنسي، ومئتي إيطالي ومئة انكليزي.

٩٤- في شهر محرم من العام ١٩٨٢، وأثناء مسيرة ذكرى عاشوراء على طريق المطار، كانت سيارات المارينز تواجه بهتافات معادية، وبدعوات للرحيل، وعلقت صور الإمام الخميني على شاحنات الأميركيين، ولكن الإدارة الأميركية لم تلتفت إلى حقيقة المشاعر المعادية لها في بيروت، وظلت مراهنة على حكم الجميل. وقد شاركت فرنسا مباشرة في دعم حكم الجميل، ولذلك لم تلق احتراماً في الأوساط الإسلامية.
راجع: حسن فضل الله، **الخيار الآخر**، ص ص ٦٩ - ٧٠.

٩٥- روبين رايت، م. س. ص ٧ وكذلك:
Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p 91.

تأهب كاملة ، «ليخوضوا أكبر الحروب في تاريخ لبنان» ، بحسب قول المستشارين الأميركيين[٩٦] .

دخل الجيش اللبناني الحرب ضد مسلمي بيروت سنّة وشيعة ، واستمرت المعارك أربعة أيام ، وعلى الرغم من تفوق الجيش من حيث العدة والعتاد والتدريب والأعداد ، إلا أنه خسر ٣٦ قتيلاً و١٦٠ جريحاً ، كما قتل اثنان من جنود المشاة الأميركيين وأربعة جنود فرنسيين وأكثر من ٩٠ مدنياً ، في الوقت الذي اختبأ فيه أهل بيروت الغربية في الملاجئ وأقبية المنازل ، وقد تمكن الجيش بفضل معداته وتجهيزاته أن يسيطر على جزء من بيروت الغربية ويسترجع مركزه في وسطها ، ولكنه لم يتمكن من الدخول إلى الضاحية ، التي كانت تحت سيطرة المقاتلين الشيعة ، الذين وقفوا على الرغم من تجهيزات الجيش الضخمة على رأس المواجهات المسلحة ضد حكم أمين الجميل .

لقد تزعزعت صورة أميركا وصورة جيشها واعتبارهما ، بعد أن دخل الجنود الأميركيون بالتدريج طرفاً في الصدامات الداخلية ، وكلما كان شعور العداء تجاه هؤلاء الجنود الأميركيين يتزايد ، كلما عملت أميركا على زيادة أعداد قواتها العسكرية .

الحادثة الثانية كانت تدخل الأميركيين في صدامات منطقة الشوف لمصلحة المسيحيين في مواجهة الأقلية الدرزية ، حيث هاجم الأميركيون مراكز الدروز ، وفقدوا بذلك حيادهم المزعوم وكذلك اعتبارهم في لبنان . منذ ذلك الحين ، وما بعده ، وتعبيراً عن التعاون بين المسيحيين وقوات المشاة الأميركية سمِّي المستشارون الأميركيون «قوات الشرطة الدولية في لبنان» ، لذلك صاروا هدفاً لهجمات المقاومة اللبنانية ، كممثلين لسلطة أميركا السياسية[٩٧] .

٩٦- م . ن . ص ٥٨ .

٩٧- م . ن . ص ص ٥٨ - ٦٠ .

في صباح يوم الأحد ٢٣ تشرين الأول ١٩٨٣م ، تعرض مقر المشاة الأميركيين قرب مطار بيروت الدولي ، وكذلك مقر المظليين الفرنسيين ، المشاركين في القوات المتعددة الجنسيات ، إلى هجومين بواسطة شاحنتين ملغومتين بالمتفجرات ، وقد قتل ٢٤١ أميركياً و٥٨ فرنسياً وجرح عشرات آخرون ، «وكانت هذه أكبر فاجعة تلحق بالأميركيين بعد حرب فيتنام»[٩٨] .

كان صعباً تحديد القوة المسؤولة عن هذه التفجيرات ، والتي تدبّر هذا النوع من العمليات بصورة سرية ومن وراء الستار . بعد ساعات من وقوع الانفجارين ، إتصل مجهول بوكالة الأنباء الفرنسية في بيروت ، وأعلن باسم جماعة غير معروفة [في ذلك الحين] ، باسم «الجهاد الإسلامي» المسؤولية عن العمليتين وقال : «نحن جنود الله ، لسنا إيرانيين ولا سوريين ولا فلسطينيين ، بل نحن مسلمون نطيع أوامر الله وتعاليم القرآن»[٩٩] ، وبحسب قول روبين رايت : «إن العملية الانتحارية ، لم تكن حادثة محدودة محصورة ، وإنما كانت حركة ليس بإمكان أحد التصدي لها ، لا المنظمات الأمنية ، ولا نخب الدولة العظمى في العالم الحر»[١٠٠] .

في ٤ كانون الأول/ ١٩٨٣ فجرت شاحنة محملة بالمواد المتفجرة مبنى مدرسة الشجرة في مدينة صور ، وكانت تستخدمه القوات الإسرائيلية كمركز لقيادتها ، حيث قتل في هذه العملية الاستشهادية ٢٩ ضابطاً وجندياً إسرائيلياً . وقد جاءت هذه العملية رداً على حادثة عاشوراء ١٦ تشرين الأول/ ١٩٨٣ ، يوم اقتحم الجنود الإسرائيليون حسينية بلدة معركة [في منطقة صور] حيث كانت تقام مجالس العزاء ، وقتلوا شخصين وجرحوا خمسة عشر آخرين ، ورد المواطنون بالمثل ، فأطلق أحدهم

٩٨- م . س . ص ٨ وحسن فضل الله ، م . س . ص ٦٧ .

٩٩- روبين رايت ، م . س . ص ٥٥ ، و حسن فضل الله ، م . س .

١٠٠- روبين رايت ، م . س . ص ص٨-٩ .

النار على الجيش الإسرائيلي[١٠١] .

قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف مراكز الفلسطينيين في شرق لبنان وأمطرتها بالقنابل قبل أن تتأكد من هوية المجموعة أو المنظمة المسؤولة عن تفجير مقر القيادة الإسرائيلية في صور ؛ وبعد عدة أيام من عملية التفجير ، إتصل ناطق باسم منظمة الجهاد الإسلامي وأعلن - بفخر - مسؤوليتها عن هذا الانفجار . وكذلك أغارت أربع عشرة طائرة فرنسية على سهل البقاع وقتلت وجرحت عدداً كبيراً من سكان مدينة بعلبك ، وقد كان «غاسبار واينبرغر» وزير الدفاع الأميركي معارضاً للمشاركة الأميركية في هذه الحملة الجوية ، لذلك تعمد أن يتأخر في ابلاغ أوامر الرئيس الأميركي رونالد ريغان إلى الأسطول السادس الأميركي في البحر المتوسط ، لكن القاعدة البحرية «نيوجرسي» قصفت بالمدفعية المناطق الشيعية في برج البراجنة وحي السلم في ضاحية بيروت الجنوبية[١٠٢] .

في ١٢ كانون الأول ١٩٨٣ إقتحمت شاحنة محملة بالمواد المتفجرة مدخل السفارة الأميركية في الكويت وانفجرت في ساحتها ، وقد كان هذا الانفجار ، سادس انفجار يهز هذا البلد الصغير ، أما الانفجارات الأخرى فقد استهدفت على التوالي : السفارة الفرنسية ، إحدى محطات الكهرباء ، مصفاة نفط ، تجمع سكني للأميركيين . وقد اعتقلت قوات الأمن الكويتية عدة لبنانين وعراقيين بتهمة الضلوع في هذه العمليات وأخضعتهم للمحاكمة[١٠٣] .

١٠١- م . ن . ص ١٦٥ وكذلك

Augustus Richard Norton, ***External Intervention and the Politics of Lebanon*** (Washington, D.C.: Washington Institute for Values in Public Policy, 1984), pp. 12 - 13.

١٠٢- حسن فضل الله ، م . س . ٦٨ .

روبين رايت ، م . س . ص ٥٦ .

وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٤٥ .

١٠٣- روبين رايت ، م . س . ص ٧٩ .

بعد ثلاثة أشهر من وقوع الانفجارات في بيروت ، تلقى علي أكبر محتشمي پور سفير إيران - في حينه - في دمشق رزمة بريدية تحتوي على كتاب عن الأماكن المقدسة الإسلامية ، وما إن فتح الرزمة حتى انفجرت ، وبُترت أصابع يده . كذلك فإن الحكومة اللبنانية أقدمت أيضاً بعد تفجيرات بيروت على طرد الدبلوماسيين الإيرانيين في لبنان ، لكن العلاقات السياسية بين البلدين أعيدت إلى طبيعتها بعد ستة أشهر[١٠٤] .

في ٢٠ أيلول ١٩٨٤ هز انفجار ضخم مبنى فرعي للسفارة الأميركية في شرق بيروت ، أسفر عن قتل «كنث وولش» ضابط المخابرات في وزارة الدفاع الأميركية وثلاثة عشر آخرين وجرح أكثر من ثلاثين . هذا الانفجار كسوابقه كانت دوافعه ومسوّغاته واضحة ، فالحكومة الأميركية أقدمت قبل ذلك بأسبوعين على استخدام حق النقض (الفيتو) ، ضد قرار أصدره مجلس الأمن الدولي يدين إسرائيل لإعتدائها على السكان المدنيين في جنوب لبنان . وقد أصدرت منظمة «الجهاد الإسلامي» بياناً تقول فيه «إن هذا التجاهل المستمر لحقوق شعبنا ، سيكون له جوابه المناسب ، إن إحدى عملياتنا ستستهدف قريباً أهم المؤسسات الأميركية في الشرق الأوسط ، وأبطالنا مستعدون للتضحية بأرواحهم ، من أجل إزالة إحدى المؤسسات الأميركية أو الإسرائيلية من الوجود»[١٠٥] .

كان عدد الأميركيين في العام ١٩٨٣م هو الأكبر بين أعداد الأجانب في لبنان ، وكان حوالي ١٩٠ أميركياً يعملون في لبنان ضمن مهمات سرية . وبعد تفجيرات بيروت ، تقلص عدد الأميركيين إلى ستة من الدبلوماسيين الذين كانت مهماتهم غير سياسية . «لقد دعت منظمة الجهاد الإسلامي أميركا إلى المبارزة ، وانتصرت عليها في الجولة الأولى»[١٠٦] .

١٠٤- م . ن . ص ص ٦٨ - ٧١ .

١٠٥- م . ن . ص ص ١٣ - ٨٠ .

١٠٦- م . ن . ص ٨١ .

يزعم الدكتور «نزار حمزة» أن «الجهاد الإسلامي ، هي الأخت التوأم للمقاومة الإسلامية ، فهي ولدت على يد حزب الله ، وأعلنت مسؤوليتها عن التفجيرات «الانتحارية» التي استهدفت السفارة الأميركية ومقر المشاة الأميركية ومركز المظليين الفرنسيين في بيروت»[١٠٧] . لكن حزب الله يقول على لسان أمينه العام عن عمليات الجهاد الإسلامي : «إن عناصر الجهاد هم إخوتنا ، ولكن لهم أسلوبهم الخاص بهم»[١٠٨] .

محرّرا كتاب «سوريا وإيران» يعتقدان أن العمليات الاستشهادية شكّلت بالنسبة إلى الإسرائيليين والقوى الغربية الأخرى مؤشراً للوصول إلى شكل قاتل ومباغت من الأعمال العدائية ، بدت الأشكال القديمة «للإرهاب» الفلسطيني أليفة مقارنة معها[١٠٩] .

يقول «يوسي أولمرت» المحلل الإسرائيلي أيضاً عن تأثير العمليات الإستشهادية في أوساط الشيعة اللبنانيين : «إن الأصوليين الراديكاليين قد أثبتوا بعملياتهم الانتحارية ، أنهم وإن كانوا لا يشكلون في هذه المرحلة الأكثرية العددية داخل الطائفة الشيعية ، لكن استعدادهم لاستخدام أساليب راديكالية ، منحهم تفوقاً ملحوظاً على مخالفيهم في أوساط الطائفة الشيعية في لبنان ، وأدى إلى إضعاف حركة أمل وزعيمها نبيه بري»[١١٠] .

١٠٧- نزار حمزه ، «حزب الله لبنان : از انقلاب اسلامى تا سازش پارلمانى» ، ترجمه بهروز ابوئى مهريزى ، **دانش سياسى** ، پيش شماره سوم ، بهمن و اسفند ١٣٧٢ ، مركز تحقيقات دانشگاه امام صادق (ع) ، دفتر مطالعات سياسى ، ص ٢٢ .

[نزار حمزة «حزب الله اللبناني : من الثورة الإسلامية إلى التسوية البرلمانية» . ترجمة بهروز ابوئي مهريزي ، فصلية **العلوم السياسية** ، العدد الثالث (كانون الثاني وشباط ١٩٩٣) ، مركز دراسات جامعة الإمام الصادق ، مكتب الدراسات السياسية ، ص ٢٢] .

١٠٨- أسبوعية «**المجلة**» ، «الشيعة في لبنان» العدد ٩١٥ ؛ ٢٤ آب ١٩٩٧ .

١٠٩- أحمد خالدي وحسين ج . آغا ، م . س . ص ص ٣٩ - ٤٠ .

110- Joseph Olmert, ***Op. Cit.***, pp. 51 - 52.

الشيعة وحكم أمين الجميل

في ٢١ أيلول ١٩٨٢ ، إنتخب أمين الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية ، وبعد يومين تسلّم مهامه متعهداً مواصلة خطى أخيه بشير ، وهذه الخطى هي استمرار العلاقة مع «إسرائيل» ، عبر توقيع معاهدة سلام منفردة تلبي المطالب الإسرائيلية التي دفعت إلى تنفيذ عملية الاجتياح . وقد بدأ عهد أمين الجميل باستدعاء القوات المتعددة الجنسيات ، وعجّ قصر بعبدا بالمستشارين الأميركيين الذين كانوا يتدخلون في كل شاردة وواردة ، ويحكمون لبنان بطريقة غير مباشرة[١١١] .

أقسم الجميل أنه ، قبل أي شيء آخر ، سيعمل على توحيد «بيروت الكبرى» كخطوة أولى لترميم سلطة الحكومة المركزية . وكانت شروط ذلك متوافرة بحسب اعتقاده ، لأن المقاتلين الفلسطينيين كانوا قد أخرجوا من لبنان ، والاحتلال الإسرائيلي القصير الأجل لبيروت أضعف قوة اليساريين . ومن ناحية أخرى لم يكن في نية حركة أمل مواجهة حكم أمين الجميل . إضافة إلى ذلك ، كانت القوات المتعددة الجنسيات قد استقرت في بيروت ، وكانت مهمة هذه القوات الأساسية حماية حكم الجميل ودعمه .

على الرغم من هذه الظروف الملائمة ، فقد تبين أن الجميل ليس سياسياً قديراً ولا بعيد النظر . فقد أعطى أوامر للجيش اللبناني بتوقيف اللاجئين الفلسطينيين واعتقالهم ، وبقصف الضاحية الجنوبية وتدميرها ، هذا الواقع أظهر فقدانه للحس السياسي ، لأن الشيعة في هذه المرحلة - عدا الأصوليين - كان موقفهم حيادياً بالنسبة إلى حكومته ، فشعروا أن الجميل والميليشيات المارونية قد اتحدوا مع زعماء بيروت الغربية وبخاصة رئيسي الحكومة السابقين شفيق الوزان وصائب سلام ، ضد الشيعة والدروز . وكانت النتيجة أن حركة أمل وثقت تحالفها مع جنبلاط وحزبه من ناحية ،

١١١- حسن فضل الله ، م . س . ص ٤٦ .

ومع سوريا وبقية الكتل السياسية المعارضة لأمين الجميل من ناحية أخرى[١١٢] .

مع ذلك ، كان نبيه بري والشيخ محمد مهدي شمس الدين (على الرغم من عدم انسجامهما الكامل) ، يعتقدان أن هنالك إمكانية لإجراء حوار مع رئيس الجمهورية ، لذلك أبدت حركة أمل تحفظاً على المشاركة عملياً في الجبهات المختلفة التي شكلها اليساريون المؤيدون لسوريا ، وطرحت في المقابل مطالبها من حكومة الجميل ، ووضعت شروطاً للتعاون معه ، من ضمنها اعتماد طريق حل لبناني لإخراج الإسرائيليين من لبنان ، مع التأييد لفكرة خروج جميع القوات الأجنبية من لبنان (التي تشمل ضمناً القوات السورية)[١١٣] .

من وجهة نظر حركة أمل ، كان عرض الشروط المذكورة للتعاون ولإجراء الحوار مع رئيس الجمهورية ضرورياً جداً ، لأن عدم قيام «أمل» بهذه الخطوة ، معناه تأكيد صحة ادعاء الأصوليين المتمركزين في البقاع ، الذين كانوا قد أعلنوا انهيار الحكم اللبناني وعجزه ، وعدم فعاليته خارجياً .

على الرغم مما ذكرنا ، إستنكف أمين الجميل - وبإصرار - عن إجراء المحادثات مع حركة أمل ، لأنه كان يعتقد أنه باعتماده على الجيش الذي يعيد بناء نفسه ، ودعم القوات المتعددة الجنسيات له ، ستتمكن دولته من فرض سلطتها المركزية . كما أن الجميل كان يتصور أنه ليس بحاجة إلى الشيعة من الناحية السياسية ، لأنه كان يعتقد أن هذه الطائفة ليست مفتاح المصالحة الداخلية ، التي يمكن أن تتبدل إلى مصالحة مقبولة في العالم العربي ؛ ونظرة الجميل هذه ليست منفصلة عن مسار التاريخ اللبناني ، لأن التحالف بين الموارنة والسنّة ، كان منذ بداية تأسيس دولة لبنان المستقلة هو الذي أحكم أسس هذه الدولة ، وكان أهل السنّة في الواقع هم مفتاح الارتباط مع العالم العربي . ولم يكن للشيعة مكان داخل إطار الرؤية التاريخية للموارنة ، ولم يتم

112- Joseph Olmert, ***Op. Cit.***, p. 45.

١١٣- **السفير** ، ٢٩ آب ١٩٨٣ .

الاعتراف الرسمي بالشيعة - بوضعهم الجديد - إلا في منتصف الثمانينات ، وكان هذا الأمر يعد حدثاً استثنائياً ، في قواعد اللعبة المتعارف عليها على المسرح السياسي اللبناني .

في آب من العام ١٩٨٣ ، كان كل شيء مهيئاً على المستوى النفسي للمواجهة مع السلطة ، وقد استطاعت القوى العسكرية الشيعية في الضاحية طرد الجيش منها والسيطرة على أحيائها ، في الوقت الذي كان الحزب التقدمي الاشتراكي في الجبل يطرد ميليشيات الكتائب ، وترافق ذلك مع الانسحاب الإسرائيلي الأول إلى نهر الأولي[١١٤] .

أمين الجميل الذي كان شاهداً على هذه الهزائم ، ضعف موقفه ، لذلك اقترح عقد مؤتمر «مصالحة وطنية» بمشاركة جميع الفرقاء اللبنانيين . إنعقد هذا المؤتمر في ٣١ تشرين الأول في جنيف في سويسرا واستمر حتى ٤ كانون الأول ١٩٨٣ ، وقد شاركت فيه كل القوى اللبنانية ذات المصلحة عدا حزب الله . لم يصل هذا المؤتمر إلى أي نتيجة محددة ، لأن الجميل لم يكن مستعداً للإنصياع إلى ما يطلبه المعارضون لسياسته أي إلغاء اتفاق ١٧ أيار مع إسرائيل[١١٥] .

وقد شهدت الضاحية الجنوبية في الفترة الممتدة من آب ١٩٨٣ وحتى شباط ١٩٨٤ إشتباكات وعمليات تدمير إفتعلها الجيش اللبناني مدعوماً من القوات الأميركية ، التي تمركزت بوارجها ومدافعها على الشاطئ قرب أطراف الضاحية . وقد صب الأميركيون حممهم على أحياء الضاحية ، ثم أشاروا على حكومة الجميل بضرورة تصفية مواقع «الأصوليين» باجتياح الضاحية ، التي تعرضت في الخامس من شباط العام ١٩٨٤ لهجوم الجيش اللبناني المدعوم من المدفعية الأميركية ؛ وفي السادس من شباط تفجرت المعركة الفاصلة بين المقاتلين الشيعة من جهة والجيش من

١١٤- حسن فضل الله ، م . س . ص ٥١ .

١١٥- المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان ، **الوثيقة عدد ٨٩٠٨** .

جهة ثانية . وبعد قصف الجيش اللبناني للضاحية الجنوبية في ٦ شباط ١٩٨٤ ، إنشق اللواء السادس (غالبية أفراده من الشيعة) عن الجيش لينضم إلى المعارضة التي سيطرت على غرب بيروت ، فعادت خطوط التماس إلى سابق عهدها ، منذ ذلك التاريخ وحتى العام ١٩٨٩[١١٦] . هذا التحول المهم أفضى إلى هزيمة الجيش في الضاحية ، لكن أمين الجميل ، على الرغم من خسارته وانقسام الجيش ، أعلن مقابل شعارات معارضة كانت تطالب بإسقاط «النظام الكتائبي غير القانوني» ، شعار «فقاقيع الصابون»[١١٧] .

لم يدرك الجميل ومستشاره وحزبه (الكتائب) وكذلك معظم الموارنة في هذه المرحلة ، أن الساحة اللبنانية قد تجاوزت زلزالاً رهيباً ، واستجدت ظروف ، العودة عنها مستحيلة . كانوا يعدّون أوضاع بيروت التي يسكنها مئات الآلاف من الشيعة في ضاحيتها الجنوبية عامل قلق فحسب ، ولم يدركوا عمق الواقع ، لذلك رفضوا اقتراحات قادة «أمل» التي تدعو إلى التفاوض والحوار والمصالحة ؛ وهكذا اقترب نبيه بري من لحظة القرار الحاسم ، هل يمكنه الاستسلام إلى الوضع الراهن فيعرّض نفسه لضغط الشيعة وبخاصة الأصوليين الذين كانوا يقولون إن سياساته غير مجدية؟ أم أنه يجب أن يتخذ موقفاً من القوات المارونية ويهب لمواجهتها؟

في شباط ١٩٨٤ ، إختار نبيه بري الخيار الثاني وتحالف مع وليد جنبلاط ، وقد أثبت الفريقان أنهما بتحالفهما وبالاعتماد على الدعم السوري ، أقوى من أمين الجميل ، وقد استطاعت «أمل» في شباط ١٩٨٤ بالتنسيق مع جنبلاط وبمساعدة

١١٦- م . ن . وكذلك :

منى حرب القاق ، **سياسات التنظيم المدني في الضاحية الجنوبية لبيروت** ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث (بيروت ، ١٩٩٨) ، ص ١٢ .

وحسن فضل الله ، م . س . ص ٥٢ .

١١٧- م . ن . ص ٤٦ .

حزب الله ، أن تسيطر على بيروت الغربية[١١٨] . وهكذا تكاملت مسيرة التاريخ ، لأن مدينة بيروت التي يسكنها المسيحيون والسنّة ، صارت إلى حد كبير في العام ١٩٨٤ تحت سيطرة الشيعة ، الذين كانوا قد هجروا إليها بالتدريج من الجنوب والبقاع ، ولم يعد باستطاعة أحد منذ ذلك التاريخ - أن يتجاهلهم أو أن ينظر إليهم كمواطنين من الدرجة الثانية ، وبخاصة أن قوة الأصوليين الشيعة كانت تتزايد يوماً بعد يوم . وهكذا نضج مسار التسييس والراديكالية في أوساط الطائفة الشيعية ووصل إلى أوجه ، لكن الإسلاميين في تلك المرحلة ، لم يتمكنوا من الاستفادة اللازمة من هذا الانتصار العسكري ، وصار نبيه بري في الواقع كمنتصر في الحرب ، المفاوض الشيعي الوحيد المقبول من جميع الاطراف داخلياً وخارجياً .

خروج القوات المتعددة الجنسيات من لبنان

في النهاية ، قررت الدول الغربية المشاركة في القوات المتعددة الجنسيات سحب قواتها من لبنان ؛ فالعمليات الإستشهادية التي ألحقت خسائر فادحة بالعسكريين الأميركيين والفرنسيين ، وكذلك هزيمة الجيش اللبناني في مواجهته للإسلاميين ومعارضي حكم أمين الجميل ، كانت نتيجتها أن سحبت أميركا وبريطانيا وإيطاليا قواتها من لبنان في شباط ١٩٨٤ ، وفعلت فرنسا الأمر نفسه مضطرة في آذار ١٩٨٤ ، وهكذا تشرذمت القوات المتعددة الجنسيات[١١٩] .

اعتبر خروج القوات المتعددة الجنسيات إنتصاراً حاسماً لحزب الله ، ونظر الشيعة إلى حزب الله نظرة إعجاب لأنه استطاع طرد أعدائهم الأجانب . وأعطى ذلك لحزب الله موقعاً متقدماً ونوعاً من الاعتبار الثوري في أوساط الشيعة ، قياساً إلى «أمل» التي

118- Joseph Olmert, ***Op. Cit.***, pp. 56 - 57.

١١٩- روبين رايت ، م . س . ص ٧١ وكذلك :

Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p. 90.

كانت تعمل على تقوية قواعدها الشعبية(١٢٠) .

يقول «كاسبار واينبرغر» وزير الدفاع الأميركي الأسبق في كتابه «صراع من أجل السلام أو سبع سنوات من الاضطراب» : «كنت دائماً أعتقد أن مشاركة أميركا في القوات المتعددة الجنسيات لا فائدة منها ، ولكن أصحاب القرار في البيت الأبيض ، لعبوا على مشاعر القلق لدى الرئيس ريغان ، وأصروا على أن وجودنا العسكري في لبنان يخدم أهداف أميركا فيه ، ولكننا تراجعنا مخلّفين وراءنا مئات القتلى ، وهكذا نكون قد أمضينا أسوأ مرحلة في تاريخ البنتاغون وأشدها إيلاماً»(١٢١) .

إلغاء اتفاق ١٧ أيار

بخروج القوات المتعددة الجنسيات من لبنان ، وانسحاب إسرائيل من محيط بيروت إلى نهر الأولي ، وجد أمين الجميل نفسه في موقف ضعيف ، حيث أجبر على إلغاء اتفاق ١٧ أيار . ففي ٥ آذار ١٩٨٤ أعلنت الحكومة اللبنانية إلغاء الاتفاق ومفاعيله(١٢٢) . ومن ثم اقترح الجميل للمرة الثانية عقد مؤتمر الوفاق الوطني . وقد عقد هذا المؤتمر في ١٢ آذار ١٩٨٤ في مدينة لوزان في سويسرا ، وأعلن الجميل في أثناء انعقاده موافقته على وقف إطلاق النار ، وبعد ذلك شكلت حكومة «الوفاق الوطني» ، ودخل نبيه بري ووليد جنبلاط فيها كوزيرين»(١٢٣) .

ورداً على قرار الجميل بإلغاء اتفاق ١٧ أيار ، أقدمت سوريا على إقفال مقر الحرس الثوري في بعلبك ، لكن على إثر زيارة آية الله الخامنئي رئيس جمهورية إيران في حينه لدمشق ، عاد الحرس إلى ممارسة نشاطهم ، وعادت إذاعتهم «صوت المستضعفين»

120- Martin Kramer, "Sacrifice and Fraticide in Shiite Lebanon", ***Terrorism and Political Violence***, Vol.3, No.3, (Autumn 1991), pp. 23 - 46.

١٢١- المجلة الشهرية «بيان» الإيرانية ، العدد ٣ ، حزيران ١٩٩٠ ، ص ٦٦ .

122- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.53.

١٢٣- حسن فضل الله ، م . س . ص ٥٣ .

تبث البرامج من جديد ، وأخذوا مبنى دار المعلمين في بعلبك وحولوه إلى مستشفى ، ودخل الإسلاميون المتواجدون في بعلبك باختيارهم اسم «حزب الله» ، وشعاراً محدداً لهم ، الساحة السياسية بشكل وتنظيم جديدين(١٢٤) .

في خريف العام ١٩٨٤ ، تجددت المواجهة بين أمين الجميل وحزب الله ، ولكن هذه المرة في ظل حكومة إنخرطت فيها القوى السياسية التي قاتلت النظام إلى جانب الحزب في شباط من العام نفسه ، وتمثلت المواجهة برفض الحزب للمفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية ، التي عقدت برعاية الأمم المتحدة في بلدة الناقورة الساحلية ، وحظيت بموافقة الحكومة اللبنانيَة ، وهو ما أدى إلى رفع حدة التوتر ، وبخاصة أن حركة أمل التي اشتركت إلى جانب الحزب في إخراج الجيش من بيروت والضاحية ، كانت ممثلة في الحكومة بشخص رئيسها نبيه بري ؛ في الثامن من تشرين الثاني ١٩٨٤ نظم حزب الله إعتصاماً حاشداً في مسجد الإمام الرضا(ع) في بئر العبد ، الذي سبق أن شهد اعتصام الرفض لاتفاق ١٧ أيار ، وشاركت فيه شخصيات علمائية ، ونظمت بعد ذلك مسيرة تنديد بالمفاوضات ، حيث أعلن حينها السيد عباس الموسوي ، باسم حزب الله قائلاً : «إننا لا نثق بهذا الحكم وهذا النظام ، وبالأخص ، الذين جلسوا في غرفة التفاوض» . لقد اعتبر الحزب الانخراط في هذه المفاوضات شبيهاً باتفاق ١٧ أيار ، بل هو استسلام للعدو ، ومخالفة لمصالحة الشعب ، وتثبيت للاحتلال(١٢٥) .

الاعلان عن وجود المقاومة الإسلامية

ظل حزب الله - كما ذكرنا من قبل - منذ بداية نشاطه ، ولمدة طويلة يعمل بصورة سرية ، ولم يصدر أي بيان رسمي يعلن فيه مسؤوليته عن أي من العمليات التي قام بها ضد الجيش الإسرائيلي ، فقد كان الإحتلال الإسرائيلي لقسم كبير من

١٢٤- وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٤٣ ؛ صحيفة **النهار** ١٢ تشرين الأول ١٩٨٤ .

١٢٥- حسن فضل الله ، م . س .

الأراضي اللبنانية ، ووجود القوات المتعددة الجنسيات ، وعداوة الجيش اللبناني والميليشيات المسيحية ، ومنافسة حركة أمل ، دوافع حالت دون إعلان حزب الله عن وجوده السياسي أو العسكري ، تجنباً لضربة قاصمة قبل الأوان . ولذلك كان مقاتلوه يناضلون تحت مظلة «جبهة المقاومة الوطنية» ؛ ولهذا السبب نسب عدد كبير من المجموعات اليسارية اللبنانية ، وكذلك حركة أمل ، الكثير من العمليات العسكرية الناجحة ضد إسرائيل إلى أنفسهم . والأنموذج البارز لهذه المسألة ، عملية «أحمد قصير» الاستشهادية ، ضد مقر القيادة الإسرائيلية في صور ، والتي لم يعلن حزب الله عن هوية منفذها لمدة طويلة ، ولم يتبنّاها . عدم الإعلان هذا كان له تأثير حاسم في عدم الإفشاء عن وجود مجموعات عسكرية في جنوب لبنان ، وهو أربك إسرائيل . لهذا السبب ، في الأشهر الأولى من بداية المقاومة في المناطق المحتلة ، كانت القوات الإسرائيلية ، تلاحق القوى الفلسطينية واليسارية ، وليس القوى الإسلامية ، لأن الإسرائيليين لم يكونوا على علم بعد بتشكيل تنظيم جديد .

تداولت الألسنة عبارة «المقاومة الإسلامية» ، حين كانت الطائرات الإسرائيلية تقصف مواقع حزب الله في بعلبك ، وعملاء إسرائيل يستخدمون السيارات المفخخة لتفجيرها في المناطق الآهلة . كانت حملة إسرائيل الجوية على مقر حزب الله في البقاع (مركز جنتا) ذات تأثير بهذا الخصوص ، لأنها جاءت رداً على العمليات الاستشهادية التي استهدفت القوات المتعددة الجنسيات والقوات الإسرائيلية في العام ١٩٨٣ ، فقد أعلنت إسرائيل رسمياً ، أن سبب هذه الغارة الجوية على «جنتا» أن «هذه الثكنة هي مركز تدريب وانطلاق العمليات ضد الجيش الإسرائيلي ، وأن مسؤولية مقتل الجنود الإسرائيليين في صور تقع على عاتقها»(١٢٦) .

بعد أن اكتملت بنية حزب الله والمقاومة (فرعه العسكري) بالتدريج ، رأى الحزب أن من واجبه الإعلان عن هوية المقاومة الإسلامية ، لأن كتمان هذه المسألة ، هو في

١٢٦- النهار ، ١٨ تشرين الأول ١٩٨٣ .

الواقع سيف ذو حدين ، فهو وإن كان يحمي الحزب والمقاومة من ضربات إسرائيل الانتقامية ، إلا أنه على المستوى الداخلي يهمّش حزب الله ويضعه خارج المعادلات السياسية ، لذلك نشر للمرة الأولى بصورة رسمية بيان عسكري بتوقيع «المقاومة الإسلامية» في ٦ كانون الثاني ١٩٨٤(١٢٧) . لقد دفعت حاجة حزب الله إلى وسائل ضغط سياسية في الساحة الداخلية التي كانت تقلل من أهمية المقاومة وحجمها ، إلى الإعلان رسمياً عن وجود «المقاومة الإسلامية» . وقد أشارت هذه الخطوة إلى أن مقاتلي حزب الله انفصلوا عن «المقاومة الوطنية اللبنانية» ؛ وأوحت بوجود خلاف بين حزب الله وأمل ، في ما يتعلق بالتكتيكات المتباينة التي اعتمدها الفريقان في التعاطي مع الاحتلال الإسرائيلي(١٢٨) . كان هذا القرار في الواقع الخطوة الأولى لدخول حزب الله ساحة النضال الاجتماعي - السياسي . لكن مع ذلك ظل حزب الله لسنوات يدفع ثمن هذه المرحلة السرية من نشاطه .

الإنسحاب الإسرائيلي إلى «الحزام الأمني»

الإعلان عن وجود «المقاومة الإسلامية» ، زاد من «تكثيف» حجم العمليات العسكرية في المناطق المحتلة في لبنان . فقد استطاع حزب الله ، بسبب اتساع المناطق التي كانت قد احتلتها إسرائيل في بداية الاحتلال (ثلث الأراضي اللبنانية) ، أن يقوم بعدد كبير من العمليات العسكرية في نقاط متفرقة في الوقت نفسه : نصب كمائن للدوريات الإسرائيلية والمتعاملين معها ، إلقاء القنابل ، زرع المتفجرات والعبوات الناسفة ، إطلاق الصواريخ ، وغير ذلك . . . سلسلة العمليات التي قامت بها المقاومة الإسلامية في العامين ١٩٨٣ و١٩٨٤ ، ألحقت بالإسرائيليين خسائر فادحة حيث كان الرأي العام الإسرائيلي شديد الحساسية بالنسبة إلى هذه النقطة ، وعرّضت المسؤولين في إسرائيل لضغوط شديدة ، بحيث أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لم

١٢٧- السفير ، ٦ كانون الثاني ١٩٨٤ .

128- Hala Jaber, *Op. Cit.*, p. 16.

تستطع تجاهل الخسائر في الأرواح بين العسكريين الإسرائيليين .

كان ضغط المقاومة الإسلامية العسكري على الجيش الإسرائيلي مجدياً ، فاتخذت حكومة الائتلاف الوطني الإسرائيلية في ١٤ كانون الثاني ١٩٨٥م قراراً بالإنسحاب . وبعد شهر واحد ، أخلت القوات الإسرائيلية مدينة صيدا وجوارها ، ثم خرجت على مراحل من مساحة واسعة من الجنوب ، واستقرت قواتها في النهاية في ١٤ حزيران ١٩٨٥ في المنطقة المجاورة لحدودها الجنوبية ، وقد أطلقت على هذه المنطقة اسم «الحزام الأمني»(١٢٩) . يقول «روبين رايت» عن هذا الانسحاب : «طيلة تاريخ دولة اليهود : إسرائيل ، تتراجع حكومة يهودية للمرة الأولى تحت ضغط بلد عربي عدو ، دون أن تتلقى ضمانات من سوريا مقابل تواجد ثلاثين ألف جندي سوري في لبنان ، وحتى الجيش اللبناني الضعيف لم يعط إسرائيل وعداً بالقيام بأعمال التمشيط والمراقبة . مما دفع بعض المحللين للقول ، أن إسرائيل ، وهي رابع قوة عسكرية في العالم ، جرَّبت هزيمتها الأولى ، وجنوب لبنان كان بالنسبة إليها فيتناماً أخرى . لقد انسحب الإسرائيليون بالسرعة نفسها التي اجتاحوا فيها لبنان منذ ٣٢ شهراً ، وكان هذا الانسحاب في شباط ١٩٨٥ نقطة نهاية غير متوقعة لعمليات «سلامة الجليل ، لقد أجبر إسرائيل على التراجع أشجع وأصلب عدو كانت قد واجهته حتى ذلك التاريخ»(١٣٠) .

بعد ذلك بشهر واحد ، كتب أحد محرري صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية ، تعقيباً على الانسحاب الإسرائيلي ، وقلق العائلات التي يخدم أبناؤها الجنود في لبنان :

129- Eyal Zisser, "Hizbollah on the Crossroad", ***Middle East Review of International Affairs*** (MERIA), 1997, Sep.30, p34..

اللافت أن تاريخ إتمام الانسحاب الإسرائيلي صادف ذكرى يوم القدس العالمي . راجع : **العهد** ، العدد ٥١ ، ٢٥ رمضان ١٤٠٥هـ (١٥ حزيران ١٩٨٥م) ، ص ص ١ - ٢ وكذلك :

Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p. 59.

١٣٠- روبين رايت ، م . س . ص ص ١٤٠ - ١٤٢ .

«كان الواحد منهم يقعد بجوار الهاتف ، يشاهد التلفزيون ، ويصغي إلى جرس الباب ، كل ذلك بسبب الأخبار المريرة عن تعرض إحدى القوافل الإسرائيلية للهجوم»(١٣١) .

وقد أظهر عدد من السياسيين الإسرائيليين جرأة ، وأدلوا بآرائهم حول هذا الانسحاب ، فآرييل شارون مخطط العملية الإسرائيلية العسكرية على لبنان في العام ١٩٨٢ قال في مقابلة له مع صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية : «إن إسرائيل للمرة الأولى في تاريخها ، تبادر إلى سحب الجيش بطريقة يفسّرها العدو والصديق معاً ، بأنها انكفاء بلا شروط»(١٣٢) ، وقال آبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلية الأسبق : «إن الفرق بين البرامج التي وضعت للحرب في لبنان وبين ما حصل ، كبير إلى حد أن هذه الحرب ، إذا قوّمت من حيث مستوى الأخطاء في المحاسبة السياسية والعسكرية ، يمكن أن تنال الجائزة الأولى»(١٣٣) .

خروج المارد الشيعي من القمقم

كانت السلطات الإسرائيلية تعتقد أن الحملة الإسرائيلية العسكرية على لبنان ، وإن كانت قد أدت إلى إخراج المقاتلين الفلسطينيين ، إلا أنها أحلّت محلها قوى أكثر خطورة وصلابة . يقول الجنرال «أور» وهو من القيادات العسكرية الرفيعة المستوى : «هنالك مخاطر موجودة وواقعية ، فقد ظهر الجناح الشيعي الأصولي المتطرف وعلينا مواجهته لمدة طويلة في شمال إسرائيل» ، ويقول «إسحق رابين» وزير الدفاع الإسرائيلي في حينه :

«لقد أخرجت الحملة العسكرية الإسرائيلية المارد الشيعي من القمقم» ، «أنا أعتقد أن هذه

١٣١- م . ن . ص ١٥٨ .

١٣٢- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ٩ .

١٣٣- روبين رايت ، م . س . ص ١٥٩ .

الفاجعة هي الأكثر خطورة من بين جميع الفواجع التي أصابتنا ، لأن محاربة الشيعة حرّرت قواهم ، وجعلت الوضع أسوأ مما كان عليه ، لم يكن هذا متوقعاً ، ولم يرد في تقارير عملائنا السريين . وإذا كانت إحدى نتائج الحرب إحلال الأصوليين الشيعة مكان الأصوليين الفلسطينيين ، فإن ذلك أسوأ ما فعلناه . ففي السنوات العشرين الماضية ، لم يحوّل أحد من الفلسطينيين نفسه إلى «قنبلة حية» ، وأنا أعتقد أن الشيعة لديهم إمكانيات لنوع من الراديكالية التي لم نتعرف إليها حتى الآن»[١٣٤] .

وكما أثارت هزيمة إسرائيل في جنوب لبنان قلق المسؤولين الإسرائيليين ، فقد جعلتهم يتوقعون أن يؤثر أسلوب مقاومة حزب الله ، على المسلمين في قطاع غزة والضفة الغربية . وكتبت صحيفة «النهار» اللبنانية نقلاً عن رئيس قسم «دراسات الشرق الأوسط» في الجامعة العبرية في القدس : «لقد أثبتت حرب لبنان للمرة الأولى ، أن العمليات الثورية والفدائية يمكن أن تخرج إسرائيل من أراض عربية . وما من شك أن حرب لبنان على المدى الطويل ، ستكون لها آثار غير مرضية ، على الأوضاع في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة ، وبصورة إجمالية على الصراع العربي – الإسرائيلي»[١٣٥] ؛ «ريتشارد نورتون» ، المتخصص في الشؤون اللبنانية قال : «إن المسؤولين الإسرائيليين المطلعين على حقائق الأمور يقولون ، إن المثال الذي يقدمه شيعة جنوب لبنان بدأت أصداؤه تتردد في الضفة الغربية ، حيث بتنا نشهد هجمات مماثلة ضد الجيش الإسرائيلي ، وبعد أن منيت إسرائيل بالهزيمة في لبنان ، لا بد وأن تشعر بنتائج مغامرتها [العسكرية] على مدى السنوات القادمة»[١٣٦] . أما التأثير الواقعي لأساليب المقاومة الشعبية والعسكرية لحزب الله على الفلسطينيين في

١٣٤- م . ن ، ص ص ١٥٣ - ١٥٧ وكذلك :

Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 16.

١٣٥- النهار ٢٠ شباط/ ١٩٨٥ .

136- Augustus Richard Norton, "Shiism and Social Protest in Lebanon", in Juan R.I.Cole and Nikki R. Kiddie (eds.), ***Shiism and Protest*** (New Haven: Yale University Press, 1988), pp. 156 - 178.

المناطق المحتلة ، فقد ظهر بعد ثلاث سنوات ، حين بدأت «الانتفاضة» [الأولى] في العام ١٩٨٧ ، وهي أثبتت صحة التوقعات الإسرائيلية .

حزب الله، رأس الحربة في المقاومة

شكّل انكفاء إسرائيل الأول أكبر انتصار سياسي وعسكري لحزب الله ، فعلى الرغم من تبني المجموعات اليسارية اللبنانية معظم عمليات المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي ، لكن ، عملياً ، كان حزب الله هو الذي بذل إمكاناته كلها من أجل المقاومة ، وكما يقول الباحث السويدي «ماغنوس رانستورب» : «لقد كان حزب الله رأس الحربة في العمليات المسلحة التي أجبرت إسرائيل في العام ١٩٨٥ أن تنسحب من جبال الشوف وبيروت ، إلى حزام أمني ضيق في جنوب لبنان»[١٣٧] . ويقول أيضاً الدكتور نزار حمزة أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت :

« . .منذ العام ١٩٨٤ وحتى مرحلة الانسحاب الإسرائيلي في العام ١٩٨٥ قامت المقاومة الإسلامية التي أوجدها حزب الله ، بعدة عمليات عسكرية ، أظهرت حزب الله ، كأقوى الحركات التي أجبرت القوات الإسرائيلية على الانسحاب إلى المنطقة التي كانت قد احتلتها منذ العام ١٩٧٨ . وهكذا فإن حزب الله كان الحزب الوحيد الذي يقود عمليات المقاومة ضد إسرائيل»[١٣٨] .

في السادس عشر من شباط ١٩٨٥ ، إنسحب الإسرائيليون من صيدا وجوارها ، بعد ثلاث سنوات على الاحتلال ، فدفع حزب الله بمقاتليه إلى الدائرة الثالثة ، وهي منطقة صور ، لتصعيد العمليات العسكرية ضد الإسرائيليين ، في الوقت الذي كانت جماهيره تتبعه إلى المدينة المحررة في مسيرة سيّارة ، لتأكيد دور الحزب في تحريرها ، بعدما استغل الرئيس أمين الجميل فرصة الانسحاب لزيارة المدينة ، وهو ما لاقى احتجاجاً واسعاً من الحزب وحلفائه ، وبخاصة أنهم كانوا يطالبون بمحاكمة

137- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p. 53.

١٣٨- نزار حمزة ، م . س . ص ٢١ .

الجميل لارتباطه بإسرائيل[١٣٩] .

كما أن انتصار حزب الله في تحرير قسم واسع من جنوب لبنان ، جعل شهرة الحزب تتجاوز الساحة الداخلية اللبنانية إلى الخارج ، وهذا ما دفع «نبيه بري» رئيس حركة أمل ، الذي كان وزيراً في الحكومة اللبنانية في حينه ، إلى تغيير مواقفه واستراتيجيته في مواجهة إسرائيل ، فلقد كان يعتقد حتى ذلك الحين ، أن الطريق الوحيد لخروج إسرائيل من لبنان هو في توقيع اتفاقية معها ؛ لكن الانسحاب الإسرائيلي في العام ١٩٨٥ ، جعله يغير نظرته على هذا النحو : «من اليوم كلما هاجمت إسرائيل قرية في الجنوب ، ستقصف مستعمرة في الجليل»[١٤٠] . كان دخول بري مرحلة المقاومة الجدية ضد إسرائيل ، تغييراً في مفاهيم الشيعة المحافظين والتقليديين ، ولكنه كان في نظر الراديكاليين نوعاً من «ركوب الموجة ، والسباحة مع التيار»[١٤١] .

بصورة عامة ، «في الوقت الذي كان فيه حزب الله يكتسب مزيداً من القوة في لبنان ، كانت حركة أمل تدفع باتجاه تبني مواقف أشد تطرفاً بغية الحفاظ على مواقعها ، لهذا ، في أوساط العام ١٩٨٤ ، بدأت قيادة أمل تلعب دوراً في نشاطات المقاومة ضد الإسرائيليين»[١٤٢] .

منطقة الحزام الأمني

الشريط الحدودي المحتل ، والذي تشكل بصورة نهائية بعد الانسحابات التي جرت في العام ١٩٨٥ ، كانت مساحته تبلغ ١٠٠٠كلم٢ (١١٪ من مساحة لبنان) ، بعد أن كانت حدوده حوالي ٥٠٠كلم٢ بعد اجتياح ١٦/ ٣/ ١٩٧٨ ، الذي عرف بعملية

١٣٩- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ٥٤ .

١٤٠- روبين رايت ، م . س . ص ١٥٥ .

١٤١- م . ن . ص ١٥٦ .

142- Augustus Richard Norton, ***Op. Cit.***, p. 28.

الليطاني . وكانت تقع في منطقة الشريط الحدودي ١٧١ بلدة وقرية ، وهي تتميز بوفرة المياه نظراً لكثرة أنهارها وينابيعها ، وفي مقدمتها : نهر الليطاني ، ثم نهر الوزاني ونهر الحاصباني . هذا إضافة إلى عشرات الأنهار الصغيرة والينابيع والعيون . كانت أراضي هذه المنطقة كثيرة الخصوبة ، ولذا أقدمت إسرائيل على سرقة ترابها ونقله بكميات كبيرة إلى داخل أراضيها ، فقدمت الحكومة اللبنانية شكوى إلى مجلس الأمن . كما أن جبال هذه المنطقة التي ترتفع إلى حدود ٢٨٠٠م ، هي عامل مهم في هطول أمطار غزيرة في منطقة الحزام الأمني[١٤٣] . بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي إلى هذه المنطقة ، نقل حزب الله أيضاً عملياته إلى داخلها ، لكن بسبب الكثافة السكانية فيها ، غيّر حزب الله أساليب مقاومته العسكرية ، من حالة المقاومة الشعبية إلى حرب العصابات .

الإعلان عن وجود حزب الله

في أواخر العام ١٩٨٤ ، أصبح عناصر ميليشيا حزب الله مكشوفين تماماً ، لكن أحداً لم يكن يعرف الكثير عن قادتهم ومراتبهم[١٤٤] . مع انسحاب إسرائيل من مدينة صيدا ، أصدر حزب الله في اجتماع رسمي في ١٦ شباط ١٩٨٥ رسالة مفتوحة ، أعلن فيها للمرة الأولى عن هويته واستراتيجيته وبرنامجه الإيديولوجي ، كان هذا الاجتماع قد عقد بمناسبة الذكرى الأولى لاستشهاد الشيخ «راغب حرب» في حسينية «الشياح» في ضاحية بيروت الجنوبية ، وقد قرأ الناطق الرسمي باسم حزب الله «السيد إبراهيم أمين السيد» نص الرسالة المفتوحة ، التي كانت كتيباً من ٤٨ صفحة ، شرحت هوية الحزب وأفكاره وآراءه بالنسبة إلى مختلف القضايا سواء منها المتعلق بشؤون لبنان الداخلية أو شؤون المنطقة والعالم . ويمكن أن تعدَّ هذه الرسالة في الواقع «المانيفست السياسي» لحزب الله ، وكان صدورها تعبيراً عن إنجازات حزب الله

١٤٣- **ومضات من المقاومة الإسلامية** ، ص ٧ .

144- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 53.

الكبيرة في إخراج القوات المتعددة الجنسيات من لبنان ، وإجبار إسرائيل على الانسحاب من طرف واحد من مساحة واسعة من جنوب لبنان .

قبل صدور الرسالة المفتوحة ، لم يكن لدى الرأي العام اللبناني معرفة واسعة بهذه الجماعة ، لأن الحركة الوحيدة التي كان حزب الله قد قام بها قبل إصدار «رسالته المفتوحة» هي الإعلان عن إطلاق «المقاومة الإسلامية» ، لكن بعد إعلان الحزب عن وجوده إنتقل قادته من البقاع إلى بيروت ، واستقروا في الضاحية[١٤٥] ، لأنها أقرب إلى مناطق القتال في الجنوب ، وكذلك إلى مراكز القرار السياسي في العاصمة .

وعلى الرغم من أن الحزب لم يكشف إلا عن شخصية السيد «إبراهيم الأمين السيد» كناطق رسمي بلسانه ، بدا واضحاً أن الحزب خاضع رسمياً لقيادة هيئة دينية ، وقد عكس تكوين هذه السلطة العليا داخل الهيئة الدينية في لبنان ، مواقع علماء الدين الشيعة ، الذين ساهموا في تأسيس حزب الله في تموز ١٩٨٢ ، في هذه المرحلة كان جميع أعضاء شورى حزب الله ، علماء دين معممين باستثناء «حسين الموسوي» ، العضو الوحيد غير المعمم في القيادة[١٤٦] .

يشرح الشيخ «نعيم قاسم» ، نائب الأمين العام لحزب الله ، الأسباب التي دفعت الحزب إلى إبقاء عمله سرياً في المراحل المبكرة ، والتي جعلته يتردد في الإعلان عن نفسه أمام العالم ؛ فيقول :

« . . .حتى العام ١٩٨٥ ، لم يكن حزب الله كياناً واحداً يستطيع أن يقف ويعبّر عن نفسه . . كنا نعمل دون أن يعرف أحد من نكون ، أو من على صلة بمن . . كنا لا نزال ضعفاء ؛ ولو أننا اكتشفنا ، كنا سنضرب بالتأكيد . لذلك كان من الطبيعي أن نبقى منغلقين داخل أنفسنا ، وأن نبتعد قليلاً ، وقد عملنا على تكوين خط للمتابعة والإستمرارية بين بعضنا البعض ، حتى إذا قتل أحدنا يكون هنالك دائماً شخص آخر قادر على متابعة الطريق من النقطة التي تم التوصل إليها . . كانت طبيعة تشكيلنا تتطلب مسلكية سرية ؛ وفي العام ١٩٨٥ ، قدمنا بياناً . . وهذا

١٤٥- حسن فضل الله ، م .س . ص ٩٤ .

146- Magnus Ranstorp, *Op. Cit.*, p. 65.

البيان جعل بعض شخصياتنا معروفة على المستوى الشعبي ؛ لكن البعض الآخر بقي غير معروف»[١٤٧] .

بعد أن أصبح تنظيم حزب الله علنياً ، إكتسبت المقاومة الإسلامية ، إضافة إلى استمرارية مقاومتها المسلحة لإسرائيل وارتقائها ، مكانة سياسية ملائمة ، كي لا تحرم من مكتسبات تضحيات مقاتليها . لقد خرج حزب الله من الحالة الأمنية الصرف ، ومن السرية الكاملة ، وأوجد لنفسه حالة «نصف سرية» . هذا التغيير في الوضع جعل حزب الله والإسلاميين هدف عمليات إرهابية من أميركا وإسرائيل ، وقد وقعت أولى هذه العمليات بعد ثلاثة أسابيع من بث حزب الله لرسالته المفتوحة .

إنفجار بئر العبد

كانت الولايات المتحدة تعتقد أن العلامة السيد محمد حسين فضل الله يلعب دوراً رئيسياً في قيادة حزب الله ، واعتبرته المسؤول عن تفجير مقرين للقوات المتعددة الجنسيات في بيروت في العام ١٩٨٣ . فقد أوحت آنذاك ، غالبية الأدلة في لبنان ، بأن «القوات اللبنانية» [التي مثلت تحالف الميليشيات المسيحية هنالك] ، سربت اسم «فضل الله» إلى الاستخبارات الغربية والإسرائيلية . وعلى الفور ، أصبح «فضل الله» مشهوراً على المستوى العالمي ، وتحول إلى هدف رئيسي للاغتيال . في ٨ آذار ١٩٨٥ ، إنفجرت سيارة مفخخة على مقربة من مسكن السيد «فضل الله» في شارع «بئر العبد» في الضاحية أسفرت عن استشهاد ٨٥ شخصاً وجرح مئتين آخرين[١٤٨] .

كتبت صحيفة «الواشنطن بوست» الأميركية عن مسببي الانفجار ما يلي : «لقد قام بمحاولة الاغتيال الفاشلة هذه عملاء لبنانيون تدربوا على أيدي وكالة المخابرات المركزية (سي . آي . إيه)» . وقد أكدت نشرتا «وول استريت جورنال» الصادرة بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٨٥ و«ميدل إيست ريبورتر» الصادرة بتاريخ ١٧ أيار ١٩٨٥ ، علاقة

147-Hala Jaber, *Op. Cit.*, p. 62.

148- Magnus Ranstorp, *Op. Cit.*, p. 94.

الـ «سي .آي .إيه» بهذا الإنفجار . وعلى الرغم من أن الوكالة سارعت إلى إنكار ذلك ، لكن «بوب وودوارد» في كتابه عن «وكالة الاستخبارات المركزية» (سي .آي .إيه) ، ذكر أن «السفير السعودي في واشنطن آنذاك - الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز - موّل الوكالة الأميركية بمبلغ ثلاثة ملايين دولار لتنفيذ عملية التفجير»(١٤٩) .

وبعد حادثة التفجير في بئر العبد ، تولى جهاز الأمن التابع لحزب الله عملية تحقيق طويلة لمدة سنة ، واعتقل اثني عشر شخصاً اعترفوا بأن «قسم مكافحة الإرهاب» التابع لوكالة الاستخبارات المركزية (سي .آي .إيه) قد استأجرهم ودربهم - لتنفيذ عملية الإغتيال- وكان من بين الموقوفين الذين لعبوا كما يبدو دوراً رئيسياً في محاولة الاغتيال - إبنة أحد معارف فضل الله(١٥٠) .

وبالفعل كان قد تأسّس في مخابرات الجيش «فرع العمل والتحليل الخارجي» بإدارة المقدم «أدونيس نعمة» مدير مكتب العقيد «سيمون قسيس» ، الذي وضع قائمة بالاغتيالات والتفجيرات . وقد كشفت الجهات الأمنية في الحزب خيوطاً في محاولة اغتيال العلامة فضل الله ، أوصلتها إلى اعتقال عدد من المتورطين المباشرين في أضخم شبكة اغتيالات في لبنان ، الذين قدموا اعترافات كاملة حول تورط هذه الشبكة بعلميات تفجير أخرى متفرقة ، استهدفت شخصيات سياسية وحزبية كالرئيس سليم الحص والوزير وليد جنبلاط ، واستهدفت مركز الطائفة الدرزية ، والسفارة المصرية ، وبنك الرافدين ، وسوق الروشة ، وأول شارع صبرا ، ومطعم أبو نواس ، وسينما سلوى . . . فكانت الحصيلة الإجمالية ٢٧٧ قتيلاً و ١١١١ جريحاً . ويظهر من التنوع في اختيار الشخصيات وأماكن التفجير ، ما كانت تهدف إليه هذه الشبكة من

149- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, pp. 69 - 70.

١٥٠- وضاح شرارة ، م .س . ص ٣٨٠ ، وصحيفة النهار ١٢ تشرين الأول/ ١٩٨٤ . وكذلك :
Hala Jaber, ***Ibid.***

استغلال للتناقضات ، وتوجيه أصابع الاتهام إلى جهات محدّدة ، وإثارة الفتن الداخلية(١٥١) .

سلطت متفجرة بئر العبد الضوء العالمي على العلامة فضل الله ، بعدما كان يوصف منذ العام ١٩٨٢ بأنه المرشد الروحي للحالة الإسلامية في لبنان ، على الرغم من أن فضل الله وحزب الله كذلك قد نفيا منذ البداية وجود مثل هذه العلاقة بينهما .

المقاومة الإسلامية في الحزام الأمني

بانسحاب إسرائيل إلى منطقة الحزام الأمني في العام ١٩٨٥ ، طرأ تغيير على وضع عمليات المقاومة الإسلامية . ففي هذه المرحلة الجديدة وبسبب الكثافة السكانية في المناطق المحتلة ، لم يكن هنالك من إمكانية للقيام بعمليات عسكرية بواسطة خلايا شعبية ، لأن عناصرها سيكشفون بسرعة ويعتقلون . لذلك ، كان من الضروري أن يتلقى عناصر حزب الله التدريبات اللازمة على حرب العصابات ، وأن يحصلوا على التجهيزات الملائمة للقيام بعمليات عسكرية ؛ وكان يجب أن يتحرك المقاتلون من المناطق المحررة ، ويتوغلوا في عمق المناطق المحتلة ، ومن ثم يهاجمون مواقع الجيش الإسرائيلي وعملائه ، ويغادرون المناطق المحتلة بعد ذلك بسرعة . وكان يلزمهم للقيام بمثل هذه العمليات ، التجهيزات المناسبة لحرب العصابات ، وإن يتمتعوا بمهارات عالية في استخدامها . وبما أن المقاومة الإسلامية في تلك المرحلة ، كانت تفتقر إلى مثل هذه التجهيزات ، ولم تكن قد تلقت بعد التدريب اللازم على حرب العصابات المحترفة ، تضاءل حجم عملياتها العسكرية بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٨ ، لكن نوعيتها بدأت تتحسن تدريجياً مقارنة بالمرحلة السابقة ، وقلّت خسائر الجيش الإسرائيلي البشرية من حيث العدد ، لكن الضربات التي تعرض لها هذا الجيش وعملاؤه كانت من حيث النوعية أكثر تعقيداً وأكثر إتقاناً ؛ فمثلاً في ١٧ شباط ١٩٨٦ ، تمكنت إحدى

١٥١- العهد ، العدد الخاص بعد العدد ٨٨ ، ٢٢ جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ (٣ آذار ١٩٨٦) .

مجموعات المقاومة من أسر جنديين إسرائيليين في أثناء عملية تمشيط إسرائيلية، قرب بلدة كونين، وأتبعت ذلك بسلسلة عمليات نوعية استمرت حتى مطلع العام ١٩٨٨[١٥٢]. هذا النوع من العمليات أثار الرأي العام داخل إسرائيل، وأجبر الحكومة الإسرائيلية على إعطاء الأولوية لتحرير الجنود الإسرائيليين، كما أن المقاومة الإسلامية استفادت منه في عمليات تبادل الأسرى وتسلّم جثث الشهداء.

لكن التغيير المهم في كيفية العمليات العسكرية للمقاومة الإسلامية، حدث حين اعتمد حزب الله أسلوب «مهاجمة استحكامات العدو ومواقعه، واحتلالها مؤقتاً وقتل العسكريين المرابطين فيها، وتدمير الاستحكامات، ومن ثم التراجع إلى مواقعه الأولى». إذا أخذنا في الاعتبار، ما رسخ في أذهان العرب تاريخياً، عن قوة إسرائيل العسكرية المتفوقة، وهزائم العرب المتكررة في حروبهم معها، فإن مقاتلي حزب الله، ما كانوا في البداية يملكون الجرأة على مهاجمة استحكامات الإسرائيليين ومواقعهم العسكرية، وكانت عملياتهم منحصرة في «مهاجمة الدوريات الإسرائيلية، وزرع العبوات الناسفة على جوانب الطرقات التي تسلكها هذه الدوريات، وإطلاق الصواريخ على مواقع الجيش الإسرائيلي». لذلك، طرح قادة الحرس الثوري في بعلبك، لإزالة هذا الخوف التاريخي من أذهان الشبان العرب، شكلاً من الهجوم المباشر على مواقع الجيش الإسرائيلي، وتولوا هم مسؤولية التخطيط لمثل هذا النوع من العمليات، وقيادتها مركزياً. «حصلت أولى تلك العمليات في أيلول/ ١٩٨٦، بالهجوم على استحكامات الجيش الإسرائيلي ومواقعه في مرتفعات «حقبان» في جنوب لبنان، وقد حالف النجاح هذا الهجوم كلياً، فقضى على «الرعب» التاريخي، ومهد للقيام بعمليات مماثلة ضد مواقع «سجد» وبئر كلاب وبرعشيت وعلي الطاهر ولوسي، والسويداء وغيرها»[١٥٣].

١٥٢- حسن فضل الله، **الخيار الآخر**، ص ٥٥.

١٥٣- حسن فضل الله، **حرب الإرادات**، ص ص ١٣٨ - ١٤٠.

نداى مقاومت، نشريه دفتر حزب الله در ايران، شمار ٦٥، ١٠/ ١٢/ ٧٧؛ [**نداء المقاومة**، نشرة مكتب حزب الله في إيران، العدد ٦٥، ٢٩ شباط/ ١٩٩٨].

المواجهة مع سوريا

بعد انسحاب إسرائيل من القسم الأكبر من الجنوب اللبناني، وبعد أن تحول حزب الله إلى حزب علني، نال شعبية كبيرة لدى عشرات الآلاف من الشيعة، الذين لم يروا مصلحة لهم في بقاء الأحزاب والمنظمات الموجودة آنذاك. «إذ أن غالبية الشيعة كانوا ينظرون إلى حركة أمل وإلى المؤسسات العلمانية الشيعية، على أنهما «مدافعتان عديمتا الجدوى» عن مصالح الشيعة»[١٥٤]. شعبية حزب الله المتزايدة يوماً بعد يوم، وعلنيته، أدت إلى تزايد عدد الشباب الشيعة المنتسبين إليه، وقوّت الحركات الإسلامية في لبنان، الشيعية والسنية على السواء.

كانت سوريا بالمقابل تسعى باستمرار للمحافظة على سياستها التقليدية في إقامة التوازن بين الأطراف اللبنانية المختلفة والمتصارعة، وإبقاء لبنان ضمن الفلك السوري - العلماني عموماً، فجاء ظهور حزب الله العلني ليرسم خطاً فاصلاً جديداً. وكان من وجهة النظر السورية إشكالياً. فمن ناحية شكلت العناصر الراديكالية الموالية لإيران ذراعاً فعالاً للنشاط بالوكالة ضد إسرائيل والولايات المتحدة، ومن ناحية أخرى، كانت المناداة بمشاريع إسلامية في لبنان، والعلاقة العقائدية والسياسية بين حزب الله وإيران، تشكل تناقضاً مباشراً محتملاً مع المصالح السورية الوطيدة[١٥٥].

لقد كان الحكم السوري البعثي والعلماني يواجه باستمرار مشكلة الإسلاميين السنّة في بلاده. لذلك لم يكن راضياً عن هذا التغيير. لكن في المرحلة التي كان فيها نصف الأراضي اللبنانية تحت الاحتلال (مع الأخذ في الاعتبار عجز الجماعات اليسارية اللبنانية عن مواجهة إسرائيل)، أطلق الحكم السوري يد القوى الإسلامية،

154- Martin Kramer, "Hizballah, The Calculus of Jihad", in Martin E. Marty and R. Scott Appelbu (eds.), ***Fundamentalism and the State*** (Chicago: Chicago University Press, 1993), p.18.

١٥٥- أحمد خالدي و حسين ج. آغا، م. س. ص ص ٤١ -٤٢.

السنية والشيعية، لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي؛ إنما بعد انسحاب إسرائيل إلى الحزام الأمني، وتراجع تأثيرها على الحكومة اللبنانية، تركزت الاستراتيجية السورية على «مواجهة كل أنواع الراديكالية الدينية»[١٥٦]. بدأت هذه الاستراتيجية من مدينة طرابلس في شمال لبنان بالصدام مع الشيخ سعيد شعبان وحركة التوحيد الإسلامية. وقد حصلت هذه الصدامات في خريف العام ١٩٨٥، وانتهت بهزيمة الميليشيات المرتبطة بالشيخ شعبان وبتقليص نفوذه.

بعد ذلك بسنة واحدة، قررت الحكومة السورية إعادة قواتها إلى بيروت، بعد أربع سنوات ونصف على إنسحابها منها. وما إن عاد الجيش السوري إلى بيروت حتى هاجم في ٢٣ شباط ١٩٨٧، ثكنة «فتح الله» في محلة «البسطة»، التي كانت تحت سيطرة حزب الله، فاستشهد ٢٣ شاباً من الحزب[١٥٧]. واجهت بيروت بعد هذه الحادثة (التي برَّرها السوريون بأنها انتقامية وليست سياسية) وضعاً غير مستقر وشديد الحساسية، وطالب الجميع بالانتقام لدماء الشهداء، وشهدت الضاحية الجنوبية مظاهرات عارمة، فسارعت القوات السورية إلى محاصرة الضاحية، وعلى الرغم من ذلك أقام حزب الله مأتماً حاشداً لتشييع شهدائه، أظهر للمرة الأولى حجم الدعم الشعبي له. ومع الأخذ في الاعتبار الحساسية الفائقة للأوضاع، تدخلت إيران وسعت إلى حل القضية. وقامت مجموعة من علماء الدين والطلبة غير الإيرانيين [أكثرهم من اللبنانيين] في قم بمظاهرة تأييد لحزب الله[١٥٨]. وأعرب آية الله الخامنئي رئيس الجمهورية في ذلك الحين في خطبة الجمعة في طهران عن موقفه تجاه هذه الحادثة:

«لقد أعلنّا لشعبنا أن حادثة مذبحة الأبرياء في بيروت، ناتجة عن قرارات فردية، لا عن سياسة الحكومة السورية. وما يثير القلق، أن ترك الحادثة دون تعقيب ودون محاسبة المسؤولين سيؤدي إلى تكرار مثل هذه الحوادث، وإلى بروز عقدة يستعصي حلها. إني أوصي الأخوة في بيروت

١٥٦- محمد شمص وحسين مرجي، م. س. ص ٨٨٩.

١٥٧- وضاح شرارة، م. س. ص ٣٦٠، وكذلك أحمد خالدي وحسين ج. آغا، م. س. ص ٤٦.

١٥٨- **النهار**، ٣ آذار ١٩٨٧، وكذلك حسن فضل الله، **الخيار الآخر**، ص ١٤٥.

وفي كل لبنان بالتأكيد، وبخاصة أولئك الذين أصابتهم الحوادث الأخيرة بالجروح، أن يتعاملوا مع الأحداث بصبر وتوكل، وأن لا يفقدوا ضبط الأعصاب»[١٥٩].

السيد حسن نصرالله، من علماء الدين الرفيعي المقام في حزب الله أعلن أيضاً بهذا الخصوص: «نحن باقون هنا، باقون في بيروت الغربية، وباقون في الضاحية، وما من أحد يستطيع إخراجنا من هنا»[١٦٠]. وكذلك أكدت قيادة حزب الله: «سنثبت أننا أكبر من كل الجروح، حتى لو كانت بالغة، [و] لن نتصرف إلا في ضوء مصلحة الإسلام والمسلمين التي تقررها ولاية الفقيه»[١٦١]. في النهاية بعد أن توسطت إيران، وبعد شهر من الجهود الديبلوماسية، هدأت الأوضاع وخف التشنج. وبعد ذلك بقليل سافرت عائلات الشهداء الذين سقطوا في هذه المجزرة إلى إيران لمقابلة الإمام الخميني[١٦٢]. بعد حادثة ثكنة «فتح الله» أدرك حزب الله أن عليه أن يتعاطى مع واقع الوجود السوري في لبنان.

حركة أمل وصعود حزب الله

باحتلال بيروت الغربية في شباط ١٩٨٤، بلغت حركة أمل أوج قوتها، فالصدامات بين الشيعة والموارنة، وظهور بوادر عداوة وخصومة بينهم وبين الدروز في شباط ١٩٨٥، ساهمت كلها في إبراز صورة الشيعة كطائفة قوية وفاعلة، إلى حد شعرت معه بقية الطوائف الدينية بالخوف والخشية من القوة الشيعية المتزايدة يوماً بعد يوم، واتخذ الدروز بزعامة وليد جنبلاط (الحليف القديم لنبيه بري) موقفاً معادياً لحركة أمل. وقد برزت مظاهر التشنج بين الشيعة والدروز في منطقة صيدا، لأن

١٥٩- يوسف محمد باجوق، **ايران - لبنان: عرض توثيقي لأبرز المواقف الإيرانية حيال لبنان ١٩٧٧ - ١٩٩٣**، (بيروت، ١٩٩٥)، ص ص ٥٧- ٥٨.

١٦٠- جريدة «**العهد**»، العدد ١٤١، ٦ رجب ١٤٠٧ هـ (٦ آذار ١٩٨٧).

١٦١- وضاح شرارة، م. س. ص ٣٦١.

١٦٢- م. ن. ص ٢٢٤.

جنبلاط لم يكن يرغب أن يصبح الشيعة قوة أساسية ومحورية في منطقة قريبة من منطقة «الشوف» ذات الأغلبية الدرزية ، لأنه كان يظن أن ذلك سيشكل خطراً على عبور الدروز باتجاه البحر الأبيض المتوسط في شمال صيدا .

من ناحية أخرى ، قضي نهائياً على دور العائلات الشيعية الاقطاعية ، ففي تشرين الأول من العام ١٩٨٤ ، نُحّي رئيس مجلس النواب كامل الأسعد من منصبه ، فغادر لبنان وأقام في أحد البلدان الأوروبية ، وانتخب لرئاسة المجلس «حسين الحسيني» [الرئيس السابق لحركة أمل] ، الذي ظل في هذا المنصب لمدة ثماني سنوات . بعد انسحاب إسرائيل الجزئي من جنوب لبنان ، وحين أصبحت مدينة صور تحت سلطة حركة أمل ، صادر الحكام الجدد أملاك وممتلكات عائلة «الخليل» التي كانت العائلة الشيعية المسيطرة على منطقة صور . وبسقوط هاتين العائلتين اكتملت حلقة جديدة في تاريخ الطائفة الشيعية .

في هذه الأثناء ، كانت مهمة حركة أمل الأساسية والجديدة في داخل الطائفة الشيعية ، هي جذب الإسلاميين إلى دائرة نفوذها . لكن الحركة وزعيمها نبيه بري ، لم ينجحا في هذا السياق . فقد كانت التنظيمات الإسلامية الأصولية طيلة العام ١٩٨٤ ، تتمتع بقوة سياسية واسعة وفي حالة نمو ، ولكنها كانت تتجنب التصادم مع «أمل» ، حتى لا تنحرف عن هدفها الأساسي (مقاومة الاحتلال) لأن احتمال المواجهات العنيفة كان وارداً ، فقد تحرك الأصوليون الشيعة ببرنامج دقيق ومدروس من منطقة البقاع نحو بيروت والجنوب ، واتسع نفوذهم بدعم من علماء الدين المحليين الفاعلين ، وكانوا مستعدين لمواجهة «أمل» لتفوقهم عليها من نواحٍ عدة من بينها :

١ - لم يكن في عهدتهم أي مسؤولية سياسية أو حكومية ، أما نبيه بري فقد كان وزيراً للعدل في «حكومة الوفاق الوطني» التي كانت قد تشكلت في أواخر نيسان ١٩٨٤ ، ومسؤولاً عن شؤون الجنوب ، ويجب عليه أن يثبت تبعيته ودعمه للحكومة وللنظام السياسي [ولو ظاهرياً] . في حين كان الأصوليون الشيعة يدعون الناس إلى

العمل على إيجاد تغيير أساسي في بنية النظام اللبناني السياسي ، وإلى احتضان المقاومة التي تسعى لتحرير الجنوب وفلسطين المحتلّين . كانوا متحررين من أي التزام أو قيد ، وكانت الحكومة اللبنانية تفتقر إلى الوجود العملي في المناطق الشيعية ، لذلك كان تحريض الناس على قلب الحكم أو اعتماد الراديكالية في مواجهته أمراً سهلاً بالنسبة إليهم .

٢ - عرض علماء الدين الثوريون على الشيعة طرحاً كلياً وعاماً لحل جميع قضاياهم . فقد كانت مواعظهم وخطبهم تتضمن دعوات سياسية ، ثورية ، إجتماعية واقتصادية ، وكانوا يجيبون عن التساؤلات بلغة مبسطة وتعبير واضح ، فيما كانت «أمل» في المقابل منقسمة على نفسها إلى عدة فروع ، وكان في داخلها أشخاص يعملون ضد قيادة نبيه بري ؛ والأهم من كل ذلك أن حركة أمل كانت تعاني من مشكلة داخلية إيديولوجياً ، وقد تغلغل بين صفوفها عدد من ذوي الميول الإسلامية الراديكالية . إضافة إلى أن صدامها مع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ، واختلاف نبيه بري مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، زعزع وضعها الداخلي ، حتى أن بعض الإشارات تدل على أن الشيخ شمس الدين كان يفكر بالإعلان عن معارضته قيادة بري لحركة أمل[١٦٣] .

لم ينجح بري في الاستفادة من منصبه كوزير للعدل ومن مسؤوليته عن شؤون الجنوب في الحكومة لتلبية مطالب الشيعة . لذلك لم ينتج عن عضوية بري في هيئة الحكومة سوى منفعة شخصية له ، ولم تحل أي مشكلة من مشاكل الشيعة . من هنا كان متوقعاً أن يكون مستقبل الأصوليين داخل طائفتهم مشرقاً ، فقد كانت أيديولوجيتهم مبنية على استعدادهم لمقاومة إسرائيل ، كفريضة «جهادية» . في حين أن أيديولوجية «أمل» كانت لبنانية محضة[١٦٤] . لهذا السبب أظهرت «أمل» في

163- Joseph Olmert, ***Op. Cit.***, pp. 60- 61.

164- Chibli Mallat, ***Shi'i Tought From the South of Lebanon*** (Oxford, GB: Center for Lebanon Studies, 1988): p.35.

المراحل الأولى من محاربة إسرائيل الكثير من ضبط النفس مقابل ضغوط الإسلاميين ، ففي هذه المرحلة ، لم تكن «أمل» ترى الوقت ملائماً لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي لاعتبارات تتصل برؤيتها المركّزة على الساحة السياسية الداخلية .

من ناحية أخرى سلك قادة حزب الله نهجاً مخالفاً كلياً لنهج «أمل» . والظروف بالنسبة إليهم كانت أسهل في ظل الأوضاع المتردية في جنوب لبنان ، لأن شيعة الجنوب في مثل هذه الأوضاع السيئة ، يتشجعون أكثر ويتحمسون للمشاركة في مقاومة إسرائيل . ولذلك اضطرت «أمل» أن تدخل مسرح الصراع ضد إسرائيل . فلقد كانت مقاومة الاحتلال في الواقع قد بدأت تحت عنوان حرب الإسلاميين واضطرت «أمل» في ما بعد أن تنضم إليها .

بعد انسحاب إسرائيل إلى الحزام الأمني ، برز الصراع بين حركة أمل وحزب الله وحصلت مواجهات بينهما ، حول من يتولى إدارة المناطق المحررة . فقد كان الجنوب بالنسبة إلى الفريقين منطقة مهمة واستراتيجية ، لأنه يضم بين أهله القسم الأكبر من شيعة لبنان ، ومنه انطلق العدد الكبير من قياداتهم الدينية وغير الدينية . وأي فريق شيعي في لبنان عليه – لتحقيق أهدافه – أن يحكم السيطرة على الجنوب ، وإلا فإنه سيفقد قوته في بيروت .

كان العجز الذي وسم تعاطي حركة أمل مع الاحتلال الإسرائيلي عاملاً من عوامل انشقاق المجتمع الشيعي في الجنوب . إذ أن علماء الشيعة الذين قبلوا بسلطة «أمل» خلال الحقبة الممتدة بين غزوي العام ١٩٧٨م والعام ١٩٨٢م ، بدأوا بعد الاجتياح العسكري الإسرائيلي ينفصلون عن الحركة ، ويميلون للإنضمام إلى المجموعات الأصولية . وقد قال مسؤول بارز في الأمم المتحدة : « . . لعل أهم ما خلّفه الاحتلال الإسرائيلي هو مجتمع شيعي منقسم وخاضع لسيطرة رجال الدين . . »[١٦٥] .

165- Augustus Richard Norton, ***Op. Cit.***, p28.

حرب المخيمات

على الصعيد اللبناني الداخلي ، برزت حركة أمل بشكل خاص كأداة طيّعة للسياسة السورية – مع أنها ليست بدون موجبات خاصة بها – في مواجهة الحكومة اللبنانية وحلفائها من «القوات اللبنانية» المسيحية ، والفصائل الفلسطينية المعارضة لسوريا وحزب الله[١٦٦] . فسوريا القلقة بشأن تسلل حركة «فتح» الموالية لياسر عرفات إلى المخيمات الفلسطينية في لبنان ، وإمكانية التقاء قوات عرفات و«القوات اللبنانية» ، أطلقت العنان لحركة أمل لمحاصرة المخيمات وإخضاعها . وقد نشب صراع طويل وشنيع خلال المراحل المختلفة الممتدة من أيار–حزيران ١٩٨٥ وحتى شباط ١٩٨٧ . وقد كانت مبررات حركة أمل لقيادة هذه الحملة تقوم ليس فقط على حساباتها لمصالحها الذاتية مقابل السوريين ، بل تقوم أيضاً على المعارضة الشديدة لأي عودة إلى الوضع الذي كان سائداً قبل العام ١٩٨٢ بشأن الوجود الفلسطيني المستقل في لبنان . وبالمقابل فإن حزب الله وقف ضد سياسة التحجيم القسري للفلسطينيين على الصعيدين الإيديولوجي والسياسي . على الرغم من التدهور المضطرد للعلاقات بين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية منذ العام ١٩٨٠ ، وموقف منظمة التحرير المؤيد للعراق في حربه على إيران ، فإن التزام حزب الله بالقضية الفلسطينية عميق الجذور ، وممارسات «أمل» بالنسبة إليه ، قد لطخت سمعة الشيعة الطيبة ، مما أثر بشكل مباشر على صورة الثورة الإسلامية في المنطقة ، وأضعف الإنجازات الأخيرة للكفاح في لبنان . فكان حزب الله يتدخل بشكل فاعل إلى الجانب الفلسطيني ، ويموّن الفلسطينيين المحاصرين بالغذاء والمساعدات الأخرى[١٦٧] .

في ٤ – ٥ أيلول ١٩٨٥ ، وفي أثناء حرب المخيمات أخرجت حركة أمل نبأ العثور على مخبأ للأسلحة قرب مدينة «النبطية» في جنوب لبنان إخراجاً مسرحياً بوليسياً ،

١٦٦- أحمد خالدي وحسين ج. آغا ، م. س. ص ص ٤٠ – ٤١ .
١٦٧- م. س. ص ص ٤٢ – ٤٣ .

ونشرت مقاطع من تحقيق أمني مع متهمين بينهم معمّمين وعلماء دين ، وجاءت جرأة قادة «أمل» على العلماء ، بسبب تخوفها من اضطلاع هؤلاء بالدور الذي اضطلعوا به في إيران ، ومحاولتهم تجديد هذا الدور في لبنان(١٦٨) .

بذلت الحكومة الإيرانية مساعٍ حثيثة لإنهاء حرب المخيمات ، وقد وصلت إلى سوريا في حزيران ١٩٨٥م هيئة برئاسة «الشيخ مهدي كروبّي» لايجاد طريق حل لهذه الحرب الفاجعة(١٦٩) . وذهب السيد عيسى الطباطبائي ، أحد علماء الدين الإيرانيين المقيمين في لبنان ، إلى أحد المخيمات الفلسطينية ، حيث بقي مع الفلسطينيين تحت الحصار لعدة شهور تعبيراً عن مواساة الشيعة للفلسطينيين وتعاطفهم معهم(١٧٠) . كانت السفارة الإيرانية أيضاً حين تتاح لها الفرصة ، ترسل بالطرق الرسمية المؤن والأدوية إلى داخل المخيمات الفلسطينية . إنتهت حرب المخيمات أخيراً ، بوساطة إيران وسائر القوى في المنطقة ، وكذلك بسبب تآكل قوة «أمل» العسكرية ، وعدم قدرتها على احتلال المخيمات . لقد أدت هذه الحرب في الواقع إلى إضعاف قوة «أمل» كما الفلسطينيين ، وتزعزت قدرات هذه الحركة العسكرية والتنظيمية(١٧١) .

حرب «أمل» وحزب الله

إن نجاح إيران وحزب الله في منع سوريا من تنفيذ سياستها في لبنان ، شكل رسالة خطيرة بخصوص السلطة النسبية لكل فريق من الفرقاء الفاعلين على الساحة اللبنانية . وقد واجهت العلاقات السورية - الإيرانية بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦ عدداً من الأزمات التي تفاقمت بفعل سلسلة من الصراعات المستترة :

١٦٨- وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٨١ .

١٦٩- يوسف يوسف محمد باجوق ، م . س . ص ١١١ .

١٧٠- حديث حجة الإسلام والمسلمين السيد عيسى الطباطبائي لمركز توثيق الثورة الإسلامية الإيرانية ، والتعبير عن آرائه حول حرب المخيمات ، يشير إلى عمق الفواجع التي نتجت عن هذه الحرب .

١٧١- منى حرب القاق ، م . س . ص ١٣ ؛ وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٤٦ .

١- كل واحد من الجانبين كان قلقاً من الدور الذي يلعبه حلفاء الطرف الآخر في لبنان ، فقد كان نمو حزب الله في لبنان كقوة عسكرية كامنة ، يسير في موازاة بروزه كراعٍ نشيط وحيوي لشبكة واسعة من الخدمات الإجتماعية والمعيشية غير المتوافرة من أي مصدر آخر . لقد ازداد تحدي حزب الله للهيمنة السورية بين الشيعة في لبنان ، متجاوزاً بذلك الخلافات العملياتية حول الفلسطينيين والحرب في الجنوب ، وقد بدأ يضرب في عمق النفوذ والهيبة السوريين بالذات .

٢- كان من تداعيات ظهور «الأصولية» الشيعية بعد العام ١٩٨٢م ، نمو الحركة الأصولية السنية ، التي بلغت أوج نشاطها في مدينة طرابلس بشمال لبنان . فقد كانت حركة التوحيد الإسلامي بقيادة الشيخ سعيد شعبان ، تبشر بالرسالة الإسلامية نفسها التي يبشر بها نظراؤها الشيعة ، وهذه الحركة التي لقيت دعماً في بداية تأسيسها من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ، ما لبث أن انفتحت على حزب الله وشكّلت تحالفاً فاعلاً معه . وكان اجتماع شعبان وحزب الله بالنسبة إلى سوريا ينذر بالخطر ، بقدر ما كان يجمع الأصوليين الشيعة والسنّة المحميين من الإيرانيين الأقوياء .

٣- واجهت اتفاقيات النفط بين إيران وسوريا مشاكل جدية ، لأن سوريا لم تدفع ثمن مشترياتها من النفط الإيراني التي كانت قد تسلمتها بأسعار مخفضة جداً(١٧٢) .

إن استياء سوريا من إيران ومن حزب الله في تلك المرحلة ، أدى في النهاية - من جملة عوامل وأسباب أخرى - إلى حرب واسعة النطاق بين أمل وحزب الله في آذار ١٩٨٨م ، وجاء اختطاف العقيد الأميركي «هيغينز» على يد منظمة الجهاد الإسلامي ذريعة لتهاجم حركة أمل منازل قادة الحزب وأعضائه ، ولانفجار الحرب بين الفريقين ، بفصولها المتعاقبة من آذار العام ١٩٨٨ وإلى أواخر العام ١٩٩٠ ، عشية العمليات العسكرية في حرب الخليج الثانية ، والتي تنقلت من جنوب لبنان إلى ضاحية

١٧٢- أحمد خالدي وحسين ج . آغا ، م . س . ص ص ٤٤-٤٥ .

بيروت ، ثم إلى شرق صيدا وإقليم التفاح ، وحملة اغتيالات بيروت[١٧٣] .

كانت حركة أمل تسعى من ناحية ، أن تظهر للدول الغربية أنها معارضة للراديكالية ، وتريد إيجاد دولة قوية في لبنان ، ومن ناحية أخرى ، كانت ترسل رسائل ومبعوثين إلى الدول الراديكالية في المنطقة لتعلمها ، أن أي تحرك ثوري أو أصولي في لبنان يجب أن يتم بالتنسيق مع حركة أمل ، وإلا فلن يكون مثمراً[١٧٤] .

في أيار ١٩٨٨م اشتعلت حرب دموية بين حركة أمل وحزب الله في الضاحية الجنوبية ، أسفرت عن سقوط خمسمائة ضحية ، وقد امتدت من شارع إلى آخر ومن حي إلى حي ومن بيت إلى بيت . وانتهت بانتصار حزب الله وبإخراج الحركة من مناطق برج البراجنة والمريجة والغبيري وحارة حريك[١٧٥] . هذا الانتصار عزز من قدرة حزب الله على التجنيد المستمر للشيعة الذين كان الكثيرون منهم في صفوف حركة أمل . كما أن عدداً من أعضاء الحركة إستقالوا منها وقوي نفوذ الحزب في داخل الحركة . وقد أقدمت «أمل» بعد هزيمتها في الضاحية في ربيع العام ١٩٨٨م على نفي عدد من علماء الدين من الجنوب إلى البقاع .

أدانت الحكومة الإيرانية بشدة الحرب بين الفريقين الشيعيين ، وطالبت بوقفها ، وقد قال آية الله السيد علي الخامنئي ، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية آنذاك ، في خطبة عيد الفطر سنة ١٩٨٨ : «إن الإشتباكات الدائرة بين المسلمين في لبنان هي لمصلحة الأجانب ، وإن المنتصر الوحيد والمستفيد الأساسي من هذه الأحداث هو إسرائيل»[١٧٦] . في المقابل قامت سوريا في حزيران ١٩٨٨ بتدخل سياسي وعسكري لمساعدة حركة أمل ، وكذلك للتأثير في انتخابات رئاسة الجمهورية اللبنانية في أيلول

١٧٣- وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٦٦ ؛ شهرية «**بيان**» الإيرانية ، العدد ٣ ، آب ١٩٩٠ ، ص ٦٤ .

١٧٤- م . ن .

١٧٥- وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٦٧ ؛ ومنى حرب القاق ، م . س . ص ١٣ .

١٧٦- يوسف محمد باجوق ، م . س . ص ٥٩ .

من العام نفسه[١٧٧] .

فيما بعد ، أثمرت مواقف الحكومتين الإيرانية والسورية ، عن تشكيل اللجنة الرباعية التي ضمت ممثلين عن دمشق وطهران وحزب الله وحركة أمل ، واعتبرت هذه اللجنة أول اعتراف سياسي سوري بحزب الله ، الذي رفع من مستوى الاتصال ، إلى أن جاء لقاء جديد مع الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد ، في حزيران من العام ١٩٨٨م ، لوضع اللمسات الأخيرة على اتفاق دخول القوات السورية إلى الضاحية الجنوبية لبيروت ، وقد طمأن الأسد وفد الحزب ، إلى أنه لن يحدث أي تغيير في الضاحية بعد دخول الجيش السوري إليها ، وهذا ما حدث فعلاً ، بعد انتشار القوات السورية في هذه المنطقة[١٧٨] .

في صيف العام ١٩٨٨م ، عادت الحرب بين الفريقين واشتعلت من جديد . فقد قتل «داوود داوود» المسؤول العسكري - السياسي لحركة أمل في الجنوب وإثنان آخران من قادة «أمل» ، في أيلول ١٩٨٨ ، في منطقة «الأوزاعي» في بيروت . وأقدم «عقل حمية» المسؤول العسكري لحركة أمل ، في صيف العام ١٩٨٨ وفي أوج المواجهة مع حزب الله ، على تفجير غرفة عمليات لحركة أمل وإحراقها ، ومن ثم خرج من المسرح السياسي . وانفصل كذلك «مصطفى الديراني» المسؤول الأمني لحركة أمل عن الحركة ، وأنشأ «المقاومة المؤمنة» ، التي كانت مجموعة عسكرية صغيرة ، تحولت إلى منافسة لحركة أمل[١٧٩] . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٨٨ ، نجا السيد حسن نصرالله والسيد إبراهيم الأمين

١٧٧- هلال خشان ، **الإسلام والعصر الحديث** ، ترجمة : مركز الاستشارات والبحوث (بيروت ١٩٩٨) ، ص ٢٠ وكذلك :
Joseph Olmert, "Iranian Syrian Relation" Between Islam and Realpolitik", in David Menashri (ed.), ***The Iranian Revolution and the Muslim World*** (Boulder, CO: Westview Press, 1990), p. 184.

١٧٨- حسن فضل الله ، م . س . ص ١٤٦ ؛ وكذلك أحمد خالدي وحسين ج . آغا ، م . س . ص ٤٧ .

١٧٩- وضاح شرارة ، م . س . ص ص ١٩٨ و٢١٨ .

وعدد آخر من قادة حزب الله من انفجار في منطقة البقاع[١٨٠] .

أخيراً ، وتحت ضغط سوريا وإيران ، وقّعت اتفاقية «دمشق - ١» في ٣٠ كانون الثاني ١٩٨٩ ، التي تنص على الاعتراف بسلطة أمل في جنوب لبنان ، والإمساك بالوضع الأمني فيه ؛ وفي المقابل سمح لحزب الله إضافة إلى مقاومة إسرائيل ، أن يمارس نشاطه السياسي والثقافي في الجنوب . وقد أعلن السيد إبراهيم الأمين «أن باستطاعة حزب الله - بناء على الترتيبات التي تم التوافق عليها بين إيران وسوريا - أن يستمر في فعاليته في الجنوب[١٨١]» ، لكن السيد حسن نصرالله الذي كان مسؤول الحزب العسكري في الجنوب آنذاك ، تحفظ على بعض بنود هذه الاتفاقية ، ولذلك غادر لبنان ، وأقام مدة في إيران[١٨٢] .

اتفاقية «دمشق - ١» أوقفت إلى حد ما الصدامات بين «أمل» وحزب الله ، لكن دون أن تحل الأمور في العمق . لذلك عادت الاشتباكات من جديد في شتاء العام ١٩٩٠م ، بسبب اعتراض «أمل» على نشاط حزب الله العسكري ضد إسرائيل في الجنوب . كانت «أمل» هذه المرة تعتقد أن العمليات على مراكز الجيش الإسرائيلي ، تؤدي في المقابل إلى غارات إسرائيلية جوية وبرية ، تزعزع الاستقرار ، وتؤخر قيام حكم مركزي مقتدر ، وتعيق عملية إعادة الأمن والسلام على ربوع لبنان[١٨٣] . وقد حصلت في هذه المرحلة الجديدة من المواجهة ، معارك دموية في منتصف تموز عام ١٩٩٠ بين الطرفين في منطقة «إقليم التفاح» في الجنوب اللبناني ، حيث حوصر مقاتلو حزب الله بشكل كامل لأكثر من مئة يوم ، وقد بلغت خسائر حزب الله في هذه المعارك ١١٠ شهداء ومئتي جريح[١٨٤] .

١٨٠- يوسف محمد باجوق ، م . س . ص ٦١ .

١٨١- وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٦٧ وكذلك :
Magnus Ranstorp, ***Op. Cit***., p.164.

182- ***Ibid.***, p.11.

١٨٣- شهرية «بيان» الإيرانية ، العدد ٣ ، آب ١٩٩٠ ، ص ٦٤ .

١٨٤- صحيفة الحياة ، ١١ أيلول ١٩٩٠ .

دورة الحرب الثانية بين «أمل» وحزب الله تزامنت مع التحولات المهمة في العالم وفي المنطقة وفي الداخل اللبناني . فقد أدركت سوريا بعد انهيار المعسكر الشرقي ، وبعد أن أعاد الاتحاد السوفياتي السابق النظر في سياسته الخارجية ، أن عليها الاعتماد على وسائل أخرى كقوات المقاومة في لبنان ، قبل المساعدات العسكرية السوفياتية ، للمحافظة على توازن القوة مع إسرائيل . وقد شكل احتلال العراق للكويت ، وتبادل الرسائل بين إيران والعراق ، ووساطة عرفات بينهما في العام ١٩٩٠م ، عوامل قلق لسوريا ، من أن يؤدي تضخم دور عرفات الإقليمي إلى بروز نفوذه مجدداً على الساحة اللبنانية .

كانت سياسة سوريا التقليدية في لبنان تقضي باستمرار إستغلال أساليب الضغط في إطار التوازن الإستراتيجي بينها وبين إسرائيل . لهذا السبب ، حين سافر حافظ الأسد إلى موسكو وقابل غورباتشوف ، لاحظ أن زعماء الكرملين ليسوا في وارد تقديم مساعدات عسكرية جديدة لسوريا ، وقد قال في مقابلة أجراها بعد عودته : «يجب أن نقيم التوازن بيننا وبين العدو الصهيوني من طريق المقاومة وروحية الاستشهاد ، والعمليات الفدائية» . كما أعلن في اجتماع لحزب البعث : «ما من طريق أمامنا لمواجهة إسرائيل وأعمالها التوسعية ، سوى الاعتماد على القوى الإسلامية في لبنان»[١٨٥] .

من ناحية أخرى ، بدأت الجولة الجديدة من الاشتباكات بين حركة أمل وحزب الله متزامنة مع عصيان «ميشال عون» وحربه «التحريرية» ضد سوريا ، وتوقيع اتفاقية الطائف كذلك ، فاضطرت سوريا في ظل هذه الأوضاع أن تجد حلاً نهائياً لحرب أمل وحزب الله ؛ لأنها لا تستطيع أن تحارب على جبهتي لبنان وإسرائيل في الوقت نفسه . واستعاد موضوع الوساطة فعاليته بسفر حافظ الأسد إلى طهران في أيلول ١٩٩٠ ، وعقدت جلسة رباعية ضمت إيران وسوريا وأمل وحزب الله بإصرار سوري ، كانت

١٨٥- شهرية «بيان» الإيرانية ، العدد ٢ ، تموز ١٩٩٠ ، ص ٦٣ .

دليلاً على تغيير في سياسة سوريا وتكتيكها في ما يتعلق بلبنان ؛ وأخيراً وقعت اتفاقية «دمشق-٢» في ٩ تشرين الثاني ١٩٩٠ بين حزب الله وأمل التي لحظت دخول الجيش اللبناني إلى مناطق نفوذ الطرفين في الجنوب للحؤول دون عودة الاشتباكات بين أمل وحزب الله ، على أن لا يشكل عائقاً لعمليات «المقاومة ضد إسرائيل»[١٨٦] . هذه الاتفاقية أنهت فعلاً الحرب بين أمل وحزب الله ، وأدت إلى أن يصبح موضوع «مقاومة الاحتلال» هو المحور الأساسي الذي يقاتل من أجله الحزب ، وليتمكن كذلك من متابعة المتغيرات الداخلية اللبنانية ونتائج اتفاق الطائف .

وقد قدرت الخسائر الناجمة عن هذه المعارك بألفين وخمسمئة ضحية وخمسة آلاف جريح ، معظمهم من حركة أمل[١٨٧] . لقد كانت هذه الحرب في الواقع بداية النهاية بالنسبة إلى قوة «أمل» العسكرية ، كما أنها زعزعت بنيتها التنظيمية . يقول «كنث كاتزمان» الباحث والكاتب الأميركي : «تفيد التقارير بأن «أمل» هي التي بادرت إلى القتال في العام ١٩٨٨ ، سعياً إلى تعزيز قاعدتها في أوساط المجتمع الشيعي اللبناني ، مستبقة انتخابات العام ١٩٨٨ (التي لم تجر) . ويعتقد العديد من المحللين أن سوريا شجعت حركة أمل على التصادم مع حزب الله ، في محاولة للحد من تأثير الحزب على لبنان»[١٨٨] .

لقد كان من نتيجة المعارك بين حزب الله وحركة أمل التي استمرت لأكثر من خمس سنوات في نطاقات محدودة ولسنتين على نطاق واسع ، توقف عمليات المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي الأمر الذي أعطى الجيش الإسرائيلي الفرصة

١٨٦- حسن فضل الله ، م .س . ص ١٤٧ .

١٨٧- الحياة ، ١٤ حزيران/ ١٩٩٠ .

188- Kenneth Katzaman, “Hizbollah: Narrowing Options in Lebanon", in Stephen Pelletiere, ***Hamas and Hizballah: The Radical Challenge to Isreal in the Occupied Territories*** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, 1994), p.18.

١٨٩- شهرية «بيان» الإيرانية ، م .س .

المناسبة ، لتثبيت ركائزه الأمنية اللازمة وتعزيزها[١٨٩] . إلا أن هذا لم يمنع من التجهيز لعمليات استشهادية في داخل الشريط المحتل ، حيث نفذ الحزب ثلاث عمليات استشهادية كبرى بسيارات مفخخة التي أدت إلى سقوط ٩٣ عسكرياً إسرائيلياً بين قتيل وجريح :

الأولى : عملية الشهيد «هيثم دبوق» في ١٩/ ٨/ ١٩٨٨ في تل النحاس - دير ميماس - قضاء مرجعيون .

الثانية : عملية الشهيد «عبدالله عطوي» (الحر العاملي) في ١٩/ ١٠/ ١٩٨٨ في كفركلا - قرب بوابة فاطمة - قضاء مرجعيون .

الثالثة : عملية الشهيد الشيخ «أسعد برو» في ٩/ ٨/ ١٩٨٩ على مدخل القليعة - قضاء مرجعيون .

الفصل الثالث

حزب الله

بعد اتفاق الطائف

توقيع اتفاق الطائف

إنتهت الولاية الرئاسية لأمين الجميل في ٢٢ أيلول ١٩٨٨م ، لكن ، كان هناك اختلاف في وجهات النظر داخل المجلس النيابي اللبناني حول خلفه . وفي منتصف ليلة ٢٢ أيلول عيّن الجميل الجنرال «ميشال عون» ، قائد الجيش رئيساً للوزراء ، وغادر لبنان إلى فرنسا . كان هذا التعيين مخالفاً للميثاق الوطني اللبناني الذي يقضي أن يكون رئيس الحكومة من الشخصيات السنية . أوصل هذا التحول الأزمة اللبنانية إلى أوجها ، لأنه بتشكيل الحكومة العسكرية ، أصبح في لبنان حكومتان وجيشان . كما أعلن ميشال عون بعد ذلك «حرب التحرير» ضد سوريا .

كانت الإدارة الأميركية في الأشهر الأربعة الأخيرة من حكم الجميل قد طلبت إلى بعض البلدان العربية كالمغرب والجزائر والمملكة العربية السعودية ، المساعدة في إيجاد حل للأزمة اللبنانية . لهذا السبب إجتمع قادة الدول المذكورة في ٢٣ أيار ١٩٨٩ في الدار البيضاء ، وشكلوا لجنة ثلاثية للبحث عن حل للأزمة . وكانت أهداف اللجنة الثلاثية عبارة عن :

١ - إعلان اتفاق لوقف إطلاق النار خلال ستة أشهر .

٢ - تمركز قوات الردع العربية لمراقبة وقف إطلاق النار .

٣ - الاتفاق على الإصلاحات .

٤ - إنتخاب رئيس جمهورية جديد .

في أيلول ١٩٨٩ طرحت اللجنة الثلاثية خطة سلام جديدة للبنان تحت عنوان «ميثاق الوفاق الوطني» . كما طالبت اللجنة في خطتها ، أن يجتمع النواب اللبنانيون في مدينة الطائف في السعودية ، لإعلان وقف إطلاق النار ، وتشكيل لجنة أمنية برئاسة «الأخضر الإبراهيمي» وزير خارجية الجزائر لمراقبة تنفيذه ، وإنهاء الحصار البحري ، وإعادة فتح مطار بيروت الدولي ، ومراقبة السفن الداخلة والخارجة من مرفأ بيروت[١] .

رفض ميشال عون خطة اللجنة الثلاثية ، لكن أميركا والاتحاد السوفياتي وإنجلترا وفرنسا والدول العربية أيدوها . وبسبب الدعم الدولي ودعم دول المنطقة لهذه الخطة ، إجتمع النواب اللبنانيون في مدينة الطائف في المملكة العربية السعودية في ٢٩ أيلول ١٩٨٩ . وقد شارك في الاجتماع ٦٢ نائباً من أصل ٧٣ ، لإعداد ميثاق الوفاق الوطني ، وتعديل الدستور اللبناني ، لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية . وقد وافق ٥٥ نائباً من المجتمعين على صيغة الميثاق وعارضه ثلاثة فقط ، وقاطع الجلسة ثلاثة آخرون ، ونائب واحد إمتنع عن التصويت . إنتهى مؤتمر الطائف في ٢٥ تشرين الأول ١٩٨٩ ، بالموافقة على الاصلاحات المطلوبة[٢] .

كانت الحكومة الإيرانية - لأنها لم تدع للمشاركة في مؤتمر الطائف - مستاءة و«قلقة» على مستقبل حزب الله ، والقرارات المتعلقة بمستقبل المقاومة والصراع مع إسرائيل[٣] . ميشال عون رفض أيضاً «إتفاق الطائف» ، لكن رفضه لم يؤد إلى أي نتيجة . وفي كانون الأول ١٩٨٩ ، عقد النواب جلسة أخرى (في لبنان هذه المرة) وانتخبوا «رينيه معوض» إحدى الشخصيات المسيحية المارونية رئيساً للجمهورية

١- جورج بكاسيني ، **أسرار الطائف** (بيروت : تعاونية الطباعة ، الطبعة الأولى ١٩٩٣) ، ص ١١ .

٢- م . ن . ص ٢١ .

٣- يوسف محمد باجوق ، إيران - لبنان : **عرض توثيقي لأبرز المواقف الإيرانية حيال لبنان ١٩٧٧-١٩٩٣** ، (بيروت ، ١٩٩٥) ، ص ص ١٠٦- ١٦٩ .

اللبنانية . لكنه قتل بعد عدة أيام - في ٢٢ تشرين الثاني - في انفجار ضخم في غرب بيروت ، فانتخب المجلس النيابي «الياس الهراوي» رئيساً خلفاً له . واختار الهراوي «سليم الحص» رئيساً للوزراء ، والجنرال «إميل لحود» قائداً للجيش .

على الرغم من تعيين رئيس للجمهورية ، لم يكن ميشال عون مستعداً للتخلي عن الحكم ، وظل فارضاً سلطته على شرق بيروت وعدد من المناطق المسيحية . واستمرت إزدواجية السلطة لمدة عشرة أشهر ، وحافظ عون على قوته بدعم من إسرائيل والنظام العراقي[٤] ، إلى أن هاجم العراق الكويت واحتلها ، وطالبت أميركا وسائر الدول الأوروبية الدول العربية بالمشاركة في قوات التحالف المرسلة إلى العراق كي لا تبدو الحرب وكأنها موجّهة «ضد العرب» ؛ وافقت مصر وسوريا على المشاركة في قوات التحالف ، لكن حافظ الأسد طلب مقابل مشاركته العسكرية في الحرب على العراق ، أن يحصل على امتيازات في الساحة اللبنانية ، فقبلت أميركا والدول الغربية الأخرى شروط سوريا وأطلقت يدها في لبنان على الرغم من اعتراض إسرائيل . لهذا السبب أقدمت سوريا في تشرين الأول العام ١٩٩٠ على شن هجوم جوي واسع على مقر إقامة عون وأمطرته بالقنابل . فانهارت مقاومة عون ، الذي لجأ إلى السفارة الفرنسية في بيروت ، وبعد مدة غادر لبنان بوساطة فرنسية ، واستقر في فرنسا . وهكذا مهدت الأرضية لتطبيق اتفاق الطائف ، وبدأت مرحلة «الجمهورية الثانية» في لبنان .

المؤتمر الأول لحزب الله

بالتزامن مع انعقاد مؤتمر الطائف ، اجتمعت شورى حزب الله . واتخذت في هذه الجلسة قرارات مهمة تتعلق بالتغييرات التنظيمية في الحزب . وتقرر أن تعقد

٤- أقدم صدام حسين على خلفية عدائه المزمن لحافظ الأسد ، وانتقاماً من سوريا بسبب تأييدها لإيران أثناء حرب العراق عليها ، على تأييد ميشال عون ودعمه بالمال والسلاح تشجيعاً له على محاربة سوريا في لبنان .

جلسة عامة للحزب لانتخاب قيادة جديدة، كما تقرر تعيين منصب أمين عام، ونائب الأمين العام، وتشكيل مجلس تنفيذي، ومكتب سياسي، ومجلس قضائي ومجلس جهادي وغير ذلك(٥).

بعد هذه القرارات، عُقد المؤتمر الأول للحزب، وانتخب للمرة الأولى في تاريخ الحزب تسعة أعضاء كشورى قيادة بواسطة الاقتراع والانتخابات العامة داخل الكوادر الحزبية. وهؤلاء الأعضاء التسعة هم: الشيخ صبحي الطفيلي، السيد عباس الموسوي، السيد حسن نصرالله، الشيخ حسين كوراني، الشيخ نعيم قاسم، الشيخ محمد يزبك، محمد رعد، محمد فنيش ومحمد ياغي؛ وفي ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩ انتخب هؤلاء الأعضاء الشيخ صبحي الطفيلي أميناً عاماً والشيخ نعيم قاسم نائباً للأمين العام، والسيد حسن نصرالله رئيساً للمجلس التنفيذي ومحمد فنيش رئيساً للمكتب السياسي. إضافة إلى التغييرات في شورى القيادة، حدد قادة حزب الله بعض المسؤوليات الثقافية والإعلامية والتعبوية وعهدوا بها إلى الكوادر الرديفة الثانية في الحزب(٦).

---

٥ - حسن فضل الله، **حرب الإرادات**، (بيروت: دار الهادي، الطبعة الثانية ١٩٩٨)، ص ٩٦؛ وكذلك **«الأنباء»** ٢٧ تشرين الثاني ١٩٩٨، **العهد**، ٢٧ تشرين الأول ١٩٩٨، **الحياة** ٢٧ تشرين الأول و٢٧ تشرين الثاني ١٩٩٨.

٦ - المجلس التنفيذي يتألف من أقسام إدارية متعددة تعنى بشؤون العمل الاجتماعي والشؤون المالية والاتحادات المهنية والتعليم والصحة والإعلام... وتشرف على المناطق الثلاث (البقاع وبيروت والجنوب)، ويتصل القسم بواسطة أحد أعضائه «مسؤول المنطقة» بالمجلس التنفيذي، المهمة الأساسية لشورى المنطقة متابعة سياسات الحزب العامة وتأمين احتياجات المنطقة اليومية وتشتمل مهام المجلس التنفيذي على نظام خاص وظيفته «غربلة» المتطوعين من مؤيدي الحزب للحيلولة دون تسلل العملاء الإسرائيليين إلى صفوفه. راجع: نزار حمزة، «حزب الله لبنان: از انقلاب اسلامى تا سازش پارلمانى»، ترجمه بهروز ابوئى مهريزى، **دانش سياسى**، ص ٣٠.

Kenneth Katzman, "Hizbollah: Narrowing Options in Lebanon", in Stephen Pelletiere, ***Hamas and Hizballah: The Radical Challenge to Isreal in the Occupied Territories*** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, 1994), pp. 12-13.

هذا التغيير والتطور التنظيمي الواسع جعل من حزب الله تنظيماً أكثر «علنية» و«انفتاحاً». وجاء تأسيس وحدة إعلامية للتواصل مع الصحف ووكالات الأنباء، وكذلك كان تأسيس إذاعة «النور» وتلفزيون «المنار» شاهدين على تحول الحزب نحو «العلنية»، مع هذا ظل حزب الله في نطاق الأمور الأمنية والعسكرية يعمل بشكل سري كامل ومعقد. أما بالنسبة إلى موضوع «اتخاذ القرارات»، فإن شورى الحزب هي المعنية بذلك، فهي تنظم جميع الأنشطة، وتبلغها إلى الشُعب والمناطق، لكن مسؤولية التنفيذ كانت تقع على عاتق مسؤولي الحزب ومسؤولي المناطق(٧).

تطبيق اتفاق الطائف

أتاحت هزيمة ميشال عون المجال لتطبيق اتفاق الطائف. وكانت المرحلة الأولى من هذا الاتفاق إيجاد بيروت الكبرى، وبسط سلطة الدولة اللبنانية وحل الميليشيات. كانت خطة بيروت الكبرى مبنية على أن يتولى الجيش اللبناني بمساعدة القوات السورية مهمة فرض الأمن في العاصمة بعد إخراج الميليشيات منها، وإلغاء خطوط التماس بين شطريها. كان في بيروت الكبرى قوتان أساسيتان: «القوات اللبنانية» و«حزب الله». أما بقية المجموعات الميليشاوية فقد كان بإمكانها - لضعف قوتها العسكرية وقلة أسلحتها - أن تخرج قواتها بسرعة من بيروت. فنقل الحزب التقدمي الاشتراكي بزعامة وليد جنبلاط أسلحته الثقيلة إلى منطقة «الشوف»، ونقلت حركة أمل أسلحتها إلى الجنوب.

كلفت الحكومة اللبنانية لتنفيذ خطة «بيروت الكبرى» لجنة ثنائية تتألف من وزير الدفاع «محسن دلول» ووزير الزراعة «ألبير منصور»، كانت مهمتهما الاتصال بقادة

7- Magnus Ranstorp, ***Hizb'Allah in Lebanon*** (NewYork: St. Martins's Press, 1977), p. 96.

بما أن شورى قيادة حزب الله هي المسؤولة عن اتخاذ القرارات الأساسية في الحزب، لذلك تدعى في الهرم التنظيمي للحزب «شورى القرار».

الميليشيات المتواجدة في بيروت، لتأمين المقدمات الضرورية لانتشار الجيش وبسط الأمن، وقد اجتمعت اللجنة بتاريخ ٢٩ تشرين الأول ١٩٩٠ بقادة حزب الله وبحثت معهم تفاصيل الخطة، وعلاقة الحكومة بالحزب، وكان محور المباحثات، حدود بيروت الكبرى، ومصير الميليشيات المتواجدة فيها. في هذا اللقاء الذي انعقد في المكتب السياسي للحزب، بحضور أمينه العام حينذاك الشيخ الطفيلي، قال «ألبير منصور» إن الدولة مستعدة للتعاون الكامل مع الحزب، والهدف من هذا اللقاء التشاور وتبادل وجهات النظر، ونقل وجهة نظر الحزب إلى الحكومة.

طرح الحزب موضوع حدود بيروت الكبرى، وكيفية استقرار الجيش، وتأمين الدعم له، ومصير الأسلحة الخارجة من بيروت الكبرى وبخاصة في منطقتي «كسروان وجبيل»، وخطة توسيع انتشار الجيش، بحيث يتمكن الناس من العيش بأمان وسلام دون تمييز بينهم، وكذلك موضوع حل الميليشيات المتمركزة خارج بيروت. أجاب «دلول» أن موضوع حل الميليشيات سيتم بعد تنفيذ خطة بيروت الكبرى. وفي نهاية هذا اللقاء تشكلت لجنة من الطرفين للتنسيق بشأن انتشار الجيش في الضاحية.

يعدّ موقف حزب الله بشأن موافقته على دخول الجيش إلى الضاحية، نقطة انعطاف في مواقف هذا الحزب لأنه منذ العام ١٩٨٣، أي منذ خروج الضاحية من نطاق سلطة الدولة، أنشأ الحزب فيها مراكز عسكرية قوية وثابتة، بحيث أصبحت الضاحية قلعة حصينة لحزب الله. لكن بعد هذه التحولات وافق حزب الله على إقفال مراكزه العسكرية، وإخراج الأسلحة الثقيلة منها، ولم ينحصر هذا الموضوع ببيروت الكبرى وإنما امتد إلى خارجها؛ ففي آب ١٩٩٢ تخلى الحزب عن ثكنة الشيخ عبدالله الاستراتيجية المشرفة على مدينة بعلبك، التي كانت منذ العام ١٩٨٣، القاعدة الرئيسية للحرس الثوري في البقاع، حيث كانت مكاتب القيادة والمقرات الرئيسية في داخلها، ومنها كانت تدار التحركات العسكرية والتدريبات للمقاتلين، حتى غدت رمزيتها بالنسبة إلى الحزب أكبر أثراً من موقعها الاستراتيجي[8].

٨- حسن فضل الله، **الخيار الآخر**، (بيروت: دار الهادي، ١٩٩٤)، ص ص ١١٤ و١١٦ و١٢٠.

في ٢٨ آذار ١٩٩١، وافقت الحكومة على مشروع حل الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية. وقد بلغ هذا الموضوع أوجه حين عهدت إلى الجيش مسؤولية المحافظة على الأمن في جميع المناطق اللبنانية في ٢٠ أيلول من العام نفسه، وكان يبدو أن المرحلة الأولى من اتفاق الطائف قد انتهت بنجاح. في هذه المرحلة حض الرئيس السوري «حافظ الأسد» كلاً من نبيه بري وقادة حزب الله على تقاسم النفوذ، وبناءً عليه «حصل بري على منصب رئيس مجلس النواب وتوجه حزب الله إلى الجنوب لحمل السلاح ضد إسرائيل كحركة مقاومة»[9]. وهكذا بعد ثلاث سنوات ونصف من حالة الركود في المقاومة، إستؤنفت الحرب الحقيقية ضد إسرائيل في جنوب لبنان من جديد، وبما أن حركة أمل كانت قد فقدت قوتها العسكرية الفاعلة، فقد تولى حزب الله محاربة إسرائيل والمتعاملين معها، وقد بدأت المقاومة الإسلامية عملياتها العسكرية مجدداً في تموز العام ١٩٩١، ونصبت كميناً في «تومات نيحا» أوقع ثلاثة قتلى من الجنود الإسرائيليين[10].

مؤتمر مدريد

في ١٨ تشرين الأول من العام ١٩٩١ طلب جورج بوش الأب، رئيس الولايات المتحدة الأميركية، وميخائيل غورباتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفياتي السابق، في دعوة وجّهاها إلى قادة كل من إسرائيل وسوريا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن، للمشاركة في مؤتمر سلام يعقد في مدريد في ٣٠ تشرين الأول من العام نفسه. إنعقد المؤتمر في الموعد المقرر له، وشارك فيه إضافة إلى الدول المذكورة آنفاً، كل من مصر والاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون الخليجي، والأمم المتحدة كأعضاء مراقبين.

9- Stephen Pelletiere, ***Hamas and Hizbollah: The Radical Challenge to Israel in the Occupied Territories*** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute,1994), p.61.

١٠ - وضاح شرارة، **دولة حزب الله: لبنان، مجتمعاً إسلامياً** (بيروت: دار النهار، الطبعة الثالثة ١٩٩٨)، ص ٣٨٤.

مؤتمر مدريد إنعقد بعد فشل العراق في هجومه على الكويت ، وكان العرب في أسوأ الظروف ، وأميركا وإسرائيل في أقوى وضع وأفضله ، لذلك عارضت القوى والأحزاب اللبنانية هذا المؤتمر ، وأعلن الجميع تمسكهم بالمقاومة ودعمهم لها ، لأنها الطريق الوحيد لتحرير الجنوب اللبناني . وقد سمّى حزب الله مؤتمر مدريد «مؤتمر التسوية» ، وأعلن الشيخ «نعيم قاسم» معاون الأمين العام لحزب الله في خطبة له ، تعزيز المقاومة ضد إسرائيل ، ودعم القوى المناضلة داخل فلسطين المحتلة ، وأكد على أن «حزب الله يرفض نتائج هذا المؤتمر الذي يحقق طموحات الكيان الصهيوني في السيطرة على أرض الميعاد»[١١] .

المؤتمر الثاني لحزب الله

في ربيع العام ١٩٩١ ، إنعقد المؤتمر الثاني للحزب ، وكانت القرارات الأهم التي اتخذها ، تقليل أعضاء مجلس الشورى من تسعة أعضاء إلى سبعة ، والمشاركة في الانتخابات النيابية ، مع تنحية الشيخ صبحي الطفيلي عن منصب الأمانة العامة وانتخاب «السيد عباس الموسوي» أميناً عاماً جديداً للحزب[١٢] . لكنه استشهد بعد ذلك بعدة أشهر ، على إثر عملية إرهابية نفذتها طائرات الهليكوبتر الإسرائيلية .

ففي ١٧ شباط ١٩٩٢ ، كان السيد عباس الموسوي قد ذهب إلى جبشيت في جنوب لبنان لإلقاء خطبة بمناسبة ذكرى استشهاد الشيخ راغب حرب ، وفي طريق العودة ، قصفت الطائرات الإسرائيلية سيارته بالصواريخ ، فاستشهد هو وزوجته وطفلهما الصغير . وقد عمت أجواء الحزن كل لبنان لمشاركة حزب الله وجدانياً في المناسبة ، وزاد عدد المتعاطفين من جميع الطوائف معه ، لأن شهادة أمينه العام ، جاءت إثباتاً على مصداقية قادة الحزب في مقاومتهم لإسرائيل ، هذا الأمر الذي يندر وجوده بين قادة الأحزاب الآخرين في لبنان . وتحول تشييع جثامين الشهيد السيد

١١- **العهد** ، ١ تشرين الثاني ١٩٩١ .

١٢- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ٩٧ ؛ **المجلة** ، العدد ٩١٥ ، ٢٤ آب ١٩٩٧ .

عباس الموسوي وعائلته إلى مظاهرات شعبية عظيمة ، تأييداً لحزب الله وعداءً لإسرائيل ، وشكل بداية اكتساب حركة المقاومة الإسلامية لشرعيتها في أوساط الشعب اللبناني .

في أعقاب استشهاد الأمين العام لحزب الله ، أطلق مقاتلو المقاومة الإسلامية حوالي مئتي صاروخ كاتيوشا على المستوطنات الإسرائيلية في شمال فلسطين للمرة الأولى وعلى المواقع الإسرائيلية ومواقع العملاء في الشريط المحتل . هذا القصف الصاروخي ألحق خسائر شديدة بين الجنود الإسرائيليين والعملاء اللحديين ، بحيث أن أميركا والاتحاد الأوروبي بدأوا مساعيهم لإيقاف عمليات حزب الله ، وكانت النتيجة سلسلة من الاتصالات السياسية بقادة المنطقة ومن بينهم رؤساء سوريا وإيران ولبنان ، وأسفر الاتصال الهاتفي بين حافظ الأسد والشيخ هاشمي رفسنجاني عن اجتماع في بيروت لممثلي حزب الله وسوريا وإيران ، تقرر فيه أن يوقف حزب الله حملاته الصاروخية من المناطق التي تسيطر عليها قوات الأمم المتحدة والجيش اللبناني ، علماً أن الجيش الإسرائيلي كان قد استهدف أمين عام حزب الله وعائلته ضمن منطقة عمل قوات الأمم المتحدة[١٣] . وعلى إثر استشهاد السيد عباس الموسوي إجتمعت قيادة الحزب ، وانتخبت السيد «حسن نصرالله»[١٤] أميناً عاماً ، كما مدّدت ولايته من سنتين إلى ثلاث سنوات .

١٣- المجلة الشهرية «**بيان**» الإيرانية ، العدد ١٧و١٨ آذار ونيسان ١٩٩٢ ، ص ٦٥ .

١٤- ولد السيد حسن نصرالله في ٣١ آب ١٩٦٠ ، في بلدة البازورية في جنوب لبنان ، تلقى دراسته الابتدائية والمتوسطة في بيروت والثانوية في بلدته البازورية . غادر عام ١٩٧٦ إلى النجف الأشرف للدراسة في حوزتها العلمية بإشراف الشهيد محمد باقر الصدر والشهيد السيد عباس الموسوي . اضطر عام ١٩٧٨ للعودة إلى لبنان بسبب ضغوطات النظام العراقي على الحوزات الدينية وتابع دراسته في الحوزة الدينية في مدينة بعلبك ؛ تولى بين العام ١٩٧٦ والعام ١٩٨٢ ، مسؤوليات تنظيمية في حركة أمل وأهمها عام ١٩٧٩ كمسؤول سياسي عن البقاع وعضو في المكتب السياسي في عام ١٩٨٢ . وفي العام نفسه ، انسحب من حركة أمل مع مجموعات أخرى حيث شارك في تأسيس حزب الله في العام ذاته . وفي عام ١٩٨٥ عيّن مسؤولاً لحزب الله عن البقاع ثم عن منطقة بيروت . عام ١٩٨٧ عيّن مسؤولاً تنفيذياً في حزب الله إلى جانب عضويته في «شورى القرار» . عام ١٩٨٩ غادر للدراسة في الحوزة العلمية في قم ، لكن عاد بعد عام واحد إلى لبنان لمتابعة نشاطه السياسي داخل حزب الله . متزوج وله ابنة وأربعة أبناء استشهد كبيرهم ، السيد هادي عام ١٩٩٧ ، في مواجهة مع قوات العدو الإسرائيلي في جنوب لبنان .

الانتخابات النيابية اللبنانية في العام ١٩٩٢

كانت آخر انتخابات برلمانية في لبنان قد أجريت في العام ١٩٧٢ ، ولم تتكرر حتى العام ١٩٩٢ ، وقد تولى مجلس العام ١٩٧٢ القيام بمهامه مدة عشرين سنة . وقد رفض حزب الله في العام ١٩٩٠ بعد اتفاق الطائف الاقتراحات المتعلقة بتحديد حصة له في المجلس ، رشوة لضمان عدم اعتراضه على اتفاق الطائف ، لأن الحزب كما ذكر في رسالته المفتوحة «يعتبر إرادة الأمة مصدر أي تغيير في الساحة السياسية اللبنانية . لذلك هو يعارض أسلوب تعيين النواب»[١٥] .

جرت أول انتخابات نيابية بعد انتهاء الحرب الأهلية ، لانتخاب ١٢٨ نائباً في المجلس – بناء على اتفاق الطائف – في ٢٣ آب و٦ أيلول ١٩٩٢ . وقد شكل الحزب طيلة مرحلة الانتخابات ماكينته الانتخابية ، بتوجيه مباشر من قيادته ، بحيث أن الدكتور نزار حمزة يقول : «لم يشكل حتى الآن أي حزب سياسي أو زعيم تقليدي في لبنان على الرغم من التجربة الطويلة في العمل الانتخابي ، ماكينة إنتخابية مؤثرة كما فعل الحزب»[١٦] . كما أصدرت قيادة الحزب فتوى دينية خاصة بالانتخابات وزعتها على جميع أعضاء الحزب ومناصريه ، مفادها : «أن كل إنسان سيُسأل يوم القيامة عن الرأي الذي أعطاه ، يجب على كل مؤمن بتعاليم الإسلام الرفيعة ، أن يأخذ لائحة الحزب ويضعها في صندوق الاقتراع ، ولا يجوز انتخاب مرشحين من خارج اللائحة»[١٧] . وعلى أساس هذه الفتوى ، قامت الوحدة الإعلامية في حزب الله ، وأيضاً العلماء في خطبهم الحماسية ، بتعبئة الجماهير للاقتراع لمصلحة المرشحين الذين وافق عليهم الحزب .

15- Eyal Zisser, "Hizbollah on the Crossroad", ***Middle East Review of International Affairs (MERIA)***,1997, Sep.30, p.5.

١٦- نزار حمزة ، م . س . ص ص ٤١ – ٤٢ .

١٧- العهد ، ١٤ آب ١٩٩٢ .

نجحت في انتخابات العام ١٩٩٢ ، في دائرة بعلبك – الهرمل الانتخابية ، لائحة حزب الله المسماة «الوفاء للمقاومة» المؤلفة من ثمانية أعضاء [أربعة من حزب الله وأربعة من حلفائهم من بقية الطوائف] . كما نجح في دائرة بعبدا مرشح حزب الله المتحالف مع الحزب التقدمي الاشتراكي و«باسم السبع» [شخصية شيعية متحالفة مع رفيق الحريري] . وفي مدينة بيروت نجح أيضاً مرشح الحزب بناء على تحالف غير معلن بين الحزب ولائحة «الإنقاذ والتغيير» (برئاسة سليم الحص) ، وفي الجنوب نجح مرشحا حزب الله ، في لائحة جمعتهما مع «أمل» وبعض الشخصيات المحلية[١٨] . وهكذا نجح حزب الله في تشكيل كتلة برلمانية من اثني عشر عضواً .

وعلى الرغم من أن اثني عشر نائباً من أصل ١٢٨ لا يشكلون أكثرية برلمانية بأي وجه من الوجوه ، لكن فوز الحزب كان له تأثير لافت في أوساط الأحزاب اللبنانية الإسلامية وغير الإسلامية ، لأنه أدخل إلى البرلمان الرقم الأعلى من النواب مقارنة بسائر الأحزاب[١٩] . إضافة إلى أن نجاح حزب الله في منطقتي البقاع والجنوب حيث النسيج الاجتماعي عشائري وإقطاعي ، دلّ على تدني نفوذ الزعماء العشائريين والاقطاعيين ، وعلى مدى التغيير الذي لحق بالبنية الاجتماعية للطائفة الشيعية[٢٠] .

كان لانتصار حزب الله الكبير في الانتخابات البرلمانية اللبنانية ، إنعكاساً واسعاً في إيران ، وقد قدم آية الله الخامنئي خلال لقائه بشورى الحزب في أيلول ١٩٩٢ ، تهانيه على الانتصار الباهر الذي حققه حزب الله في تلك الانتخابات ، مؤكداً على وجوب اقتران العمل الجهادي بالنشاط السياسي[٢١] .

18- Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, p.68.

١٩- نزار حمزة ، م . س . ص ٢٠ .

٢٠- المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان ، **أول انتخابات برلمانية بعد ٢٠ سنة** (مركز توثيق منظمة الثقافة والعلاقات العامة ، الوثيقة رقم ٦٠٧١١) .

٢١- يوسف محمد باجوق ، م . س . ص ٩٦ .

حزب الله والحكومة الجديدة

بعد تشكل المجلس النيابي الجديد، إقترح رئيس الجمهورية الياس الهراوي على المجلس اسم رفيق الحريري، أحد الرأسماليين السنيين المعروفين، والذي تربطه علاقات وثيقة بالسعودية وفرنسا وأميركا لتشكيل الوزارة، لكن حزب الله عارض ترشيح الحريري بواسطة كتلته النيابية، واقترح سنياً آخر هو «إبراهيم بيان» (أحد أعضاء كتلته النيابية) لتشكيل الوزارة. لكن الحريري هو الذي فاز بالمنصب لدعم الأحزاب والكتل اللبنانية الرئيسية له[٢٢].

في أثناء المباحثات الوزارية، عارض نواب حزب الله البرنامج السياسي للحكومة، لأنهم كانوا يعتقدون أن حكومة الحريري تجاهلت موضوعين أساسيين وهما «الاعتراف الرسمي بمقاومة الاحتلال»، «وتنظيم جدول زمني لإلغاء الطائفية السياسية» كما نصّ اتفاق الطائف[٢٣]. عارضت كتلة نواب حزب الله مشروع «سوليدير» [شركة تابعة للحريري كلفت بإعادة إعمار وسط بيروت]، وفي ما يخص تعديل قانون مصرف الاسكان والقروض السكنية، نسقت كتلة الوفاء للمقاومة مع سائر الكتل المعارضة لطروحات الحريري ومشاريعه. لكن حزب الله على الرغم من معارضته لحكومة الحريري وبرامجه، كان يعلن دائماً أنه لا يحمل ضغينة لشخص رئيس الوزراء[٢٤]، وهو عمل باستمرار على أن لا تصل معارضته للحريري إلى مقاطعة حكومته.

عملية تصفية الحساب (١٩٩٣)

كان مقاتلو حزب الله يتسللون منذ الانسحاب الإسرائيلي في العام ١٩٨٥ إلى

٢٢- نزار حمزة، م. س. ص ٤٤.

٢٣- السفير، ١٧ تشرين الأول ١٩٩٢.

٢٤- العهد، ٣٠ تشرين الأول ١٩٩٢.

داخل المنطقة التي أعلنتها إسرائيل «حزاماً أمنياً» لها في جنوب لبنان، ويهاجمون الجيش الإسرائيلي وقوات أنطوان لحد العميلة. غير أن حزب الله لم يشكل خلال تلك المرحلة سوى «عامل إزعاج وتكدير»[٢٥] للإسرائيليين، إذ أنه كان قليل المهارة وذي فاعلية محدودة. كما أن هذه العمليات توقفت لمدة سنتين بسبب حرب «أمل وحزب الله». لكن توقف الحرب الأهلية، وانتهاء الاشتباكات بين أمل وحزب الله، أتاحا للمقاومة الإسلامية الفرصة لرفع مستوى تدريبها العسكري، وتلقي التجهيزات العسكرية المناسبة والأكثر تقدماً، وصار بإمكانها القيام بعمليات عسكرية معقدة ومؤثرة. تطورت هذه العمليات العسكرية تطوراً لافتاً كمياً ونوعياً، ورفعت أعداد الخسائر البشرية في صفوف الجيش الإسرائيلي. وأهم هذه العمليات تلك التي حصلت في حزيران ١٩٩٣، حيث استطاع المقاومون خلال أسبوعين أن يقتلوا تسعة جنود إسرائيليين[٢٦].

هددت الحكومة الإسرائيلية التي تؤذيها كثيراً الخسائر البشرية، الحكومة والشعب اللبنانيين، أن لبنان لن يتذوق طعم الهدوء والاستقرار ما لم تتوقف عمليات المقاومة الإسلامية، وقررت القيام بعملية عسكرية واسعة تحت اسم «تصفية الحساب» في لبنان. وقد قال رئيس الوزراء إسحق رابين في حينه بصراحة: «إن أهداف إسرائيل تتحقق فقط، بتهجير سكان الجنوب باتجاه الشمال، وبالضغط على الحكومة اللبنانية، وتشتيت أنصار حزب الله»[٢٧].

إنطلاقاً من هذا التوجه، بدأ الجيش الإسرائيلي صباح ٢٥ تموز ١٩٩٣ عملياته العسكرية على ثلاثة مراحل، والتي استمرت حتى مساء ٣١ تموز. في المرحلة

25- Stephen Pelletiere, ***A Theory about Fundamentalism: Hizbollah of Lebanon*** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Instutute, U.S. Army War College, Sep.1995), p. 15.

26- Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p.19.

٢٧- النهار، ٢٥ تموز ١٩٩٢.

الأولى ، قصفت الطائرات الإسرائيلية مواقع حزب الله في القرى الجنوبية . بعد ذلك قصفت طائرات الهليكوبتر المناطق المحيطة بالقرى الجنوبية ، وفي المرحلة الثالثة قصفت المناطق السكنية في البلدات والقرى الجنوبية ، كما حاصرت البحرية الإسرائيلية مرفأي صيدا وصور . وخلال سبعة أيام ، سقط على الجنوب اللبناني نحو ٢٥٠٠٠ قذيفة مدفعية أوقعت ١٥٠ ضحية وخمسمئة جريح ، وهجرت نحو ٢٥٠٠٠٠ مواطن من الجنوب إلى بيروت[٢٨] .

مع بداية الهجمة الإسرائيلية ، أطلق حزب الله مئات من صواريخ الكاتيوشا على المستوطنات الواقعة في شمال فلسطين ، أدت إلى تهجير نحو ٣٠٠٠٠٠ شخص من المستوطنين . وبما أن شمال «إسرائيل» هو في الواقع القطب الزراعي والصناعي والسياحي لهذا البلد ، فقد أدى اختلال الأمن فيه إلى ضربة اقتصادية قاسية للحكومة الإسرائيلية . لذلك بعد أسبوع من عملية «تصفية الحساب» أدرك ساسة إسرائيل أنهم قد أخطأوا في الحساب ، وأنهم بدلاً من إثارة الرأي العام في جنوب لبنان ضد حزب الله ، ضغط الرأي العام الإسرائيلي على الحكومة لإيقاف عملياتها .

بدأت أميركا وساطتها بناء على طلب إسرائيل ، وسافر أيضاً وزير الخارجية الإيراني الدكتور علي أكبر ولايتي إلى دمشق ، وأسفرت التدخلات الدولية ، وتدخلات دول المنطقة عن «اتفاقية شفوية»[٢٩] ، تقضي «بأن توقف إسرائيل غاراتها على الجنوب ، ويوقف حزب الله في المقابل إطلاق صواريخ الكاتيوشا»[٣٠] ، لكن لم يتم أي اتفاق يقضي بإيقاف العمليات العسكرية للمقاومة الإسلامية ضد الجيش

28- Stephen Pelletiere, ***Hamas and Hizbollah***, p.62.
Kenneth Katzman, ***Ibid.***

٢٩- قال بعض قادة حزب الله في ذلك الحين : «أنه ليس هنالك من اتفاق حول وقف العمليات ضد شمال «إسرائيل» ، وقد كان هذا التوقف نوعاً من «التفاهم» ولم يكن «اتفاقاً»» . راجع :
Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p20.

٣٠- السفير ، ١٢ آب ١٩٩٣ .

الإسرائيلي وعملائه في الحزام الأمني ، وقد رفضت إيران وسوريا طلب إسرائيل بتجريد حزب الله من أسلحته[٣١] .

كان هدف إسرائيل من عملية «تصفية الحساب» ، تلقين حزب الله وشيعة لبنان درساً لا ينسى ؛ كما كان الإسرائيليون يأملون أن يسيء هذا الهجوم المدمر إلى العلاقة بين حزب الله والمواطنين الشيعة . لكن نتائج العمليات كانت عكس توقعاتهم ؛ فهي إضافة إلى أنها لم تنه العلاقة بين حزب الله والطائفة الشيعية ، عمّقت التلاحم الوطني بين الطوائف اللبنانية والتوافق حول «شرعية المقاومة» . فقد قال في حينه رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري في حديث لصحيفة اللوموند : «إذا كان هدف إسرائيل من عملياتها تهديم الجنوب اللبناني ، فإنها قد وفّقت في عملها هذا ، أما إذا كانت غايتها القضاء على المقاومة وعلى بنيتها التحتية فهي قد فشلت في تحقيق ذلك»[٣٢] .

بعد حصول الاتفاق ، وتوقف العمليات العسكرية ، بدأت إسرائيل بحملة إعلامية واسعة ، حول مكتسباتها من ذلك الاجتياح ، وادّعت أن حزب الله لم يعد بإمكانه القيام بعمليات ضد الجنود الإسرائيليين في الحزام الأمني . لكن مقاتلي الحزب قاموا بعد عشرين يوماً على توقف عملية «تصفية الحساب» ، أي في ١٩ آب ١٩٩٣ بعملية عسكرية في عمق الحزام الأمني ، حيث فجر المقاومون ثلاث عبوات أسفرت عن مقتل تسعة جنود إسرائيليين . . غير أن الرد الانتقامي الإسرائيلي جاء محدوداً ، ربما لتفادي الدخول في جولة أخرى مطوّلة من جولات القتال[٣٣] .

تمتين العلاقة بين حزب الله والحكومة اللبنانية

أدى العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان في العام ١٩٩٣ ، إلى لقاءات بين قادة حزب الله ورئيس الوزراء اللبناني وبقية المسؤولين ، وإلى التنسيق مع الحكومة . لكن

31- Kenneth Katzman, ***Ibid.***
32- Stephen Pelletiere, ***Ibid.***
33- Kenneth Katzman, ***Ibid***. Stephen Pelletiere, ***Ibid.***

في أيلول من العام نفسه وقعت حادثة هددت هذه العلاقة الحديثة العهد، فقد أعلنت الحكومة منع التظاهرة التي قررت الأحزاب والقوى الإسلامية والوطنية اللبنانية، والمنظمات الفلسطينية القيام بها يوم الاثنين في ١٣ أيلول ١٩٩٣ إعتراضاً على توقيع اتفاقية «غزة - أريحا»؛ لكن على الرغم من هذا الحظر الحكومي، نفذ حزب الله مسيرته (بعد تنسيق سيرها مع المعنيين) فتدخلت إحدى وحدات الجيش، وأطلق عناصرها النار على المتظاهرين، ووقع ما يقارب الخمسين شهيداً وجريحاً. وخيم جو من القلق على البلاد، خوفاً من احتمال تجدد الحرب الأهلية، لكن الوساطات من الداخل ومن الخارج أزالت أجواء الترقب والقلق، إلا أن حزب الله قطع علاقته بحكومة الحريري وشجب التعاون معها[٣٤].

في ٢ حزيران ١٩٩٤، أغارت الطائرات الإسرائيلية على مخيم تدريب للمقاومة الإسلامية في البقاع، في منطقة «عين كوكب»، حيث استشهد عشرون مقاوماً، فاستغلت حكومة الحريري هذه الحادثة لإظهار حسن نيتها، وأعلنت في بيان رسمي لها الحداد العام على الشهداء، الذين اعتبرتهم «شهداء لبنان»؛ هذا الموقف الجديد للحكومة اللبنانية، يتخذ للمرة الأولى بعد اثنتي عشرة سنة على الاجتياح العسكري الإسرائيلي، وقد قدَّر حزب الله موقف الحكومة هذا بالنسبة إلى المقاومة، وعاود الاتصالات واللقاءات بأركان الحكم، لكنه لم يجر محادثات مباشرة مع رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء، إلى أن أعلن «مجلس إعادة الإعمار» برئاسة رئيس مجلس الوزراء في ١٥ أيار ١٩٩٥، أن شهداء مجزرة ١٩٩٣، ينضمون إلى «قافلة شهداء الوطن والمقاومة»، وقرر التعويض على عوائل الشهداء[٣٥]. وقد اعتبر حزب الله قرار الحكومة هذا، كخطوة «حسن نية» على طريق حل هذا الموضوع «تلبي آمال وطموحات الشهداء الأبرار»[٣٦]. وهكذا أعيدت العلاقات بين حزب الله وحكومة الحريري مجدداً.

34- Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, p. 15.

٣٥- النهار، ١٦ أيار/ ١٩٩٥.

٣٦- النهار، ١٧ أيار/ ١٩٩٥.

اغتيال قادة حزب الله أو اختطافهم

لقد سعت كل من أميركا وإسرائيل، منذ أن بدأ حزب الله نشاطه، إلى التعرف على قادته وخطفهم أو اغتيالهم، لإيقاف عمليات الحزب. وقد تعرض معظم قادة حزب الله طيلة مدة الاحتلال إلى عمليات اغتيال، بعضها نجح وبعضها لم ينجح، وعدد منهم تعرضوا للخطف على يد الجيش الإسرائيلي، وسجنوا في السجون الإسرائيلية؛ وأهم عمليات الاغتيال تلك طالت: الشيخ راغب حرب والسيد عباس الموسوي. وفي تموز ١٩٨٩، إختطفت وحدة من القوات الخاصة في الجيش الإسرائيلي الشيخ عبد الكريم عبيد الذي كان لمدة مسؤول منطقة الجنوب في حزب الله، ليلاً من داخل منزله[٣٧]. وفي ٢١ أيار ١٩٩٤ اختطف الجنود الإسرائيليون مسؤول «المقاومة المؤمنة» المنشقة عن حركة أمل «مصطفى الديراني» من منزله. وفي ٢٧ كانون الأول ١٩٩٤، فجر أحد عملاء إسرائيل قنبلة في محلة صفير في الضاحية الجنوبية، أدت إلى استشهاد «فؤاد مغنية»، شقيق «عماد مغنية» (أحد مسؤولي حزب الله الأمنيين)[٣٨]. ولقد استطاع حزب الله أن يتخطى عمليات الخطف والاغتيال هذه، بسبب التسلسل في قيادة الحزب وقوته التنظيمية.

المؤتمر الثالث لحزب الله

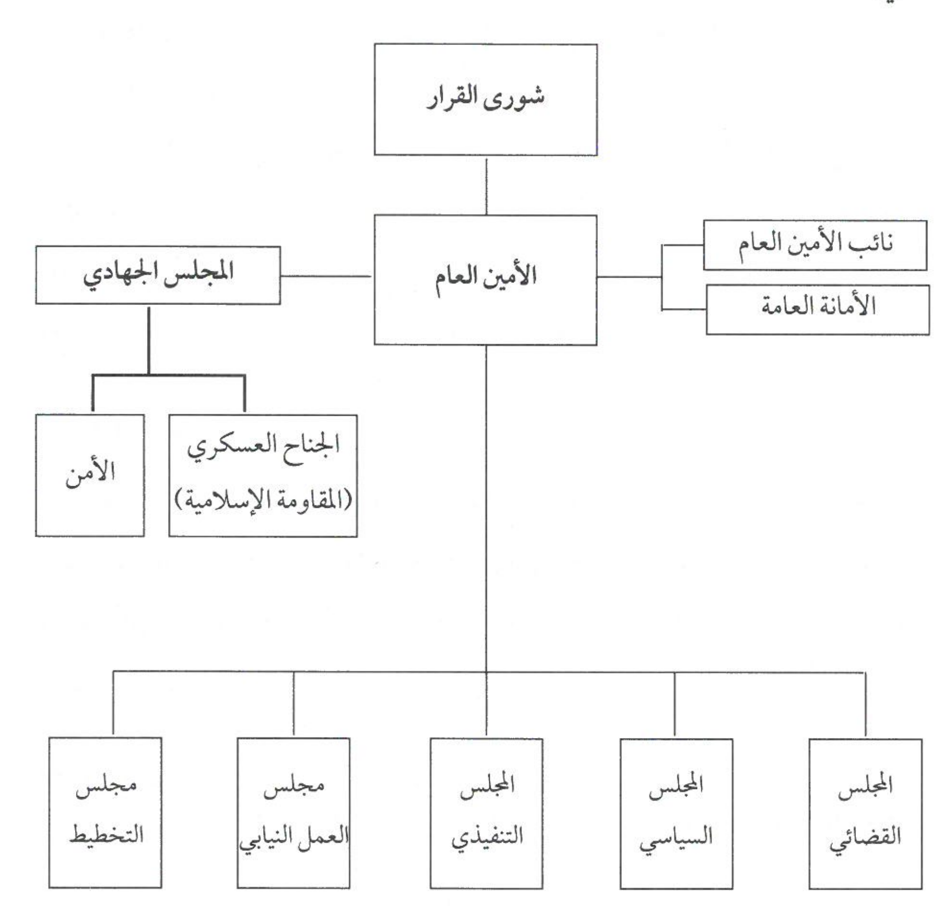
عقد حزب الله مؤتمره العام الثالث في العام ١٩٩٣، وانتخب أعضاء قيادته وهم: السيد حسن نصرالله، الشيخ نعيم قاسم، الشيخ محمد يزبك، السيد هاشم صفي الدين، الحاج حسين خليل، الحاج محمد رعد، والحاج عبدالله قصير[٣٩].

٣٧- حسن فضل الله، **الخيار الآخر**، ص ٧٣.

٣٨- وضاح شرارة، م. س. ص ٣٨٥ وكذلك:
Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.135. Kenneth Katzman. ***Op. Cit.***, p.21.

٣٩- حسن فضل الله، **حرب الإرادات**، ص ٩٨.

وعيّن السيد هاشم صفي الدين، أحد علماء الدين الشباب من أهالي «دير قانون النهر» الذي كان قد تابع دراسته الحوزوية في قم، كمسؤول المجلس التنفيذي في الحزب. في هذا المؤتمر، أنشئ مجلس جديد سمي «مجلس التخطيط»، ضم عدداً من الشخصيات القديمة في الحزب تثميناً لخبرتهم وتجاربهم، ولوضع برامج من أجل مستقبل الحزب، تولى رئاسة هذا المجلس السيد حسين الموسوي «أبو هشام». وسمّي المكتب السياسي للحزب بـ «المجلس السياسي» والذي تولى النائب محمد رعد رئاسته. وهكذا أصبحت الهيكلية التنظيمية للحزب في العام ١٩٩٣ على النحو التالي:



المجلس السياسي[٤٠]: يهتم بتقديم التحليل السياسي للشورى ويتابع التواصل وبناء العلاقات مع القوى السياسية والحزبية المختلفة. وهو يضم مسؤولي الملفات السياسية وأعضاء لجنة التحليل السياسي. ويتولى كل من أعضاء المجلس أحد الملفات السياسية التالية:

١ - الأحزاب الإسلامية؛ ٢ - الأحزاب الوطنية؛ ٣ - الأحزاب المسيحية؛ ٤ - المنظمات الفلسطينية؛ ٥ - الإعلام؛ ٦ - الإذاعة والتلفزيون؛ ٧ - وحدة النقابات والعمال؛ ٨ - وحدة المهن الحرة؛ ٩ - وحدة العلاقات الخارجية و...

المجلس الجهادي: مهمته وضع السياسة العامة «للمقاومة الإسلامية»، تحت إشراف الأمين العام للحزب، وهو يضم المسؤولين عن متابعة العلميات العسكرية ضد الاحتلال الإسرائيلي وكل ما يرتبط بها إعداداً وتدريباً وتجهيزاً وحماية وغير ذلك. أما أعضاء المجلس فهم:

١ - رئيس المجلس التنفيذي؛ ٢ - المسؤول العسكري؛ ٣ - مسؤول الأمن؛ ٤ - ممثل خاص من شورى القرار.

المجلس التنفيذي: هو المسؤول عن الأنشطة والأعمال الإجرائية المرتبطة بتركيبة الحزب، وعن مؤسساته المختلفة ذات مجالس الإدارة. ويضم مسؤولي الوحدات الثقافية والاجتماعية والتربوية والنقابية والمهن الحرة وغيرها، إضافة إلى مسؤولي المناطق. وللمجلس التنفيذي رئيس ونائب رئيس ومسؤول مكتب، وهو يتألف من الفروع التالية:

١ - الأمور المالية؛ ٢ - الأمور الإدارية (الكوادر - والأعضاء)؛ ٣ - الخدمات الاجتماعية؛ ٤ - الإعلام؛ ٥ - القضايا الثقافية؛ ٦ - القضايا التربوية.

كما أن المسؤول العسكري والمسؤول الأمني والمسؤول التنظيمي ومسؤول التفتيش ومسؤولي المناطق الثلاثة هم ضمناً أعضاء في المجلس التنفيذي. ويعدّ هذا المجلس

٤٠- يترأسه حالياً السيد إبراهيم أمين السيد.

«قلب» الهيكلية التنظيمية للحزب، وهو يلعب دوراً بارزاً بين مجالس الحزب التنظيمية. كما قد يعتبر رئيس هذا المجلس الأمين العام التالي لحزب الله.

المجلس القضائي: هو أصغر مجالس حزب الله، رئيسه قاض يتولى في الوقت نفسه مسؤولية محكمة الاستئناف. ولهذا المجلس نائب رئيس ومسؤول مكتب. ويضم المسؤولين القضائيين في المناطق الذين يتابعون العمل مع أفراد حزب الله لفصل النزاعات، والحكم في تجاوز الحدود الشرعية، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها كما يتولى هذا المجلس في مخالفات الأعضاء الحزبية والتنظيمية. وتتسلسل الدرجات القضائية على النحو التالي: المحققون، ثم المحكمة الإبتدائية، ثم محكمة الاستئناف. ويتولى هذا المجلس النظر في مخالفات الأعضاء الحزبية والتنظيمية.

مجلس التخطيط[٤١]: يتألف من رئيس ونائب رئيس ومسؤول الأمانة العامة وأعضاؤه هم:

١ - مسؤول مركز الدراسات في حزب الله؛ ٢ - مسؤول الأمور التنظيمية؛ ٣ - خمسة أعضاء يختارهم شورى القيادة.

مجلس العمل البرلماني: مؤلف من نواب حزب الله السابقين والحاليين في المجلس النيابي اللبناني. وهو يتابع شؤون كتلة الوفاء للمقاومة ويهتم بدراسة مشاريع واقتراحات القوانين المعروضة على مجلس النواب، كما يهتم بمتابعة شؤون المناطق والمواطنين والعلاقة مع المسؤولين في الدولة وأجهزتها المختلفة، ويواكب الموقف السياسي للحزب، حيث يعبّر عنه النواب في المجلس النيابي وفي لقاءاتهم وتصريحاتهم. ومهمته التنسيق بين نواب الحزب في المجلس النيابي في ما يخص اللوائح ومشاريع القوانين واتخاذ المواقف المناسبة من جميع المسائل والقضايا المطروحة في المجلس. ويتولى رئاسة هذا المجلس نائب الأمين العام للحزب.

---

٤١ - ألغي هذا المجلس بعد سنوات و أبو هشام الذي كان يرأسه أصبح حالياً معاوناً للأمين العام في مجال العمل البلدي (ملف البلديات).

عدوان عناقيد الغضب (١٩٩٦)

في أواخر العام ١٩٩٥ قتل إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي، على يد متطرف يهودي، مما أدى إلى توقف المفاوضات بين سوريا وإسرائيل. ولم يتمكن خليفته شمعون بيريز من إحياء المفاوضات، لضعف مكانته لدى الرأي العام الإسرائيلي، وبخاصة لاقتراب موعد إجراء الانتخابات النيابية في إسرائيل.

وكانت الأشهر الأخيرة من العام ١٩٩٥ قد شهدت سلسلة من العمليات العسكرية الناجحة التي نفذتها المقاومة الإسلامية، وأودت بحياة عدد كبير من الجنود الإسرائيليين وعملائهم في الجنوب[٤٢]. وكان بيريز وهو يستعد لترشيح نفسه للانتخابات يعلم أن استمرار هذه الحال في الجنوب ستؤدي حتماً إلى خسارته في الانتخابات، لذلك صمم أن يقوم بحملة عسكرية واسعة على لبنان، تخلّف خسائر بشرية ومادية كبيرة لحزب الله، وتؤمّن له انتصاراً كبيراً، فيضمن فوزه في الانتخابات البرلمانية. وهكذا بدأت إسرائيل عملياتها الواسعة المسماة «عناقيد الغضب» في ١١ نيسان ١٩٩٦ براً وبحراً وجواً، على المناطق السكنية الآهلة في الجنوب والبقاع وبيروت والجبل، بعنف لم يسبق له مثيل منذ اجتياحها للبنان في العام ١٩٨٢. وقد أدت هذه العمليات إلى تهجير عام لأهل الجنوب.

أسفرت عملية «عناقيد الغضب» التي استمرت ستة عشر يوماً عن خسائر فادحة في أوساط المدنيين اللبنانيين، لكن الفاجعة الأكبر هي التي حدثت في بلدة «قانا» في جنوب لبنان. فقد كان الباقون من أهالي البلدة ممن لم يتمكنوا من مغادرة بلدتهم،

---

٤٢ - نفذت أربع عمليات استشهادية في فترات متقاربة من ٢٤ شباط إلى ٤ آذار ١٩٩٦، وتولت محطات التلفزة العالمية نقل صورة الرعب الذي خلّفته تلك العمليات ما دفع بالولايات المتحدة إلى استنفار العالم لمساعدة حليفتها إسرائيل بترتيب سريع لعقد قمة «شرم الشيخ»، التي حصل فيها الإسرائيليون على غطاء دولي «لشن هجمات على أعدائهم». وقد حدد بيريز أعداء إسرائيل الرئيسيين قبل يومين من انعقاد القمة وهم حركات حماس، الجهاد الإسلامي وحزب الله. راجع حسن فضل الله، م. س، ص ١٨٣.

قد التجأوا إلى مقر القوات الدولية في قانا ، ليحتموا من الغارات الإسرائيلية . لكن المدفعية الإسرائيلية ، إستهدفت مكان تجمعهم بدقة وقتلت ١١٨ مدنياً ، وجرحت أكثر من مئة ، بثت تفاصيل الفاجعة وصورها في وسائل الإعلام العالمية ، فهب الرأي العام العالمي يدين إسرائيل ، حيث اضطرت الدول الأوروبية تحت ضغط الرأي العام في بلدانها إلى إدانة هذه المجزرة . وأعلنت الحكومة الإسرائيلية حينها ، أن هذه الغارة وقعت بالصدفة والخطأ ، ولم يكن الجيش الإسرائيلي على علم بوجود المدنيين في هذا المكان[٤٣] . لكن تقارير قوات الأمم المتحدة إلى أمين عام الأمم المتحدة «بطرس غالي» ، وتقرير الأخير إلى مجلس الأمن ، أعلنت كلها أن هذه الغارة قد نفذت مع سابق الإصرار والتنفيذ[٤٤] .

رداً على هذه الغارات الإسرائيلية البربرية ، قصف حزب الله بالصواريخ المستوطنات اليهودية في شمال «إسرائيل» ، أسفرت عن خسائر كبيرة ، وهجرت عدداً كبيراً من المستوطنين ، وبخاصة أن القصف الصاروخي إستهدف هذه المرة قسماً كبيراً من مناطق شمال «إسرائيل» «الذي لم يشهد حتى ذلك الزمن هذا الحجم الواسع من الغارات الصاروخية»[٤٥] .

بين عدوان «عناقيد الغضب» المذكور وعدوان «تصفية الحساب» في العام ١٩٩٣ فرقان أساسيان . ففي هذه العملية الأخيرة قصفت المناطق السكنية في جنوب لبنان فقط ، أما في حرب العام ١٩٩٦ فقد قصفت المناطق الآهلة في البقاع وبيروت والجبل ، والفرق الثاني هو في الواقع ، إختلاف حرب العام ١٩٩٦ عن كل الحروب العربية الإسرائيلية في المدة الزمنية . لم تكن العمليات العسكرية الواسعة في الحروب

٤٣- م . ن . ص ص ١٨٥ - ٩١٠ .

٤٤- أحد أسباب معارضة الإدارة الأميركية لاعادة انتخاب بطرس غالي أميناً عاماً للأمم المتحدة ، كان تقريره هذا .

٤٥- النهار ، ٥/ ٤/ ١٩٩٦ .

بين العرب و«إسرائيل» لتستمر أكثر من سبعة أيام ، وكانت استراتيجية إسرائيل - بسبب حساسية المجتمع الإسرائيلي تجاه الخسائر البشرية - تقضي بتنفيذ ضربات خاطفة وسريعة في أقل من أسبوع ، تلجأ بعدها إلى المفاوضات مع الجهة المعنية . في حرب العام ١٩٩٦ إعتمدت إسرائيل أيضاً هذه الاستراتيجية ، لكن على عكس الحروب السابقة ، إستمرت العمليات العسكرية الواسعة ستة عشر يوماً أي أكثر من الضعفين . وقد أقدمت أميركا بعد أسبوع من حرب العام ١٩٩٦ جرياً على عادتها في جميع الحروب العربية - الإسرائيلية ، على التدخل ديبلوماسياً وسياسياً ، لكن حزب الله في هذه الحرب لم يكن مستعداً للتراجع ولا للاستسلام ، لأنه كان يلحق يومياً ضربات موجعة بشمال «إسرائيل» ، ويربك الأوضاع فيه ، بحيث أن إسرائيل في الأيام الأخيرة للحرب ، إستخدمت جميع وسائل الضغط ومن بينها الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة لإيجاد طريقة لإنهاء الحرب .

تحولت دمشق طيلة حرب الستة عشر يوماً إلى مسرح لاستقبال الوفود الدبلوماسية المتنوعة الأميركية والفرنسية والإيرانية والروسية . وبعد عدة أيام من المفاوضات المطولة والمكثفة ، وبعد أن تعهدت إسرائيل بعدم قصف الأماكن السكنية ، أوقف حزب الله أيضاً قصفه الصاروخي على شمال «إسرائيل» ؛ وفي النتيجة تم التوصل إلى إتفاق سمي «تفاهم نيسان» في مساء ٢٧ نيسان ١٩٩٧ ، إتفق الطرفان فيه على إيقاف العمليات ضد المناطق السكنية ، واحتفظ حزب الله - في حال قصفت إسرائيل المناطق السكنية - بحق الرد وقصف المستوطنات في شمال «إسرائيل»[٤٦] . وتألفت على أساس هذا الاتفاق لجنة متعددة الأطراف تضم ممثلين عن كل من سوريا ولبنان وفرنسا وأميركا وإسرائيل لتنفيذ الاتفاق وتحديد المعتدي في أي عملية محتملة . إجتمعت هذه اللجنة في بلدة «الناقورة» في المنطقة المحتلة في الجنوب ، واللافت أن أحد المكتسبات المهمة لحزب الله ، أن هذا الاتفاق إعتبر محاربة الاحتلال حقاً مشروعاً

46- Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, p.67.

للشعب اللبناني ، واعترف رسمياً «بالمقاومة»(٤٧) .

وهكذا ، أثمرت عملية «عناقيد الغضب» عن نتائج عكسية لإسرائيل ، فهزم شمعون بيريز في الانتخابات النيابية ، وتولى رئاسة مجلس الوزراء بنيامين نتنياهو ، فيما عزز حزب الله قاعدة تأييده الشعبية ، على أساس أنه الفريق الوحيد في العالم العربي الذي يقاتل العدو ، ويتبنى أسلوب المقاومة . كما تمكن حزب الله في ما بعد من اختراق الحصار الإعلامي والسياسي المطبق عليه ، وأن يوصل صوته إلى أنحاء العالم العربي والإسلامي ، ويطرح نموذجاً ناجحاً وحيداً طيلة الحروب العربية - الإسرائيلية(٤٨) .

الانتخابات النيابية في العام ١٩٩٦

بعد خمسة أشهر من انتصار حزب الله في عملية عناقيد الغضب ، تقرر إجراء الانتخابات النيابية الثانية بعد الحرب اللبنانية الأهلية ، وقد شارك حزب الله في هذه الانتخابات ، وهو يتمتع بوضع جيد جداً ، لتزايد شعبيته بعد حرب نيسان ١٩٩٦ ، بحيث كان من المتوقع أن ينال الحزب معظم المقاعد الشيعية في المجلس ، وأن تلحق بحركة أمل وبرئيسها نبيه بري هزيمة نكراء . لذلك عادت سوريا ودخلت من جديد على خط المعادلة السياسية اللبنانية ، وضغطت على حزب الله ليتحالف مع حركة أمل . قاوم السيد حسن نصرالله في البداية الضغط السوري ، لكن في الأيام الأخيرة التي سبقت المعركة الانتخابية ، خشي من أن يؤدي عدم قبوله للمطلب السوري «لناحية التحالف مع أمل» إلى عرقلة عمل المقاومة .

٤٧- حسن فضل الله ، م . س . ص ص ٩١٠ - ٢٠٠ وأيضاً :
Eyal Zisser, ***Ibid.***
48- Raymond Tanter, ***The Peace Between Syria and Israel*** (Michigan: The University of Michigan, Spring 1997), p.113.
Chibli Mallat, ***Shi'i Tought from the South of Lebanon*** (Oxford, GB: center for Lebanon Studies, 1988), p.5.

وجد السيد نصرالله نفسه مضطراً للموافقة على التحالف مع حركة أمل . لذلك فإن حزب الله حصل في انتخابات العام ١٩٩٦ على مقدار النجاح نفسه الذي ناله في العام ١٩٩٢ ، دون أدنى زيادة أو توسع . ولكن على الرغم من الضغط السوري أظهرت نتائج الانتخابات مدى شعبية المقاومة الإسلامية بين مختلف الفئات والطوائف اللبنانية ، لأن المجموعات الإسلامية السنية ، «كالجماعة الإسلامية» و«الأحباش» التي لم يكن لها دور في الكفاح ضد إسرائيل ، خسرت المقاعد التي كانت لها في المجلس عن محافظتي بيروت والشمال ، ولم تستطع في المحافظات الأخرى أن تعوّض خسارتها(٤٩) .

بعد أن تمكن حزب الله على خلفية حرب الـ١٩٩٦م ، أن ينال الاعتراف الرسمي بشرعية مقاومة الاحتلال ، تمكن أيضاً بعد الانتخابات من نيل الاعتراف السياسي به ، كحزب سياسي لبناني بكل ما في الكلمة من معنى ، ولم يعد أحد ينظر إلى حزب الله كتنظيم أمني - عسكري بحت . وقد قال الشيخ هاشمي رفسنجاني رئيس جمهورية إيران في حينه مخاطباً الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله أثناء استقباله له في طهران : «إن اقتراع الشعب اللبناني لصالح حزب الله ، معناه أن اللبنانيين لا يقتصر اهتمامهم بحزب الله على كفاحه ضد العدو الصهيوني فحسب ، وإنما يتعداه إلى توجهاته السياسية والاجتماعية والتشريعية»(٥٠) .

لقد كانت انتصارات حزب الله العسكرية ونجاحه السياسي كذلك ، دافعاً لأعدائه القدماء للاعتراف به وبمكانته في النظام السياسي اللبناني . يقول كريم بقرادوني رئيس حزب «الكتائب» : «إن أنموذج حزب الله أثبت القاعدة السياسية الأساسية ، وهي أن الحزب - أي حزب - ما لم يستطع أن يحمل على عاتقه طموحاً وطنياً سامياً ، لن يتمكن مطلقاً من الاقتراب من الجماهير»(٥١) .

49- Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, p.69.

٥٠- يوسف محمد باجوق ، م . س . ص ١٠٨ .
٥١- السفير ، ٢٤ أيار/ ١٩٩٥ .

ثورة الجياع

واجه حزب الله في العام ١٩٩٧، أحد أكبر التحديات الداخلية، وقد تعرض لخطر الانشقاق والتجزئة، فالشيخ صبحي الطفيلي أول أمين عام لحزب الله، بعد تنحيته في العام ١٩٩١، وبالرغم من بقائه عضواً في شورى القرار حتى العام ١٩٩٣، رفع بالتدريج لواء المعارضة لسياسات الحزب الجديدة ومن بينها المشاركة في الانتخابات النيابية، متهماً قادة الحزب بالمساومة، ومنتقداً تعاونهم مع النظام السياسي اللبناني، ضمن حملة شديدة على رجال السياسة في لبنان، وعلى الفساد المستشري في أجهزة الدولة.

بدأ الطفيلي تحركه في ٤ أيار ١٩٩٧، وأعلن قيام حركته التي أطلق عليها اسم «ثورة الجياع»، وطلب إلى المحرومين في لبنان من الطوائف اللبنانية كافة أن ينضموا إليه، لإسقاط النظام السياسي اللبناني عبر ثورة شعبية. توسعت هذه الحركة في الأشهر الأولى لأنها رفعت شعارات تعبر عن تطلعات الشعب اللبناني الاقتصادية والاجتماعية، وكانت أكثرية العناصر التي انضمت إلى هذا التحرك من شيعة البقاع (المركز التقليدي لقوة حزب الله). دعى الشيخ الطفيلي إلى عصيان مدني أمام السرايا الحكومي في بعلبك في ٤ تموز، وإلى قطع الطرقات في ٢٦ تشرين الأول من دون أي تشاور أو تنسيق مع قيادة الحزب، لذلك شكّلت هذه الممارسات تحدياً واقعياً لحزب الله، وتداعى إلى الأذهان إحتمال حدوث انقسام في داخله.

في يوم القدس العالمي في شهر رمضان عام ١٩٩٨ الذي اعتاد حزب الله على إحيائه في مدينة بعلبك في ساحة رأس العين بمراسم خاصة، أعلن الشيخ الطفيلي عن إقامة المراسم نفسها في المكان ذاته. كان الإعلان كافياً للتعبير عن خروجه من الحزب، ما دفع قيادة الحزب لاتخاذ قرار بفصل الشيخ من الحزب بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٩٩٨، وإلى إصدار بيان حول مواقف وممارسات الشيخ الطفيلي التي تكشف «بعد عدة أشهر وبشكل واضح للجميع أن ما يقوم به ليس حركة مطلبية، وإنما سعي

لتقسيم الساحة وفرزها وفرض نفسه عليها بكل الوسائل المتوفرة لديه أياً تكن الخسائر والأضرار . . . لم يعد الشيخ صبحي الطفيلي واحداً من مسيرتنا المتواصلة بعد كل ما فعله لهذه المسيرة . . . على مدى عدة أشهر، بعد أن أخرج هو نفسه منها وخرج عليها»[٥٢].

كانت حركة الطفيلي في الواقع موجَّهة ضد قادة حزب الله قبل أن تكون موجَّهة ضد الحكومة اللبنانية؛ وإذا أخذنا في الاعتبار واقع ظهور هذه الحركة في البقاع حيث تسيطر سوريا، كان واضحاً للجميع تأييد سوريا الضمني لها. لذلك، وعلى الرغم من تأييد حزب الله لمطالب الطفيلي الاجتماعية، فإن قادة الحزب، بدراية ممتازة وإدراك لدقة الوضع وحساسيته، لم يؤيدوا حركته، كما تفادوا التصادم معه. وسعوا إضافة إلى ذلك، عن طريق وساطة الشخصيات الشيعية المدنية والدينية إلى إزالة التوتر بينهم وبين الطفيلي، لكن هذا الأخير أصر على شعاراته، وكانت هذه الحركة بالنسبة إليه أهم مناسبة لاستعادة سلطته التي كان قد خسرها.

يوم عيد الفطر في العام ١٩٩٩، أمر الطفيلي محازبيه بمهاجمة حوزة «الإمام المنتظر» (عج) العلمية في مدينة بعلبك التابعة لحزب الله واحتلالها، بادئاً بذلك ثورته. فحاصر الجيش اللبناني الحوزة وجرت بين الفريقين صدامات عنيفة، إنتهت بفرار الطفيلي وأنصاره من الحوزة بعد وقوع عدد من القتلى من الفريقين، واختبأ هؤلاء في الجبال الواقعة في سهل البقاع. وهكذا فشلت حركة الطفيلي بعد أقل من عشرة أشهر، ونجا حزب الله من خطر التجزئة والانقسام، دون أن يكون مضطراً للمواجهة المباشرة مع الطفيلي.

سنوات النمو المطرد لحزب الله

تعتبر السنوات من ١٩٩٦ إلى ٢٠٠٠، مرحلة النمو الكبير لحزب الله في الساحة

٥٢- السفير، ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٨.

السياسية الداخلية وفي المنطقة . فقد كان انتصاره - كما ذكرنا - في عملية «عناقيد الغضب » بداية تحول مسألة «المقاومة» إلى مطلب وطني لدى الطوائف اللبنانية كافة . وبعد عدة أشهر على ذلك الانتصار أصابت ضربة مهولة أخرى الجيش الإسرائيلي ، ففي شباط ١٩٩٧ حين أصطدمت طائرتا هليكوبتر عسكريتان إسرائيليتان تحملان ثلاثة وسبعين عنصراً من وحدة مختارة من أهم وحدات الكومندوس في الجيش الإسرائيلي ، للقيام بعملية سرية داخل الأراضي اللبنانية ، لكن بمجرد أن عبرتا الحدود إصطدمتا ببعضهما وقتل كل من فيهما ؛ على إثر هذه الحادثة ارتفعت وتيرة الجدل في المجتمع الإسرائيلي حول استمرارية الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ، والتكاليف الباهظة التي تتكبدها إسرائيل ثمناً لسياستها في لبنان ، من خلال المعارك الدائمة التي يشهدها جنوب لبنان ، والحجم المتزايد للخسائر التي سبَّبتها «فيتنامنا الصغيرة» (على حد تعبير أحد الصحافيين الإسرائيليين) وبخاصة أن إسرائيل تنظر إلى مقتل أو جرح أحد جنودها على أنه فضيحة»(٥٣) .

بعد ذلك ، شكلت أربع أمهات من اللواتي يخدم أبناؤهن في الجيش الإسرائيلي في لبنان ، مجموعة تطالب بخروج هذا الجيش بسرعة من لبنان . وقد عرفت هذه المجموعة باسم «مجموعة الأمهات الأربع» ، إنضم إليهن بالتدريج أشخاص آخرون . وقد استطاعت هذه المجموعة بتنظيمها لعدد من المظاهرات داخل إسرائيل ، وعلى الحدود الإسرائيلية - اللبنانية ، أن تمارس ضغطاً شديداً على الحكومة والجيش الإسرائيليين ، وأن تجعل من مطلب «انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان» مطلباً عاماً ، وأن يصبح موضوع «الفرار من الخدمة العسكرية» أمراً عادياً ومنطقياً بعد أن كان يعد «خيانة عظمى» ؛ يقول الجنرال «عميرام ليفي» قائد المنطقة الشمالية في الجيش الإسرائيلي ، عن نشاط «الأمهات الأربع» : «إن الاحتجاج الشعبي على جانب الحدود يضعف الروح العسكرية ، وإذا تجاوزت هذه الاحتجاجات ضد المواقف العسكرية

53- Raymond Tanter, *Op. Cit.*, p114.

حدّها ، فإنها ستضعف الروح المعنوية لقادة الجيش ، وتؤثر في قراراتهم ، وأكثر من ذلك فإنها ستقوّي الروح المعنوية للطرف المقابل»(٥٤) .

الهزيمة المهمة الأخرى التي لحقت بالإسرائيليين كانت «عملية أنصارية» حيث كان الجيش الإسرائيلي قد كلف وحدة خاص (الشيطيت) من أفضل وحدات الكومندوس معروفة باسم «إيغوز» بخطف أحد قادة حزب الله العسكريين من بلدة أنصارية في جنوب لبنان . ففي فجر ٥/ ٩/ ١٩٩٧دخلت هذه الوحدة من طريق البحر ، وتوغلت داخل الأراضي اللبنانية إلى أن وصلت إلى بلدة أنصارية ، حيث وقعت في كمين لحزب الله أسفر عن مقتل إثني عشر من أفرادها وجرح أربعة آخرين . أما البقية من أفراد الوحدة فقد عادوا إلى إسرائيل دون إنجاز مهمتهم يحملون معهم الجرحى وجثث القتلى ومخلّفين وراءهم أشلاء من جسد أحد القتلى(٥٥) .

شكّلت «عملية أنصارية» إلى جانب كونها من الناحية العسكرية ضربة للجيش الإسرائيلي لا سابقة لها ، فشلاً ذريعاً لمخابراته . لم يكن الجيش الإسرائيلي قد رأى من قبل مثل هذه الخسائر في أي عملية من عمليات الكومندوس التي قام بها من قبل ، ولم يعد مرة خالي الوفاض . كانت هذه العملية قد رسمت على أساس معلومات أعطاها أحد الجواسيس الإسرائيليين ، عن وجود واحد من أهم قادة حزب الله العسكريين في بلدة أنصارية ؛ لكن بعد وقوع وحدة الكومندوس في كمين حزب الله ، تبين أن هذا الجاسوس كان في الواقع عميل مخابرات في حزب الله ، أعطى الإسرائيليين معلومات خاطئة فوقعوا في الكمين . هذا الفشل المخابراتي أدى إلى جدال ونزاع بين أركان المخابرات الإسرائيلية ، وكل واحد منهم اتهم الآخر بأنه المسؤول عن هذه «الفضيحة» المخابراتية .

بعد أسبوع من عملية أنصارية وقعت حادثة مهمة أخرى . ففي ١٢ أيلول ١٩٩٧م

54- *Ibid.*

٥٥- صحيفة همشهري الإيرانية ، ٦ أيلول/ ١٩٩٧ .

إستشهد اثنان من مقاتلي حزب الله في هجوم على مواقع الجيش الإسرائيلي في منطقة «الجبل الرفيع» في جنوب لبنان ، واستولى الإسرائيليون على جثتيهما ، وعرض التلفزيون الإسرائيلي الجسدين المضرّجين بالدماء ، دون أن يكون على اطلاع على هوية صاحبيهما . وبسرعة تبين أن أحدهما هو «السيد هادي» نجل السيد حسن نصرالله الأمين العام لحزب الله[٥٦] . وانتشر الخبر كصاعقة في لبنان كله ، ونتج عنه تحول شديد الأهمية .

لم يحدث في تاريخ لبنان كله ، لا في الحرب الأهلية اللبنانية ولا في المواجهة مع العدو الإسرائيلي – أن قُتل واحد من أبناء الزعماء السياسيين أو زعماء الميليشيات في المعركة ، على الرغم من أن زعماء لبنان السياسيين الذين كانوا في الوقت نفسه زعماء لمجموعات ميليشياوية ، وتحت قيادتهم لقي الكثيرون من شبان لبنان مصرعهم ، وكان أبناء هؤلاء القادة في أوروبا وأميركا يتابعون دراستهم ، أو يعيشون حياة لاهية . للمرة الأولى يفقد قائد سياسي وعسكري إبنه في معركة ضد الاحتلال ، لم يستشهد على إثر قصف مدفعي أو تفجير ، وإنما في عملية اقتحام لأحد المواقع الإسرائيلية ، ويقع جسده المضرج بالدماء في أيدي الجيش الإسرائيلي .

هذه الحادثة أثارت طوفاناً من مشاعر الحزن والمؤاساة والاحترام والاعجاب بالأمين العام لحزب الله لدى جميع اللبنانيين من مختلف الطوائف . وتوافد الزعماء السياسيون في لبنان واحداً بعد الآخر لتقديم التعازي إلى السيد حسن نصر الله والمباركة له بمناسبة استشهاد ابنه السيد هادي ، وعبّروا عن تقديرهم واحترامهم لشخصية أمين عام حزب الله الثورية الصادقة . حتى «إيلي حبيقة» ، أشد خصوم حزب الله عداوة ، وأحد قادة الميليشيات المسيحية في الحرب الأهلية ، كان من بين المعزّين ، ولم يقتصر التعاطف والاحترام على الشخصيات السياسية والعسكرية اللبنانية ؛ وإنما تعداها إلى شخصيات غير لبنانية «كالأمير عبدالله» ولي العهد

٥٦- صحيفة همشهري الإيرانية ، ١٤ أيلول/ ١٩٩٧

السعودي ، الذي أرسل للمرة الأولى في تاريخ حزب الله ، رسالة تعزية إلى الأمين العام ، أعرب فيها عن دعمه للمقاومة الإسلامية .

النقطة التي تثير الاهتمام ، هي ردة فعل السيد حسن نصرالله في ما يخص هذه الحادثة ، فهو ، إضافة إلى أنه أبدى صلابة واستقامة لافتتين بهذا الخصوص ، لم يسع في المقابل إلى استغلال الحادثة حزبياً وشخصياً . فقد أعلن في خطبة عامة له في الذكرى الأسبوعية لاستشهاد نجله ، إستعداد الحزب للتعاون مع الأحزاب والجهات اللبنانية كافة ، واعتماد سياسة «الأبواب المفتوحة» .

هذه الحادثة وردة فعل السيد حسن نصرالله جعلتا من السيد ، شخصية «كاريزمية» في المجتمع اللبناني ، وصار الجميع يكنّون له احتراماً خاصاً . لهذا السبب إقترعت كوادر الحزب في مؤتمره العام الرابع في صيف العام ١٩٩٨ لإلغاء محدودية الدورتين للأمانة العامة ، ليختار المؤتمر السيد حسن نصر الله أميناً عاماً لدورة ثالثة .

الانتخابات البلدية في العام ١٩٩٨

في سنوات النمو المطرد لحزب الله ، حصل حدث مهم آخر ، هو إجراء الانتخابات البلدية في المدن والقرى ، في صيف العام ١٩٩٨ ، بعد ثلاثة عقود على آخر انتخابات بلدية . وقد شاركت معظم الأحزاب والجماعات والشخصيات اللبنانية ، بكامل قدراتها وإمكاناتها في هذه الانتخابات . وقد أبدى حزب الله إهتماماً خاصاً بهذه الانتخابات ، لأن فوزه في المجالس البلدية سيوفر له الفرصة الأولى للمشاركة في السلطة التنفيذية في البلاد ، وإذا أخذنا في الاعتبار استقلالية المجالس البلدية – الزائدة نسبياً – عن الحكومة ، فهذا سييسّر للحزب القدر الأكبر من النفوذ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في أوساط شيعة لبنان .

كان فوز حزب الله في هذه الانتخابات لافتاً . فقد فازت لائحته كاملة في مجلس بلدية «الغبيري» ، التي تعد المنطقة الثانية في لبنان من حيث المساحة والإمكانيات

المالية ، ولم يفز أي مرشح من لائحة نبيه بري في هذه المنطقة[٥٧] . إستطاع حزب الله كذلك في الجنوب ، في عديد من البلدات والقرى ، أن يخترق للمرة الأولى منطقة نفوذ بري التقليدية ، وفاز بأكثرية الأصوات في المجلس البلدي لمدينة النبطية ، كما فاز في منطقة البقاع أيضاً في مدينة الهرمل ومعظم المدن والقرى ؛ لكن في بعلبك ، بسبب تحالف القوى المعارضة لحزب الله ، لم يتمكن الحزب من إحراز فوز مهم ، ولم ينجح سوى مرشحين من لائحته[٥٨] . وفي بيروت الغربية ، حيث حددت حصة الشيعة بعضوين ، فاز مرشح الحزب ، وهزم مرشح حركة أمل .

تقديم الخدمات الاجتماعية والاقتصادية

لحزب الله في لبنان إضافة إلى مقاومة الاحتلال الإسرائيلي والفاعلية في الساحة السياسية اللبنانية ، دور لا يضاهى في تقديم المساعدات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . فالخدمات التي يقدمها حزب الله للشعب اللبناني ، وبخاصة إلى الشيعة ، لا نظير لها لدى الأحزاب والجماعات اللبنانية الأخرى ، وهي أفضل وأهم - باعتراف الجميع - من الخدمات التي تؤديها الحكومة اللبنانية للفئات المحرومة في هذا البلد .

يعود تقديم هذا النوع من الخدمات ، إلى المرحلة التي كان فيها الحرس الثوري ينشط في لبنان ، وهو عمد قبل الشروع بنشاطه العسكري في لبنان ، إلى إنشاء شبكة من المراكز الاجتماعية ، قدمت الخدمات التي كان المجتمع الشيعي يفتقر إليها ،

٥٧- إذا أخذنا في الاعتبار خصوصيات مدينة بيروت الكبرى ، فإن هذه المدينة ليست بلدية واحدة ، وإنما هي مقسمة على عدة مناطق ، ولكل منطقة مجلس بلدي مستقل ، وهذه المجالس هي التي تعين رؤساءها ، كذلك فإن ضاحية بيروت الجنوبية لا تحسب من العاصمة بحسب التقسيمات الإدارية اللبنانية ، وإنما هي تابعة لمحافظة جبل لبنان . وبناء على نظام الانتخابات الطائفي ، وبما أن أغلب سكان الضاحية كانوا مسيحيين قبيل الحرب ، فإن مجلس بلدية الضاحية ينتخبه المسلمون والمسيحيون .

٥٨- انفصال الشيخ صبحي الطفيلي عن حزب الله ، أثر في نتائج الانتخابات البلدية في بريتال (بلدة الطفيلي) .

مستخدماً المساعدات المالية الإيرانية[٥٩] . بعد أن تشكل تنظيم حزب الله ، نقل الحرس هذه المراكز بالتدريج إلى الحزب وعهد بإدارتها إلى أشخاص لبنانيين .

أخذ حزب الله منذ العام ١٩٨٤ يوسّع مراكزه الخدماتية تدريجياً ، وافتتح مدارس ومستوصفات ، ومستشفيات ، وتعاونيات إستهلاكية عديدة ، في المناطق اللبنانية المختلفة ، وبشكل أساسي في المناطق الشيعية . كما أقدم الحزب على تأسيس عدد من المؤسسات كـ «مؤسسة الشهيد» (١٩٨٣) و«جهاد البناء» (١٩٨٤) ، و«الهيئة الصحية الإسلامية» (١٩٨٥) ، و«جمعية الإمداد» (١٩٨٧) و«مؤسسة الجرحى» (١٩٩٠) ، وغيرها[٦٠] . هذه المؤسسات ترتبط مباشرة بالمؤسسات المشابهة في إيران ، ولكن إدارتها بعهدة اللبنانيين . وكما تقول «هلا جابر» الكاتبة والصحفية اللبنانية : «إن الخدمات التي تقدمها هذه المؤسسات تنافس المساعي التي تبذلها الحكومة اللبنانية لتحسين أوضاع المجتمع الشيعي حتى في المرحلة الراهنة»[٦١] . نذكر نموذجاً على ذلك ، في الأزمة التي حدثت في العام ١٩٩٢ ، حين غطت الثلوج معظم الطرقات الأساسية والفرعية في لبنان ، وعطلت حركة السير ، فأقدمت آليات وجرافات «جهاد البناء» التابعة لحزب الله ، على تقديم المساعدة للأشخاص الذين علقوا في المناطق البعيدة أو على الطرقات المقفلة ، وكذلك لأهالي المناطق اللبنانية النائية ، في حين لم تقدم الحكومة اللبنانية خدمات ذات قيمة في هذا السياق[٦٢] .

كما أن هذه المؤسسات قد أتاحت فرص عمل ووظائف ، دون أن يكون

59- Stephen Pelletiere, ***A Theory about Fundamentalism***, p.14.

٦٠- منى حرب القاق ، **سياسات التنظيم المدني في الضاحية الجنوبية لبيروت** . ترجمة مركز الاستشارات والبحوث ، (بيروت :١٩٩٨) ، ص ٤٤ . وأيضاً :
Hala Jaber, ***Hezbollah: Born with a Vegeance***, (NewYork: Columbia University Press,1977), p. 54.

61- ***Ibid.***

٦٢- نزار حمزة ، م . س . ص ٣٢ .

المستفيدون ملزمين بالانتماء إلى الحزب ، وبخاصة لجهة الهندام والأزياء التي يجب أن تنسجم مع المفاهيم الإسلامية[٦٣] . وقد كان لبنان لا يزال في غمرة الحرب الأهلية ، عندما أطلق حزب الله خدماته الإنعاشية ، وفي هذا البلد الذي كانت الحكومة فيه عاجزة عن كبح جماح الميليشيات المتحاربة والذين غابت عنه أبسط الخدمات الضرورية لبقاء الإنسان ، وجد حزب الله نفسه مغموراً . وفي أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات ، أي في أثناء «حرب التحرير» (التي أعلنها ميشال عون) كانت الضاحية الجنوبية تشهد معاناة صعبة . ففي أثناء تلك الحرب ، قطعت حكومة «عون» الماء والكهرباء عن بيروت الغربية والضاحية الجنوبية ، في محاولة منها لإرغام المسلمين على الإستسلام . في ظل تلك الظروف باشرت «جهاد البناء» عملها من أجل حل المشكلة ، وأرسلت مئات الخزانات المخصصة لمياه الشرب إلى الضاحية الجنوبية ، ولاحقاً إلى أحياء بيروت الغربية[٦٤] .

بعد انتهاء الحرب الأهلية ، لم تستطع الحكومة اللبنانية – أو لم ترد – تأمين احتياجات المناطق اللبنانية المحرومة (التي تضم أكثرية شيعية) ، بشكل جدي . لذلك كان استمرار حزب الله في تقديم خدماته ضرورة حياتية ، أدت في المقابل إلى ازدياد شعبيته ونفوذه .

الميدان الآخر ، الذي قدم فيه حزب الله شهادة مضيئة ، هو إنشاء المدارس والمراكز التعليمية ، طيلة سنوات متمادية في مختلف المناطق اللبنانية الشيعية . وقد استطاعت هذه المدارس بتقديمها خدمات تربوية وتعليمية راقية أن تنال شهرة كبيرة في لبنان وبخاصة بين الشيعة ، بحيث أن العائلات حتى المنتمية منها إلى حركة أمل ، مالت إلى تسجيل أبنائها في هذه المدارس ، وهذا التسجيل منوط بحجز الأماكن مسبقاً ، وبما أن الحكومة اللبنانية لا تسمح للمدارس الخاصة بتقديم التعليم مجاناً ، عمد حزب الله

٦٣- منى حرب القاق ، م . س . ص ٤٤ .

64- Hala Jaber, *Op. Cit.*, p.55.

على استيفاء مبالغ معينة لا ترهق كاهل الفئات الفقيرة في المجتمع الشيعي[٦٥] . لقد ضمن حزب الله تأثيره القوي في المجتمع من خلال المدارس التي قام بإنشائها . وعلى الرغم من أن اللبنانيين لطالما اعتزوا بمستوياتهم التعليمية العالية ، إلا أن تدني هذا المستوى كان لا يزال بادياً على الطرف الآخر من السلّم الاجتماعي ، وبخاصة في أوساط الشيعة ، ولهذا السبب جعل حزب الله التعليم على رأس قائمة اهتماماته ، مؤكداً على أن هذا الواقع ساهم في افتقار الشيعة إلى المكانة السياسية والاجتماعية المتقدمة في البلد .

في موضوع «التنظيم المدني» أيضاً ، ظهر حزب الله أيضاً كأحد اللاعبين الأساسيين . وأثبت قدرته على تنظيم المدن في جميع المناطق ذات الأغلبية الشيعية ، والنموذج الأهم بارز في الضاحية الجنوبية . فهذه المنطقة التي لا تتعدى مساحتها ستة عشر كلم٢ ، تعدى عدد سكانها الخمسمئة ألف نسمة (الكثافة السكانية فيها تبلغ اثنين وثمانين ألفاً في كل كلم٢)، ٣٤,٨٪ منهم دون الخامسة عشرة من العمر ، ومعدل البطالة بينهم يصل إلى ٢١,٢٪ كذلك فإن ٥٣٪ من سكان الضاحية هم من الجنوب و٢١٪ من البقاع ، و١٤٪ من بيروت ، و١٠٪ من الجبل و٢٪ من سائر المناطق . وكما أن٧٤٪ من العوائل الشيعية في الضاحية لديها أربعة أبناء أو أكثر ، و١٥٪ عدد أبنائها أكثر من عشرة[٦٦] .

للضاحية أهمية سياسية لا بديل منها بالنسبة إلى حزب الله . فهي المكان الذي يسيّر فيه التظاهرات الدينية والسياسية ومن بينها : مسيرة عاشوراء ، مراسم تأبين الشهداء ، مسيرة يوم القدس وغيرها . وقد استطاع حزب الله من طريق فعالياته في الضاحية أن يوصل صوته إلى رجال السياسة في لبنان . كما أن معظم مؤيدي حزب الله هم من الشيعة المهجرين إلى الضاحية ، فهؤلاء بحاجة إلى عمل وإلى مسكن ،

65- *Ibid.*, p. 67.

٦٦- منى حرب القاق ، م . س . ص ٣٠ .

وحزب الله هو الذي يلبّي احتياجاتهم بتقديمه للخدمات المتنوعة ويضفي عليهم شخصية سياسية واجتماعية مقابل الطوائف اللبنانية الأخرى .

إن التغييرات التي طرأت على الضاحية ، جاءت بموازة التغييرات التي طرأت على حزب الله . فلو لم يقدم حزب الله خدماته ، لكان وضع الضاحية مزرياً جداً . يقول «ريتشارد نورثون» ، المحلل الأميركي والمتخصص في الشؤون اللبنانية : «لقد تجذر حزب الله بعمق في الضاحية الجنوبية ، حيث يرعى شبكة من الأنشطة الاجتماعية والتربوية وشبه الرسمية»[٦٧] ؛ إنما دور حزب الله لم ينته بانتهاء الحرب ، وكأنما هو قد وضع السلاح في الضاحية الجنوبية ، لكي يبدأ نضالاً مدنياً من خلال مؤسساته ، وانخراطه في الحياة السياسية . كما أن الرفاه الاجتماعي في الجنوب يعد أمراً بالغ الأهمية بالنسبة إلى حزب الله ، لأن الجنوب هو منطقة صراعه مع إسرائيل ، ولأن هجرة المزيد من الجنوبيين إلى بيروت ، لا يناسب حزب الله ولا الحكومة اللبنانية ، ولأن استمرار تواجد المدنيين في هذه المنطقة كان ضرورياً لضمان حرية حركة مقاتلي حزب الله وحمايتهم ، ولأن درجة نجاح العمليات التي نفذها المقاومة الإسلامية ، تعتمد على تعاون القرويين الجنوبيين وضيافتهم ودعمهم ؛ ولهذا السبب طلب حزب الله إلى المدنيين البقاء في بيوتهم وقراهم ، في وجه التهديدات والأعمال الإنتقامية الإسرائيلية . وفي المقابل ضمن لهم المساعدة وتوفير المتطلبات الضرورية للصمود . كان حزب الله يخشى من أن تعطي هجرة القرويين الفرصة لإسرائيل ، لاحتلال المنطقة ، وملئها بالمستوطنين اليهود ، كما حدث في مرتفعات الجولان والضفة الغربية ، وهذه القناعة حفزت المدنيين على البقاء في قراهم .

كان الخراب والدمار اللذين تخلّفهما الاعتداءات الإسرائيلية في القرى والبلدات (وبخاصة عملية «تصفية الحساب» وعملية «عناقيد الغضب») ، دليلاً على أن إسرائيل كانت تهدف إلى تجييش الجنوبيين ضد حزب الله والمقاومة الإسلامية ، وفاقم الأمر

٦٧- م . ن . ص ٦٧ .

عجز الحكومة اللبنانية عن تعويض الخسائر التي تلحق بأهل الجنوب . لهذا السبب شكلت مؤسسة «جهاد البناء» ، بهدف المحافظة على استمرارية المقاومة ، وصمود أهالي الجنوب في منازلهم ، فرق إغاثة تعمد حين الضرورة ، بعد الحملات العسكرية الإسرائيلية على الجنوب ، وبسرعة إلى إعادة تعمير ما تهدم من المؤسسات والمنازل في هذه المناطق .

على سبيل المثال ، قامت مؤسسة «جهاد البناء» بعد عملية «عناقيد الغضب» في نيسان ١٩٩٦ وغارات إسرائيل الوحشية على المناطق المأهولة بالسكان ، بترميم ما تصدع وبناء ما تهدم ، وقد استمرت عملية إعادة البناء ثلاثة أشهر ، شارك فيها مئة وثلاثون مهندساً وتقنياً ، بكلفة بلغت عدة ملايين من الدولارات ، وطالت٤٢١٧ منزلاً و٨٠٣ متاجر ، وعشرات الحسينيات والمساجد والمدارس والكنائس في أكثر من مئة قرية ، وإعادة تأهيل الجسور والطرقات[٦٨] .

من جهتها ، جعلت الهيئة الصحية الإسلامية المقاومة وأهل الجنوب على رأس جدول أعمالها ، وصرحت بأن التزاماتها تشمل توفير الرعاية الصحية لجرحى المقاومة ، ومساعدة المدنيين اللبنانيين ، الذين يتعرضون للقصف والتهجير في جنوب لبنان ؛ وبما أن القانون اللبناني لا يسمح لحزب الله بأن يوفر الرعاية الصحية مجاناً ، لذلك جاءت تكاليف الطبابة لدى حزب الله ، لا تكاد تتجاوز نسبة الربع ، من تكاليف الطبابة التي حددتها الحكومة[٦٩] ، ولكن جرحى الاعتداءات الإسرائيلية كانوا يعالجون بصورة مجانية .

مصادر تمويل حزب الله

إن الخدمات المتنوعة التي قدمها حزب الله إلى الشعب اللبناني ، ترتكز على مصادر مالية متنوعة هي على الشكل التالي :

٦٨- **نداء المقاومة** ، نشرة مكتب حزب الله في إيران ، العدد ٦٩ - ١١ أيار/ ١٩٩٩ ، ص ١٢ .

69- Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p.33.

١ - المساعدات المالية الإيرانية

يتلقى حزب الله مساعدات مالية من إيران سنوياً من طريقين : أولاً : مساعدات مالية تقدمها المؤسسات التي يشرف عليها قائد الثورة الإسلامية آية الله علي الخامنئي ، ولها ميزانية مستقلة عن الحكومة الإيرانية[٧٠] . وثانياً : المساعدات التي تقدمها الحكومة الإيرانية والمؤسسات الرسمية . هذه المساعدات الإيرانية تضاءلت ميزانيتها نسبياً في السنوات الأخيرة لأسباب مختلفة ، من بينها الاكتفاء الذاتي النسبي لحزب الله .

٢ - جمع مساعدات نقدية وعينية من داخل لبنان:

عمد حزب الله بإنشائه لتنظيم موسع باسم «هيئة دعم المقاومة الإسلامية» ، وكذلك جمعية «الإمداد» إلى جمع إعانات ومساعدات نقدية وعينية ، في مختلف المناطق اللبنانية . وقد وضعت هاتين المؤسستين صناديق لجمع التبرعات النقدية . وتشبه صناديق مؤسسة «الإمداد» من حيث الشكل واللون كلياً الصناديق التي وضعتها المؤسسة الأم في إيران . أما صناديق «هيئة دعم المقاومة» فصممت على شكل المسجد الأقصى في فلسطين . وتجمع هاتان المؤسستان الأموال في مناسبات مختلفة ، وبخاصة في شهر رمضان حيث تقيم مراسم متنوعة ومآدب إفطار ، تدعو إليها الناس والمتمولين والشخصيات العامة ، وتبادر فيها إلى جمع الأموال .

٣ - مساعدات التجار اللبنانيين في المهجر

إن عدد المهاجرين اللبنانيين في الخارج كبير جداً ، ولبنان هو البلد الوحيد في العالم ، الذي يبلغ فيه عدد المقيمين أدنى من عدد المهاجرين . وقد توزع المهاجرون من الشيعة اللبنانيين وبخاصة شيعة الجنوب في مختلف البلدان ، ويعمل معظمهم في

70- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p.59.

التجارة ، وهم منتشرون في أميركا الشمالية وأميركا اللاتينية وأوروبا وأفريقيا وآسيا وأوستراليا ، حيثوا جمعوا ثروات طائلة ، وشكلت مساعدات هؤلاء المهاجرين مصدراً أساسياً من مصادر تمويل حزب الله[٧١] .

٤ - الحقوق الشرعية

من مصادر التمويل الأخرى لحزب الله «الحقوق الشرعية» ، التي تجمع من شيعة لبنان بناء على إجازة من مراجع التقليد . لذلك عيّن آية الله الخامنئي «الشيخ محمد يزبك» عضو شورى القرار في حزب الله ، وإمام جمعة مدينة بعلبك ، وكذلك «السيد حسن نصرالله» الأمين العام ، كوكيلين شرعيين له في لبنان[٧٢] ، فتمكن حزب الله بذلك من استيفاء «الحقوق الشرعية» ، وصرفها في القضايا التي ترفع الحرمان عن الشيعة المحتاجين من وجهة نظر شرعية .

٥ - الاستثمارات الاقتصادية

في السنوات الأخيرة ، شكل حزب الله «قسماً اقتصادياً» ، قام بمشاريع اقتصادية ، تجارية ومالية في المناطق الشيعية . وقد استطاع هذا الفرع أن يؤسس متاجر كبيرة ذات فروع ، وأن يساهم في حقل البناء ، وفي استيراد البضائع من سائر البلدان وبخاصة من إيران ، فأمّن بذلك مصدراً مالياً معتبراً للحزب . لكن لم يتمكن الشيعة عامة وحزب الله خاصة من الحصول على مكانتهم الحقيقية في هذا المجال ؛ لأن الاقتصاد والتجارة في لبنان محصوران تاريخياً في أيدي المسيحيين والسنّة .

تأثير تقديم الخدمات

حزب الله ليس الفريق الإسلامي الوحيد الذي يقدم الخدمات الإجتماعية .

71- Stephen Pelletiere, ***Op. Cit.***, p.30.

٧٢- السفير ، ١٨ أيار/ ١٩٩٥ .

فالعلامة «محمد حسين فضل الله» أسس أيضاً «جمعية المبرات الخيرية» ، كذلك فإن عدداً من المجموعات الإسلامية السنّية يمارس مثل هذه النشاطات ، لكن ما يميز حزب الله من الآخرين هو «تنوع الخدمات» ، «الإخلاص» و«مقاومة الاحتلال» ، التي تجعل الخدمات التي يقدمها أقوى تأثيراً في اللبنانيين . وقد أنجز الباحث اللبناني «هلال خشان» دراسة ميدانيةً واسعةً ودقيقةً عن الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الجماعات اللبنانية الإسلامية ، وتأثيرها على الرأي العام اللبناني ، وحيث عالجت هذه الدراسة هذا الموضوع من جوانبه المختلفة ، ويعتقد هذا الباحث «أن المسلمين اللبنانيين يعتبرون الجماعات الأصولية أكثر شرعية من الحكومة الوطنية ، والشرعية هنا تمثل أساساً للتجانس الأيديولوجي وتوفير الخدمات العامة . وهذه الأخيرة تلعب دوراً حاسماً في توسيع نطاق الشرعية السياسية للوكالة التي تقدم هذه الخدمات وسط المجتمع المستفيد»[٧٣] . كانت نسبة المستفيدين من مساعدات حزب الله تقدَّر بـ ٩٠٪ من عدد الذين شملهم استطلاع الرأي الذي أجراه خشان[٧٤] .

هذا الاتساع في الخدمات التي يقدمها الحزب دفع بعض المحللين إلى الاعتقاد أن إحدى الأسباب الرئيسية وراء نجاح حزب الله السياسي ، هي شمولية واتساع الخدمات الاجتماعية التي يقدمها للشيعة . يقول أحد هؤلاء المحللين الذي يدعى «جيلز ترندل» : «إن النجاح الذي لا يضاهى لحزب الله داخل الطائفة الشيعية ، لا يعود فقط إلى شعاراته الأصولية ، وإنما كذلك إلى برامج الخدمات الاجتماعية الشاملة التي يقدمها . وكمثال على ذلك ، إن حزب الله في العام ١٩٨٨ حين كان مسيطراً على الضاحية ، سارع إلى تقديم برامج إنمائية ، لرفع مستوى حياة سكان هذه المنطقة المحرومة ، مما زاد في شعبيته ومن الدعم الجماهيري له»[٧٥] .

٧٣- هلال خشان ، **الإسلام والعصر الحديث** : ترجمة مركز الاستشارات والبحوث (بيروت ، ١٩٩٨) ، ص ص ٤ و٨ .

٧٤- م . ن . ص ٢٨ .

75- Giles Trendle, "The Grass Roots of Success", ***The Middle East***, February 1993, pp.12-13.

يزعم عدد من المراقبين اللبنانيين والغربيين أن حزب الله يفرض على المستفيدين من خدماته الانخراط في صفوف المقاومة الإسلامية . لكن الباحثة «هلا جابر» ترفض هذا الرأي وتقول : «من المستبعد أن يلجأ الحزب إلى هذا التكتيك ؛ وبخاصة أن المقاومة الإسلامية أصبحت - في السنوات الماضية - خياراً جذاباً في نظر الكثير من الشبان المسلمين . فمنذ الهجمات التي شنتها إسرائيل على لبنان في العامين ١٩٩٣ و١٩٩٦ ، حظي مقاتلو الحزب بمكانة مرموقة كأبطال وطنيين ، ونزع قطاع واسع من الأهالي إلى تأييد المقاومة . . إلا أن حزب الله يتوقع من العائلات التي تستفيد من برنامجه الانعاشي ، أن تكون ملتزمة بنمط العيش الإسلامي . إذ أن مسؤولي الحزب يطلعون العوائل المستفيدة من خدمات الحزب على القوانين الإسلامية ، وعلى تعاليم [الإمام] الخميني ، ويؤكدون على عداء العرب التاريخي لإسرائيل ، ويحذرون من تبني أنماط السلوك الاجتماعية المبتذلة التي تسم المجتمعات الغربية»[٧٦] .

يطمح حزب الله إلى أن تكون مشاركة الطائفة الشيعية في السلطة أكثر حيوية ، وهو يؤكد أن ذلك حق طبيعي لهذه الطائفة الأكثر عدداً في لبنان . وفي رأي الحزب ، أن الطوائف الأخرى تحاول أن تحل محل الشيعة في كثير من الوظائف حتى لا تترك لهم مجالاً للمناورة ؛ ويحاول الحزب مواجهة هذه «المؤامرة» من خلال تثقيف الطائفة وتنظيمها . ويرمي مبدأ الاكتفاء الذاتي الذي يعتمده الحزب إلى تطوير قدراته التي كانت مهمشة ، على يد الحكومات اللبنانية المختلفة : «يسعى الحزب إلى الاعتماد على موارده الإنسانية الخاصة ، ويؤمن إيماناً راسخاً وعميقاً بطاقاتها . ونجد من خلال هذه الرؤية أن سياسته التنظيمية المدنية ، ترمي إلى استكمال استراتيجيته التي تجسد تطلعاته الإصلاحية من خلال مخططات تناسب خطة عمله . لقد تمكن حزب الله ، الذي يعتمد على قاعدة أيديولوجية ومالية قوية ، من أن يتجذر تدريجياً بمرور الأحداث»[٧٧] .

76- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p.63.

٧٧- منى حرب القاق ، م . س . ص٤٣ .

إن حزب الله يقدم نفسه إذاً على أنه الحزب الذي يواصل نضاله من أجل القضية الشيعية التي «خانتها» حركة «أمل»، وعلى أنه هو المنقذ لحقوق الشيعة المهدورة. «لقد كان حزب الله فعالاً بنوع خاص على صعيد تجنيد الأعضاء والموالين في صفوف الشيعة المثقفين والمهنيين، في وقت فقد هؤلاء الثقة بحركة أمل»[٧٨]. وهكذا عرف حزب الله إضافة إلى كونه بطل تحرير الأراضي اللبنانية، وطارد المحتل، «منقذ الفقراء». وكان لعمله تأثير مهم على الجمهور اللبناني، الذي كان الكثيرون فيه يخشون الحزب وينفرون من صورته المتطرفة. واللبنانيون الذين لم يكونوا مستعدين للقبول بأن حزب الله يتحول إلى واقع في حياة لبنان، بدأوا يتحدثون عن إنجازات هذا الحزب بكل اعتزاز. وعلى حد تعبير الحاج «حسين الشامي» مسؤول الخدمات الاجتماعية في حزب الله سابقاً، نجح العمل الاجتماعي الذي يقوم به الحزب في تحويل هذا الأخير إلى شيء «... أكبر من الحزب وأصغر من الدولة..»[٧٩].

حزب الله، رمز المقاومة وحامل لوائها

تمكن حزب الله بدخوله في النظام السياسي اللبناني، من نيل الاعتراف الرسمي والقانوني بالمقاومة الإسلامية. ولذلك تمكن من الاحتفاظ بأسلحته، بعد نزع سلاح الميليشيات كلها، وما من رجل سياسة لبناني اليوم، مسلماً كان أم مسيحياً أم درزياً، لا يدافع عن عمل مقاتلي حزب الله. على الرغم من أن الكثيرين في لبنان لا يؤيدون أيديولوجية حزب الله، لكنهم جميعاً يعترفون رسمياً بمقاومة الحزب للاحتلال ويحترمون ذلك.

بعد أن تمكن حزب الله من إيجاد وفاق وطني حول ضرورة مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، بين الطوائف اللبنانية المختلفة، خطا خطوة أخرى في مجال توسيع نطاق المقاومة. فقد أعلن السيد حسين نصرالله في كانون الأول من العام ١٩٩٧ في مؤتمر

٧٨- م. ن.

79- Hala Jaber, *Op. Cit.*, p. 74.

صحافي، إنشاء «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال». كان الهدف من تشكيل هذه السرايا، إتاحة الفرصة للشباب اللبنانيين من الطوائف الدينية والأحزاب والتنظيمات اللبنانية على اختلاف ميولها واتجاهاتها للانخراط في صفوف المقاومة لتحرير الأراضي اللبنانية المحتلة.

وقد توصلت المقاومة الإسلامية اليوم كـ«حركة مقاومة» إلى اعتراف المنطقة والعالم بها كمقاومة مشروعة، ولعبت دوراً أساسياً في المعادلات السياسية في المنطقة، ومحور المقاومة الإسلامية هو دائماً أحد أهم محاور مفاوضات التسوية العربية - الإسرائيلية. فاحتلال إسرائيل لجنوب لبنان أثار شعور النفور والعداوة، لدى معظم اللبنانيين الذين يخشون الأطماع الإسرائيلية في أرض الجنوب وثروته المائية؛ لذا كان خطباء حزب الله يركزون دائماً على أنه لو لم يقاوم حزب الله إسرائيل، لما تخلت عن أطماعها في الجنوب وانسحبت منه، ويلقى هذا الكلام آذاناً صاغية في مختلف المناطق اللبنانية «الذين يسخرون من مقولة توقف فعالية المقاومة لتشعر إسرائيل بالإطمئنان فتنسحب من الجنوب»[٨٠].

إن المقاومة الإسلامية بأدائها المميز، لاسيما لجهة إلحاق الهزائم والخسائر بجيش الاحتلال وعملائه المحليين في الشريط الحدودي، تمكنت من إنتاج بيئات لبنانية ذات أفق وطني توحيدي على المستويين الشعبي والسياسي. ولقد ضاعف من جاذبية الأفق الوطني التوحيدي، تبنّي السلطة السياسية للمقاومة، وإن اقتصر هذا على الجانب المعنوي - إلى درجة أن هذا التبني أوجد قواعد تعايش إيجابي بين الجيش اللبناني والمقاومة الإسلامية في مناطق المواجهة في الجنوب والبقاع الغربي[٨١].

إن التقارب بين الحكومة اللبنانية وبين حزب الله والمقاومة الإسلامية، قد أدى إلى

80- Augustus Richard Norton, "Hizballah: From Radicalism to Pragmatism", ***Middle East Policy***, Vol. V, January 1998, No.4, p. 148.

٨١- محمود حيدر، **اللايقين السلمي: أحوال لبنان ما بعد الحرب** (بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٧) ص ١٧٧.

تبنّي الحكومة «رسمياً وعلانية» ، موقف حزب الله من «عناصر جيش لبنان الجنوبي» ، واعتبار تعامل هذه الميليشيات مع إسرائيل خيانة وطنية ، وقد أصدرت مذكرات توقيف بحق عدد كبير منهم ، لمحاكمتهم . وفي ٦ كانون الأول من العام ١٩٩٦ ، أصدر المدعي العام العسكري حكماً غيابياً بالإعدام على قائد ميليشيا «جيش لبنان الجنوبي» ، بتهمة الخيانة العظمى والتعامل مع العدو الإسرائيلي[٨٢] ، وهكذا تمكن حزب الله بنضاله أن يحظى بالتأييد الشعبي للمقاومة وبالاعتراف السياسي الرسمي بها ، في الساحتين اللبنانية والإقليمية ، الأمر الذي منع إسرائيل من فرض شروطها على لبنان وسوريا ، كما تمكن الحزب من نشر روح العداء للمحتل الإسرائيلي وتغذيتها لدى الطوائف اللبنانية ، ومن تعزيز ثقة الناس بحتمية انتصار المقاومة .

لقد قدم حزب الله من أجل هذا الانتصار العظيم ، عدداً كبيراً من الشهداء والجرحى ، كما أوقع خسائر بشرية فادحة في صفوف الإسرائيليين وعملائهم . وقد بلغت الخسائر البشرية الإسرائيلية الناجمة عن العمليات العسكرية التي نفذتها المقاومة الإسلامية إبتداءً من العام ١٩٨٢ وحتى التحرير ، قرابة ١٠٠٠ قتيل وأكثر من أربعة آلاف جريح[٨٣] . فيما قدم حزب الله حتى أيار من العام ٢٠٠٠ ، ألفاً ومئتين وثمانية وسبعين شهيداً وما يزيد عن ثلاثة آلاف جريح أصيبوا بإعاقات دائمة ، وحوالي ثلاثة آلاف وخمسمئة جريح تماثلوا للشفاء[٨٤] ، من بين ثمانية آلاف ومئتي مقاوم شاركوا مباشرة في العمليات ، إضافة إلى عدد كبير من الأسرى في سجون الاحتلال[٨٥] ،

82- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, pp. 79-80.

٨٣- المحلل الإسرائيلي غي باخور - يديعوت أحرونوت (ترجمة صحيفة **اللواء** ٢٤/ ١/ ٢٠٠٤) .

٨٤- حسب ما أعلنه السيد حسن نصرالله في خطاب التحرير في بنت جبيل (**السفير** ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٠) وروزنامة مؤسسة الجرحى التابعة لحزب الله لسنة (٢٠٠٤) .

٨٥- **ومضات من المقاومة الإسلامية** ، (١٩٩٨) ، ص ١٨ .

وهكذا بات حزب الله معروفاً في العالم العربي كله كـ «حامل لواء المقاومة» وكـ «رمز الصمود والتصدي» للعدوان الإسرائيلي . وقد كان قادراً ولا يزال على القيام بعمليات نوعية ومتعددة عسكرية وأمنية ومتزامنة ، في منطقة جغرافية واسعة[٨٦] .

إن المقاومة الإسلامية ليست جيشاً نظامياً دائماً ، وإنما هي مؤلفة من عناصر تحارب عند اللزوم ، وتمارس حياتها وأعمالها العادية حين لا تكون المقاومة بحاجة إليها . ويبلغ عدد عناصر المقاومة الإسلامية ثلاثمئة مقاوم متفرغ وألفي مقاوم احتياطي ، في حين يبلغ عدد أعضاء الحزب بحسب التقارير المختلفة ، حوالي عشرين ألف عنصر[٨٧] . في هذا السياق يقول السيد «تيمور غوكسيل» الناطق الرسمي باسم قوات الطوارئ الدولية حينذاك لوكالة «فرانس برس» ، عن جهاد المقاومة الإسلامية وعملياتها : «إن إسرائيل تواجه في حربها هذه جيشاً من الأشباح ، وإذا أرادت إسرائيل الرد على عمليات المقاومة الإسلامية ، فهي لا تعرف أين تضرب ومن تضرب ، وفي خلال السنوات الثماني عشرة التي كانت تحتل فيها الجنوب ، لم تكتشف أي قاعدة من قواعد المقاومة ، فمقاتلو المقاومة غير مرئيين في معظم الأحيان ، يشنون عمليات مفاجئة ، ولا يشاهدون إلا وهم في داخل المواقع الإسرائيلية ، وهم يتجولون بلباس مدني ، داخل سيارات غير عسكرية ، يستلمون أسلحتهم في موقع العملية ، وبعد إنجاز مهمتهم ، يعودون إلى منازلهم ، لا إلى قواعدهم العسكرية» ، وأضاف كذلك : «إن مفتاح نجاح المقاومة الإسلامية هو في وحدة استطلاع العمليات ، المتقنة والماهرة ، وأساليبها المتأنية في جمع المعلومات»[٨٨] .

وقد كتبت مجلة «درشبيغل» الألمانية عن قوة المقاومة العسكرية : «إن لدى المقاومة

86- Stephen Pelletiere, ***Op. Cit.***, p.16.

87- Nicholas Blandford , " Hizballah : Lebanon's heir apparent ? " , ***JANE'S INTEILIGENCE REVIEW***, November 1991, p.29.

88- Nicholas Blandford, ***Ibid.***

ومضات من المقاومة الإسلامية ، ص ص ٦٦ - ٦٧ .

الإسلامية ألفين وثلاثمئة مقاتل شيعي ، يقومون بحرب العصابات في المنطقة المحتلة من جنوب لبنان ، بعمليات خاطفة ، وزرع كمائن وألغام ، ولإطلاق صواريخ الكاتيوشا . . وهم ماهرون في التعرف إلى العدو ، ويقاتلون حتى النفس الأخير» ، كما نقلت المجلة نفسها تصريحاً للجنرال «عميرام ليفين» ، قائد المنطقة الشمالية في الجيش الإسرائيلي : «إن حزب الله محترم ، حتى لدى القيادة الإسرائيلية»[٨٩] ، ويقول الباحث الأميركي «ريتشارد نورتون» ، عن قوة حزب الله العسكرية : «لقد كان الجيش الإسرائيلي في السنوات الأخيرة ، عاجزاً عن إجهاض عمليات حزب الله ، وعلى عكس أواخر الثمانينات ، التي كانت فيها هذه العمليات ، تلحق خسائر فادحة بالحزب نفسه ، باتت اليوم تلحق خسائر باهظة بإسرائيل . والأمر حتماً مختلف بالنسبة إلى الخسائر المدنية ؛ يجب القول باختصار أن حزب الله - في إطار اتفاقيتي العامين ١٩٩٣ و١٩٩٦ ، بات بإمكانه التحرك بمهارة أكبر ، ومن الجدير بالذكر ، أن إسرائيل طيلة المدة التي استغرقتها المفاوضات لم تنكر أن حزب الله يحارب الجيش الإسرائيلي ، وهذا معناه اعتراف إسرائيل الضمني باحتلال للبنان»[٩٠] . وزير الدفاع الإسرائيلي «إسحق مردخاي» في حكومة نتنياهو قال :

« . . هنالك منطقة محددة تفصل بين المنطقة الخاضعة لسيطرة الجيش اللبناني ، وبين الحزام الأمني ، الذي نطلق عليه اسم «المنطقة الرمادية» . وفي هذه المنطقة يعيش سكان من جنوب لبنان ، فتأتي سرايا حزب الله من بين هؤلاء ، والأهداف الجزئية التي تحددها ، موجودة داخل

٨٩- المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان . **المقابلة التي أجرتها مجلة «درشبيغل» مع السيد حسن نصرالله** (مركز توثيق منظمة الثقافة والعلاقات العامة ، الوثيقة رقم ١٠٢٣٣) .

90- Augustus Richard Norton, ***Op. Cit.***, p.84.

يقول «نورتون» في هذه المقالة عن الخسائر المدنية : «لا شك أن كل واحد من الطرفين كان يتعمد مهاجمة المدنيين ، لكن عدد القتلى والجرحى من المدنيين اللبنانيين أكبر من الخسائر في صفوف المدنيين الإسرائيليين . فمنذ العام ١٩٩٢ وحتى العام ١٩٩٨ ، لم يقتل سوى اثني عشر مدنياً إسرائيلياً جراء هجمات حزب الله . في حين قُتل في الفترة نفسها أكثر من ٥٠٠ شخص من المدنيين اللبنانيين في أعقاب هجمات الجيش الإسرائيلي» .

القرى والأسواق والمساجد ، أي أن عناصر الحزب يتصرفون كمدنيين ، وينفذون حرب العصابات ، التي تعتمد أسلوب الهجمات الخاطفة والهرب ، وزرع العبوات الناسفة على جوانب الطرقات»[٩١] .

وقد نشرت وكالة «رويترز» بعد مرور عشر سنوات على الغزو الصهيوني للبنان ، تقريراً حول الموضوع جاء فيه نقلاً عن «جوزيف ألفير» نائب مدير مركز «جافي» للدراسات الاستراتيجية في إسرائيل عن الغزو :

«لم يكن صفقة رابحة لإسرائيل . . خاصة مع سقوط قتلى وجرحى إسرائيليين ، واستعداد الشيعة الدائم لشن هجمات إنتحارية [استشهادية]» . وأضاف : «على الرغم من أن إسرائيل إنسحبت على مراحل ، وهي موجودة منذ العام ١٩٨٥ في منطقة عازلة من جنوب لبنان ، وعلى الرغم من مساعدة ثلاثة آلاف عنصر ، من أفراد ميليشيا «جيش لبنان الجنوبي» ، إلا أن القوات الإسرائيلية لا تزال متورطة في قتال مستمر» ، وأضاف : «في الوقت الذي توقفت فيه معظم المنظمات عن قتال إسرائيل ، وذلك منذ عودة الحكومة اللبنانية المركزية قبل عامين [أواخر العام ١٩٨٩م] ، إلا أن تنظيم حزب الله لا يزال يواصل القتال»[٩٢] .

إن قوة المقاومة الإسلامية العسكرية ، وصمود حزب الله في جنوب لبنان ، منع تكرار ما جرى في الأراضي العربية المحتلة الأخرى المحاذية لإسرائيل ؛ وقد كتبت صحيفة هآرتس بهذا الخصوص : «فمن المشكوك فيه العثور في إسرائيل على شخص ما زال يحلم بإقامة مستوطنات في لبنان ، وبالمقابل ثمة تواصل مستمر تقريباً لحركة الاحتجاج التي دعت إلى الخروج من لبنان»[٩٣] ؛ هذا في حين أن لبنان هو الأصغر بين الدول العربية المجاورة لإسرائيل ، وجيشه أصغر الجيوش بين هذه الدول .

91- Stephen Pelletiere, ***Hamas and Hizbollah***, p.66

٩٢- العلاقات الخارجية لحزب الله ، **حزب الله : النشأة والرؤيا** ، ص ١٦ .

٩٣- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ١١ .

الانتصار في الحرب النفسية

يدعم المقاومة الإسلامية جهاز إعلامي قوي، له مواقع على الانترنت، إضافة إلى «إذاعة النور» (١٩٨٨) وتلفزيون «المنار» (١٩٩٠)، جريدة (العهد) «الانتقاد» الأسبوعية، وغيرها. كما كان لحزب الله إذاعة إسمها «إذاعة الإسلام، صوت المستضعفين» تبث البرامج في مدينة «بعلبك»، وقد تعرضت مرات عديدة للغارات الإسرائيلية الجوية. وفي أثناء القيام بعملية عسكرية دقيقة وحساسة ونوعية في المنطقة المحتلة، يقوم أحد عناصر المقاومة بتصوير فيلم «فيديو» عن مراحل العملية، يعرضه تلفزيون «المنار» مباشرة وتكراراً في نشراته الإخبارية[٩٤]. وبما أن لهذا التلفزيون موقع انترنت خاص به، فإن الصور كلها تبث في إسرائيل، وتحرك الرأي العام الإسرائيلي، وتمنع الحكومة الإسرائيلية من حظر أو تكذيب الأخبار المتعلقة بخسائرها العسكرية في الجنوب اللبناني.

إن عرض تفاصيل عملية عسكرية نوعية للمقاومة بالصور، ولعدة ساعات، يزيد من شهرة الحزب، ويهبه مكانة متميزة. يقول الدكتور «ماغنوس رانستورب» حول انتصار حزب الله في حربه النفسية على إسرائيل: «لقد تمكن حزب الله إضافة إلى انتصاراته العسكرية، من إحراز نصر عظيم في حربه النفسية، باستخدامه شبكة الانترنت، وبث الأخبار باللغات العبرية والإنجليزية والعربية. أما إسرائيل فإنها على الرغم من إرسالها لمئات آلاف الرسائل على الانترنت، فشلت في إقفال مواقع حزب الله على هذه الشبكة، وكان الحزب يجيب عن تلك الرسائل كلها، وإن حرب حزب الله العسكرية على الأرض، وحربه النفسية بآلة التصوير، لأفضل دليل على عنايته بالاستخدام المزدوج والمتزامن للحربين العسكرية والنفسية»[٩٥].

94- Nicholas Blandford, ***Op. Cit.***, p.30

٩٥- نشرة «نداء المقاومة»، العدد٧٣، ٦/٧/١٩٩٩.

قبول القرار ٤٢٥

بعد الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٧٨، واحتلال المناطق المحاذية للحدود الإسرائيلية، أصدر مجلس الأمن القرار «٤٢٥» القاضي بانسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان، دون قيد أو شرط، وقد استمرت إسرائيل في تجاهل هذا القرار، وعدم الاعتراف به لمدة عشرين عاماً، لكنها اضطرت في صيف العام ١٩٩٨، في أثناء حكومة نتنياهو، وبعد الخسائر الفادحة التي مني بها الجيش الإسرائيلي على يد المقاومة الإسلامية، أن تعترف رسمياً بالقرار ٤٢٥.

كان نتنياهو الذي ترأس الحكومة الإسرائيلية في العام ١٩٩٦، بمواقفه المتصلبة مقابل الدول العربية، وحكومة الحكم الذاتي الفلسطيني، قد أوصل مفاوضات التسوية، التي ترعاها الولايات المتحدة الأميركية إلى طريق مسدود. وكان قد وقّع عدة اتفاقات مع ياسر عرفات منها «إتفاقية الخليل»، «اتفاقية أوسلو-٢»، «واي ريفير-١»، «واي ريفير-٢» وغيرها، لكنه لم ينفذ إلا جزءاً بسيطاً من هذه الاتفاقيات، ولم يحاول العمل ببنودها الأساسية على الأقل. أغضب أسلوب نتنياهو هذا العرب، وأربك أميركا؛ فلقد كان يعتقد أن اجتياح العراق للكويت، قد ضاعف من تفرق العرب وإذلالهم، في حين أن إسرائيل في أفضل أوضاعها، ولا يجوز لها أن تقدم أي تنازل للعرب، وإنما ينبغي لها أن تستفيد من هذه الأوضاع ومن الامتيازات التي منحت لها مجاناً. لكن نتنياهو المتصلب المواقف، وفي رسالة وجهها إلى الملك الأردني السابق «حسين» في العاشر من آذار ١٩٩٧، وصف قتال حزب الله في جنوب لبنان بقوله: «. . .إنها حرب صغيرة مدمرة، تفرض ثمناً باهظاً على إسرائيل في جنوب لبنان. .»[٩٦]. ولهذا السبب اعترفت حكومة نتنياهو بالقرار ٤٢٥ رسمياً، ووافقت على تنفيذ بنوده لكن بعد مفاوضات تجريها مع الحكومة اللبنانية.

96- Raymond Tanter, ***Op. Cit.***, p. 116.

أما الحكومة اللبنانية فقد أعلنت في جوابها على طلب نتنياهو ، أنها غير مستعدة لإجراء أي نوع من التفاوض حول هذا القرار ، وأن على الحكومة الإسرائيلية أن تنفذ بنوده دون قيد أو شرط ، وتنسحب من الأراضي اللبنانية كما دخلتها . وأعلن حزب الله من جانبه – تأييداً لموقف الحكومة اللبنانية – أن تغيير موقف الحكومة الإسرائيلية ، لا يعني إيقاف عمليات المقاومة الإسلامية ، وأن الحزب سيواصل نضاله إلى أن تنسحب إسرائيل عملياً ونهائياً من جنوب لبنان ، ونجح حزب الله في تنفيذ وعيده ، وتمكن من قتل الجنرال «إيريز غيرشتاين» ، ضابط الإرتباط الإسرائيلي في الجنوب ، في ٢٨ شباط ١٩٩٩[٩٧] . حين لمست الحكومة الإسرائيلية إصرار حزب الله ، وعدم استجابة الحكومة اللبنانية لمطالبها ، إضطرت أن تنفذ المرحلة الأولى من الانسحاب ، وأمرت عملاءها بإخلاء معبر «كفرفالوس» في منطقة جزين المسيحية ، وهكذا تحررت بلدة كفرفالوس بعد ستة عشرة عاماً ، وأزيلت الحواجز من الطريق التي تصلها بمدينة صيدا .

رئاسة العماد إميل لحود

أجريت انتخابات رئاسة الجمهورية اللبنانية في تشرين الأول من العام ١٩٩٨ ، وغادر الياس الهراوي قصر بعبدا ، بعد دورة رئاسية ، لمدة ست سنوات ، وسنتي تمديد إضافيتين ، وقد انتخب المجلس النيابي العماد «إميل لحود» قائد الجيش ، رئيساً جديداً للجمهورية . وقد كان لحود يتمتع بحب اللبنانيين «كبان للجيش غير الطائفي» ، ولشهرته «بنظافة الكف» ، و«بالنزاهة» و«عدم الارتهان السياسي» . وبدوره كلف لحود «سليم الحص» إحدى الشخصيات السنية القيادية ، والسياسي المعتدل ، ذي السمعة العطرة ، بتشكيل الحكومة ، كما أجرى لحود تعديلات واسعة في تسمية الوزراء ، واختار معظم الوزراء من التكنوقراط ، مستبعداً وزراء حكومة رفيق الحريري ، الذين كانوا في معظمهم من زعماء الميليشيات ، التي شاركت في الحرب

٩٧- **«نداء المقاومة»** : رسالة المقاومة الأسبوعية ، كانون الثاني ١٩٩٩ **وهمشهري** ١ آذار ١٩٩٩ .

الأهلية ، والمشهورين بـ«أمراء الحرب» ، كما أن لحود والحص لم يلتزما في إعطاء الحقائب الوزارية التوزيع التقليدي للوزارات على الطوائف المذهبية .

شهدت العلاقات بين حزب الله ورئيس الجمهورية بعد انتخاب لحود تحسناً لافتاً ، لاتخاذه مواقف إيجابية من الحزب ومن المقاومة ، وكان بعد كل عملية ناجحة للمقاومة ، يبعث برسالة تهنئة ، أو يقدم أوسمة لمقاتلي حزب الله ، معرباً عن دعمه للمقاومة . وبعد هذا التقارب بين الحزب والدولة ، قامت ميليشيا لحد بانسحاب آحادي الجانب ، بأمر من الجيش الإسرائيلي ، من مدينة «جزين» في الجنوب ، التي تم إخلاؤها في ٣ حزيران/ ١٩٩٩ بعد أن كانت قد تحولت إلى مقبرة للعملاء[٩٨] ؛ في حديثه عن هذا الانسحاب يقول «تيمور غوكسيل» : «حين وجد عناصر لحد أنفسهم عاجزين عن تفادي الألغام التي تزرعها المقاومة الإسلامية على جوانب الطرقات ، إضطروا لهذا الانسحاب ، الذي نفذ تحت إشراف الجيش الإسرائيلي المباشر ، إلى المواقع الجديدة الواقعة على بعد ثمانية كيلومترات جنوب جزين» . وفي أثناء الإنسحاب تعرضت هذه القوات أيضاً لعملية نفذها مقاتلو المقاومة الإسلامية ، وقتل منهم اثنان وجرح آخر[٩٩] .

في ٢٤ حزيران ١٩٩٩ ، أصدر نتنياهو الذي كان يمضي الأيام الأخيرة من حكومته أمراً إلى الجيش الإسرائيلي ، بقصف البنى التحتية في لبنان ، وقد أسفر القصف عن قتل عشرة مدنيين وجرح أربعة وستين آخرين ، وتهديم ثلاثة جسور ، وإلحاق خسائر جسيمة بمحطتي كهرباء قرب بيروت[١٠٠] . هذه الحملة الإسرائيلية على البنى التحتية ، التي لم يكن لها مثيل منذ العام ١٩٨٢ ، كانت تهدف إلى دفع حزب الله للرد بقصف صاروخي على شمال إسرائيل ، وتأزيم الوضع في لبنان ، لإجبار

٩٨- **«نداء المقاومة»** ١٣ آذار ١٩٩٩ ، العدد ٨٧ .

٩٩- **همشهري** ، ٣ حزيران/ ١٩٩٩ وأيضاً : Nicholas Blandford, ***Op. Cit.***, p.31.

١٠٠- **همشهري** ، ٢٦ حزيران/ ١٩٩٩ وأيضاً : Nicholas Blandford, ***Ibid.***

الحكومة اللبنانية على الدخول في المفاوضات مع إسرائيل ، وتقديم ضمانات أمنية لها . لكن قادة حزب الله أدركوا - بحسن دراية - نوايا إسرائيل ، وتجنبوا الرد على الغارات الجوية ، وأفشلوا مخطط العدو . وقد قامت في بيروت تظاهرات شعبية حاشدة ، شجباً لهذه الغارات ، أمام مبنى الأمم المتحدة ، ومظاهرات طلابية مقابل محطة الـ CNN في بيروت ، احتجاجاً على طريقة بث هذه المحطة لأخبار الغارات . وبعد عدة أيام ، ذهب السفير الأميركي في لبنان إلى الجامعة الأميركية لإلقاء خطبة ، حيث تصدى له طلاب هذه الجامعة ، فاضطر إلى مغادرة الجامعة فوراً قبل إلقاء خطبته[١٠١] .

حكومة إيهودا باراك

في ربيع ١٩٩٩ أجريت الانتخابات البرلمانية في إسرائيل ، وقد نجح فيها إيهود باراك زعيم حزب العمل ، الذي أطلق وعداً «بخروج الجيش الإسرائيلي من لبنان في غضون سنة واحدة على أبعد تقدير» وبعد تسلمه السلطة رسمياً كرر باراك وعده ، بخروج الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان في مدة ، لن تتجاوز تموز من العام ٢٠٠٠[١٠٢] .

أتاحت هزيمة نتنياهو ، ووصول باراك إلى الحكم الفرصة لاستئناف المفاوضات السورية - الإسرائيلية ، بعد توقفها لمدة أربع سنوات ، وقد أعلن كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأميركية ، بصورة مفاجئة في ٨ كانون الأول ١٩٩٩م ، إستئناف مفاوضات السلام ، بعد زيارة مادلين أولبرايت ، وزيرة الخارجية الأميركية لسوريا ،

١٠١- نشرة «نداء المقاومة» ، العدد٨٦ ، ٥ آذار ٢٠٠٠ .

١٠٢- على الرغم من وعد الحكومة الإسرائيلية بالإنسحاب ، وادعائها أنها تريد السلام ، فهي استمرت بحملاتها الإرهابية . ففي ١٦ آب ١٩٩٩ ، إستشهد «علي حسن ديب» أحد المسؤولين العسكريين في حزب الله ، على إثر تفجير عبوة ناسفة مزروعة على طريق بيروت - صيدا ، بواسطة طائرات التجسس الإسرائيلية ، راجع : نشرة «نداء المقاومة» ، العدد ٧٧ ، ٩ أيلول/ ١٩٩٩ .

ومقابلتها لحافظ الأسد ، وإعلان سوريا موافقتها على المشاركة في المفاوضات . وقد بدأت المرحلة الأولى من المفاوضات في ١٥ كانون الأول ١٩٩٩ والمرحلة الثانية في ٩ كانون الثاني/ ٢٠٠٠ في ولاية فرجينيا في أميركا ، ولم تسفر الجولتين عن أي نتيجة على الرغم من مشاركة الرئيس كلينتون ، والضغوط الأميركية للتوصل إلى اتفاق . وقد أبرزت هذه المفاوضات مدى الخلاف بين سوريا وإسرائيل على الأولويات وعلى الأسباب التي دفعت كلاً منهما لاستئناف المفاوضات .

في المدة الفاصلة بين جولتي المفاوضات ، بالتحديد قبل ثلاث أيام من شروع المرحلة الجديدة ، ونفذ شاب من حزب الله يدعى «عمار حمود» عملية استشهادية ، في الحزام الأمني ، وتمكن من تدمير قافلة عسكرية إسرائيلية ، وقتل سبعة جنود وجرح ثمانية آخرين[١٠٣] . وبدا توقيت هذه العملية في الواقع وكأنه رسالة إلى المشاركين ، أن ليس بإمكانهم التفاوض على مصير المقاومة .

بعد فشل المفاوضات السورية - الإسرائيلية ، نفذ الجيش الجنوبي العميل مرحلة جديدة من الانسحاب ، فقد انسحب من «كفرحونة» في ١٢كانون الثاني ٢٠٠٠ ، وفي ٤ شباط ٢٠٠٠ ، من موقع «سجد» الاستراتيجي المشرف على إقليم التفاح . وفي هذه الأثناء ألحق حزب الله ضربة فادحة بهذا الجيش ، فقد تمكن مقاتلوه في ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٠ من قتل «عقل هاشم» ، الرجل الثاني في قوات لحد[١٠٤] ، علماً أنه كان يعد الرأس الأول بعد إصابة لحد وإعاقته . وكان لاغتياله تأثير مدمر على الروح المعنوية للعملاء ، وهو ضاعف عمليات الفرار من «الجيش الجنوبي» . مما دفع باراك إلى إصدار أوامره مجدداً ، إلى القوات الجوية الإسرائيلية بقصف محطات الكهرباء ، في ٨ شباط ٢٠٠٠ ، حيث غرقت معظم المناطق اللبنانية في الظلام . وكانت إسرائيل

١٠٣- نشرة «نداء المقاومة» ، العدد ٨٤ ، ١١ كانون الثاني/ ٢٠٠٠ .

١٠٤- نشرة «نداء المقاومة» العدد ٨٥ ، ٢شباط ٢٠٠٠ ؛ همشهري ٣١ كانون الثاني/ ٢٠٠٠ .

تهدف من وراء هذا العدوان لاستدراج المقاومة إلى رد ، يكون ذريعة لعملية عسكرية إسرائيلية واسعة ، سمّاها المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغّر «العملية المتدحرجة» ، لكن المقاومة الإسلامية لم ترد مخالفة بذلك توقعات الإسرائيليين ، ما أفشل المقدما التي كانت تحتاجها إسرائيل لتنفيذ خطتها في حينه[١٠٥] .

الاعتراف الإقليمي بشرعية المقاومة الإسلامية

كانت المقاومة الإسلامية قد حظيت منذ العام ١٩٩٦ ، بالاعتراف بشرعيتها لبنانياً ، وشعبياً في العالم العربي وفي منطقة الشرق الأوسط . وبعد الغارات الوحشية الإسرائيلية على البنى التحتية في لبنان ، إعترفت بها الحكومات العربية رسمياً ، فقد زار الرئيس المصري حسني مبارك ، يوم الجمعة في ١٨ شباط ٢٠٠٠ ، لبنان دعماً له في صراعه مع إسرائيل ، وقد أعلن في هذه الزيارة التي هي الأولى من نوعها لرئيس مصري إلى لبنان ، بصراحة عن تأييده للمقاومة الإسلامية ، وبمجرد عودته إلى القاهرة ، أرسل باراك مندوباً عنه إلى مصر لمقابلة مبارك ، وإبلاغه شجب إسرائيل لمواقف مصر المستجدة . وقد جاء تأييد مصر للمقاومة الإسلامية ، ليطوي في الواقع صفحة مؤتمر «شرم الشيخ» ، الذي كان قد انعقد في مصر قبل ذلك بأربع سنوات ، لإدانة مقاتلي حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي ، واتهامهم بالإرهاب[١٠٦] .

المرحلة الثانية من الاعتراف بشرعية المقاومة في المنطقة ، هي انعقاد جلسة لوزراء الخارجية العرب في بيروت ، في أعقاب الغارات الجوية الإسرائيلية على محطات الكهرباء في لبنان ، والتي أعلن فيها المجتمعون إدانتهم لهذه الغارات ، وتأييدهم للمقاومة اللبنانية للاحتلال ، وكان لذلك تأثير كبير على صورة المقاومة عالمياً ، كما زار بعد ذلك الأمير عبدالله ولي العهد السعودي لبنان ، وأعلن دعمه وتأييده

١٠٥- نشرة «نداء المقاومة» العدد ٨٦ ، ٥ آذار/ ٢٠٠٠ .

١٠٦- همشهري ، ٢١ شباط/ ٢٠٠٠ .

للحكومة اللبنانية ، والتقى - للمرة الأولى - نواب حزب الله في المجلس النيابي ، وأعلن دعمه للمقاومة الإسلامية .

الانسحاب الإسرائيلي النهائي

على إثر الاعتراف بشرعية المقاومة الإسلامية في المنطقة وفي العالم ، وافقت الحكومة الإسرائيلية في جلستها المنعقدة في ٦ آذار ٢٠٠٠ ، رسمياً ، على مشروع قرار سحب جيشها من جنوب لبنان[١٠٧] . وهكذا تحول موضوع الانسحاب الإسرائيلي من لبنان ، من وعد انتخابي إلى قرار رسمي . كما أن اعتراف الدول العربية رسمياً بالمقاومة ، أثار قلق الأميركيين ، ولهذا السبب ، التقى كلينتون في أواخر آذار من العام ٢٠٠٠ ، بحافظ الأسد رئيس الجمهورية السورية في جنيف ، لتسريع مفاوضات التسوية بين سوريا وإسرائيل ، لكن هذه المفاوضات فشلت ، بسبب إصرار سوريا على مواقفها في ما يخص الجولان ، وقد حمّل كلينتون حافظ الأسد مسؤولية هذا الفشل[١٠٨] .

بعد أن يئس «باراك» من استئناف المفاوضات مع سوريا ، وللضغط عليها ، أعلن في رسالة إلى «كوفي أنان» أمين عام الأمم المتحدة ، أن الجيش الإسرائيلي سينسحب في ٧ تموز/ ٢٠٠٠ من طرف واحد من لبنان ، وهكذا تحول قرار إسرائيل بالإنسحاب إلى تعهد دولي . وقد بدأت إسرائيل فعلياً ، بإخلاء مواقعها تدريجياً قبل حلول الموعد المقرر ، والانسحاب على مراحل ، كي لا يأتي الانسحاب النهائي في ٧ تموز كهزيمة ماحقة لها .

يعتقد عدد من المحللين السياسيين لقضايا الشرق الأوسط ، أن قرار إسرائيل بالإنسحاب الأحادي الجانب من لبنان ، كان يهدف في الواقع إلى الضغط على

١٠٧- همشهري ، ٦ آذار/ ٢٠٠٠ .

١٠٨- همشهري ، ٣١ آذار/ ٢٠٠٠ .

سوريا ، في مفاوضات السلام المتعلقة بالجولان ، وسحب ورقة المقاومة من يدها ؛ وهذا الأمر يصح على عملية الإنسحاب الآحادي الجانب ، لكن القرار الإسرائيلي التاريخي حول مبدأ «الانسحاب» ، هو في الواقع إقرار بأول هزيمة عسكرية لإسرائيل في حروبها العربية ، وانهاء أسطورة «الجيش الذي لا يقهر» ، ويؤيد هذا الإدعاء اعترافات القادة السياسيين والعسكريين في إسرائيل . كتبت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية ، نقلاً عن لسان أحد كبار الضباط في الجيش الإسرائيلي قوله :

«لقد اسودّ وجهنا في الامتحان اللبناني ، وانهزمنا لأننا نريد باستمرار ، أن نحل مشاكلنا بالقوة ، لكن ، هذه المرة أعيد خلط الأوراق ، وانتصر اللبنانيون في الحرب . لقد استطاعوا أن يهزموا الروح المعنوية لقواتنا ، وتحول الضباط اليهود الذين كانوا محط الأنظار ، إلى أفراد محدودي التفكير ، متحجرين ، لا يفكرون إلا بالهرب . لقد تحول جنوب لبنان إلى فيتنام صغيرة ، وإلى أرض الدموع» .

يقول «آلكس فيشمن» وهو من الصحافيين الإسرائيليين المعروفين : «إن العسكريين الإسرائيليين يعرفون كيف يستخدمون التجهيزات الحربية ؛ لكن عناصر حزب الله يستخدمون أدنى الوسائل على النحو الأفضل . لقد تحولت الحرب بين حزب الله والجيش الإسرائيلي فعلاً إلى حرب بين عناصر مدربين ، يتطلعون إلى هدف أسمى ، وبين جنود يائسين ، متعبين ، جبناء ، لا هدف لهم» . ويبدي الصحفي اليهودي المعروف «يهوشفاط هركابي» وجهة نظره حول الحروب العربية - الإسرائيلية على النحو التالي :

«لقد كانت الحروب العربية - الإسرائيلية من العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٧٣ لمصلحتنا ، وحققنا من ورائها أهدافنا . لكن حرب العام ١٩٨٢ ، قد أضرت بنا ، ولم تنتج سوى بزوغ روح الاستشهاد والمقاومة لدى الشباب اللبنانيين ، وتأجيج انتفاضة الشعب الفلسطيني في العام ١٩٨٧ ، وهؤلاء جنودنا يتهربون من الخدمة ، ويفرون من الجيش ، ولا يترددون على ألسنتهم سوى المطالبة بالخروج من مستنقع الجنوب اللبناني» .

كذلك يقول «ليفي إسحق» أحد الصحافيين الإسرائيليين : «لقد فشلت تجربتنا في لبنان ، وفقدنا سمعتنا أخلاقياً ، لأن جيشنا إرتكب أعمالاً دنيئة وغير أخلاقية ، كما أن الروح المعنوية لجنودنا منهارة ، إلى حد أنهم يتعمدون جرح أنفسهم ، كما كان يفعل الجنود الأميركيون في فيتنام ، ليبتعدوا ولو لمدة قصيرة على الأقل من جهنم لبنان . إن هذا الوضع مخجل حقاً» .

إن مثل هذه الأقوال والآراء الصادرة عن القادة السياسين والعسكريين الإسرائيليين كثيرة ، لكن ، ربما كان أشدها إثارة ولفتاً للنظر ، الرسالة التي كان قد كتبها أحد الجنود الإسرائيليين إلى باراك قبل أيام من مقتله في جنوب لبنان ، ومما جاء في هذه الرسالة ، التي نشرتها صحيفة «معاريف» الإسرائيلية ما يلي :

«السيد رئيس الوزراء ، أعلمك بخبر مقتلي ، قبل انتهاء الحرب في لبنان بعدة أيام ، فقد أطلق أحد مقاتلي حزب الله بدقة متناهية صاروخ «تاو» باتجاه المركز الذي كنت أتحصن فيه ، ففارقت روحي جسدي ، والآن أراني أشاهد كل شيء : الحاخام يصلي فوق جثماني ، ورفاق السلاح يطلقون الرصاص في الهواء تخليداً لذكراي ، حتى قائد وحدتي الذي كان يعاقبني باستمرار ، يذكرني بخير وهو يرثيني قائلاً : إنه جندي شجاع ، مخلص ومحبوب ، سنحتفظ بذكراه حية في قلوبنا . . وبعد دقائق معدودة ، يدفنونني ، في قبر ملاصق لقبر صديقي الذي قتل البارحة .

لكن يا سيدي الرئيس ، هنالك موضوع لا يزال يثير حيرتي وتساؤلي ، لماذا يجب أن أموت؟ لقد كنت تقول دائماً ، نحن من أقوى الجيوش في العالم ، ولن ننهزم مطلقاً ، لكن الآن ؛ الجميع يعرفون ، أننا منذ مدة بعيدة ، قد هزمنا في الحرب ، ها هو جيش إسرائيل الذي لا يقهر ، بألويته المدرعة وأساطيله الجوية والبحرية ، ينسحب مطأطئ الرأس خجلاً . سيدي الوزير كيف لا تفهم الموضوع ، الذي يعلمه صغار الجنود؟ نعم ، لقد كانت حربنا في لبنان حرب داوود وطالوت ، لكن اللبنانيين كانوا داوود ونحن طالوت ، لقد هزمونا كما فعل داوود بطالوت ، وأنت اكتفيت بالقول : إننا سنرد في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ، وسننتقم ! أي انتقام؟ ! وأي رد؟ ! تضحكني هذه العبارات . لقد مزقنا العدو شر ممزق ، وأنت اكتفيت بمهاجمة مؤسسات الكهرباء والجسور ، وكل ذلك دون جدوى ؛ لقد حطمنا عناصر حزب الله ، وأنهكونا ، كما فعل «الفيتكونغ» بالأميركيين ، هل تذكر؟ ! ألا تذكر أن ستة وخمسين ألف جندي أميركي قد قتلوا في فيتنام ، وفي النهاية إندحروا ، وولّوا هاربين؟ لقد أصابتنا نحن المصيبة نفسها . أود أن

أصرخ بأعلى صوتي وأقول لك ولرؤساء الوزراء الذين سبقوك : لو أنكم انسحبتم من جنوب لبنان ، منذ بضع سنوات ، لكنا أنا ورفاقي الذين قتلنا في الحرب أحياء الآن . لكن للأسف ، لقد سبق السيف العدل ، وما حصل قد حصل ، وأنا الآن في عداد الموتى»(١٠٩) .

هزيمة الاحتلال الإسرائيلي

بعد أن أعلنت إسرائيل يوم السابع من تموز تاريخاً لانسحابها النهائي من الأراضي اللبنانية ، كان الجميع ينتظرون الحدث ، وقد أخذ عدد من المحللين في الاعتبار سوابق إسرائيل في إعطاء الوعود وتوقيع الاتفاقيات العديدة لسلطة «الحكم الذاتي» الفلسطينية ، وعدم الالتزام أو الوفاء بها ، وكانوا يشكون في إمكانية تنفيذها لهذا الوعد ، ويعتقدون أن المسؤولين الإسرائيليين سيختلقون الذرائع المختلفة للتنصل منه والبقاء في جنوب لبنان ، وأن هذا الوعد لم يكن أكثر من مناورة سياسية . لكن أولئك الذين كانوا مطلعين على أوضاع القوات العسكرية الإسرائيلية في جنوب لبنان ، والخسائر التي لحقت بها ، كانوا يدركون أن انسحاب إسرائيل أمر محتم وأنه لا بد من أن يتحقق .

لقد حصل الانسحاب ، وتحققت الهزيمة ، لكن ليس في الموعد المقرر ، بل قبل ذلك بخمسة وأربعين يوماً . فقد بدأ الجيش الإسرائيلي ، منذ بداية شهر أيار ٢٠٠٠ ، بإخلاء بعض مواقعه ، وتسليمها إلى جيش لبنان الجنوبي ، ومن الناحية الأخرى تقرر بالتنسيق مع أميركا وبدعمها ، تعزيز قوات حفظ السلام الدولية في جنوب لبنان ، لتتمكن بعد الانسحاب الإسرائيلي من حماية أمن إسرائيل وميليشيا لحد ، وتهيء الأجواء والظروف لإعادة انتشار الجيش اللبناني في الشريط المحتل ، وعلى الحدود اللبنانية - الفلسطينية .

لكن ، صباح يوم الأربعاء في ٢٤ أيار ، تبين أن الجيش الإسرائيلي ، قد أخلى فجأة

١٠٩- تصريحات الشخصيات السياسية والعسكرية الإسرائيلية منقولة عن :
نشرة «**نداء المقاومة**» العدد ٨٦ ، ٥/ ٣/ ٢٠٠٠ والعدد ٨٧ ، ١٤/ ٣/ ٢٠٠٠ .

وبشكل كامل وتحت جنح الظلام جميع مراكزه ، وانسحب من الأراضي اللبنانية . هذا الانسحاب المفاجئ ، أثار التعجب والاستغراب ليس في لبنان والعالم العربي فقط ، وإنما في العالم كله . وفي أعقاب فرار الجيش الإسرائيلي ليلاً ، إستسلمت قوات لحد ، مجموعات مجموعات - بلغ بعضها مئات العناصر - إلى الجيش اللبناني أو لعناصر المقاومة الإسلامية ، في حين فر المسؤولون والمتورطون مع عائلاتهم إلى إسرائيل وطلبوا اللجوء فيها . كانت هزيمة الجيش الإسرائيلي وانهيار ميليشيا لحد - في الواقع - نهاية مخزية ومذلّة للإجتياحين الإسرائيلي للبنان في العامين ١٩٧٨ و١٩٨٢ ، حملت إلى اللبنانيين بجميع فئاتهم الارتياح والفرح والسرور ، وقد قررت الحكومة اللبنانية إعتبار ٢٥ أيار «يوم المقاومة والتحرير» عيداً رسمياً ووطنياً دائماً .

لكن السؤال المطروح هو التالي : لماذا فضّلت إسرائيل الانسحاب المتسرع على الانسحاب في الموعد المقرر؟ للإجابة عن هذا السؤال يجب أخذ المسائل التالية في الاعتبار :

١ - كانت ميليشيا لحد ، في أثناء انسحابها من جزين ، الذي تم بناء على برنامج مسبق ومعلن ، قد تعرضت لهجمات المقاومة الإسلامية وألحقت بها خسائر بشرية ، مما أقلق القادة الإسرائيليين ، الذين توقعوا أن تتعرض قواتهم ، في حال انسحبت بناء على برنامج محدد ومعلن ، إلى هجوم مقاتلي حزب الله ، وتُمنى بخسائر فادحة في لحظات الاحتلال الأخيرة ، لذلك فضلت الانسحاب السريع غير المعلن عنه ، حتى ولو عرّض الانسحاب بهذه الطريقة الجيش الإسرائيلي للفضيحة .

٢ - كان مقرراً في الانسحاب المبرمج ، أن تعزز قوات حفظ السلام الدولية ، وتتسلم مسؤولية المحافظة على الأمن في المنطقة ، لكن هذا الانسحاب السريع والمفاجئ ، قبل أن تتم عمليتي التسلم والتسليم ، سيعرّض المنطقة إلى صدامات ومعارك طائفية ومذهبية ، تؤدي إلى عدم الاستقرار في الحزام الأمني . وكان الساسة الإسرائيليون يأملون من وراء ذلك ، أن تتحول الأنظار عن انسحابهم ، وأن يثبتوا للرأي العام العالمي ، أن الجيش الإسرائيلي كان عامل استقرار في الجنوب اللبناني ،

وليس من قوة غيره قادرة على تحقيق الأمن والاستقرار . لكن قيادة حزب الله أدركت جيداً وبدراية كاملة نية إسرائيل هذه ، فأوفدت بسرعة علماء دين وشخصيات فاعلة ومعروفة من أعضاء الحزب ، لطمأنة أهالي المنطقة المسيحيين ، فالتقوا بالرهبان ورجال الدين المسيحيين ، للتنسيق ولتفادي كل ما من شأنه أن يؤدي إلى المواجهة والانتقام المذهبيين .

من ناحية أخرى أعلن السيد حسن نصرالله أمين عام الحزب ، في خطبة مهمة له ، أن المقاومة لن تتوقف ، طالما أن هنالك شبراً واحداً من أرض لبنان ، تحت الاحتلال الإسرائيلي ، مشيراً إلى مزارع شبعا في المثلث الحدودي بين لبنان وسوريا وفلسطين المحتلة .

لقد رفعت انتصارات حزب الله المهمة والباهرة - التي لا سابقة لها في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي ، من مكانة الحزب وشهرته ، وبشرت بمستقبل مشرق لهذا الحزب الذي حرّر تراب الوطن بنضاله المتواصل والمخلص طيلة ثمانية عشرة عاماً من مقاومة الاحتلال ؛ وحوّلته إلى حزب سياسي قادر ، ناطق ليس فقط باسم الشيعة ، وإنما باسم جميع المحرومين في لبنان .

الفصل الرابع

الثورة الإسلامية و نزعة حزب الله الراديكالية

في الكلام على مسار انطلاقة حزب الله اللبناني (كما أوضحنا في الفصل السابق)، يمكن الإشارة إلى نقطة انعطاف بالغة الأهمية، وهي أن توقيع «اتفاق الطائف»، والعمل من ثمّ على تنفيذ بنوده، يعد تحوّلاً مصيرياً لتنظيم حزب الله، ولغيره من التنظيمات والأحزاب اللبنانية، وللمجتمع اللبناني بعامة، لأن هذا الاتفاق، وضع نقطة النهاية للحرب الأهلية التي استمرت خمس عشرة سنة؛ ومهّد الأرضية الملائمة لتجريد الأحزاب والميليشيات من الأسلحة، وبسط سلطة الحكومة المركزية وحكم القانون. لذلك من الممكن خلال دراسة التحولات والقضايا المتعلقة بلبنان الإشارة إلى مرحلة «ما قبل الطائف»، ومرحلة «ما بعد الطائف»، وحزب الله ليس مستثنىً من هذه القاعدة العامة؛ فالتغيرات التي طرأت على هذا التنظيم بعد اتفاق الطائف جعلت صورته مختلفة كثيراً عن صورة حزب الله قبل اتفاق الطائف.

في هذا الفصل، ومن خلال دراسة ممارسات حزب الله ومواقفه في الثمانينات (مرحلة ما قبل الطائف)، سيتركز الجهد على توضيح العوامل والأسباب المؤثرة في هذه الممارسات والمواقف، وشرحها وتحليلها، بناءً على أنموذج البحث الذي ورد في نهاية الفصل الأول. لذا فإن القسم الأول من هذا الفصل مخصص للكلام على ممارسات هذا الحزب ومواقفه خلال الثمانينات، والقسم الثاني لشرح الأسباب والعوامل المؤثرة فيها وتحليلها.

القسم الأول

مظاهر الراديكالية لدى حزب الله

لم يكن العنف في لبنان قبل التسعينات ، يمثل تغييراً أو انحرافاً عن خط معين ، بل يمكن القول أنه صار أمراً معروفاً وسائداً هناك ؛ فقبل ظهور حزب الله بمدة غير قصيرة ، تحول لبنان إلى أرض يعلو فيها صوت الرصاص على الأصوات الأخرى . ولم تكن المعارك على الأرض اللبنانية أمراً اختيارياً ، بل ضرورة فرضها حب البقاء ، ومن نواحٍ عدة ، كان هذا العنف يسلك دروباً عدة مألوفة في لبنان . وكانت أعمال العنف المعروفة على المستوى العالمي ، ذات الأبعاد والأشكال المختلفة ، قد حولت لبنان إلى «جنّة للمجموعات الراديكالية والثورية» ، وأكثر هذه الأعمال شهرة : إحتجاز الرهائن والاغتيالات والتفجيرات العشوائية في المناطق السكنية المأهولة ، والقتل على الهوية وغيرها .

ولم يتمكن تنظيم «حزب الله» الذي ظهر في غمرة الحرب الأهلية اللبنانية ، بعيد الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان ، من البقاء بمنأى عن «بحر العنف» هذا . لكن أساليب حزب الله الراديكالية الثورية ، في استخدامه للعنف السياسي تختلف إختلافاً كاملاً عن أساليب المجموعات والأحزاب الأخرى . فقد استخدم حزب الله الأساليب

الراديكالية على نحو هادف ومبتكر ومبرمج، ضد أهداف محددة، متجنباً أساليب الراديكالية العشوائية. في كل الأحوال فقد جعلت العمليات الاستشهادية، وخطف الطائرات، واحتجاز الرهائن من الرعايا الغربيين، حزب الله يستحوذ على اهتمام وسائل الإعلام، حيث ظهر بصورة «إله الانتقام والعقاب»[١] بنظر الغرب وإسرائيل، كما ذكر «مارتن كريمر» في مقالة له - ضمن «مشروع الأصولية» في جامعة شيكاغو - عنوانها «حزب الله اللبناني: حساب الجهاد»: «لمدة من الزمن، بدا حزب الله قوة يستحيل قهرها، عندما كان يوجّه الضربة تلو الضربة إلى «أعداء الإسلام»، ويخلق قلقاً من الأصولية التي تتمتع بحكم ذاتي داخل لبنان.. ومما لا شك فيه أن قوة التأثير التي تمتع بها حزب الله تعود إلى العنف الذي مارسه وإلى مهارته في ممارسة «العنف المشروع» باسم الإسلام»[٢].

ليس هنالك من إمكانية لذكر «الأعمال الراديكالية» التي مورست في الثمانينات تفصيلاً، لأن فهرس هذا النوع من العمليات طويل إلى حد أنه يحتاج بحد ذاته إلى كتاب مستقل، إنما يمكن تصنيف تلك الأعمال إلى ثمانية محاور رئيسية:

- العمليات التي كانت تهدف إلى إنهاء الوجود العسكري للدول الغربية - وبخاصة أميركا وفرنسا- في لبنان، وإلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلي: كالعملية التي استهدفت السفارة الأميركية في بيروت، والعملية الاستشهادية ضد مقرّي المشاة الأميركيين والمظليين الفرنسيين، والعملية الاستشهادية ضد مقر القيادة الإسرائيلية في مدينة صور التي ذكرناها في الفصل السابق.

- العمليات التي كان الهدف من ورائها دعم إيران في أثناء حرب العراق عليها،

1- Martin Kramer, "Hizballah, the Calculus of Jihad", in Martin E. Marty R. Scott Appelbu eds), ***Fundamentalism and the state*** (Chicago: The Chicago University Press, 1993), p.4.

2- ***Ibid.*** pp. 4 - 5.

وقد قام طلائعيون من الشيعة الأصوليين بحملات عنيفة ضد عدد من الأهداف العراقية في لبنان، كتفجير السفارة العراقية في بيروت في ربيع العام ١٩٨١م، بعد ستة أشهر من الاعتداء العراقي العسكري على إيران، لكن هذه العمليات تواصلت بعد ظهور حزب الله واتخذت أبعاداً أكثر أهمية: كتفجير السفارتين الأميركية والفرنسية في الكويت، ومهاجمة مصافي النفط، ومراكز النقل الكويتية في العام ١٩٨٣، إحتجاجاً على دعم الكويت للعراق، وسلسلة التفجيرات التي وقعت في باريس في العام ١٩٨٦ إحتجاجاً على تسليح فرنسا للعراق؛ ويمكن اعتبار ما ذكرنا الأهم في هذا النوع من العمليات، وسنعود إليها بالتفصيل في ما بعد.

- العمليات التي نفذت بهدف تحرير بعض الأشخاص المعتقلين في عدد من البلدان، في الشرق الأوسط وأوروبا. وقد تجلى هذا النوع من العمليات في خطف الطائرات، لإظهار مدى جدية الخاطفين وعزمهم على إنجاز مهمتهم وتحقيق أهدافهم.

- خطف الرعايا الغربيين لأهداف مختلفة: فقد خطف في المرحلة الممتدة من عام ١٩٨٣ إلى العام ١٩٨٩ حوالي ٤٠ شخصاً من الرعايا الأميركيين والفرنسيين والإنجليز، أفرج في نهاية الأمر عن معظمهم، لكن بضعة مخطوفين لقوا حتفهم في أثناء الأسر.

- المعارك التي وقعت بين حزب الله ومنافسيه، كحركة أمل والحزب السوري القومي الاجتماعي، للاستئثار بالسيطرة على بعض المناطق في بيروت والجنوب أو البقاع الغربي، وأسفرت عن أعمال عنف من الجانبين، أوقعت خسائر بشرية في صفوف المدنيين، كما أقدم كل طرف على تصفية بعض قياديي الخصم وأعضائه.

- معارضة حزب الله لبعض الجهود السورية التي كانت تهدف إلى التوصل إلى اتفاقيات مختلفة بين الأجنحة المتصارعة في لبنان، مثل الاتفاق الثلاثي.

- محاولات بعض مؤيدي حزب الله لفرض الأحكام والقوانين الإسلامية في

المناطق التي كانت خاضعة لنفوذه في الثمانينات .

- ممارسات الحزب الخارجية كذراع للثورة الإسلامية ، ونذكر مثالاً على ذلك محاولة قتل سلمان رشدي في لندن .

أ- الممارسات الراديكالية

أسفر استخدام حزب الله للأساليب الراديكالية ، عن نتائج ومكاسب مهمة لهذا الحزب ، وكما يقول ماغنوس رانستورب : «إن اقتدار حزب الله وحذقه ونبوغه وابتكاره في استخدام العنف السياسي ، هي العوامل الأساسية التي سرّعت تحول الحزب من مجموعة ميليشياوية ثورية صغيرة إلى قوة عسكرية واجتماعية في الثمانينات ، وفي خضم الحرب اللبنانية الأهلية»[٣] . إن نجاح حزب الله في إخراج الجيوش الغربية من لبنان ، وإجباره إسرائيل على الانسحاب من الأراضي اللبنانية ، جعل حزب الله أحد الناطقين الأساسيين باسم الطائفة الشيعية : «فقد أدت انتصارات الحزب العسكرية إلى تضامن المجتمع الشيعي اللبناني معه ، والأقلية التي كانت متنازلة ببساطة عن السلطة ، تحولت إلى قوة أصولية مناضلة وفاعلة ، تطالب بحصة مهمة في السلطة اللبنانية»[٤] .

وللتعرف إلى كيفية استخدام حزب الله للأساليب الراديكالية ، يتوجب علينا التعمق في دراسة بعض المواضيع المذكورة آنفاً وتحليلها :

١-خطف الطائرات

أقدم بعض الشباب الشيعي اللبناني على خطف طائرات مدنية ثلاث مرات في

٣- ماغنوس رانستورب ، **الوجه المتغير لحزب الله اللبناني** ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث (بيروت ، ٢٠٠٠) ، ص ٧ .

4- Eyal Zisser, "Hizbollah on the Crossroad", ***Middle East Review of International Affairs (MERIA)***, 1997, Sep.30, p.49.

الثمانينات . في المرة الأولى خطفت طائرة كويتية في كانون الأول من العام ١٩٨٤ ، وأجبر الخاطفون الطائرة على الهبوط في مطار «مهر آباد» في طهران . وبحسب اعتقاد رانستورب ، كان الخاطفون أربعة من أعضاء «حزب الدعوة الإسلامي»[٥] ، وقد خطفت هذه الطائرة بعد التفجيرات التي حصلت في الكويت واعتقل على إثرها سبعة عشر شيعياً لبنانياً ، لإجبار الحكومة الكويتية على الإفراج عن المعتقلين ، وقد أقدم الخاطفون على قتل اثنين من المسافرين الأميركيين في الطائرة ، لكن السلطات الكويتية لم تستجب لمطالبهم[٦] ؛ وفي النهاية قامت قوات الأمن الإيرانية بمهاجمة الطائرة ، فاستسلم الخاطفون ، لكن الحكومة الإيرانية لم تبد استعداداً لمحاكمتهم أو لتسليمهم إلى أي بلد آخر .

العملية الثانية كانت خطف طائرة تابعة للخطوط الجوية TWA الأميركية في أواسط حزيران من العام ١٩٨٥ ، وهي في طريقها من أثينا إلى روما ، وقد أصبحت هذه العملية من أشهر عمليات خطف الطائرات في العالم ، لأن الخاطفين بعد جولات من الطيران بين العاصمة الجزائرية والعاصمة اللبنانية ذهاباً وإياباً ، هبطوا بالطائرة في مطار بيروت ، ونقلوا المسافرين في عدة سيارات ، وأخفوهم في نقاط مختلفة في الضاحية الجنوبية لبيروت ، ثم بعد ذلك نظموا لعدد منهم مقابلات صحافية ، وبعد سبعة عشر يوماً أفرجوا عنهم . كانت مطالب الخاطفين عديدة ، لكن أهمها كان مطلب تحرير الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية .

حدث خطف الطائرة وما رافقه دفع الحكومة الأميركية إلى اتهام إسرائيل أنها لا تطبق إتفاقية جنيف المتعلقة بأسرى الحرب . وقد رضخت الحكومة الإسرائيلية في النهاية وأفرجت عن سبعمئة وستة وستين أسيراً لبنانياً معظمهم من الشيعة ، وعلى

5- Magnus Ranstorp, ***Hizb'Allah in Lebanon*** (NewYork: St. Martin's Press,1997), p.93.

٦- روبين رايت ، «**الشيعة : المناضلون في سبيل الله**» ، ترجمة علي انديشه (طهران : قومس ، ١٩٩٣) ، ص ١١٥ .

هذا النحو أقفل ملف طائرة الـ .TWA ؛ هذا الانتصار أثّر إيجابياً على صورة حزب الله في أوساط الشيعة اللبنانيين ، لكن على المستوى العالمي نُظر إلى حزب الله كمجموعة إرهابية عنيفة . وأدى الحدث في المقابل إلى لفت أنظار الرأي العام العالمي إلى الممارسات الإسرائيلية الوحشية في لبنان .

وتشير نتيجة استطلاع شعبي أجري في أميركا حول هذه الحادثة إلى أن الأميركيين – على الأقل على مدى محدود – كانوا يعارضون هذا التقارب الحميم بين الحكومة الأميركية وإسرائيل[7] . إلا أن النقطة اللافتة كانت تصريحات بعض المسافرين وطاقم الطائرة المخطوفة بعد إطلاق سراحهم ، فقد صرح قائد الطائرة للصحف : «بإمكاننا أن نفهم أن هؤلاء محقّون في دعواهم . كان خطف الطائرة عملاً غير قانوني ، ومن هذه الوجهة يمكن للإنسان أيضاً أن يسمي احتجاز الأسرى اللبنانيين في إسرائيل «إرهاب دولة» ، لا يعني هذا الكلام أننا نؤيد الخاطفين ، ولكن هذه الحادثة أتاحت لنا إدراك معاناة الشيعة ، إن قضيتهم محقة كقضيتنا» . وصرح أحد المسافرين أيضاً : «أنا آسف جداً لأن هنالك من يصنف حزب الله كمجموعة إرهابية متطرفة يكرهونهم ويسبّونهم . إنهم أشخاص لطفاء ومحبّين ، وقد أظهروا لنا حباً جماً»[8] .

العملية الثالثة كانت خطف طائرة كويتية أخرى في نيسان من العام ١٩٨٨ ، وإجبارها على الهبوط في إيران وثم في الجزائر . وكان طلب الخاطفين في هذه المرة أيضاً تحرير المعتقلين اللبنانيين في السجون الكويتية ، لكن دولة الكويت لم تبدِ استعداداً هذه المرة أيضاً لتقديم أي تنازل ، وانتهت العملية باتفاق بين الحكومة الجزائرية والخاطفين لإطلاق سراح الركاب ، وضمانة عدم اعتقال الخاطفين وتأمين خروجهم من الجزائر[9] .

٧- م . ن . ص ١٠٥ .

٨- م . ن . ص ١٠٤ .

9- Maguns Ranstorp, *Op. Cit.*, pp. 154 - 155 & 163.

بعد اجتياح العراق للكويت في العام ١٩٩٠ ، تمكن المعتقلون اللبنانيون من الفرار من الكويت .

٢- القنابل والمتفجرات

شهد الباريسيون بين كانون الأول ١٩٨٥ وأيلول ١٩٨٦ سلسلة تفجيرات في الشوارع وفي محطات المترو ، أسفرت عن سقوط عشرة قتلى ومئتين وخمس وسبعين جريحاً[10] ، وجرت عملية مشابهة في جنوب لبنان إستهدفت الوحدة الفرنسية العاملة ضمن قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة . وقد حمّلت وسائل الإعلام الغربية حزب الله مسؤولية هذه الانفجارات للأسباب التالية :

- قرار الحكومة الفرنسية بتسليم عضوين من حزب الدعوة إلى الحكومة العراقية .
- إصرار الخاطفين على تحرير «أنيس النقاش» ، المتهم بمحاولة اغتيال «شهبور باختيار» في العام ١٩٨٠ ، وسائر المعتقلين اللبنانيين في فرنسا .
- إمداد فرنسا للعراق بالسلاح أثناء حربه ضد إيران .
- تلكؤ فرنسا في تسديد قرض لإيران قيمته مليار دولار ، كانت قد استلفته خلال عهد الشاه .

وقد طالبت مجموعة غامضة تسمى «لجنة التضامن مع السجناء السياسيين العرب والشرق أوسطيين» ، بالإفراج عن «جورج إبراهيم عبدالله» (زعيم FAR) و«أنيس النقاش» و«فاردجيان غاربيدجيان» . لكن أعضاء هذه اللجنة إعتقلوا في آذار ١٩٨٧ ، وكان بينهم شاب لبناني يدعى «محمد مهاجر» أحد أقارب السيد إبراهيم أمين السيد ، (الناطق الرسمي باسم حزب الله آنذاك) ، ورجل تونسي يدعى «فؤاد علي صالح» ، عرّفت عنه السلطات الفرنسية كمسؤول عن شبكة حزب الله في فرنسا .

في آب من العام ١٩٨٧ ، أعلنت الحكومة الفرنسية أن أحد أعضاء السلك

١٠- وضاح شرارة ، **دولة حزب الله : لبنان ، مجتمعاً إسلامياً** (بيروت : دار النهار ، ط٣ ، ١٩٩٨) ، ص٣٧٥ .

الدبلوماسي في السفارة الإيرانية في باريس ويدعى «وحيد غورجي» ، ضالع في هذه التفجيرات ، لذلك أرادت تسليمه إلى القضاء الفرنسي ، فأصدرت أمراً بتطويق السفارة الإيرانية في باريس ، فقابلتها إيران بالمثل ، وبدأت «حرب السفارات» بين الدولتين ، التي انتهت في تشرين الثاني ١٩٨٧ ، بعملية تبادل بين «وحيد غورجي» و«بول توري» القنصل الفرنسي في طهران ، واتفقت الدولتان ، أن تسدّد الحكومة الفرنسية القرض البالغ مليار دولار على ثلاث دفعات ، وبعد مدة أفرج عن «محمد المهاجر» لفقدان الأدلة الكافية ، أما «فؤاد علي صالح» ، فقد جرت محاكمته في آذار ١٩٩٠ ، وحكم بالسجن المؤبد[١١] . يقول «مارتن كريمر» في تحليله لنتائج تفجيرات باريس :

«لم يكن من الممكن الدفاع عن بعض الأفعال ، بمنظار الشريعة الإسلامية ، فصحيح أن فرنسا زوّدت العراق بالأسلحة التي قتلت المؤمنين الإيرانيين في حرب الخليج [الأولى] ، وأن ضرب المصالح الفرنسية يعبّر عن تضامن المؤمنين الحقيقيين ووحدتهم ، لكن التفجيرات التي هزت باريس في العام ١٩٨٦ ، والتي قتلت الناس عشوائياً في المتاجر والقطارات ، مثلت أعمال عنف ، يعجز علماء حزب الله عن تبريرها أو الدفاع عنها ، ولذلك فإن المخططين لهذه التفجيرات من الشيعة اللبنانيين ، حرصوا على عدم إعلان مسؤولية الإسلام عن هذه العمليات . . . وربما للأسباب المذكورة آنفاً ، بقيت تفجيرات باريس تمثل حالة منعزلة ، على الرغم من أن حزب الله كان يملك القدرة على شن حملات مشابهة في الخارج ، وأن التقارير الواردة ، تحدثت عن استعداده لتنفيذ مثل هذه العمليات في مناسبات عدة»[١٢] .

٣- الاغتيالات

من أساليب المواجهة لدى المجموعات الراديكالية الأصولية ، أسلوب «الاغتيال» أو بحسب تعبيرهم «الإعدام الثوري» . ففي كانون الثاني من العام ١٩٨٤ ، تعرض

11- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, pp. 96 - 98.

12- Martin Kramer, ***Op. Cit.***, pp. 38 - 39.

«مالكوم كير» رئيس الجامعة الأميركية في حينه ، للقتل على أيدي شخصين مسلحين ، وقد تبنّت «منظمة الجهاد الإسلامي» مسؤولية قتله ، وأعلنت استعدادها لتكرار مثل هذا العمل ، إلى أن يخرج آخر أميركي وفرنسي من لبنان .

في ذلك الحين لم يكن هنالك تنظيم إسمه «حزب الله» قد أعلن عن وجوده . لكن الحكومة الأميركية حمّلت حزب الله مسؤولية هذا العمل فيما بعد ، وكذّب الحزب الخبر على الفور . يعتقد المحللون الغربيون بأن اغتيال «مالكوم كير» كان رداً إنتقامياً على صراع حزب الله المسلح مع مشاة البحرية الأميركية ، والأسطول السادس الأميركي ، إلا أنه شكّل أيضاً ضربة «مباشرة» للجامعة الأميركية ، باعتبارها «البرج» الوحيد المتبقي في «قلعة» الوجود الثقافي والسياسي للولايات المتحدة في لبنان ، ورسالة واضحة بأن «كل الرعايا الأجانب الغربيين لم يعودوا آمنين»[١٣] .

أيضاً بعد أن أصدر الإمام الخميني فتوى ارتداد «سلمان رشدي» صاحب كتاب «الآيات الشيطانية» ، حاول شاب يدعى «مصطفى مازح» (إبن أحد المهاجرين اللبنانيين) ، أن ينفذ الفتوى ويقتل «رشدي» ، وتمكن بطريقة من الطرق من دخول الفندق الذي يقيم فيه «رشدي» في لندن ، والإقامة في غرفة فوق غرفته مباشرة ، وفي أثناء تحضيره لقنبلة يدوية في الغرفة ، إنفجرت بين يديه وقتلته على الفور . وقد صرح أحد مسؤولي المقاومة الإسلامية في حديث إلى مجلة «البيان» الإيرانية عن هذا الموضوع : «بالنسبة إلى فتوى الإمام الخميني ، قمنا ببعض الإجراءات ، ومن أجل ذلك إستشهد أحد عناصر المقاومة الثورية اللبنانية «مصطفى مازح» في لندن»[١٤] .

13- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, pp. 90 - 91.

١٤- من حديث لـ «أبو شهيد» أحد قادة المقاومة الإسلامية لمجلة «بيان» الإيرانية ، العدد ٣ ، آب/ ١٩٩٠ ، ص٦٣ .

٤- خطف الرهائن

كان موضوع خطف الرعايا الغربيين واحتجازهم كرهائن في لبنان، أكثر الأساليب الراديكالية والعنف السياسي إثارة للجدل في الساحة اللبنانية. امتدّ مسلسل الخطف من بداية الحرب الأهلية في لبنان إلى نهايتها، فحصلت أكثر من ٧٥ عملية خطف طاولت ما يقارب من مئة محتجز من جنسيات مختلفة[١٥]. فقد تعرض ما يقارب الأربعين من هؤلاء المحتجزين في لبنان للخطف في السنوات الواقعة بين العام ١٩٨٢ والعام ١٩٨٩، بعضهم قضى نحبه في أثناء الأسر، لكن أفرج عن معظمهم في العام ١٩٩١، وأقفل ملف الرهائن في لبنان؛ وكان المخطوفون سبعة عشر أميركياً وأربعة عشر فرنسياً وثمانية بريطانيين وسويسري واحد، إختيروا من بين الدبلوماسيين ومراسلي وكالات الإعلام، وأساتذة الجامعات والعسكريين، وعناصر المخابرات الغربيين.

بدأ احتجاز الرهائن في الثمانينات بخطف الدكتور «دايفيد دودج» (رئيس الجامعة الأميركية في بيروت) في تموز ١٩٨٢، بعد أسبوعين من اختطاف أربعة دبلوماسيين إيرانيين في شمال بيروت على يد القوات المسيحية. بعد ذلك توالت عمليات الخطف في مراحل زمنية مختلفة، للمواطنين الأميركيين والفرنسيين والبريطانيين (بحسب تقسيم الكاتب رانستورب):

- **المرحلة الأولى**: تموز ١٩٨٢ - شباط ١٩٨٤: بهدف إخراج القوات الغربية من لبنان.
- **المرحلة الثانية**: شباط ١٩٨٤ - كانون الثاني ١٩٨٥: بهدف تحرير اللبنانيين المعتقلين في السجون الكويتية.

١٥- صحيفة **العمل**، ٢٢ كانون الثاني ١٩٨٩.

- **المرحلة الثالثة**: آذار ١٩٨٥ - حزيران ١٩٨٥: رداً على عملية التفجير الأميركي في بئر العبد.
- **المرحلة الرابعة**: شباط ١٩٨٦ - أيار ١٩٨٦: لتوجيه ضربة إلى المصالح الفرنسية.
- **المرحلة الخامسة**: أيلول ١٩٨٦ - تشرين الأول ١٩٨٦: إفشال مساعي الصلح بين إيران وأميركا في أثناء قضية «إيران - غيت».
- **المرحلة السادسة**: كانون الثاني ١٩٨٧ - كانون الثاني ١٩٨٨: على إثر اعتقال أعضاء بارزين من حزب الله في ألمانيا.
- **المرحلة السابعة**: شباط ١٩٨٨ - شباط ١٩٨٩: تحدياً لسلطة حركة أمل ولتصعيد المواجهة معها.
- **المرحلة الثامنة**: نيسان ١٩٨٩ - نيسان ١٩٩١: لمواجهة التحديات الداخلية الكبرى.
- **المرحلة التاسعة**: أيار ١٩٩١ - كانون الأول ١٩٩٢: التحضير لمرحلة ما بعد الحرب الأهلية والمشاركة في العملية الديمقراطية، ومواجهة إسرائيل.

أما أشهر الرهائن في هذه المرحلة فهم: الأميركي «دايفيد دودج»، «وليام باكلي» (مسؤول فرع وكالة الـ «سي آي إيه» في الشرق الأوسط)، «إيرك ويرلي» (القائم بأعمال السفارة السويسرية في لبنان)، «ميشيل سورا» (المسؤول الفرنسي عن مركز دراسات الشرق الأوسط المعاصر)، «مارسيل كودري» (المراسل المعروف في القناة الثانية في التلفزيون الفرنسي)، «تشارلز غلاس» (الصحافي الأميركي)، «العقيد ويليام هيغنز» (ضابط المخابرات الأميركي ورئيس فريق فض النزاعات التابع للأمم المتحدة في لبنان)، و«تيري ويت» (الوسيط الإنجليزي المعروف)[١٦]؛ وقد انحصر

١٦- للإطلاع على التفاصيل المتعلقة بخطف الرعايا الغربيين في لبنان تجدر مراجعة:
Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, Chapters: 3 - 5.

خطف الرهائن في البداية بالشخصيات المهمة ، لكن بعد خروج الرعايا الغربيين ، وبخاصة الأميركيين من لبنان ، جرى خطف أفراد عاديين ، للتأثير على الرأي العام في العالم الغربي ، لكي يضغط بدوره على الحكومات الغربية لتحقيق مطالب الخاطفين .

❖ هوية الخاطفين

تبنت منظمة «الجهاد الإسلامي» مسؤولية عدد كبير من أعمال خطف الرهائن في لبنان ، ويعتقد المحللون الغربيون أن هذه المنظمة ليس لها وجود مستقل ، وإنما هي «الذراع المخابراتي» ، أو «الفرع الأمني الخاص» في حزب الله ، ويقولون إن هذا الفرع كان على علاقة مباشرة بالدبلوماسيين الإيرانيين في بيروت ودمشق ، وكان يعمل تحت إمرة قيادة الحرس الثوري الإيراني في لبنان . وقد اعتبر المراقبون الغربيون أن استخدام الأسماء المستعارة المختلفة في أثناء خطف الرهائن ، وسائر النشاطات السرية ، هي وجه آخر من سياسة «التقية» التقليدية لدى الشيعة الذين كانوا يلجأون إليها في العهود التي تعرضوا فيها للقمع وللتنكيل بسبب انتمائهم المذهبي[١٧] .

لكن مسؤولي حزب الله نفوا رسمياً ضلوعهم في أعمال الخطف ، وكذّبوا علاقتهم المباشرة بمنظمة الجهاد الإسلامي . وقد قال السيد حسن نصرالله عن منظمة الجهاد الإسلامي : «إن عناصر الجهاد الإسلامي أخوة لنا ، لكن لديهم أسلوبهم الخاص بهم»[١٨] . ويشرح أحد الخبراء بالقضايا اللبنانية ماهية «الجهاد الإسلامي» على هذا النحو :

«كانوا مجموعات صغيرة ذوي اتجاهات متنوعة ، يرفعون إلى جانب حزب الله وبموازاته شعارات الثورة الإسلامية الإيرانية . ودون أن تكون هذه المجموعات خاضعة لإمرة حزب الله ، أو للقرارات الصادرة عن قادته ، يعدّون أنفسهم مصممين على متابعة نشاطهم ، في الاتجاه

17- *Ibid.*, pp. 62 - 184 - 185.

١٨- الشيعة في لبنان ، «**المجلة**» العدد ٩١٥ ، ٢٤ آب ١٩٩٧ .

نفسه لحزب الله ، ويجمع هذه المجموعات في ما بينها اسم «الجهاد الإسلامي»[١٩] .

لهذا السبب يعتقد البعض أن حزب الله ليست له أي علاقة مباشرة بموضوع خطف الرهائن ، حتى أن قيادة الحزب كانت تطّلع على أخبار المخطوفين من وسائل الإعلام ، ولهذا السبب كانت تجيب عن الأسئلة المتعلقة بموضوع الرهائن : «لا علاقة لنا بالموضوع»[٢٠] .

لكن ، على الرغم من تكذيب حزب الله لأي علاقة تربطه بعمليات خطف الرهائن ، إلا أنه لم يلجأ مطلقاً إلى إدانة عمليات الخطف ، ولم يتخذ موقفاً إزاءها . والحزب الذي كان عادة يفضّل الصمت إزاء عمليات اختطاف الرهائن ، أصدر في ١٢ أيار ١٩٨٥ بياناً يدافع فيه ، سياسياً ، عن خطف الأجانب واحتجازهم ، وورد في البيان : «إن اختطاف الرهائن الأميركيين والفرنسيين ، تم في ظروف معينة حاولت فيها أميركا وفرنسا حشر المستضعفين في الزاوية ، ومصادرة حرياتهم وحقهم في تقرير مصيرهم ، فلم يكن أمامهم غير هذا الأسلوب الذي وجدنا له ما يبرره»[٢١] ؛ وعليه حذّر حزب الله ، الخاطفين لأغراض شخصية ، أو لأغراض سياسية تنافسية وانتقامية محض ، من أن «يسحبوا موقف الحزب في هذه المسألة . . على بقية أعمال الخطف الغوغائية . . .»[٢٢] ، وقد أوضح حزب الله موقفه الرسمي من موضوع خطف الرهائن في بيان آخر على هذا النحو : « . . .نحن ضد الخطف ، ولكن لا يمكن أن نساعد أميركا وإسرائيل ضد شعبنا . . لن نساعد الآخرين ضد محتجزي الرهائن الذين نتفهم مطالبهم»[٢٣] .

١٩- أحمد الموسوي ، «حزب الله از لباس ايرانى تا لباس عربى» بخش پنجم . مترجم م . باهر ، **ترجمان سياسى** ، شماره ٢٨ - ٣٠ .
[أصل المقالة بالعربية (حزب الله من العباءة الإيرانية إلى العباءة العربية)] .

٢٠- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** (بيروت : دار الهادي ، ١٩٩٤) ، ص ٧٦ .

٢١- وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٨٣ .

٢٢- **الصحف اللبنانية** ، ١٣ أيار ١٩٨٦ .

٢٣- حسن فضل الله ، م . س . ص ٧٤ .

كان حزب الله يعتقد في بداية عمليات خطف الرهائن، أن مثل هذه الأعمال لا ضرر من ورائها، وأن بإمكانه الاستفادة منها في صراعه كوسيلة ضغط إضافية. من هذه الناحية، فإن حزب الله على الرغم من عدم إصداره الأوامر لتنفيذ مثل هذه العمليات، لكنه لم يعترض عليها في المراحل الأولى، قبل أن تلقي قضية الرهائن حملَها الثقيل على كاهله، وتعرّض نشاطه وكفاحه ضد إسرائيل لضغوط شديدة داخل لبنان وعلى مستوى المنطقة والعالم[٢٤].

بعد سنتين من شروع منظمة «الجهاد الإسلامي» بخطف الرعايا الغربيين في لبنان، أي بعد سيطرة الميليشيات الشيعية والدرزية على بيروت الغربية، والانهيار الكامل لسلطة الحكومة اللبنانية، وانفلات حبل الأمن، أقدمت بعض المجموعات وحتى بعض العائلات اللبنانية، التي كان لها معتقلون في السجون الغربية لأسباب مختلفة، على خطف الرعايا الغربيين في لبنان، ووصل الأمر في النهاية إلى حد أن فريقاً ما يقدم على خطف الرهائن، ثم يبيعهم لمصلحة فريق آخر؛ وكان المخطوفون في بعض هذه العمليات أفراد عاديون، لا أهمية كبيرة لهم، يفرج عنهم بعد مدة قصيرة. ونذكر مثالاً على ذلك، أن «أريك ويرلي» القائم بالأعمال في السفارة السويسرية في بيروت، الذي خطف في الثالث من كانون الثاني/ ١٩٨٥، أفرج عنه بعد أربعة أيام، وعلم في ما بعد أن الخاطفين ليسوا أعضاء في منظمة الجهاد الإسلامي وإنما هم أقارب شخَص معتقل في سويسرا لأسباب غير سياسية إسمه «حسين طلعت»[٢٥]؛ نموذج آخر، هو خطف خمسة يهود لبنانيين، قتلوا جميعاً بين صيف العام ١٩٨٤ وصيف العام ١٩٨٧، وقد تبنّت مسؤولية هذا العمل منظمة مجهولة تدعى «منظمة المستضعفين» في الأرض، ونسبت الأخبار والشائعات هذه المنظمة إلى «المقاومة المؤمنة»، التي كانت مكوّنة من بعض كوادر حركة أمل الذين انسحبوا من الحركة وشكلوا تنظيماً صغيراً مستقلاً[٢٦].

٢٤- أحمد الموسوي، م. س. ص ١٤.

٢٥- روبين رايت، م. س. ص ١٦٢.

٢٦- وضاح شرارة، م. س. ص ص ٣٥٣ و٣٨٣.

❖ إيران وقضية خطف الرهائن

كانت إيران، بالنسبة إلى موضوع الرهائن الغربيين، تعمل بحيطة وحذر شديدين، وتنكر أي علاقة مباشرة لها بهذا الأمر. ولم يصدر عن الإمام الخميني (قده) رأي صريح وواضح حول شرعية خطف الرعايا الغربيين، لكن اللبنانيين الداعمين للخاطفين فسروا صمته بأنه دليل على موافقته الضمنية غير المعلنة على هذا النوع من العمليات[٢٧]. وكان كافياً من ناحية أخرى أن يحتجز الرهائن في مناطق لبنانية تقع ضمن دائرة نفوذ سوريا أو إيران، أو هي مشتركة بينهما، ليوجّه العالم الغربي أصابع الإتهام إلى هذين البلدين؛ بالنسبة إلى إيران، عزز وجود «مكتب الحركات التحررية» فيها هذا الإتهام، فهذا المكتب الذي كان في البداية وحدة من قوات الحرس الثوري، أنشئ بعد ستة أشهر من تأسيس هذه القوات، وكانت مهمته دعم الثورات وحركات التحرر في جميع أنحاء العالم وبخاصة في العالم الإسلامي؛ وقد تولى السيد «مهدي هاشمي» [أحد المقربين من آية الله منتظري] رئاسة هذا المكتب، الذي أصبح في العام ١٩٨٤ مؤسسة شبه مستقلة، تابعة بصورة غير رسمية لمكتب آية الله منتظري. لكن ضلوع مهدي هاشمي في النشاطات والأعمال الإرهابية في داخل إيران وخارجها، أدى إلى اعتقاله في أوائل العام ١٩٨٧، ثم إعدامه لاحقاً من قبل الحكومة الإيرانية.

لعب مهدي هاشمي قبل اعتقاله دوراً مهماً في قضية الرهائن الغربيين في لبنان، وبالنسبة للعلاقات الأميركية - الإيرانية. ففي أواخر صيف العام ١٩٨٦، وصل «روبرت ماكفارلين» مستشار الأمن القومي الأميركي في إدارة ريغان، مع طائرة محملة بالأسلحة، بصورة مفاجئة إلى طهران، وعرض تزويد إيران بالأسلحة مقابل الإفراج عن الرهائن الغربيين في لبنان. نقل مهدي هاشمي هذا الخبر إلى عالم دين إيراني كان يعيش في لبنان، يدعى «الشيخ محمد إسماعيل خليق»، ممثل آية الله

٢٧- خطبة السيد إبراهيم الأمين. الصحف اللبنانية، ٣٠ حزيران ١٩٨٧.

منتظري في لبنان، وكشف الشيخ «خليق» بدوره الخبر لمجلة «الشراع» البيروتية، التي أفشت المحادثات السرية بين «ماكفارلين» والسلطات الإيرانية، والتي تحولت إلى فضيحة سياسية أميركية، عرفت بـ«إيران – غيت» أو «إيران – كونترا»، وهكذا، ظل موضوع الرعايا الغربيين عالقاً لمدة خمس سنوات أخرى.

أدى كشف مهدي هاشمي عن صفقة «الأسلحة مقابل الرهائن»، واختطاف «إياد محمود» القائم بالأعمال السوري في إيران، على يد مجموعة مهدي هاشمي، إلى فصل مكتب الحركات التحررية عن الحرس الثوري، وإلى تحويله إلى هيئة تابعة لوزارة الشؤون الخارجية الإيرانية، بمبادرة من رفسنجاني في أواخر العام ١٩٨٦، أضيف إليها تعيينه لحجة الإسلام «هادي خسروشاهي»، رئيساً لمكتب الحركات التحررية في العام ١٩٨٧، وتعيين شقيق رفسنجاني – محمود هاشمي – رئيساً لدائرة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الإيرانية[٢٨].

وقد عكس امتداد أزمة الرهائن، بشكل جزئي، تعقيدات العلاقات الشخصية والطائفية والأيديولوجية والحزبية، ضمن الفصائل اللبنانية المحلية وبين داعميها الخارجيين، وهذا بدوره عكس انعدام أي تسلسل واضح للقيادة، أو أي مرجع محدد للسلطة على العناصر الموالية لإيران في لبنان[٢٩]. مع ذلك بدا أن الحكومة الإيرانية

28- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, pp.80 - 81, 98 - 100.
Martin Kramer, "The Pan-Islamic Premise of Hizballah", in David Menashri (ed.). ***The Revolution and the Muslim World*** (Boulder, Co: Westview Press 1990)., Hussein J. Agha and Ahmad S. Khalidi, ***Syria and Iran: Rivalry and Cooperation*** (London: Printer Publishers, 1995).

وضاح شرارة، م. س. ص ٢٥٤.

النهار، ١١ تشرين الثاني ١٩٨٦.

الدستور ٢٢ كانون الثاني/ ١٩٨٦ و٢٢ تشرين الثاني/ ١٩٨٦ و١١ حزيران/ ١٩٩٠.

٢٩- أحمد خالدي وحسين ج. آغا، **سوريا وإيران: تنافس وتعاون**، ترجمة عدنان حسن (بيروت: دار الكنوز الأدبية، اكتوبر ١٩٩٧)، ص ٤٨.

إمتلكت المفتاح الحاسم لإنهاء الأزمة بعد اعتقال مهدي هاشمي ومحاكمته.

٥- حزب الله والإستراتيجية السورية في لبنان

كان التصدي للإستراتيجية السورية في لبنان، أحد أعمال حزب الله الراديكالية في الثمانينات. فبعد إلغاء حكم أمين الجميل لاتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ مع إسرائيل، تركزت الخطة السورية في لبنان على توقيع اتفاق لوقف اطلاق النار بين الأجنحة اللبنانية المتصارعة، وجذب حكم الجميل باتجاه سوريا. لم ترق طريقة الحل هذه لحزب الله، الذي كان قد أثبت وجوده في الساحة اللبنانية خلال الثمانينات كقوة عسكرية ثورية قادرة، واعتبرها الحزب تسوية وانحرافاً عن خطه الأيديولوجي، لذلك سعى بكل قوته، لإفشال المساعي السورية بهذا الخصوص. وعلى سبيل المثال نذكر بعض الأمور التي اعترض عليها حزب الله:

١- مؤتمر «بكفيا»، الذي انعقد في ربيع العام ١٩٨٤ تحت الرعاية السورية، بين زعماء الحرب اللبنانية الأهلية.

٢- الاتفاق الثلاثي الذي وقّع في دمشق برعاية سوريا، بين نبيه بري ووليد جنبلاط وإيلي حبيقة في أيلول من العام ١٩٨٥[٣٠].

من ناحية أخرى، رأت سوريا في أعقاب الانكفاء الإسرائيلي إلى الحزام الأمني في العام ١٩٨٥، أن نمو الحركات الإسلامية في لبنان واتساع نشاطها، سيلحق الضرر بمصالحها، لأن هذه الحركات يمكن أن توجّه مستقبل لبنان في اتجاه مخالف للسياسات السورية؛ كان طرح سوريا إيجاد حكومة وفاق وطني وتحقيق التوازن بين القوى، الذي يمنع غلبة فريق من الفرقاء المتحاربين على حساب الآخرين، وكانت دمشق تخشى من أن يؤدي أي تغير محتمل في النسيج السياسي – الإجتماعي في لبنان على يد الحركات الإسلامية، إلى إمساك الأصوليين الإسلاميين بزمام السلطة،

٣٠- حسن فضل الله، م. س. ص ص ١٠١ – ١٠٣.

لذلك فإن سوريا بسعيها للمحافظة على الحكم العلماني في لبنان ، كانت تحفظ في الوقت نفسه لبنان تحت جناحها ، لذلك تركزت الإستراتيجية السورية في لبنان على المحاور التالية :

١ - إضعاف القوى المعارضة لسوريا (من كل المجموعات والطوائف والمذاهب) ، وتهيئة الظروف الملائمة لوصول حلفاء سوريا على السلطة .

٢ - القضاء على التوتر في لبنان ، وإزالة آثار عدم الاستقرار في لبنان على الوضع الأمني الداخلي في سوريا .

٣ - التصدي للحركات الإسلامية في لبنان .

٤ - قمع الفلسطينيين المعارضين لسوريا في لبنان .

٥ - التأكيد على الدور السوري في لبنان ، وإثبات أنه أساسي ومصيري .

٦ - إجتذاب القوى الأساسية في الساحة السياسية اللبنانية ، وإخضاعها للإرادة السورية .

كان واضحاً أن حزب الله لم يستطع كمجموعة إسلامية راديكالية وثورية في الثمانينات ، تجسيد الاستراتيجية المذكورة آنفاً . لذلك وقعت بين حزب الله والجيش السوري في لبنان منذ العام ١٩٨٣ وحتى نهاية الثمانينات حالات تصادم متعددة ، أهمها مجزرة ثكنة فتح الله في آذار ١٩٨٦ ، التي أسفرت عن قتل الجنود السوريين لواحد وعشرين عنصراً من حزب الله ، ويمكن الإشارة كذلك إلى اعتراض حزب الله على ضرب الفلسطينيين أثناء حرب المخيمات (من قبل «أمل» حليفة سوريا) ، وتقديمه المساعدة لهم ، وكذلك معارضته ضرب الجيش السوري لحركة التوحيد الإسلامي بقيادة الشيخ سعيد شعبان في طرابلس بشمال لبنان .

٦- حزب الله وتطبيق الأحكام الإسلامية

مظهر آخر من مظاهر ممارسات حزب الله الراديكالية ، كان سعي بعض مؤيديه

لتطبيق الأحكام الإسلامية إلزامياً ، في المناطق التي كانت خاضعة لنفوذه ، حتى تلك التي يسكنها السنّة أو المسيحيون . ففي شباط ١٩٨٤ ، حين سيطر المقاتلون الشيعة على بيروت الغربية ، أقدم شباب حزب الله على تأسيس مصليات في نقاط مختلفة في هذه المنطقة ، وزيّنوها بصور الإمام الخميني(قده) ، ثم تحولت هذه المصلّيات إلى أماكن لإجراء المراسم الدينية كصلاة الجمعة ، وإقامة الإحتفالات ومراسيم العزاء الدينية[٣١] .

علاوة على ذلك ، أراد بعض أنصار حزب الله فرض «أحكام الشرع» على الأهالي ، بما فيهم المسيحيين . فمنعوا أصحاب محال البقالة من بيع المشروبات الكحولية ، وعمدوا إلى نسف بعضها ليلاً . وراقبوا رواد المطاعم لنهيهم عن تناول الكحول ، وفرضوا على المسابح الخاصة إغلاق أبوابها في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم[٣٢] .

وبالتدريج ، ظهرت بيروت الغربية التي كان معظم أهلها من السنّة ، ويسكنها عدد قليل من المسيحيين والشيعة ، بحلّة وماهية جديدتين ، فعلى طول شارع «الحمراء» [أشهر شوارع بيروت] نصبت صور الإمام الخميني في كل مكان ، على أبواب الحوانيت والمكتبات والمصارف ، وعلى الجدران . وفي جميع الأمكنة كانت العين تقع على عبارة «كلنا خمينيون»[٣٣] وفي شوارع بيروت الغربية يتجول مقاتلو حزب الله وهم يعصبون جبهاتهم بأشرطة خضراء تحمل عبارات عديدة منها «الله أكبر» و«قائدنا الخميني»[٣٤] .

أما النساء المسلمات اللبنانيات اللواتي كن دائماً يرتدين الأزياء المتعددة الألوان

٣١- وضاح شرارة ، م . س . ص ٢٣٥ .

٣٢- م . ن . ص ٣٥٥ .

٣٣- روبين رايت ، م . س . ص ٧٧ .

34- Hala Jaber, ***Hezbollah: Born with a Vageance*** (NewYork: Columbia University Press, 1997), p.52.

والأشكال ، فقد لبسن منذ ذلك التاريخ زيّاً بسيطاً موحد اللون والشكل ، وطالت الأثواب ، وسترت الشعور بالخمار الفضفاض[٣٥] . وتلميذات المدارس اللواتي كان بعضهن في سن السابعة ، إستبدلن بناطيل «الجينز» والقمصان «التي شيرت» ، بالنقب والقمصان الطويلة الأردان ، وارتدين الأحجبة لإخفاء الشعر ، والنساء اللواتي لم يكن لباسهن لائقاً إسلامياً ، غالباً ما كنّ يتعرضن لمضايقات «القادمين الجدد» ، وبقيت النسوة يعبرن شوارع بيروت الغربية بقلق وخوف لمدة طويلة من الزمن[٣٦] .

وفي أثناء المعارك التي وقعت بين حركة أمل وحزب الله (١٩٨٨ - ١٩٩٠) ، أمسك حزب الله بيده مرة أخرى زمام السيطرة على قسم كبير من الضاحية الجنوبية وبيروت الغربية لمدة ثلاثة أشهر ، حيث أصدر بياناً يمنع فيه النساء «من الخروج من المنازل سافرات» ، لكنه عاد وجمع هذه البيانات بسرعة[٣٧] .

ب ـ المواقف الراديكالية

إتخذ الخطاب السياسي لحزب الله أبعاده التعبوية في المرحلة الأولى بين أعوام ١٩٨٢ و١٩٩٠ ، بوتيرة تصاعدية ، تنتهج الأسلوب الثوري الرافض لكل أشكال التعاطي السياسي المستقل عن القتال . وعلى الرغم من المتغيرات العديدة التي أحدثها هذا القتال من انحسار الاحتلال إلى مساحة ضيقة في المنطقة الحدودية المحتلة ، ومساهمة ذلك في التحولات الداخلية اللبنانية ، فإن حزب الله بقي يمارس نهجه الثوري بالوتيرة نفسها ، حتى غدا في نظر الكثيرين ، لا يمثل إلا حالة قتالية ، وأحد نماذج تلك الوتيرة المتصاعدة ، إضطرار الحزب إلى خوض معارك سياسية وإعلامية حول : القوات الدولية ، مشاريع التسوية للأزمة اللبنانية ، واستمرار المقاومة حتى تحرير القدس ، من دون الإلتفات إلى تبدل الأولويات لدى جمهور المقاومة زمن

٣٥- روبين رايت ، م .س . ص ٧٨ .

36- Hala Jaber, *Ibid.*

٣٧- مقابلة مع الدكتور «حبيب فياض» في طهران ، حزيران ١٩٩٧ .

الاحتلال ، عن جمهورها بعد الانسحاب إلى الحزام الأمني ، لأن ما كان يبغيه الحزب هو دفع الحالة التعبوية إلى أقصاها للإبقاء على الوهج الثوري للمقاومة كي لا يحال الجمهور إلى الاسترخاء والإطمئنان أمام الطروحات السياسية الداخلية ، أو تلك المتعلقة بالجنوب . فالقناعة الراسخة لدى الحزب حينها ، أن التغيير يأتي في الدرجة الأولى من طرد الاحتلال ، فذلك هو الطريق المؤدي مباشرة إلى تقويض السلطة آنذاك[٣٨] .

وقد تشبعت المسائل الفكرية لدى الحزب ، بمنطق المواجهة والغلبة ، إذ كان يصعب على أي عنصر من عناصر حزب الله تصور الهزيمة أو الخسارة ، إنما كانت الروح الثورية متوهجة إلى أقصى حدودها ، فغلب الطابع العسكري المستند إلى رؤية عقائدية تؤمن بالجهاد وبالشهادة ، ولا ترى مكاناً للحلول الوسط أو الديبلوماسية ، ولهذا كانت المجموعات العسكرية سريعة الحسم في قرارها ، لا تقبل أي مساومة ، في حال نشوب صراع مسلح . في هذه المرحلة ، كان عنوان «التكليف الشرعي» يغطي كل نشاطات حزب الله وقراراته[٣٩] .

في شباط ١٩٨٦ ، أوضح السيد حسن نصرالله هذا المنحى العسكري حين قال : « . .يجب أن نبذل الجهود لإنضاج العمل الجهادي ، ففي الوقت الذي يكون في لبنان مليون جائع ، ليست مهمتنا تأمين الخبز لهم ، وإنما إيجاد حال جهادية ، لتمتشق الأمة السيف بيدها ، وتشهره في وجه الزعماء السياسيين»[٤٠] . «ستيفن بللتيير» ، المحلل الأميركي ، يعتبر سر نجاح حزب الله في قدرته على إيجاد المتطوعين «دائماً» ويقول :

«إن الظروف السائدة تحت الاحتلال تقدم للثورة المدد الذي يضمن استمرارها والأيديولوجيا لدى حزب الله ضمن حدود مدارك الشبان ، وكانت رسالة حزب الله المباشرة : . .النضال

٣٨- حسن فضل الله : **حرب الإرادات** (بيروت : دار الهادي ، الطبعة الثانية ١٩٩٨) ، ص ص ٩٤ و٩٥ .

٣٩- حسن فضل الله : **الخيار الآخر** ، ص ص ٣٧و٢٦٢ .

٤٠- **النهار** ، ٢٧ كانون الثاني ١٩٨٦ .

المسلح هو كل شيء . . . والكل موجود في دائرة هذا النضال . . أي أن المرء ثائر بمجرد انضمامه إلى الآخرين أو حملة السلاح»(٤١) . المفهوم الأصولي الذي يقف وراء كل ذلك هو مفهوم الجهاد «الذي يمثل الفكرة الخصبة التي يعجز الكثير من الغربيين عن فهمها . فالجهاد على حد تعبير الراديكاليين ، هو سبيل لتقوية الذات ، ويرى الجهاديون أن المسلمين ملزمون بقتال عدو الدين ، وهم يقومون بهذه المهمة بصرف النظر عن رأي السلطة العليا ، وبعبارة أخرى ، يؤمن هؤلاء الجهاديون بأن الدفاع عن العقيدة والإيمان هو أمر يقرره الشخص نفسه»(٤٢) .

مع الأخذ في الاعتبار غلبة الروح والمفاهيم المذكورة آنفاً على مواقف حزب الله في الثمانينات ، فإن اتخاذ المواقف الراديكالية بالنسبة إلى المسائل الداخلية ، وقضايا المنطقة والعالم يعد نتيجة طبيعية لها . وقد انعكست هذه المواقف الراديكالية على الوجه الأكمل في الرسالة المفتوحة التي وجهها حزب الله إلى الملأ في شباط/ ١٩٨٥ . هذه الرسالة المفتوحة التي تعدّ في الواقع البيان السياسي الرسمي(MANIFESTO) لحزب الله في الثمانينات ، تضمنت أهم مواقف حزب الله تجاه الموضوعات المختلفة ؛ لذلك سيتم التطرق في القسم التالي إلى أهم محاورها :

١- الهوية

عرّف حزب الله في بداية الرسالة بنفسه ، بأنه منذ بداية تكوينه ليس تنظيماً ضيقاً محدوداً ، وإنما هو أمة : «إننا أبناء أمة حزب الله ، نعتبر أنفسنا جزءاً من أمة الإسلام في العالم . . وعلى هذا الأساس ، فنحن في لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً ، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً . . بل نحن أمة ترتبط مع المسلمين ، في أنحاء العالم كافة ، برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام»(٤٣) . إختيار قادة الحزب اسم «حزب الله» ، هو

41- Stephen Pelletiere, ***Hamas and Hizbollah: The Radical Challenge to Israel in the Occupied Territories*** (Carlisle, P.A.: The Straregic Studies Institute,1994), p.65.

42- Nazih Ayubi, ***Political Islam*** (London: Routledge,1991), p.44.

٤٣- رسالة حزب الله المفتوحة : راجع : حسن فضل الله ، م . س . ص ١٨٧ .

دليل على الهوية الشاملة التي يبتغيها الحزب من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، وضع مفهوم «أمة حزب الله» في موضع المفهوم الغربي «الأمة – الوطن»(Nation-State) ، بمعنى وحدة المجتمعات الإسلامية (أمة المؤمنين) . بالمنظار النظري ، كل مسلم عضو في أمة حزب الله ؛ وبالنسبة إلى قوته العسكرية يقول الحزب : «وأما قدرتنا العسكرية ، فلا يتخيّلن أحد حجمها . . حين يدعو داعي الجهاد ، يتولى كل واحد منا مهمته في المعركة ، وفقاً لتكليفه الشرعي ، في إطار العمل بولاية الفقيه القائد . .»(٤٤) .

٢- الأعداء الأساسيون

عرّف حزب الله في بيانه السياسي بصراحة القوى التي يعتبرها «العدو الأساسي» على النحو التالي :

الغرب وبخاصة أميركا وفرنسا

وضع حزب الله باستخدام مصطلح «الاستكبار العالمي» الشرق والغرب في خانة واحدة ، واصفاً كلاً منهما بالعدو ، مع التركيز على عداء العالم الغربي للإسلام . «وضاح شرارة» يستنتج من هذه الرؤية : «أفتوا شباب حزب الله بوحدة عالم الاستكبار هذا ، وبحلوله في كل واحد من ناسه وبشره ، وبجواز الاقتصاص منه في كل فرد من أفراده ، فمن تقع عليه يدهم ، هو جاسوس وعميل ومخرب ومشبوه . لذلك كان يعد الانتقام «لسفك دماء المسلمين بغير حق» ، من أي غربي ، قانونياً وشرعياً»(٤٥) .

ينظر حزب الله في رسالته المفتوحة إلى أميركا كقوة استكبارية ، تسعى للسيطرة

٤٤- م . ن . ص ١٨٨ .

٤٥- وضاح شرارة ، م . س . ص ٢٩٦ .

على مصادر ثروات المسلمين والمستضعفين ، وتريد أن تستعمر لبنان ، أو تضعه تحت الانتداب الإسرائيلي(٤٦) : «ويعتبر حزب الله أميركا جذور المنكر ، ومحاربتها ليست سوى حقه المشروع في الدفاع عن الإسلام وعن عزة الأمة الإسلامية»(٤٧) . أما عداء حزب الله لفرنسا ، فبسبب دعمها المستمر للموارنة وللميليشيات المسيحية وحزب الكتائب ، وبخاصة أن فرنسا قد لعبت دوراً مهماً في تأمين الدعم الدولي عام ١٩٨٣ لاتفاق ١٧ أيار بين أمين الجميل وإسرائيل .

إسرائيل

حدّد حزب الله أيضاً «إسرائيل» ، كأحد أعدائه الأساسيين ، ذاكراً جرائم جيشها بحق الشعب اللبناني ، مع إعلان سعيه لإستئصالها من الوجود :

«أما إسرائيل فنعتبرها رأس الحربة الأميركية في عالمنا الإسلامي . . وهي عدو غاصب تجب محاربته ، حتى يعود الحق المغصوب إلى أهله . . وهذا العدو يشكل خطراً كبيراً على مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا ، خصوصاً أنه يحمل فكرة استيطانية توسعية ، بدأ تطبيقها في فلسطين المحتلة ، ويحاول التمدد والتوسع ، ليبني دولة إسرائيل الكبرى ، من الفرات إلى النيل . . ولذا فإن مواجهتنا لهذا الكيان ، يجب أن تنتهي بإزالته من الوجود ، ومن هنا ، فإننا لا نعترف بأي اتفاق لوقف إطلاق النار ضده ، أو أية معاهدة سلام منفردة أو غير منفردة . . ونسجل في هذا السياق ، إدانتنا لكل الدول والمنظمات المنحرفة التي تلهث وراء الحلول الإستسلامية مع العدو ، وتقبل بمقايضة الأرض بالسلام ، ونعتبر ذلك خيانة لدماء الشعب الفلسطيني المسلم ولقضية فلسطين المقدسة»(٤٨) .

وقد أعلن قادة حزب الله في الثمانينات ، مرات عديدة أن هدفهم من الحرب في جنوب لبنان ، ليس فقط تحرير الجنوب من الاحتلال الإسرائيلي ، وإنما هي مقدمة

٤٦- الرسالة المفتوحة لحزب الله ، راجع : حسن فضل الله ، م .س . ص ١٩٣ .

٤٧- م . ن . ص ص ١٨٩ - ١٩٠ .

٤٨- م . ن . ص ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

لتحرير القدس الشريف ، فقد قال الشهيد السيد عباس الموسوي في مقابلة بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٨٥ : «إن إسرائيل سرطان الشرق الأوسط . . سوف نسعى في المستقبل إلى محو كل أثر لإسرائيل من فلسطين . .»(٤٩) . وعن مواصلة حزب الله شن الهجمات المتتالية على القوات الإسرائيلية و«جيش لبنان الجنوبي» المتحالف معها في الحزام الأمني ، قال : « . . هدفنا ليس حل ميليشيا أنطوان لحد في المنطقة الحدودية فحسب ، . . . فشعارنا هو العمل على إزالة إسرائيل . .»(٥٠) ، ويوضح الشيخ نعيم قاسم قائلاً : «الخلفية الأساسية لهذا الصراع مع إسرائيل هي أن إسرائيل محتلة للأرض ، ونحن نعتبر احتلال أرض فلسطين احتلالاً لأرض إسلامية»(٥١) .

أصدر حزب الله في حزيران من العام ١٩٨٤ ، بمناسبة «يوم القدس العالمي» بياناً رسمياً ، أعلن فيه : «أن قضية جنوب لبنان قضية إسلامية ، وأن جهاد المؤمنين في الجنوب والبقاع الغربي لا تهدف فقط إلى تحرير الجنوب اللبناني ، وإنما هو جهاد من أجل تحرير القدس ، وحركة باتجاهها . على هذا الأساس ، فإن حربنا مع إسرائيل لن تتوقف مطلقاً ، بعد خروجها من الجنوب ومن البقاع الغربي»(٥٢) .

وفي تشرين الثاني ١٩٨٤ قال حزب الله في بيان له : «الموقف الإسلامي يقضي ليس بحرمة الاعتراف بإسرائيل فحسب ، بل بوجوب الجهاد والمقاومة ضدها ، حتى تزول نهائياً من الوجود»(٥٣) . لهذا السبب رفع حزب الله شعار ، هو : «زحفاً زحفاً نحو القدس»(٥٤) .

49- Martin Kramer, ***The Calculus of Jihad***, pp. 20 - 24.

٥٠- السفير ، ٣١ أيلول ١٩٨٦ .

51- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 59.

٥٢- **أسبوعية العهد** ، العدد الأول ٢٩ رمضان ١٤٠٤ هـ (٢٩ حزيران ١٩٨٤) .

٥٣- حسن فضل الله ، م .س . ص ١٧٨ .

٥٤- **مقابلة** مع الدكتور حبيب فياض (طهران ، ١٩٩٧) .

الكتائب (الميليشيات المسيحية)

وضع حزب الله حزب «الكتائب» في مرتبة العدو الرابع له ، فهذا الحزب - وجناحه العسكري «القوات اللبنانية» - هو الذي بدأ الحرب الأهلية اللبنانية في العام ١٩٧٥م . وقد اعتبره حزب الله بأنه آلة في يد أميركا وإسرائيل والمنفذ لمشاريعهما ، وأنه يتحمل مسؤولية قتل المسلمين في شرق بيروت وغربها ومسؤولية تهجيرهم ، وأنه فرض سيطرته على الجيش اللبناني بعد وصول بشير الجميل ثم شقيقه أمين إلى سدة الرئاسة ، لذلك صنف حزب الله الكتائب في خانة أعدائه الأساسيين ، لكنه أكد أن حربه ضدهم ليس معناها محاربة المسيحيين ، الذين طلب إليهم أن لا يشاركوا في «اعتداءات الكتائب على المسلمين» ، وأن يستقلوا عن قادة المارونية السياسية[٥٥] .

بعد أن عرّف حزب الله بأعدائه الأساسيين ، إنتقل إلى التعريف بأصدقائه : «أما أصدقاؤنا فهم كل الشعوب المستضعفة في العالم ، وهم كل من يحارب أعداءنا ، ويحرص على عدم الإساءة إلينا . . أفراداً كانوا أم أحزاباً أو منظمات»[٥٦] .

٣- أهداف حزب الله في لبنان

أوضح حزب الله في رسالته المفتوحة أهدافه في لبنان على الشكل التالي :

- أن تخرج إسرائيل نهائياً من لبنان ، كمقدمة لإزالتها نهائياً من الوجود ، وتحرير القدس الشريف من براثن الاحتلال .

- أن تخرج أميركا وفرنسا وحلفاؤهما نهائياً من لبنان ، وينتهي أي نفوذ لأي دولة استعمارية في البلاد .

- أن يرضخ الكتائبيون للحكم العادل ، وأن يحاكموا جميعاً على الجرائم التي

٥٥- حسن فضل الله ، م .س .ص ص : ١٩١ - ١٩٣ و١٩٧ - ٢٠٠ .

٥٦- م .ن .ص ١٩٤ .

ارتكبوها بحق المسلمين والمسيحيين ، بتشجيع من أميركا وإسرائيل .

- أن يتاح لجميع أبناء شعبنا أن يقرروا مصيرهم ، ويختاروا بكامل حريتهم شكل نظام الحكم الذي يريدونه ، علماً أننا لا نخفي التزامنا بحكم الإسلام ، وندعو الجميع إلى اختيار النظام الإسلامي ، الذي يكفل وحده العدل والكرامة للجميع ، ويمنع وحده أي محاولة للتسلل الاستعماري إلى بلادنا من جديد[٥٧] .

في ما يخص البند الأخير ، يتبين من مطلب حزب الله هذا ، أنه كان يرفض نظام الحكم القائم في لبنان ، ويطالب بتغييره ، ويعتبر أن الاستعمار هو الذي صنع النظام الطائفي اللبناني ، كجزء من المخطط السياسي المعادي للإسلام ، ويرى أن هذا النظام يصعب إصلاحه أو ترميمه ، ومن الواجب أن يتم تغييره جذرياً . ولم تنته المسألة هنا ، وإنما رفض حزب الله في الثمانينات الاعتراف بوجود بلد إسمه لبنان ، وقد اعتبره من صنع المستعمرين بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية ، بعد الحرب العالمية الأولى . قال السيد إبراهيم الأمين في العام ١٩٨٤ : «لبنان بناه الاستعمار بالشكل الذي يحقق من خلاله البداية والمدخل الفكري والثقافي إلى منطقة الشرق الأوسط»[٥٨] .

الدكتور نزار حمزة الأستاذ في الجامعة الأميركية يعتقد أن حزب الله في بداية تأسيسه كان يرفض عدداً من النظريات المتعلقة بلبنان المستقل ، وكان يطالب بدمجه في «الوطن الإسلامي الكبير»[٥٩] ، ويقول السيد إبراهيم أمين السيد في حديث لمجلة الشراع : «نحن نعمل في لبنان ، من خلال المسؤولية الشرعية ، ومن خلال القناعة السياسية أيضاً ، حتى يصبح لبنان جزءاً من مشروع الأمة في منطقة الشرق الأوسط .

٥٧- حسن فضل الله ، م .س .ص ص١٩٣ - ١٩٤ .

٥٨- وضاح شرارة ،م .س .ص ١١ .

٥٩- نزار حمزة ، «حزب الله لبنان : از انقلاب تا سازش پارلمانى» ، ترجمه بهروز ابوئى مهريزى ، **دانش سياسى** ، پيش شماره سوم ، بهمن و اسفند ١٣٧٢ ، مركز تحقيقات دانشگاه امام صادق(ع) - دفتر مطالعات سياسى .

ولا نعتقد أنه من الطبيعي أن يكون في لبنان دولة إسلامية ، خارج مشروع الأمة ، وإنما نريد لبنان جزءاً من مشروع الأمة»(٦٠) .

وقال «حسين الموسوي» (أبو هشام) في هذا الصدد : « . .تأسيس دولة إسلامية في لبنان ليس ما نطالب به . . وليس الهدف إقامة الإسلام في بلد واحد ، بل تأسيس الدولة الإسلامية الشاملة الكبرى التي تستوعب لبنان . .»(٦١) . وأوضح الموسوي في تصريح آخر له : «يقول البعض إننا لبنانيون مسلمون . . كلا . . نحن مسلمو العالم ، ولدينا صلات بمسلمين آخرين في العالم . .»(٦٢) . أما أمين عام حزب الله السابق الشيخ صبحي الطفيلي فصرح قائلاً : «نحن لا نعمل أو نفكر في حدود لبنان ، هذه العلبة الهندسية الصغيرة التي هي من مخلفات الاستعمار ، بل ننطلق لندافع عن المسلمين في كل أرجاء العالم . .»(٦٣) .

مع الأخذ في الاعتبار الرؤية الآنفة الذكر ، كان أحد الأهداف التي تابعها حزب الله في الثمانينات ، الحؤول بين الأنظمة السياسية والإدارية اللبنانية وبين انتزاع الاعتراف بشرعيتها من جديد ، والسبب في ذلك أن مثل هذا الاعتراف معناه الحكم على الميليشيات المسلحة ومن بينها حزب الله بالخروج على الشرعية(٦٤) .

المواقف المذكورة آنفاً من ناحية ، وميول حزب الله نحو إيران من ناحية أخرى ، دفعت بالحزب إلى كشف ارتباطه العقائدي والسياسي بإيران بشكل كامل وعلني ؛ وفي البداية كان العلم الذي اعتمده حزب الله رسمياً ، هو العلم الرسمي للجمهورية

٦٠- **العهد** ، العدد ٨ ، ٢١ ذي القعدة ١٤٠٤ (١٧ آب ١٩٨٤) .

61- Martin Kramer, ***Op. Cit.***, p. 23.

٦٢- صحيفة **كيهان الإيرانية** ، ٢٧ تموز ١٩٨٦ .

٦٣- **العهد** ، العدد ١٤٦ ، ١٢ شعبان ١٤٠٧ هـ (١٠ انيسان ١٩٨٧) .

٦٤- وضاح شرارة ، م .س .ص ٢٧٠ .

الإسلامية الإيرانية(٦٥) . إن العلم الذي كان يرفعه أنصار حزب الله هو العلم الإيراني الذي يعتبره حاملوه «علم الإسلام» ، وفي ما مضى كان المتظاهرون من حزب الله يحرقون العلم اللبناني ويرفعون علم إيران(٦٦) . أما متطوعو حزب الله للعمليات الاستشهادية فكانوا يضعون شارة العلم الإيراني على يسار صدورهم ، وصورة الإمام الخميني على الجهة اليمنى ، وكانوا يضعون صورة الإمام على صدورهم كدليل على حبّهم له وإيمانهم بالإسلام(٦٧) ، ويلفّون جثامين الشهداء بالعلم الإيراني أثناء تشييعهم(٦٨) .

وهكذا ، فإن حزب الله لم يكن يعتبر نفسه حركة لبنانية ، وإنما هو امتداد للحركة الإسلامية العالمية ، التي تسير على تعاليم الإمام الخميني ، وتسعى في سبيل إيجاد الوطن الإسلامي الموحّد الكبير . لقد أثارت هذه الصورة الثورية الراديكالية التي رسمها حزب الله لنفسه حيرة المحللين الأجانب وتعجبهم . يقول «مارتين كريمر» بهذا الصدد : «ليس أمراً عادياً أن تنكر حركة كبيرة ذات تأثير كحزب الله ، أي نوع من أنواع الاستقلال الذاتي على مستوى البرامج والفاعلية ، وأن تعلن بالفم الملآن وفاءها المطلق لقائد تفصلها عنه مسافة بعيدة ، في بلد بعيد»(٦٩) .

٤- العالم العربي

إتخذ حزب الله - حتى قبل اتفاق الطائف - مواقف متشددة تجاه الدول العربية ،

٦٥- من حديث مع «**محمد الخنسا**» ، مسؤول الشؤون النقابية في حزب الله آنذاك . ٢٦ آذار ١٩٩٧ - بمراجعة الصور الخاصة بالمقاومة الإسلامية يتبين أنهم كانوا يحملون العلم الإيراني . جريدة **العهد** : الأعداد ١٣١ ، ١٣٢ و١٣٣ (من ٢٦ تشرين الثاني/ ١٩٨٦ إلى ٩ كانون الثاني/ ١٩٨٧) .

٦٦- روبين رايت ، م .س .ص ص ١٤٩ و

Martin Kramer, ***The Pan-Islamic Premise of Hizballah***.

٦٧- روبين رايت ، م .س .ص ص ٢٤ و٧٧ .

٦٨- **العهد** ، العدد ١٥٥ ، ١٥ شوال ١٤٠٨ هـ (١٢ حزيران ١٩٨٧) ، ص ٦ .

69- Martin Kramer, ***Ibid.***

التي كان ينعتها «بالرجعية» و«الانهزامية» ، وأنها تمنع انتشار الوعي لدى الشعوب الإسلامية ، وتقف حجر عثرة في طريق المقاومة ضد إسرائيل . واعتبر دعم أكثرية الحكومات العربية للعراق في حربه على إيران دليلاً على استسلامها للأميركيين وتبعيتها لهم ، وما قمعها للحركات الإسلامية بين شعوبها إلا تنفيذاً لأوامر أميركا . لذلك كان حزب الله يدعو الشعوب العربية إلى الثورة على حكامها ، ويطلب إلى الحكام أن يتعظوا ويعتبروا من المصير الذي لقيه أنور السادات ونوري السعيد وأمثالهما(٧٠) .

٥- المنظمات الدولية

لأن الدول الكبرى تتمتع بحق النقض (الفيتو) ، وتسيطر على هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات الدولية الأخرى ، كان حزب الله يعتبر هذه المنظمات «غير مفيدة» و«غير فاعلة» ، وليست منبراً للدول المستضعفة ، ولذلك كان ينظر بريبة إلى قوات حفظ السلام الدولية في الجنوب اللبناني ، ويرى أن دورها هو منع نشاطات المقاومة الإسلامية ، والمحافظة على أمن جيش الاحتلال الإسرائيلي(٧١) ، وانطلاقاً من هذه النظرة ، أصدر عدد من علماء الدين (من حزب الله) بزعامة الشيخ صبحي الطفيلي في أيلول ١٩٨٦ بياناً(٧٢) ، أعلنوا فيه رفضهم للقرار ٤٢٥(٧٣) .

٧٠- حسن فضل الله ، م .س .ص ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

٧١- حسن فضل الله ، م .س .ص ٢١٣ .

٧٢- صدر القرار ٤٢٥ عن مجلس الأمن في العام ١٩٨٢ ، بعد الاجتياح الإسرائيلي الأول الواسع للجنوب اللبناني ، واحتلال قسم من هذه المنطقة ، مطالباً بالإنسحاب الفوري دون قيد أو شرط للجيش الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية إلى الحدود الدولية . لم تعترف إسرائيل رسمياً بهذا القرار حتى العام ١٩٩٨ . وكان سبب رفض الشيخ صبحي الطفيلي لهذا القرار ، أن القبول بالانسحاب الإسرائيلي إلى الحدود الدولية ، هو اعتراف ضمني بإسرائيل .

٧٣- وضاح شرارة ، م .س .ص ص ٦٩ ، ٧٠ ، ١٦٩ .

٦- الأحزاب والمنظمات اللبنانية

يمكن تقسيم الأحزاب اللبنانية إلى مجموعتين أساسيتين :

١ - الأحزاب المسيحية (اليمينية) .

٢ - الأحزاب اليسارية والقومية .

وقد اتخذ حزب الله منذ بداية تأسيسه موقفاً متشدداً من تحالف الميليشيات المسيحية مع إسرائيل . وكان من نتيجة هذه المعارضة وهذا العداء ، سيطرة حال من الشك وسوء الظن على نظرة حزب الله إلى المسيحيين اللبنانيين ، حيث اعتبرهم مؤيدين للطروحات السياسية للميليشيات المسيحية التي كانت تسعى إلى :

- توثيق العلاقة بإسرائيل .
- المحافظة على الامتيازات الطائفية .
- قتل المسلمين والقضاء عليهم .

إن نظرية «المؤامرة» كانت تحكم الكثير من تصورات حزب الله ، ودفعته إلى اعتبار أي ممارسة سياسية تجر إلى الخلاف الداخلي تصب في إطار هذه النظرية . فمنذ العام ١٩٨٢ وحتى العام ١٩٩٠م لم تسجل أي عملية تحاور سياسي أو اتصال على مستوى عال بين حزب الله والجانب المسيحي ، لأن حزب الله كان يعتبر «المسيحيين» «دمية» بيد أميركا وإسرائيل(٧٤) .

أما بالنسبة إلى الأحزاب اليسارية والقومية فقد كان هنالك توافق بين حزب الله

٧٤- حسن فضل الله ، م .س .ص ص ١٣٥ - ١٣٧ .

Kenneth Katzman, "Hizbollah: Narrowing Options in Lebanon", in Stephen Pelletiere, ***Terrorism: National Security Policy and the Hame Front*** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, U. S. Army War College, 1995), p.29.

وبينها منذ نشأة الحزب (كمقاومة) حول النظرة إلى الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان ؛ ومعارضة حكم أمين الجميل ، وإفشال الطروحات الأميركية - الإسرائيلية المرسومة للبنان . لكن اختلاف وجهات النظر بين الفريقين حول مسألة إصلاح النظام في إطار القيود التي يفرضها وضع المنطقة والوضع الدولي ، فيما يتعلق ببقاء أو عدم بقاء الحكم في يد الكتائب ، ومساعي كل حزب أو تنظيم للإمساك بزمام الأمور في بعض المناطق ، كل ذلك كان يوتر دائماً العلاقات بين حزب الله وهذه الأحزاب[٧٥] . وقد تحولت هذه العلاقات المتوترة بالتدريج إلى عداوة ، لأن حزب الله رفع الشعار المعروف «حزب فقط حزب الله»[٧٦] .

كان حزب الله يطرح خياراً بديلاً ، وهو ضرورة اعتماد أسلوبه ومنهجه من قبل الآخرين ، كخيار وحيد وأخير لمواجهة المخاطر التي تهدد «الأمة الإسلامية»[٧٧] . ظل حزب الله طيلة الثمانينات يرفض الطروحات غير الإسلامية ، ويدين كل من يرفض طروحات الحزب - حتى أولئك الذين كانوا يؤيدون استراتيجية حزب الله العقائدية ، ولكنهم يعترضون على أسلوبه وممارساته - وقد صرح السيد إبراهيم أمين السيد في احتفالات الذكرى التاسعة لانتصار الثورة الإسلامية : «إن الشعب المسلم في لبنان لا يرضى أن يكون جزءاً من برامج ومشاريع الآخرين ، وإنما الآخرون (أي المسيحيون وربما أيضاً أهل السنّة) يجب أن يبحثوا عن مكان لهم في المشروع الإسلامي»[٧٨] .

إنتقد حزب الله في النصف الأول من الثمانينات تشكيل «جبهة الاتحاد الوطني» ، وقد تشكلت هذه الجبهة من : حركة أمل والحزب الشيوعي اللبناني ، والحزب السوري القومي الاجتماعي ، ومنظمة حزب البعث العربي الإشتراكي ، والمنظمات

٧٥- الديار ، ٢٢ تموز ١٩٩٤ .

٧٦- مقابلة مع «محمد الخنسا» ، ٢٦ نيسان ١٩٩٦ .

٧٧- حسن فضل الله ، م . س . ص ٢٦١ .

٧٨- الصحف اللبنانية ، ٨ شباط/ ١٩٨٨ .

الناصرية المختلفة . وكان حزب الله إتهم هذه الأحزاب أنها أحزاب علمانية ، واعتبرها معادلة «للأحزاب المارونية» . كما اتهم هذه الجبهة بأنها تريد «مصادرة جهاد الإسلاميين» في لبنان ، وأنها توافق على القرارات الدولية التي تعترف رسمياً «بالكيان الصهيوني» ، وتستسلم «لمحادثات السلام مع إسرائيل»[٧٩] .

إن «سوء ظن» حزب الله بمعظم القوى المتواجدة على الساحة اللبنانية في الثمانينات ، والخوف من جرّه إلى قضايا تتعارض مع أفكاره ، أديا إلى عدم إقامة أي علاقة ناجحة مع سائر التنظيمات ، بموازاة خوف هذه القوى من أفكار الحزب وسياساته التي اجتذبت قطاعات واسعة من الناس والمؤيدين لحزب الله .

٧٩- الصحف اللبنانية ، ١٣ آب/ ١٩٨٥ .

القسم الثاني

عوامل التسهيل للراديكالية لدى حزب الله

ما هي الأسباب والعوامل التي دفعت حزب الله اللبناني منذ بداية نشأته وحتى نهاية الثمانينات، إلى اعتماد المواقف الثورية الراديكالية تجاه القضايا المختلفة، وإلى استخدام العنف السياسي لتحقيق أهدافه؟

الجواب عن هذا السؤال هو في الواقع دراسة أحد قسمي فرضية هذا البحث التي تمت الإشارة إليها في المقدمة وفي الفصل الأول. وبالإمكان تعداد أسباب وعوامل كثيرة بهذا الصدد، سيتم التطرّق في هذا القسم من البحث إلى كل منها وإلى مدى تأثيره في توجه حزب الله الراديكالي.

١- الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان

بالنسبة إلى هذا الموضوع لا شك في أن الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان في حزيران من العام ١٩٨٢، هو السبب الرئيسي وراء نشوء حزب الله، وهذا ما يقرّ به جميع الباحثين الذين عالجوا القضايا اللبنانية وقضايا «حزب الله»، لذلك، ليس من قبيل المبالغة أن نسمّي حزب الله «وليد مقاومة الاحتلال الإسرائيلي»، وهذا ما يفاخر به قادة الحزب وأعضاؤه. فالاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢، إضافة إلى

كونه هزيمة ماحقة أخرى للعرب ، كان سهماً قاضياً أصاب في الصميم نظرية «العروبة» و«الأمة العربية» و«الوطن العربي الكبير» ، وإيديولوجيات الأحزاب ، كحزب البعث ، والأحزاب الاشتراكية والشيوعية والناصرية ، والتنظيمات الفلسطينية ، وأثبت انهزامها وفشلها في مواجهة الجيش الإسرائيلي . وتفرّد الإسلاميون العرب منذ ذلك التاريخ ، بالتحرك في ساحات الصراع السياسي في العالم العربي ، وعرّضوا - طيلة عقد كامل - الحكومات العربية لتحديات خطيرة .

يعتقد «إميل ساحلية» صاحب مقالة «مقارنة بين الحركات الأصولية الدينية» المنشورة في كتاب «مشروع الأصولية» الصادر عن جامعة شيكاغو :

«إن الحركات الأصولية ، كانت ردّة مشتركة على التهديدات الخارجية ، التي استهدفت الهويّة العرقية والوحدة السياسية لمجتمعاتها . هذه الحركات تشترك في الإيمان بأن هوياتها الثقافية والدينية والعربية مهدّدة بالخطر ، وهذه التهديدات أرغمتها على استثارة تقاليد الماضي وأعرافه ، من أجل المحافظة على وجودها القومي ونقائها الثقافي ، ومن أجل تعزيز مواقفها على صعيد المطالبة بالاستقلال السياسي . ومما لا شك فيه أن خضوع الفلسطينيين والشيعة اللبنانيين للاحتلال العسكري الإسرائيلي ، دفع الجانبين إلى اعتماد «الدين» سمة رئيسية من سمات هوية الجماعة بغية مواجهة هذه التهديدات»(٨٠) .

ويعتقد «ريتشارد نورثون» الباحث الأمريكي في القضايا اللبنانية وقضايا حزب الله : «إن القوى الشيعية الراديكالية تنامت في ظل الاحتلال الإسرائيلي ، وغياب النظام والقانون»(٨١) . ويقول حسن فضل الله الكاتب اللبناني المناصر لحزب الله :

٨٠- إميل ساحلية : **مقارنة بين الأصوليات الدينية** ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث ، (بيروت ١٤ آب/ ١٩٩٨) ، ص ٨ .

81- Augustus Richard Norton, "Shiism and Social Protest in Lebanon", in Juan R.I. Cole and Nikki R. Kiddie (eds.) ***Shiism and Protest*** (NewHaven: Yale University Press,1988), p.33.

«لقد بدأت المقاومة كمقاومة ، لا كتنظيم سياسي له جناح عسكري ، وإنما كانت قوة مقاتلة نشأ عنها تنظيم سياسي ، وهذا ما جعلها تتكيّف مع كل الظروف والأوضاع . . . وهذا ما يظهر التمايز بين الأحزاب السياسية وبين التجربة العسكرية للمقاومة الإسلامية وإطارها السياسي ، «حزب الله» . فالأحزاب السياسية اللبنانية لم تتشكل في الأصل لمقاومة الاحتلال ، وإنما هي قد شكّلت ميليشيات مسلّحة خلال الحرب الأهلية»(٨٢) .

كان موقف حزب الله تجاه إسرائيل متشدّداً إلى حد أنه كان يرفض أي نوع من أنواع المحادثات المباشرة أو غير المباشرة معها ، لأن ذلك في نظره كان في الواقع نوعاً من الاعتراف الضمني وغير الرسمي بدولة «إسرائيل» ، لهذا السبب عارض بشدّة أي مسعى لإجراء محادثات بين الحكومة اللبنانية والحكومة الإسرائيلية ، وقد عمل على إفشال هذه المساعي ، بتأزيم الوضع العسكري في الجنوب ، واستخدام الأساليب الراديكالية والنضالية . وقد تكلمنا في الفصل الثاني بالتفصيل ، على المظاهرات والاعتصامات التي قام بها حزب الله ، إعتراضاً على اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ ، وعلى محادثات «الناقورة» ، والتي تصدّى لها الجيش اللبناني ، حيث أسفر الصدام بين الفريقين عن عدد من الضحايا . وقد أعلن حزب الله موقفه من محادثات «السلام» بين لبنان وإسرائيل في الناقورة في بيان رسمي جاء فيه : «لقد رفضنا المفاوضات التي أدّت إلى اتفاق ١٧ أيار ، لا لأنها كانت مفاوضات سياسية فحسب ، بل لأن مبدأ التفاوض مع إسرائيل حرام شرعاً ومرفوض ، لأنه يمثل اعترافاً بالعدو الإسرائيلي الغاصب لأرض المسلمين . . .»(٨٣) . « . . . وفي هذه المرحلة التاريخية من حياتنا نؤكد الموقف الإسلامي الشرعي : «لا» للتفاوض مع العدو اليهودي ، بأي شكل من الأشكال ، سراً أو علناً ، مباشرة أو غير مباشرة ، مدنياً أو عسكرياً ، ضمن اتفاق الهدنة ، أو خارج إطارها»(٨٤) .

٨٢- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ص ٨٣ و٨٤ .

٨٣- أسبوعية **العهد** ، العدد ٢٠ ، ١٦ صفر ١٤٠٥هـ (٩ كانون أول/ ١٩٨٤) ، ص ٧ .

٨٤- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** ، ص ١٨٠ .

تزامنت هذه المواقف المتشددة مع العمليات الاستشهادية ، كالعملية التي نفذها أحمد قصير ضد مقرّ قيادة الجيش الإسرائيلي في مدينة صور ، والتي ألحقت خسائر فادحة بالعسكريين الإسرائيليين ، وغيرها من العمليات المماثلة ؛ كما أن العمليات الانتقامية للطيران الإسرائيلي ، وقصف المناطق الآهلة بالسكان ، أجّجت شعلة الراديكالية في أوساط مناصري حزب الله بدلاً من إخمادها ، ومهّدت السبيل أمام أفواج «المتطوعين» في صفوف هذا الحزب .

وكما ذكرنا في البحث النظري من هذه الدراسة ، في شرح أسباب استخدام الجماعات الإسلامية للعمل الجماعي العنفي ، كان الاحتلال الأجنبي دائماً من الدوافع الأساسية وراء التوجه الراديكالي لدى هذه المجموعات ، وقد ترافق الاحتلال العسكري للقوى غير الإسلامية لبلد مسلم ، مع الحدّ الأقصى من العمل الجماعي العنفي ، الذي يتجلى بصورة الجهاد . كما أن وجهة نظر الإسلاميين التي ترى أن القوى غير الإسلامية تسعى دائماً للقضاء على قوة المسلمين ، ساعدت في استخدام العمل الجماعي العنفي في مواجهة الاحتلال الأجنبي .

على الرغم من هذه الوقائع المذكورة آنفاً ، لا يمكن اعتبار الاحتلال العسكري الإسرائيلي للبنان ، العامل الأساسي في توجّه حزب الله الراديكالي ، فمن ناحية ، انخرطت في حزب الله مجموعات صغيرة كانت قبل الاجتياح الإسرائيلي قد استخدمت أساليب العنف ضد الحكم العراقي وحزب البعث اللبناني الموالي له ، والنموذج الأبرز لذلك كان تفجير السفارة العراقية في بيروت في ربيع العام ١٩٨١ بواسطة عملية استشهادية ، واغتيال قادة حزب البعث اللبناني المؤيدين للعراق . ومن ناحية أخرى ، فإن جذور العداء لإسرائيل لدى حزب الله لا تعود فقط ، إلى الاحتلال العسكري الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ ، وإنما هي متجذّرة في إيديولوجية الحزب وفي عقيدته التي تعتبر إسرائيل «نظاماً غاصباً» ، و«معادياً للإسلام» ؛ وكما تعتقد الكاتبة هلا جابر : «بالنسبة إلى حزب الله ، لا يمثّل قتال إسرائيل مجرّد واجب

قومي فحسب ، بل هو واجب ديني يقع ضمن مفهومهم عن الجهاد»[٨٥] .

يقول أحد المحللين في وزارة الخارجية الإسرائيلية ، ويُدعى د . إستروبمان : «يعتبر حزب الله الصراع مع إسرائيل ، جزءاً لا يتجزأ من صراعات ثلاثة أوسع نطاقاً وهي :

١- الصراع بين المستكبرين والمستضعفين .

٢- الصراع الثقافي بين الغرب والعالم الإسلامي .

٣- الصراع التاريخي بين اليهودية والإسلام»[٨٦] .

إنطلاقاً مما ذكر ، يتبين أن الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ ، على الرغم من أنه كان العامل الأساسي وراء نشوء حزب الله ، لكنه لم يكن السبب الرئيسي الذي دفع الحزب باتجاه الراديكالية ، بل هو سبب «فرعي» ساعد على نمو الراديكالية داخل الحزب .

٢- الحرب الأهلية وانهيار النظام الديمقراطي التوافقي

إن الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠) التي أطلقت الميليشيات المسيحية شرارتها ، ألحقت بالمجتمع اللبناني تغييرات جذرية من بينها : ظهور عدد من المجموعات الميليشياوية ، واحتدام المعارك بين الطوائف المختلفة ، وفي داخل الطائفة الواحدة ، واضمحلال سلطة الحكومة والجيش إضمحلالاً يكاد يكون كاملاً ، وانتشار عمليات القتل العشوائي والمجازر المفجعة ، وانسياق الميليشيات لاستخدام العنف السياسي على مستوى واسع ، وتوجه الجميع باتجاه الراديكالية السياسية والعسكرية ؛ وطيلة الحرب الأهلية - بسبب تعطيل الحياة الديمقراطية ، وغياب إمكانية المشاركة

85- Hala Jaber, ***Op.Cit.***, p. 60.

٨٦- د . استروبمان : **نواح بارزة في نزعة العداء للسامية في إيديولوجيا حزب الله وحماس** ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث ، (بيروت ، حزيران ١٩٩٨) ، ص ٣٠ .

السياسية في المؤسسات السياسية اللبنانية – ما كان بالإمكان انتزاع السلطة إلا باللجوء إلى استخدام السلاح. فقبل الحرب الأهلية كان النظام السياسي في لبنان، الذي تشكّل بناء على نظرية الديمقراطية التوافقية، قد تمكّن من الصمود، وأمّن – إلى حدّ ما – إمكانية المشاركة السياسية من العام ١٩٤٣ (تاريخ الاستقلال) وحتى العام ١٩٧٥ (تاريخ اندلاع الحرب الأهلية)، وعلى الرغم من أن الديمقراطية في لبنان في تلك المرحلة لم تكن متطابقة مع النماذج الديمقراطية العالمية تطابقاً كاملاً، إلا أنها كانت أنموذجاً رفيع المستوى مقارنة ببقية البلدان العربية وبلدان العالم الثالث.

مع بدء الحرب الأهلية، بدأت مرحلة عدم الاستقرار والاضطرابات الداخلية، والصراع المسلح بين الطوائف، حتى أن المجلس النيابي الذي انتُخب في العام ١٩٧٢، لم يتمكن من إعادة إجراء الانتخابات لمدة عشرين عاماً، فانتفت بذلك إمكانية المشاركة السياسية بالطرق القانونية. وفي مرحلة الحرب الأهلية، جرت معارك بين القوى المختلفة، كالمعارك بين القوى الفلسطينية في البقاع وطرابلس في عامي ١٩٨٣ و١٩٨٤، والمواجهات المسلحة بين المنظمات الفلسطينية وحركة أمل (حرب المخيمات من العام ١٩٨٥ وحتى العام ١٩٨٧)، والاشتباكات الدموية بين حركة التوحيد الإسلامي والحزب السوري القومي الاجتماعي في العام ١٩٨٥، والمعارك بين أمل وحزب الله من العام ١٩٨٨ وحتى العام ١٩٩٠، والصراع الدموي الأول من نوعه بين الأجنحة المارونية المختلفة (بين إيلي حبيقة من ناحية وسمير جعجع وميشال عون من ناحية أخرى، وبعد ذلك المعارك بين هذين الأخيرين) من العام ١٩٨٩ وحتى العام ١٩٩١، والأهم من كل ذلك العمليات العسكرية لجيش الاحتلال الإسرائيلي، والغارات الجوية الإسرائيلية على الجنوب وبيروت والبقاع.

إن عدم الاستقرار السياسي في لبنان، لم ينحصر ضمن حدود المعارك المتنوعة والمتعددة في أثناء الحرب، وإنما وصل الأمر بعدد كبير من أفراد النخبة السياسية اللبنانية (وبخاصة المسلمين منهم) إلى التشكيك بقدرة النظام الطائفي، والمطالبة

بتغييره، واعتماد نظام حكم غير طائفي(٨٧).

إن عدداً كبيراً من المراقبين في الشؤون اللبنانية، والباحثين في قضايا الشرق الأوسط، الذين كانوا يعدّون لبنان أكثر الأنظمة العربية إستقراراً وديمقراطية، أثار تعجّبهم تحول هذا الاستقرار وهذه الديمقراطية النسبية إلى حرب أهلية، واضطرابات طويلة المدى. وللإجابة عن ذلك يجب القول: «إن عدم الاستقرار في السبعينات والثمانينات ناجم عن خللٍ داخل الأنموذج الديمقراطي التوافقي في لبنان، وبعبارة أخرى، أثمرت التحولات داخل لبنان وفي المنطقة المحيطة منذ السبعينات نتائج لم تتلاءم مع خصوصيات الديمقراطية التوافقية وشروطها»(٨٨).

وبعبارة أكثر دقة: يجب البحث عن أسباب الاضطراب خلال السنوات التي أعقبت العام ١٩٧٥، في انحراف البنى السياسية والاجتماعية في لبنان عن أصول الديمقراطية التوافقية من ناحية، ومن ناحية أخرى في عدم تلاؤم تقاسم السلطة وصيغة النظام السياسي الطائفي مع التحولات المستجدّة داخلياً وخارجياً. والنتيجة أن التحولات الداخلية والخارجية أوجدت أشكالاً من الانحراف الأساسي عن النموذج الديمقراطي التوافقي:

٨٧- كانت مطالب النخبة بهذا الصدد متعددة، ففي حين كانت مجموعة من النخبة السياسية المسيحية والمسلمة تطالب بنظام علماني غير طائفي، كان المسلمون الأصوليون يرغبون بإيجاد نظام إسلامي. راجع بهذا الخصوص:
Halim Barakat, “A Secular Vision for Lebanon", in ***Toward A Viable Lebanon***, Halim Barakat (ed.), (London: Croom Helm,1988).

٨٨- حميد احمدى، «ثبات سياسى، دموكراسى و جامعه مدنى در جوامع ناهمگون: نظريه دموكراسى مبتنى بر اجماع و تجربه لبنان» **فصلنامه خاورميانه**، سال چهارم، شماره ٤، زمستان ١٣٧٦، ص ١٤٠.
[حميد أحمدي، «الاستقرار السياسي، الديمقراطية والمجتمع المدني في المجتمعات غير المتجانسة: نظرية الديمقراطية المبنية على التوافق، والتجربة اللبنانية» **فصلية دراسات الشرق الأوسط**، السنة الرابعة، العدد ٤، شتاء ١٩٩٧، ص ١٤٠].

أ ـ فشل الائتلاف الواسع

إن الائتلاف الواسع (حسب نموذج ليبهارت) في لبنان ، الذي كان قد أُحكم على أساس التركيبة السكانية بناء على إحصاء العام ١٩٣٢ ، لم يعد مناسباً في السبعينات ، وبعبارة أخرى ، إن النمو السكاني لدى الطوائف طيلة العقود الثلاثة التي أعقبت المصادقة على الميثاق الوطني ، جعل الائتلاف الواسع المبني على إحصاء السكان القديم غير منسجم مع المادة ٩٥ من الدستور اللبناني المبنية على إيجاد توازن في التمثيل النيابي بين الطوائف . فبحسب إحصاء العام ١٩٣٢ كان المسيحيون يشكلون ٥٢٪ من السكان والمسلمون ٤٨٪ ، وكان الموارنة والسنّة والشيعة أي الطوائف الثلاث الكبيرة يشكلون بحسب الترتيب ٢٩٪ و٢٢٪ و١٩٪ من مجموع السكان[٨٩] .

في أوائل الثمانينات ، إختلت تركيبة السكان المسلمين - المسيحيين وكذلك تركيبة الطوائف داخل الفريقين ، وبحسب إحصاء العام ١٩٨٣ فإن تركيبة السكان جاءت لمصلحة المسلمين ، حيث يعد الشيعة مليون ومئتي ألف نسمة ، والموارنة تسعمائة ألف والسنّة سبعمائة وخمسين ألفاً[٩٠] . في حين كان توزيع السلطة السياسية على أساس إحصاء العام ١٩٣٢ لمصلحة المسيحيين (وبخاصة الموارنة) . إن أحد الأسباب المهمة وراء عدم إجراء أي إحصاء بعد العام ١٩٣٢ ، كان خوف بعض الطوائف (وبخاصة الموارنة) من أن يظهر إلى العلن تناقص عددهم مقارنة بالمسلمين ، فتقلّ تالياً حصتهم في السلطة[٩١] .

اللافت هنا ، أنه على الرغم من تزايد عدد المسلمين وبخاصة الشيعة بالنسبة إلى

89- David McDowell, ***Lebanon: A Conflict of Minorities*** (London, 1985), p.11.

90- Europa, ***The Middle East and North Africa 1997*** (London,1997), p. 722.

91- M. Graeme Bannerman, "Republic of Lebanon", in ***The Government and Politics of the Middle East and North Africa***, ed., David E. Long and Bernard Reich (Boulder: Westview Press, 1986), p. 192.

الآخرين ، فإن عدد المقاعد النيابية بقي على حاله أي ٥٥ مقعداً للمسيحيين و٤٤ مقعداً للمسلمين ، كان نصيب الموارنة منها ٣٠ مقعداً والسنة ٢٠ مقعداً والشيعة ١٩ مقعداً[٩٢] .

وهكذا ، على أثر اختلال التركيبة السكانية ، ومع الأخذ في الاعتبار السلطة المطلقة التي كان يحظى بها المسيحيون ، عدّ المسلمون (وبخاصة الشيعة) النظام الطائفي مجحفاً بحقهم وطالبوا بتغييره . وقد جوبهت مطالبتهم بالحصول على تمثيل أكبر في الحكومة وفي المجلس النيابي ، بمعارضة النخبة المارونية .

ب - إبطال مبدأ المحاصصة

مع تنامي التزايد السكاني لدى الطوائف اللبنانية المختلفة ، بات مبدأ تقاسم السلطة والمحاصصة على أساس عدد السكان في العام ١٩٣٢ موضع انتقاد . فبالنسبة إلى المسلمين الذين كانت حصتهم من المقاعد النيابية مجحفة بحقهم ، كان تقاسم السلطة على المستوى الأرفع في النظام السياسي مضراً بهم ، فسلطة رئيس الجمهورية كانت أرفع من سلطة البرلمان والحكومة ، وهذه القضية إذا كانت مقبولة بين الثلاثينات والستينات ، بناء على عدد السكان ، لم تعد كذلك فيما بعد ، مع تزايد عدد المسلمين بالنسبة إلى المسيحيين ، وباتت سلطة رئيس الجمهورية المطلقة غير منصفة مقارنة بسلطة رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس النواب ، وغير ملائمة لمبدأ الديمقراطية التوافقية . ولم يكن اعتباطاً ما كتبه الباحث اللبناني «بول سالم» : «أن النظام السياسي اللبناني في الثمانينات لم يعد نظاماً ديمقراطياً قائماً على التوافق الواقعي ، وإنما هو نظام جمهوري رئاسي ، وتمركز السلطة في يد رئيس الجمهورية أصبح عامل عدم استقرار في البلاد»[٩٣] .

92- ***Ibid.***

93- Paul Salem, "The Political Framework for a Stable Lebanon", in ***Panorama of Events***, (Beirut,1984), p. 56.

ج ـ فشل النخبة في إدارة الأزمة

إن أحد الشروط المهمة في الديمقراطية التوافقية، هو مهارة النخبة السياسية في الائتلاف الموسّع في حل النزاعات وإدارة الأزمات. وفي هذا السياق، كانت النخبة السياسية اللبنانية في الماضي (وبخاصة في المرحلة الشهابية) قد أنجزت عملاً لا بأس به نسبياً، لكن النخبة في السبعينات لم يحالفها النجاح؛ فقد ظهرت في هذه المرحلة -تحت تأثير التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الداخلية، وعوامل المحيط الخارجية- مجموعات من النخب الفرعية داخل كل طائفة من الطوائف، راديكالية التوجه، ولا تقيم أدنى اعتبار للقادة التقليديين أو «الزعماء»، وكانت النتيجة أن فقد هؤلاء الزعماء سلطتهم داخل طوائفهم، وأصبحت النخب الراديكالية نفسها (الراديكاليون المسلمون والمتطرفون المسيحيون) العامل الأساسي في النزاعات والأزمات الداخلية في لبنان، وقد ترأس هؤلاء قوات شبه عسكرية (ميليشيات)، زعزعت التكتلات التي كان قد أوجدها من قبل زعماء الائتلاف[٩٤]. وكان بروز هذه النخب الراديكالية الجديدة وفشل الزعماء في حل النزاعات والحدّ من الأزمات، من أسباب اندلاع الحرب الأهلية بعد العام ١٩٧٥، التي خلّفت ١٤٤٢٤٠ قتيلاً، ١٩٧٥٠٦ جريحاً، ١٧٤١٥ مفقوداً وأدّت إلى خراب الدولة والاقتصاد وتدمير المدن والقرى وتهجير مئات الآلاف وانحدار المجتمع اللبناني إلى خط الفقر.

د ـ من التهميش إلى التسيّس

إن ظهور الإيديولوجيات الراديكالية في المشرق العربي كالناصرية والفكر اليساري الماركسي، والبعث في أوساط المسلمين، والتطرف شبه الفاشي في أوساط المسيحيين، دفع الطوائف المختلفة، المسلمة والمسيحية باتجاه التسيّس. والتزمت

94- Richard Hrair Dekmejiam, "Consociational Democracy in Crisis: The Case of Lebanon", *Comparative Politics* (January 1987), p.256.

الأجنحة المختلفة، بمبادئ ومواقف إيديولوجية متنوعة ومتناقضة، جذورها كلّها من خارج لبنان، وبما أن هذه الإيديولوجيات كانت تتنافس على مستوى الشرق الأوسط كله، فقد نقل هذا التسييس الإيديولوجي التنافس إلى داخل لبنان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الفكر الإسلاموي منذ السبعينات، وبخاصة بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، دفع مسلمي لبنان (سنة وشيعة)، باتجاه الإسلام الراديكالي؛ وهكذا ظهرت في لبنان طوال هذه المدة حركات وجماعات مختلفة، كحزب البعث والناصريين والجنبلاطيين، والشيوعيين، وحركة أمل، ومن ثم المجموعات الإسلامية الشيعية (حزب الله وأمل الإسلامية) والمجموعات الإسلامية السنية (الجماعة الإسلامية وحركة التوحيد)، التي مارست نشاطاً سياسياً واسعاً على أساس عقائدها الإيديولوجية، رافضةً من الأساس النظام السياسي ومبدأ تقاسم السلطة[٩٥].

أدّى هذا التسييس العميق دوراً مهماً في سوق المجتمع اللبناني باتجاه الحرب والراديكالية، ويمكن القول، أساساً، أن الحرب الأهلية اللبنانية، كانت إلى حد كبير نتيجة للصراع بين القوميين العرب الراديكاليين (الناصريين والسوريين والفلسطينيين) في أوساط المسلمين، وبين اليمينيين الموارنة. إن تسيّس الطوائف اللبنانية، وتنوّع الإيديولوجيات أدى إلى تعبئة شاملة كان من نتائجها الصراع بين الطوائف اللبنانية.

هـ - المحيط الخارجي المضطرب

كان محيط لبنان الخارجي منذ العام ١٩٤٣، وحتى أواخر الخمسينات أقل اضطراباً - نسبياً - مما صار عليه بعد ذلك، لكن تزايد حدة الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي منذ أواخر الخمسينات من ناحية، وانقسام دول المنطقة وتبعيتها لأحد هذين القطبين العالميين من ناحية أخرى، نتج عنه صراع بين الإيديولوجيات القومية العربية واليسارية وبين الأنظمة العربية المحافظة.

٩٥- حميد احمدى، م. س. ص ١٤٣.

في حين يعدّ هذا الاضطراب في المنطقة المحيطة بلبنان مؤدياً إلى نوع من الانحراف عن الأنموذج الديمقراطي التوافقي بحسب وجهة نظر «دكمجيان» ، فإن المنظّرين الآخرين للديمقراطية المبنية على التوافق أمثال «ليبهارت» و«نوردلينغر» و«مك ري» لم يلتفتوا إليه .

الأمر الأكثر أهمية هو أن «ليبهارت» يعتبر التهديد الخارجي شرطاً من شروط نجاح أنموذجه ، أي أن التهديد الخارجي ، يؤدي إلى تعزيز الاتحاد الداخلي في هذه المجتمعات . هذه النقطة تحتاج إلى مناقشة بالنسبة إلى النموذج اللبناني ، حيث أن التهديد الخارجي ، إضافة إلى أنه لم يؤدّ إلى الاتحاد الداخلي ، زاد من حدة الصراع بين المجموعات والطوائف اللبنانية ، من هنا يمكن انتقاد نظرية ليبهارت[٩٦] .

إن أحد نماذج التهديد الخارجي البارزة للبنان ، سياسة إسرائيل العسكرية ، لكن هذا العامل – على العكس من نظرية ليبهارت – أضرم حدّة النزاع في لبنان بدلاً من أن يخمدَها . واللافت أيضاً ، أن الأجنحة اللبنانية المتنازعة – لإقامة التوازن فيما بينها أو ليستقوي أحدها على الآخر – كانت تستمد دائماً الدعم والمساعدة من القوى الخارجية ، وتشجّعها على التدخل في الشؤون اللبنانية . والقضية المثيرة اللافتة للانتباه ، هي تلك المتعلقة بالارتباط بين الموارنة وإسرائيل من ناحية ، وبين المسلمين وسوريا من ناحية أخرى . ففي حين كان الموارنة وبخاصة «الكتائب» و«القوات اللبنانية» يعدّون الوجود السوري في لبنان عامل فتنة ، ويطالبون بخروج القوات السورية من لبنان ، كان غالبية المسلمين ينظرون إلى الوجود السوري كعامل مساعد على إشاعة الأمن والاستقرار . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، في حين كان المسلمون وبخاصة الفلسطينيين منذ الستينات والشيعة منذ الثمانينات ، يقاومون إسرائيل وعملاءها (جيش لبنان الجنوبي بقيادة سعد حداد أولاً ثم أنطوان لحد بعد ذلك) ، كانت الميليشيات المارونية تقيم علاقات سرية وطويلة الأمد مع إسرائيل التي

٩٦– م . ن . ص ١٤٤ .

كانت تزوّدها بالمال والعتاد . وبحسب معلومات نُشرت مؤخراً ، فإن الاتصالات السرية بين الأجهزة العسكرية والمخابراتية الإسرائيلية وبين الموارنة تعود إلى العام ١٩٥٠ أي بُعَيْد تأسيس دولة إسرائيل بسنتين فقط[٩٧] . وقد ذكر شيمون شيفر بالتفصيل الاتصالات السرية بين إسرائيل والميليشيات المارونية منذ العام ١٩٧٦ وما بعده ، وسفر شارون سراً في العام ١٩٨٢ إلى بيروت للتنسيق مع الميليشيات المارونية[٩٨] .

ويقول الخبير الاستراتيجي «زئيف شيف» وهو من أهم مراسلي الأخبار الحربية الإسرائيلية ، عن السبب الواقعي للاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ : « . . .لم يكن الهدف الحقيقي سوى التأثير في انتخابات رئاسة الجمهورية اللبنانية اللاحقة ، وفي مستقبل هذا البلد السياسي . لقد كان اجتياح لبنان دليلاً آخر ، على أن الحرب كان لها منذ زمن بعيد أهداف سياسية ، ولم يكن للظروف الأمنية دور مؤثر في تلك الخطة»[٩٩] .

يمكن أيضاً أن نتبيّن هدف إسرائيل هذا (أي الإتيان بحكومة لبنانية مارونية عميلة لها) ، بالإطلاع على مقابلة أجرتها صحيفة «معاريف» الإسرائيلية مع قائد أركان الجيش الإسرائيلي السابق الجنرال «مردخاي غور» الذي يقول : «إن هدف شارون ، إقامة دولة مسيحية في لبنان»[١٠٠] .

٩٧– يان بلك وبنى موريس ، **جنگهاى نهائى اسرائيل : تاريخ ناگفته جاسوسى اسرائيل** . ترجمه جمشيد زنگنه (تهران : دفتر نشر فرهنگ اسلامى ، ١٣٧٣) ، ص ص ١٣٦–١٤٢ و ٤٤١–٤٨٥ .
[يان بلك وبني موريس ، **حروب إسرائيل السرية : التاريخ غير المكتوب للمخابرات الإسرائيلية** . ترجمة جمشيد زنگنه ، (طهران : مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٩٩٤) ، ص ص ١٣٦–١٤٢ و ٤٤١–٤٨٥] .

٩٨– شيمون شيفر ، **كرة الثلج : أسرار التدخل الإسرائيلي في لبنان** (الطبعة الأولى ، تشرين الثاني ١٩٨٤) ، الفصل الثاني .

٩٩– نعام چامسكى : **مثلث سرنوشت امريكا ، اسرائيل و فلسطينيها** ، ترجمه هرمز همايون پور (تهران : مؤسسه انتشارات آگاه ، پاييز ١٣٦٩) ، ص ٢٨٣ .
[نعوم تشومسكي : مثلث التقدير لأمريكا وإسرائيل والفلسطينيين ، ترجمة هرمز همايون پور . (طهران : دار النشر آگاه ، خريف ١٩٩٠) ، ص ٢٨٣] .

١٠٠– **صحيفة السفير** ، ٢٠ حزيران/ ١٩٨٢ .

وهكذا فإن استقرار المحيط ، الذي هو بحسب نظرية «دكمجيان» أحد الشروط المهمة لنجاح الديمقراطية التوافقية والاستقرار السياسي ، قد تزعزع في الشرق الأوسط وفي محيط لبنان بشكل خاص منذ العام ١٩٥٠ ، الذي تحوّل إلى محيط مضطرب ومفعم بالنزاعات السياسية - الإيديولوجية التي تركت آثارها في لبنان ، وألحقت بالديمقراطية التوافقية وبالاستقرار السياسي النسبي ضربة ماحقة .

لقد كان الصراع العربي - الإسرائيلي العامل الأهم وراء هذا التأثير السلبي ، وقد نتج عنه الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٧٨ ، ثم اجتياح العام ١٩٨٢ الواسع ، الذي كان وراء الاضطرابات اللاحقة . ويمكن القول بصورة مجملة إن المحيط المضطرب حوّل لبنان إلى ساحة صراع ، تنعكس فيها جميع الأحداث السياسية والإيديولوجية في العالم العربي وفي الشرق الأوسط .

و - إتساع التفاوت الطبقي المتزايد

على الرغم من أن أحداً من منظّري أنموذج الديمقراطية المبنية على التوافق ، لم يشر إلى قضيه العنصر الاقتصادي ودوره المهم ، إلا أن وجود التفاوت الطبقي العميق على مدى الانقسام الطائفي ، قوّى العامل الثاني وأدى إلى التشكيك بالنظام الطائفي في لبنان وبالائتلاف الموسّع ودور زعماء الطوائف ، هذا التفاوت الطبقي كان بيّناً بين الطوائف ، وكذلك في العلاقة بين الزعماء وعامة الشعب[١٠١] . ففي حين كان المسيحيون وبخاصة الموارنة يشكلون الطبقة العليا والمتوسطة ، كان للمسلمين وبخاصة الشيعة الحصة الأدنى في هاتين الطبقتين ، وكانوا محسوبين أكثر في زمرة الطبقة الدنيا . ومن ناحية أخرى كان الزعماء والنخبة السياسية الطائفية في معظمهم من الطبقة العليا المرفّهة اقتصادياً ، وبسبب هذا الموقع الاقتصادي المهم كانوا أساساً قادرين على الحصول على المناصب القيادية بطرق مختلفة . كما أن عدم اهتمام

١٠١- حميد احمدى ، م . س . ص ١٤٦ .

زعماء الطوائف المرفّهين بعامة الناس الفقراء الذين هم تحت زعامتهم ، أدى إلى عدم ثقة هؤلاء بزعمائهم المشاركين في توافق النخبة ، وقد أدى ذلك إلى عدم الثقة بالنظام السياسي وإلى زعزعة الاستقرار في البلاد ، يقول «مايكل هادسون» وقد تنبّه إلى هذه الظاهرة المهمة : «إن الفقر المدقع إلى جانب مظاهر الثروة الفاحشة والفساد الرسمي ، كان من خصوصيات الحياة الاقتصادية الأساسية في المجتمع اللبناني»[١٠٢] .

لقد أدت الضائقة الاقتصادية ، والتفاوت الطبقي وتقصير النخبة في معالجة الفقر ، وتحقيق المطالب الملحّة والمتزايدة للطبقتين الوسطى والدنيا ، إلى عدم اعتبار الائتلاف الواسع وفشله . ولم يكن اعتباطاً نقد السيد موسى الصدر القائد الشيعي المغيّب لـ «رجال السلطة» وتشكيكه بشرعيتهم[١٠٣] .

باختصار ، إن مثل هذه الآراء حول النظام السياسي في لبنان ، معناها أن لا وجود في المجتمع اللبناني للشرطين الأساسيين لإقامة الديمقراطية المبنية على التوافق وهما : «الآراء الشعبية المؤيدة للائتلاف الواسع» (ليبهارت) ، و«مشروعية النظام ومهارة النخبة» (دكمجيان) .

يمكن القول بصورة مجملة أن الانحرافات السياسية المذكورة آنفاً ، كانت العامل الأساسي وراء انهيار النظام السياسي المبني على الديمقراطية التوافقية في لبنان ، وتالياً إلى عدم الاستقرار السياسي والحرب الأهلية واتساع موجة الراديكالية في السبعينات والثمانينات .

لقد استمرت الحرب الأهلية والتدخلات الخارجية ، وتالياً الاضطرابات الداخلية والصراع الطائفي في النصف الثاني من السبعينات ، والقسم الأعظم من الثمانينات ،

102- Micheal C. Hudson, ***The Precarious Republic and Political Modernization, in Lebanon***, (New York: Random House, 1968), pp. 252 - 256.

103- Foud Ajami, ***The Vanished Imam: Musa Alsadr and the Shia of Lebanon*** (Ithaca: Cornell University Press, 1968), pp. 124 - 129.

وعلى الرغم من أن إخـراج المقـاتلين الفلسطينيين من لبنان في العـام١٩٨٢ ، دفع بالأجنحة المختلفة في لبنان في العام نفسه ، إلى الاجتماع وإلى تشكيل حكومة وفاق وطني ، للتفكير بكيفية التعامل مع الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ، إلا أن تصلب النخبة السياسية المارونية وبخاصة الموارنة المتطرفين ، أحبط هذه المساعي وأوصلها إلى طريق مسدود ، وكذلك تواصلت بعد العام ١٩٨٤ الصراعات بين الأجنحة الفلسطينية المختلفة ، وبين الفلسطينيين واللبنانيين ، وبين المسيحيين والمسلمين ، وبين الشيعة والفلسطينيين ، إضافة إلى الصراع الشيعي – الشيعي والماروني – الماروني .

وكما ذكرنا في البحث النظري من هذه الدراسة – بناء على نظرية دوركهايم – إن اختلال التضامن الاجتماعي يضعف الوجدان الجماعي ، دون أن ينوجد في المقابل وجدان جماعي جديد . وهكذا يظهر اللامعيارية والآنومية ، ومن وجهة نظر دوركهايم هذا الوضع يستتبع ظهور أفعال جماعية اللامعيارية وعنفية . ومن ناحية أخرى – بناء على نظرية أوبرشال الخاصة بالمجتمعات المشرذمة (كالمجتمع اللبناني في مرحلة الحرب الأهلية) – بفقدان الروابط المشتركة بين المجموعات العليا والدنيا أو محدوديتها ، كلما كان عدد المنظمات وتنوعها أكبر ودرجة مشاركة الأعضاء فيها أعلى ، تتم تعبئة المجموعات المعارضة بسرعة أكبر واستمرارية أقوى . وسط ذلك ، في أقسام المجتمع الأكثر انعزالاً ، ذات الروابط الجماعية القوية في داخلها ، تكون تعبئة المجتمع أسرع وأسهل وتمهّد الأرضية للقيام بأعمال جماعية عنفية .

إن تنظيم حزب الله اللبناني ظهر ونما في ظل مثل هذا الوضع الاجتماعي السياسي والعسكري ، لذلك كان من الطبيعي أن يتجه بسرعة باتجاه الراديكالية . لأنه كما يقول مارتن كريمر :

«إن الحرب الأهلية اللبنانية ضخّمت تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية ؛ كما أن انهيار الدولة والعنف الذي نجم عن ذلك أثرا بشكل هائل على المجتمع الشيعي ، وأنتجا اختلالات ديموغرافية واجتماعية واقتصادية قلّصت حجم المحاباة التي كان يشتكي منها الشيعة في سائر البلدان ، خاصة وأن مئات الآلاف من الشيعة ، كانوا قد حُوّلوا إلى لاجئين معدمين في بلد يفتقر إلى

الدولة الفاعلة ، وفي عاصمة تفتقر إلى الخدمات والعمل البلدي ، وهذا اليأس جعلهم أكثر تقبلاً واستجابة للإشارات التي أطلقتها إيران»[١٠٤] .

الأمر الذي لا يقل أهمية عن ذلك ، هو أن بوابة لبنان كانت مشرّعة على أقصى مداها ؛ في حين أن العراق ودول الخليج – الأقرب إلى إيران – كانت تملك الإرادة والوسيلة لإطفاء الشعلات العملية المتعاطفة مع الثورة الإسلامية في إيران . فقد شنّ العراق حربه على إيران لهذا الغرض ؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية والكويت اللتين دعمتا العراق ، وخاضتا حرباً باردة ضد إيران ، شملت اعتقال وترحيل الآلاف من الشيعة المتعاطفين مع الثورة الإسلامية . لكن في لبنان ، لم يكن هنالك من يستطيع أن يعتقل أو يرحّل أولئك المتعاطفين ، أو حتى أن يمنع الإيرانيين الثوريين من الدخول إلى لبنان بأعداد غفيرة للانضمام إلى محبيهم الشيعة هناك ، وفي هذا الصدد ، قال أول سفير لإيران الإسلامية في لبنان إن « . . .العقبة الكبرى التي تعيق انطلاق الحركات الإسلامية في العالم ، هي المتمثلة في ارتباط الشعوب بالحكومات ؛ لكن ، بما أن الدولة اللبنانية لا تتمتع بسلطة قوية ، ليس هنالك أي عقبة خطيرة في طريق شعب لبنان . . .»[١٠٥] .

إن عدم وجود دولة فاعلة في لبنان ، ووصول القوات الإيرانية إلى أراضيه ، أوجد المناخ المناسب لظهور الحركات الإسلامية الأصولية ، التي تستلهم في مسارها وأسلوب تحرّكها تجربة الثورة الإسلامية الإيرانية . كان مثل هذا الوضع في الشرق الأوسط فريداً ، يقول محمد رعد رئيس المجلس السياسي السابق لحزب الله عن هذه المرحلة : «قبل اتفاق الطائف ، لم يكن في لبنان أي نوع من أنواع الحكم ، بمعنى أن الحكومة اللبنانية ، كانت الطرف الأضعف في المعادلات السياسية ، وكان حزب الله يعدّ الطرف الأقوى ، وكانت لديه طروحات استراتيجية وأصولية»[١٠٦] ، ففي الواقع

104- Martin Kramer, ***Hizballah, The Calculus of Jihad***, p. 14.

١٠٥- مقابلة مع حجة الإسلام فخر روحاني ، صحيفة «**اطلاعات**» الإيرانية ، ٢٩/ ١/ ١٩٨٤ .

١٠٦- لقاء مع أعضاء المجلس السياسي لحزب الله ، آذار ١٩٩٧ .

«إن القوى الشيعية الراديكالية تنامت في جو الاحتلال وفقدان النظام والقانون»[١٠٧] .

لكن ، هل كانت الحرب الأهلية وعدم الاستقرار ولا إمكانية المشاركة السياسية بالطرق القانونية ، هي السبب الرئيسي الذي دفع حزب الله باتجاه الراديكالية؟ من الواضح أن الشروط الآنفة الذكر كانت موجودة بالنسبة إلى الطائفة الشيعية كلها ، لكن هذه الشروط المشتركة والواحدة لم تؤدّ إلى توجه شيعة لبنان جميعاً باتجاه الراديكالية . فالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ، وجمع من الشخصيات الشيعية السياسية والعلمية والأكاديمية ، وعدد غير قليل من الشيعة العاديين ، لم يلجأوا إلى استخدام العنف السياسي للوصول إلى أهدافهم السياسية . بناء على ذلك ، لا يمكن اعتبار الحرب الأهلية اللبنانية ، السبب الأساسي للاتجاه الراديكالي لدى حزب الله ، على الرغم من أنه لا يمكن إنكار ، أن هذه الحرب ساعدت في تأجيج حدة الراديكالية لديه .

٣- الحرمان، وفقدان العدالة الاجتماعية

كما أوضحنا في الفصل الأول من هذه الدراسة ، فإن إحدى النظريات المعروفة في مجال شرح «العنف المدني» (Civil Violence) ، نظرية «الحرمان النسبي» لـ «تد روبرت غر» ، والمتغير المعتمد في نظريته هو «العنف السياسي» ، الذي يمكن أن يتجلى بصورة العمل الجماعي . يعتقد «تد غر» أن الحرمان يؤدي إلى الإحباط ، والإحباط إلى الغضب ، والغضب يمكن أن يؤدي بدوره إلى السلوك العنفي . وهو يعدّد ثلاثة أنواع من الحرمان :

١- **الحرمان النزولي** : ثبات التوقعات القيمية نسبياً وزوال الإمكانيات .

٢- **الحرمان الناشئ عن الطموح** : الجمود النسبي للإمكانيات والتزايد الشديد للتوقعات .

107- Augustus Richard Norton, ***Ibid.***

٣- **الحرمان التصاعدي** : التزايد الأساسي للتوقّعات المتزامن مع تدني القدرات .

هذه الأنواع الثلاثة من الحرمان بحسب نظرية «تد غر» يمكن أن تكون العامل المسبّب للعنف أو الأرضيه الممهدة له . وهو يرى أن تبدّل الغضب الناشئ عن الحرمان إلى العنف ، وشدة هذا العنف ، تتبع عوامل معيّنة كالمجتمع الحاضن ، والتقاليد ، وشرعية النظام السياسي .

في دراسة الوضع اللبناني ، يمكن أن نأخذ في الاعتبار حالتي الحرمان النزولي والتصاعدي . فقبل الحرب الأهلية كان الحرمان النزولي موجوداً وبخاصة لدى الشيعة ، لكن مع بداية الحرب الأهلية ومن ثم بعد الاجتياح الإسرائيلي ، تبدّل إلى حرمان تصاعدي . هنا نتساءل إن كان الحرمان وفقدان العدالة الاجتماعية (كمتغير مستقل) ، يمكن أن يكون العامل الأصلي وراء توجه حزب الله نحو الراديكالية (المتغير المعتمد) . يقول «إميل ساحلية» في مقالته المنشورة في كتاب «مشروع الأصولية» الصادر عن جامعة شيكاغو ما يلي :

«الشيء الآخر الذي ساهم في ظهور الأصولية اللبنانية ، هو فشل القيادة التقليدية ، والأحزاب العلمانية الجديدة في تلبية الاحتياجات السياسية والسوسيو - إقتصادية لمجتمعها . إذ أن هذه القيادة التي استفادت من النظام الطائفي اللبناني القائم ، تجاهلت حالة اللامساواة ، التي عانى الناس منها على الصعيدين الاقتصادي والسياسي . وعلى نحو مماثل ، كانت الأحزاب السياسية العلمانية غير قادرة على تعديل سرعة الزحف السكاني الشيعي باتجاه المدن ، ولا على تأمين المساواة في التعاطي مع الشيعة (اللبنانيين) . وكغيرها من الحركات العلمانية ، فشلت «أمل» في إصلاح النظام السياسي اللبناني . وهذا الوضع ساهم في تنشيط التطلعات والآمال السابقة لدى الشيعة ، وخلق الفراغ الذي ملأه حزب الله فيما بعد . . .» . ويضيف : «في لبنان ، نستطيع القول إن حصة الأصوليين الشيعة من الثروات الوطنية ، والسلطة السياسية ، ليست متناسبة مع حجمهم العددي ، على الرغم من أن أبناء طائفتهم يشكّلون أكثر من ثلث المجتمع هناك . وفي الحقيقة ، لا يزال أخصامهم من السنة والموارنة ، يسيطرون على مقدّرات لبنان السياسية

والاقتصادية . وهذه الحالة من انعدام التكافؤ ، دفعت الشيعة إلى السعي من أجل إقامة دولة إسلامية في لبنان»[١٠٨] .

إن معظم قادة حزب الله وكوادره وأعضاؤه ، هم من مواليد المناطق التي يخيّم عليها الفقر والحرمان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، كما أن فشل شعارات الأحزاب والتنظيمات العلمانية ، في تغيير الوضع القائم في البلاد ، خيّب آمال الناس وتطلعاتهم . لهذا السبب يقول «هلال خشان» الأستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت : «إن الجمود السياسي المفرط ، ضَمَنَ استمرار قدرة النظام التوزيعية الضعيفة ، وساهم بقوة في تحويل الطبقة المحرومة (المسلمة بغالبيتها) إلى طبقة راديكالية»[١٠٩] .

على الرغم من أن حزب الله بإنشائه المؤسسات الخدماتية كـ «مؤسسة الشهيد» (١٩٨٣) و«جهاد البناء» (١٩٨٤) و«الهيئة الصحية الإسلامية» (١٩٨٥) و«جمعية الإمداد» (١٩٨٧) ، أثبت عملياً أن لديه اهتماماً كبيراً بإزالة الفقر والحرمان عن محرومي لبنان وبخاصة الشيعة منهم ، إلا أن هذا النوع من الخدمات كان دائماً يصب في خانة الهدف الأساسي للحزب ، أي ضمان استمرارية النضال والمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي .

مع أخذ الحقائق آنفاً في الاعتبار ، ما من شك في أن فقدان العدالة الاجتماعية ، لعب دوراً في توجه حزب الله الراديكالي ، لكن مراجعة الأدبيات السياسية لحزب الله ، تُظهر أن هذا الحزب في آثاره وطروحاته في الثمانينات ، أعطى قيمة ضحلة لموضوع الظلم الاجتماعي وفقدان العدالة ، ففي رسالته المفتوحة (بيانه السياسي في الثمانينات) ، لم يشر إلى موضوع الفقر والظلم الاجتماعي ، إلا في حملته على النظام الرأسمالي الغربي . يقول الباحث اللبناني «شبلي الملاط» عن عدم التزام حزب الله

١٠٨- إميل ساحلية ، م . س . ص ص ١٤ و١٥ و٣٢ .

١٠٩- هلال خشان : **الإسلام والعصر الحديث** ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث (بيروت ، ١٩٩٨) ، ص ١٠ .

بنظام اقتصادي محدّد : «وراء عموميات العدالة الاجتماعية التي أصبحت مزروعة في أية فرضية مسلمة تتعلق بمظالم الناس ، يبدو الالتزام بالتغيير الاجتماعي غير دقيق ، إلى درجة أنه محصور ضمن حدود مقدمة الدعوة إلى التغيير الدستوري»[١١٠] .

من ناحية أخرى ، لم يكن موضوع الحرمان وفقدان العدالة الاجتماعية ، مقتصراً على مرحلة الحرب اللبنانية الأهلية ، بل كان موجوداً قبلها وبعدها وإلى اليوم ، ولا يعاني منه شيعة لبنان وحدهم ، وقد اشتد هذا الحرمان اليوم مقارنة بمرحلة الحرب الأهلية ، ومنذ التسعينات صار التفاوت الطبقي بين الأغنياء ومعظم أبناء الشعب اللبناني أعمق مما كان عليه في السابق . ففي أواخر مرحلة الحرب الأهلية ، كان الدولار الأمريكي يعادل ثلاثمائة ليرة لبنانية ، أما اليوم فيساوي ألفاً وخمسمائة ليرة . في العام ١٩٩٨ ، أعلنت إحدى مؤسسات الدراسات الاقتصادية في لبنان ، أن خط الفقر في لبنان يعادل سبعمائة دولار شهرياً في حين أن أكثر الموظفين والعمال اللبنانيين ، كانوا يتقاضون بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ دولار شهرياً . إذا أخذنا في الاعتبار أن الحرمان في لبنان قد ازدادت حدّته بعد الحرب الأهلية ، وإذا كان هو السبب الرئيسي وراء توجه حزب الله نحو الراديكالية ، معنى ذلك أن هذا الاتجاه كان يجب أن يقوى لدى الحزب في التسعينات ، ولكن ذلك لم يحدث ؛ لذلك لا يمكن اعتبار فقدان العدالة الاجتماعية والحرمان ، السبب الرئيسي وراء توجه الحزب الراديكالي ، ويجب اعتباره فقط عاملاً فرعياً ومساعداً .

٤- تدخل الدول الغربية في لبنان

حين عرضنا إطاراً نظرياً ، للأعمال الجماعية للمجموعات الإسلامية في البحث النظري من هذه الدراسة ، ذكرنا أن تدخل القوى الغربية ودعمها للحكومات المحلية

110- Chibli Mallat, *Shi'i Thought From The South of Lebanon* (Oxford, GB: Center for Lebanon Studies, 1988), p. 42.

في الشرق الأوسط ، ودفاعها عن السياسات القمعية لهذه الحكومات ضد الحركات الإسلامية ، كان له تأثير قوي في إقدام هذه الحركات على الأعمال الجماعية العنفية ، وتغذية الاتجاه الراديكالي بين المجموعات الإسلامية . . .

بعد الاجتياح الإسرائيلي العسكري للبنان في حزيران من العام ١٩٨٢ ، شكّلت أربعة بلدان هي أميركا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا - بإرسالها نخبة مختارة من قواتها - القوة المتعددة الجنسيات لمراقبة خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان ، وبعد أن تم خروج هؤلاء من لبنان ، تركت القوات المتعددة الجنسية لبنان أيضاً ؛ لكن بعد مقتل بشير الجميل ، ومجزرة «صبرا وشاتيلا» التي جاءت بُعيد ذلك ، عادت تلك القوات إلى لبنان في تشرين الأول ١٩٨٢ ، بذريعة إحلال الأمن وإعادة النظام والقانون . لكن المهمة الحقيقية لهذه القوات ، كانت دعم أمين الجميل ، وتمهيد الأرضية الأمنية الملائمة لتوقيع معاهدة سلام بين لبنان وإسرائيل ؛ وقد سعت القوات الإيطالية والإنجليزية جاهدة لتبقى على الحياد في الصراع الطائفي ، لكن القوات الأميركية والفرنسية عملت جهاراً وعلانية لمصلحة المسيحيين الموارنة ، بحيث أن مدافع المدمرة «نيوجرسي» والطائرات الفرنسية قامت بقصف المناطق السكنية في جنوب بيروت والبقاع ، وقد كتب المراسل الصحفي الأميركي المعروف «روبين رايت» حول هذا الموضوع : «إن استخدام مدفعية المدمّرة نيوجرسي في لبنان ، قوبل كعمل ينطوي على التحدّي والاستفزاز ، والذرائعية ، وهذا ما يعتقد به أيضاً الأميركيون المقيمون في بيروت (كانت كل قذيفة من القذائف التي تطلقها مدفعية هذه المدمّرة تزن ١٥٥ كلغ ، ويبلغ مداها ٣٠ كلم) ؛ وقد أرسل اثنان من أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، رسالة إلى صحيفة نيويورك تايمز ، حادّة اللهجة ، موجّهة إلى ريغان ، ومما جاء فيها :

«السيد ريغان! السيد شولتز . إسمحوا لنا أن نقول لكم الحقيقة بصراحة ووضوح . إن السبب المباشر لإراقة دماء الضحايا الأميركيين ، مؤخراً في بيروت ، هو قذائف مدفعية المدمرة نيوجرسي التي قُصفت بها بيروت . إن الإرهاب لا يأتي من الفراغ ، أو من العدم ، ولا يتوجد دون أن يكون له منطقه الخاص ، وهذا المنطق يمكن أن يكون له حتماً عواقبه ، بحيث أن الإنسان

يصبح مستعداً للوقوف أمام فوهة المدفع . لطفاً ، أعيدوا نيوجرسي إلى أميركا ، أو على الأقل وجهوا الأوامر إلى هذه السفينة أن لا تقصف المدن ، نحن لا نريد حماية هذه السفينة للأميركيين ، فأعمالها ليست مشرّفة ، وهي بالنسبة إلينا عارٌ ما بعده عار»[١١١] .

«أوغسطس ريتشارد نورتون» ، الباحث الأميركي الذي خدم في قوات حفظ السلام الدولية في لبنان ، وهو اليوم أحد الأكاديميين المعدودين المختصّين في أميركا بقضايا حزب الله ، يقول :

«يجب الاعتراف أن منفّذي العمليات الانتحارية [الاستشهادية] يشكّلون قسماً من قوة عظيمة . أما بصدد الإرهاب ضد الأميركيين ، فالمسألة مرتبطة بكون الولايات المتحدة الأميركية قد عرفت دائماً كعدو للعرب ، ومشاعر العداء لأميركا تتزايد يوماً بعد يوم وتصبح أشد خطورة ، . . نحن لا يجب أن نعدّ مبدأ عمل الإرهابيين خطأ ، ونقوّمه سلباً ، فالأصوليون الإسلاميون ، يعتبرون عملياتهم العسكرية ردّة فعل تجاه العدو ، الذي بدأ هو بالاعتداء بحسب اعتقادهم . إن أصوليتهم لا تنبع من عشقهم للعنف ، بل ثورتهم موجهة ضد التسلط والهيمنة الأجنبية»[١١٢] .

إن عداء حزب الله للغرب ، وبخاصة أميركا وفرنسا ، خرج إلى العلن في مرحلة مبكّرة ، ففي ذلك التاريخ لم يكن الحزب يعدّ القوات المتعددة الجنسيات قوات سلام ، وإنما كان ينظر إليها - لدعمها لأمين الجميل - كقوى مؤيدة لإسرائيل ومعادية للإسلام[١١٣] . بناء على ذلك ، ليس هنالك ما يثير التعجب ، أن يتعرض مقر المارينز الأميركيين والمظليين الفرنسيين في بيروت لعمليتين استشهاديتين ، أسفرتا عن عدد كبير من القتلى والجرحى . قال كمال الصليبي المؤرخ اللبناني المعروف عن هذا الموضوع : «إن أميركا ترى نفسها اليوم في مواجهة ثورة حقيقية ، إن هؤلاء الأفراد ، راضون بأنهم مجهولون ، ورضاهم الداخلي هو في رؤية كيف سيهزم ريغان

١١١- روبين رايت ، م .س . ص ص٧٦ - ٧٧ .

١١٢- م .ن . ص ص ١٦٦-١٦٧ .

113- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.53.

ويستسلم»[١١٤] . لقد أعلن الموقف الرسمي لحزب الله بشأن تواجد القوات الغربية في لبنان على النحو التالي : «لا للنفوذ الاستعماري في بلادنا ، بأي وجه كان ، وتحت أي شعار»[١١٥] .

وقال كذلك «الشيخ محمد يزبك» أحد علماء الدين المهمّين في حزب الله ، وعضو شورى الحزب أيضاً ، في خطبة له في مدينة بعلبك ما يلي : «إن حزب الله يسعى إلى زلزلة سلطة أميركا وعظمة فرنسا»[١١٦] . ويعتقد حسن فضل الله بأن «العمليات ضد الأميركيين صارت تكتسب شعبية مماثلة للعمليات ضد الإسرائيليين . . . فهم جاؤوا من وراء البحر ليدعموا سلطة طائفية ، وليساهموا إلى جانب الاحتلال الإسرائيلي . . . وكان عليهم تحمّل تبعات ذلك ، وما دام كل شيء مباحاً بالنسبة إلى الغرب في هذا الصراع . . . فإن ردّة الفعل إتخذت في بعض الأحيان شكلاً قاسياً سواء على المستوى المباشر كالعمليات العسكرية ، أو غير المباشرة التي تمثل بحرب الرهائن»[١١٧] .

تبيّن لنا من الوقائع المذكورة آنفاً ، أن تدخّل القوات الغربية المتعددة الجنسيات لمصلحة الميليشيات المسيحية ، ولإيجاد مظلة أمنية لتوقيع معاهدة السلام بين لبنان وإسرائيل ، كان عاملاً مهماً وراء اتجاه حزب الله الراديكالي . لكن الواقع الذي لا يمكن إغفاله ، هو أن القوات المتعدّدة الجنسيات خرجت في النهاية في شتاء العام ١٩٨٤ من لبنان ، وأمين الجميل بإلغائه لاتفاق ١٧ أيار اختار الاقتراب من سوريا والابتعاد عن إسرائيل . لكن على الرغم من ذلك لم يخف موقف حزب الله الراديكالي وإنما ازداد حدّة ، واستمر حتى نهاية الثمانينات . بناء على ذلك ، فإن

١١٤- روبين رايت ، م . س . ص ٢٤ .

١١٥- حسن فضل الله ، م . س . ص ١٨٠ .

١١٦- السفير ، ١ كانون أول ١٩٨٣ .

١١٧- حسن فضل الله ، م . س . ص ٧٢ .

تدخل القوات الغربية في لبنان كان فقط عاملاً فرعياً ومساعداً في اتجاه حزب الله نحو الراديكالية .

٥- الحرب الباردة والنزاعات الإقليمية

شهد العقد الثامن الميلادي إستمرار الحرب الباردة بين القوتين العظميين ، وانقسام العالم إلى معسكرين ، لقد دفع التنافس والعداء أميركا والاتحاد السوفياتي أن يلجأ كل منهما لزعزعة نفوذ خصمه وتهديده ، إلى دعم ومساندة المجموعات والحركات المعارضة في البلدان الواقعة تحت سيطرة الآخر . وهذا الأمر أكثر بروزاً في استراتيجية الاتحاد السوفياتي ، الذي كان باتكائه على الإيديولوجية الشيوعية ، يمكنه بسهولة أن يوجد تنظيمات ومجموعات ثورية ، ولهذا السبب شهد العالم على مدى عقود النشاطات الثورية والراديكالية لمجموعات مثل «بادر ماينهوف» في ألمانيا الغربية (سابقاً) ، و«الألوية الحمر» في إيطاليا و«الجيش الأحمر» الياباني ، ومجموعة «كارلوس» ، والمجموعات الفدائية الفلسطينية التي تحولت إلى تنظيمات ، وكانت تُقدِم باستمرار على أعمال كخطف الطائرات ، واحتجاز الرهائن ، وزرع المتفجرات ، وتنفيذ الاغتيالات . . . لقد كانت هذه المنظمات ناشطة لمدة طويلة ، وعلى الرغم من مساعي أميركا المستمرة لإدانة الإرهاب في العالم ، لكن الرأي العام العالمي لم يكن موحداً بهذا الشأن ، لذلك فإن أعضاء هذه التنظيمات كانوا أحياناً بعد تنفيذ عملياتهم ، يطلبون اللجوء إلى أحد بلدان العالم الثالثة الدائرة في فلك الاتحاد السوفياتي ، فينجون من المحاكمة والإدانة ، ويتحولون بعد ذلك إلى «أسطورة» ثورية ، كما هو حال «كارلوس» .

لقد مهّد مناخ التنافس هذا بين القوتين العظميين ، الأرضية لنشاط المجموعات الإسلامية الراديكالية ، وهذه المجموعات على الرغم من عدائها للمعسكرين إستطاعت أن تحظى بفرص لتنفيذ أعمال ثورية وراديكالية . يقول «ستيفين بلتيير» بهذا الصدد : «من أجل أن نفهم الأصولية يجب علينا أن نعود إلى السبعينات وإلى

مرحلة الحرب الباردة ؛ إذاً الحركة الأصولية نجمت عن الصراع بين القوتين اليمينية واليسارية ، وهذا الظرف الخاص – كونها ناتجة عن الحرب الباردة – كان العامل الأساسي في بلورة نشأتها»[١١٨] .

من ناحية أخرى فإن الصراع العربي – الإسرائيلي كان له دور أيضاً في اتجاه المجموعات الإسلامية – العربية وبخاصة حزب الله اللبناني نحو الراديكالية . إن وصول حالة الصراع العربي – الإسرائيلي إلى طريق مسدود في الثمانينات بسبب الحرب الباردة ، جعل من شعار تحرير فلسطين والقدس الشريف ، عاملاً من العوامل المجيّشة للرأي العام في العالم العربي بخاصة وفي العالم الإسلامي بعامة ، ضد إسرائيل . هذا الوضع الحسّاس ، هيّأ الأرضية الملائمة للمجموعات الإسلامية ، وهذه المجموعات بوضعها شعار «فلسطين» و«القدس» على رأس أولوياتها ، وجّهت عنفها السياسي ضد مخالفي هذا الشعار .

وكان لحرب العراق على إيران بدورها تأثير خاص على حزب الله ، فعلى الرغم من دعم عدد من الدول العربية للعراق ، وتحريض الرأي العام العربي لتأييد العراق ومعاداة إيران ، لكن حزب الله اللبناني نظراً إلى أفكاره وإيديولوجيته ، أيّد إيران وسعى قدر الإمكان إلى ضرب مصالح العراق والدول الداعمة له في العالم العربي وكذلك في الغرب . وهكذا كان حزب الله مستعداً لاستخدام أي نوع من أنواع العنف السياسي دعماً لإيران .

إذاً كان للحرب الباردة والصراع العربي – الإسرائيلي ، وحرب العراق على إيران دور مؤكّد في توجه حزب الله نحو الراديكالية ، لكن ، هل كانت هذه العوامل هي العوامل الأساسية وراء هذا التوجه؟ يجب القول في الإجابة : إن الحرب الباردة وإن

118- Stephen Pelletiere, ***A Theory about Fundamentalism: Hizbollah of Lebanon*** (Carliste, P.A.: The Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, Sep. 1995), p.6.

كانت قد مهّدت الأجواء المناسبة ، لاستخدام العنف السياسي ، لكن في الثمانينات ، حدث تطوران غيّرا نظرة الاتحاد السوفياتي واستراتيجيته : الأولى ؛ وصول غورباتشف إلى السلطة في العام ١٩٨٥ والثاني ؛ خروج الاتحاد السوفياتي مهزوماً من «المستنقع الأفغاني» . إن الحرب بين الاتحاد السوفياتي والجماعات الإسلامية الأفغانية التي كانت مدعومة من أميركا ، جعلت الاتحاد السوفياتي يشعر بالخطر من نمو الجماعات الإسلامية ، وبخاصة أن أعداداً كبيرة من المسلمين تعيش في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز السوفياتية ؛ وكان لديها استعداد كبير للتأثر بشعارات المجموعات الإسلامية . كما أن أفكار غورباتشوف وتوجهاته المتعلقة بتحسين علاقات الاتحاد السوفياتي بالعالم الغربي ، وتفاقم المشاكل الاقتصادية التي أنهكت السوفيات في نهاية الثمانينات ، دفعت هذه القوة العالمية العظمى ، وبلدان المعسكر الشرقي بالتدريج إلى تقليص دعمها للمجموعات الثورية والراديكالية .

أيضاً فإن الصراع العربي – الإسرائيلي بعد اتفاقية «كامب دايفيد» ، وخروج مصر من المعسكر العربي ، أصبح موضوعاً مجمداً أو في الرمق الأخير ، وكانت أحياناً تطرح بعض الخطط ، كخطة «فاس» ومشروع «الملك فهد» وخطة «ريغان» وغيرها ، لتمهيد الأرضية لتحقيق السلام وتطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل . أجواء التسوية والمحادثات هذه ، جعلت «القضية الفلسطينية» تفقد ألقها الثوري ، وقدرتها التحريضية إلى حد كبير حتى نهاية الثمانينات .

كذلك فإن حرب العراق على إيران ، على الرغم من تأثيرها الكبير في مواقف وممارسات حزب الله الراديكالية ، إلا أن توقفها لم يكن له تأثير فوري على نشاط حزب الله الثوري الراديكالي الذي استمر حتى نهاية الثمانينات ، لأن حزب الله لم ينوجد لدعم إيران في هذه الحرب . وحدث في العام الذي انتهت فيه حرب العراق على إيران ، أن بدأت الحرب بين أمل وحزب الله ، وكانت عنيفة ، لم تتوقف إلا بعد عامين ، بضغط من سوريا ووساطة إيرانية .

إنطلاقاً مما ذكرنا ، يجب القول إن «الحرب الباردة ونظام القطبين» و«الصراع العربي - الإسرائيلي» و«حرب العراق على إيران» ، كان لها كلها تأثير كعوامل فرعية مساعدة في توجه حزب الله نحو الراديكالية ، لكنها ليست العامل الأساسي في هذا التوجه .

٦- السلطة التنظيمية والإطار التنظيمي المغلق

إن «بنية» المجموعات والتنظيمات التي تتشكل بهدف «العمل الجماعي» ، تؤثر تأثيراً مباشراً في كيفية «أعمالها الجماعية» ، فالمجموعات المكوّنة من تنظيم مقفل وأمني ، وأمورها تنجز بصورة سرية وغير علنية ، لديها استعداد أكبر لاستخدام العنف . أما المجموعات التي تتكون من تنظيم منفتح نسبياً ، وقادتها معروفون ، وقراراتها الداخلية تُتخذ بشكل ديمقراطي ، فهي تُبدي رفضاً لاستخدام أعضائها للعنف .

ذكرنا في الفصل الأول من هذا التحقيق (في البحث النظري) ، أن الخلفية الاجتماعية لأعمال العنف ، بحسب نظرية أوپرشال (على عكس نظرية المجتمع الجماهيري) ، هي في وجود التجانس بين أفراد المجموعة ، ومن ثم التنظيم والتشكيل القوي . وهو يرى كسائر منظّري «تعبئة المصادر» ، أن جذور التضامن والعمل الجماعي العنفي على الرغم من كلفته الباهظة تكمن في التنظيم والتشكّل ، ويؤكد بشدة على أهمية التنظيم والتأطير «كعامل انتقال لحجم عظيم من المصالح الفردية ، من طريق المنظمات القائمة والقيادة لتحقيق أهداف المجموعة» .

«تيلي» أيضاً ، في أنموذجه عن التعبئة يصف سلوك أدعياء السلطة ، كمتغير بأربعة خصائص مهمة هي :

١- المصالح (الامتيازات أو مواطن الضعف المشتركة) .

٢- التنظيم (حدّ الهوية المشتركة والبنية الموحّدة للأفراد) .

٣- التعبئة (ميزان المصادر الخاضعة للرقابة الجماعية) .

٤- العمل الجماعي (نسبة العمل المشترك لمجموعة ما في تحقيق أهدافها المشتركة) .

بنظر «تيلي» ، كلما تزايد التهديد ، يتزايد احتمال تشكّل العمل الجماعي العنفي ، وبالتنظيم والتأطير الأقوى ، تتزايد إمكانية اجتذاب المصادر للمجموعات الطامحة إلى السلطة . وعلى هذا النحو فإن المجموعة التي تحظى بالتنظيم الأقوى والأكثر انسجاماً ، حين تجد نفسها في مواجهة التهديد الأمني أو العسكري ، تكون لديها بسبب المصالح المشتركة والتنظيم القوي ، قدرة أكبر على التعبئة ، لذا تلجأ إلى استخدام العمل الجماعي العنفي بسهولة .

بناء على نظرتي أوپرشال وتيلي ، كان لدى حزب الله في الثمانينات بسبب وضعه التنظيم والقيادي الخاص ، إستعداد أكبر للتوجه باتجاه الراديكالية واستخدام العنف السياسي . لقد دخل حزب الله اللبناني الساحة ، وخطا أولى خطواته في أجواء عسكرية - أمنية شديدة الخطورة ، وكان مهدداً من الأعداء في الخارج ومن الخصوم في الداخل ، لذلك إختار لنفسه مرغماً تنظيماً مقفلاً وسرياً . يقول مسؤول أمني بارز في حزب الله ، في توصيفه لهذه الأجواء العسكرية والأمنية التي كانت مخيّمة أيضاً - حتى قبل ولادة حزب الله - على الشخصيات الإسلامية اللبنانية :

«كان فرع «حزب الدعوة» في لبنان ، أقوى فروع هذا الحزب خارج العراق ، لهذا السبب ، كان العراق يبحث عن معارضيه في لبنان ، وكان يقوم باغتيالات وأعمال إرهابية ضدهم ، لكن التوفيق لم يحالفه ، وهذا ما دفع بعض المؤمنين درءاً للخطر العراقي ، إلى تشكيل تنظيم أمني للمحافظة على الشخصيات الشيعية في لبنان . وقد كان للبعث العراقي في ذلك الحين نفوذ كبير في المناطق الشيعية ، وحتى ذلك الحين لم يكن لحزب الله من وجود . في عام ١٩٨٠ بدأت المواجهات بيننا وبين حزب البعث العراقي ، ولأن أحداً لم يكن يعرفنا ، تمكّنا من القضاء على هذا الحزب ، كذلك أزيلت سفارة العراق من الوجود ، بواسطة عملية

استشهادية. لذلك خرج البعثيون العراقيون من لبنان»(١١٩).

وكما وضّحنا في الفصل السابق، فإن حزب الله أعلن عن وجوده بعد عامين ونصف من نشأته. وكان في هذه الحقبة يعمل بصورة شبه سرية، وكانت تسيطر عليه الاعتبارات الأمنية والعسكرية، وبهذا الصدد يقول الشيخ نعيم قاسم، نائب الأمين العام لحزب الله: «في البداية كنا نعمل، ونركّز على سرية عملنا بالكامل، لأننا كنا في طور النشأة، وهذا يتطلب تشكيلاً يختلف عن تشكيل فيه إعلام واتصالات سياسية، وعلاقات مع الآخرين»(١٢٠)؛ وأضاف في مكان آخر: «... إستنتجنا في النهاية أننا بحاجة إلى هيكل تنظيمي ثابت إلى حد يمكّنه من الحؤول دون تسلل العدو، ومرن - في الوقت نفسه - إلى حد يسمح باجتذاب وضمّ أوسع قطاع ممكن من الشعب دون الاضطرار إلى المرور في عملية الشريط الأحمر البيروقراطية الطويلة...»(١٢١). «هذه البنية التنظيمية المحكمة كانت تسمح لحزب الله بالولوج في نشاطات سرية»(١٢٢).

أدت سرية تنظيم حزب الله أو سريته الجزئية أن لا تكون طريقة انتخاب قادة الحزب، وأسلوب اتخاذ القرارات، على أساس الانتخابات ومشاركة جميع الأعضاء. ففي الثمانينات إنتخب الكادر القيادي لحزب الله بدعم الإمام الخميني (ره) وتأييده لمدّة سنة، وبعد انقضاءَ السنة الأولى، كان تشكيل الكادر القيادي يتجدد، إما بتعيين أعضاء جدد، أو بالتجديد للأعضاء السابقين أنفسهم، أو باستبدال بعضهم بعناصر جديدة(١٢٣). لكن لم يتسرب أي خبر عن هذه التغييرات السنوية لوسائل

١١٩- مقابلة خاصة مع مسؤول أمني بارز في حزب الله، ١/٤/١٩٩٧.
١٢٠- مقابلة أجراها طوني عبد الله وسامي الحسين مع الشيخ نعيم قاسم، السفير، تشرين الأول ١٩٩٥
121- Hala Jaber, *Op. Cit.*, p. 163.
١٢٢- إميل ساحلية، م.س. ص ٢٥.
١٢٣- أحمد الموسوي، م.س. العدد ٢٢، ص ٢٠.

الإعلام، وبقي قادة الحزب مجهولين حتى نهاية الثمانينات.

من ناحية أخرى، كان لوجود شخصيات راديكالية في شورى قيادة الحزب، دور في توجه هذا الحزب باتجاه الراديكالية. وكان الشيخ «صبحي الطفيلي» من أكثر شخصيات حزب الله تشدداً، وهو الذي استمر طيلة الثمانينات عضواً في شورى قيادة الحزب، وقد انتخب في أواخر الثمانينات أول أمين عام للحزب بعد استحداث هذا المنصب. «لقد كان الشيخ صبحي الطفيلي يتمتع بشخصية صلبة متشددة، وهذه الصفات كانت ضرورية لحزب الله في خطواته الأولى لعرض عضلاته مقابل التنظيمات الأخرى. كانت خصوصية شخصية الطفيلي هذه، هي التي مهّدت شروط تشكّل تنظيم حزب الله بهدف مقاومة إسرائيل عسكرياً، قبل أي نوع من الحوار السياسي أو التضامن أو التحالف، وهذا ما كان يحتاجه الحزب، كحزب جديد وفتي ومعظم عناصره لما يبلغوا العشرين من عمرهم، خطا أولى خطواته في ساحة الحرب والمواجهة المباشرة، بعد اجتياز دورة واحدة من التدريب العسكري، وقد منحته شخصية الطفيلي مناخ العنف الذي كان يحتاجه»(١٢٤).

وهكذا فإن السلطة التنظيمية، وغلبة الجانب الأمني - العسكري على تنظيم حزب الله، وكذلك شخصية قائده لعبت دوراً حاسماً في توجهه الراديكالي. لكن ما لا يجب أن يغيب عن البال هو أن حزب الله قد تشكل من اندماج عدد من المجموعات الإسلامية - الشيعية الصغيرة، التي كانت تعمل منفردة. هذه المجموعات المختلفة، على الرغم من اتفاقها على القضايا المحورية والأساسية، كان لديها في كثير من المسائل الفرعية آراء مختلفة وأحياناً متناقضة. أدّى الاختلاف في وجهات النظر هذه، إلى أن يقدم أحياناً جهاز الأمن في حزب الله على ممارسات راديكالية، دون أن يكون الجناح السياسي مطلعاً عليها. وعلى سبيل المثال «كانت الشورى (شورى القرار في حزب الله) تسمع بأنباء خطف [الرعايا الغربيين] من وسائل الإعلام. وعندما كانت تراجع

١٢٤- أحمد الموسوي، م.س. العدد ٢١، ص ١٦.

في موضوع الرهائن، أو يحاول أحد الضغط عليها، يأتي جوابها واضحاً منذ البداية! أنه لا علاقة لها بالأمر، ولا تعرف تفاصيل الموضوع. وهذا ما اقتنع به المعنيّون بعد مرور الوقت على عمليات الخطف»[١٢٥].

من ناحية أخرى، في الوقت الذي كان بين قادة حزب الله أشخاص كالشيخ صبحي الطفيلي، راديكاليين ومتشددين، كان يوجد كذلك في شورى القيادة شخصيات، كالسيد عباس الموسوي والسيد حسن نصر الله والشيخ نعيم قاسم وآخرين، يؤمنون بالواقعية وبالحوار، واستخدام الإمكانات السياسية أيضاً لتحقيق الأهداف (سيتم التطرق بالتفصيل إلى هذا الموضوع في الفصل الخامس)؛ بناء على ذلك، فإن شورى قيادة حزب الله لم تكن مقتصرة على الوجوه المتزمّتة والراديكالية.

انطلاقاً من الوقائع المذكورة أعلاه، يتبين أن قدرة الحزب التنظيمية وإطاره التنظيمي المغلق، كان لهما تأثير ثابت في توجه حزب الله الراديكالي، ولكنهما لا تعدّ العامل الأساسي والأصلي وراء هذا التوجه.

٧- تعاليم الثورة الإسلامية

في البحث النظري (في الفصل الأول) من هذه الدراسة، ذكرنا أن «ماكس فيبر» بالنسبة إلى موضوع العمل الاجتماعي يقيم وزناً خاصاً للنظام العقائدي وللأفكار، ويرى أن لها دوراً مهماً. ويرى أن بنية العمل الجماعي تنبع بصورة إجمالية، من الالتزام المبدئي لأعضاء تلك الجماعة، بنوع خاص من النظام العقائدي، وللعقائد منطقها الخاص وقوتها الخاصة. بناء على ذلك فإن العمل الجماعي (العنفي أو السلمي)، هو بنظر «فيبر» نتيجة الالتزام بنظام عقائدي خاص. كذلك فإن «أوبرشال» يعتقد أن الخلافات الاجتماعية، إذا كانت منطلقة من المثل والقيم تكون أشد من غيرها من الخلافات وتنظيمها أصعب، لأن حل أي نوع من أنواع الخلافات لا

١٢٥- حسن فضل الله، م. س. ص ٧٦.

يمكن أن يأتي لمصلحة الطرفين.

يجدر بنا الآن أن نطرح السؤال التالي: كيف تأثر حزب الله اللبناني، وإلى أي حد بنظام القيم، والنظام العقائدي للثورة الإسلامية الإيرانية، وماذا كان تأثير تعاليم الثورة الإسلامية الإيرانية في توجه حزب الله نحو الراديكالية؟

إن الحضور المكثّف لإيران في لبنان بعد الاجتياح الإسرائيلي في حزيران من العام ١٩٨٢، مهّد الأرضية لاندماج مجموعات إسلامية شيعية صغيرة، وتأسيس تنظيم موحّد باسم حزب الله اللبناني؛ وقد أظهر هذا التنظيم إستعداده الفائق، لاستيعاب تعاليم الثورة الإسلامية والإيمان بقيمها، وبرز في مدة قصيرة كأحد أهم إنجازات سياسة «تصدير الثورة». فقد كان حزب الله يحمل الإيديولوجية نفسها، التي حملت الثورة الإسلامية رسالتها، «وهو ما يفسّر لنا نظرة إيران إلى حزب الله، كرأس حربة في المعركة ضد إسرائيل»[١٢٦]. ويرى الإيرانيون في حزب الله امتداداً طبيعياً للثورة الإسلامية، ويتوقّع أن يكون ثمن إيقاف الدعم عن الحزب باهظاً جداً بالنسبة إلى الإيرانيين[١٢٧].

كانت الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعتقد في ما يخص تواجدها في لبنان في العام ١٩٨٢، أن هذا التواجد سيكون أول نقطة تماس مباشرة بين الثورة الإسلامية الإيرانية وأكبر طائفة شيعية في العالم العربي بعد العراق، وستلعب إيران بعد ذلك الدور القيادي في إدارة أمور هذه الطائفة، وستجعل من شيعة لبنان قاعدة انطلاق لتوسيع نفوذها في قلب الصراع العربي - الإسرائيلي. لقد استطاعت إيران من طريق تواجدها في لبنان أن تتقدم في مجال توسيع حدودها الجيو - سياسية التي قلّصتها حرب العراق عليها، وفي استمالة مجموعات أكبر في العالم العربي والتأثير فيها. يقول «ماغنوس رانستورب» في هذا الصدد: «كأنجح مثال على تصدير إيران للثورة

126- Raymond Tanter, ***The Peace between Syria and Israel*** (Michigan: The University of Michigan, Spring 1997), p.111.
127- Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p. 40.

الإسلامية ، تمكن حزب الله من تقديم فائدة كبيرة للإيرانيين في ساحة السياسة الخارجية . ففي الوقت الذي لعب دوراً حيوياً في تزويد إيران بمقومات ترجمة رسالة الثورة الإيرانية ونشرها بين جماهير العالم الإسلامي ، وفّر للإيرانيين إمكانية المشاركة في الصراع العربي – الإسرائيلي»(١٢٨) .

إن قياديي حزب الله وأعضاءه يعترفون بتأثير الثورة الإسلامية هذا في الساحة السياسية في لبنان ، ويفاخرون بذلك . يقول السيد إبراهيم أمين السيد ، الناطق الرسمي باسم حزب الله في الثمانينات : «إن تصدير الثورة لا يعني تسلّط النظام الإيراني على شعوب منطقة الشرق الأوسط ، وإنما المفروض أن تعيش المنطقة الإسلام من جديد ، فيكون الإسلام هو المسيطر على هذه الشعوب»(١٢٩) . ويقول السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله أيضاً جواباً عن سؤال وجه إليه عن ماهية الخط الفكري والسياسي للحزب :

« . . . لذلك فإن الإسلام بالنسبة إلينا هو دين في المسجد وفي المدرسة وفي الشارع وفي الدولة وفي موسساتها . وهو دين في المجتمع ، وقادر على الثورة ، وعلى بناء الدولة . . . . إن الإسلام قادر في أصعب الظروف وفي أصعب التحديات على إحداث ثورة وبناء دولة ، وهو ما حصل في إيران في العصر الحديث لئلا نتكلم عن التاريخ»(١٣٠) .

وعن علاقة إيران بشيعة لبنان يقول «السيد إبراهيم أمين السيد» : «نحن لا نقول إننا جزء من إيران ، نحن إيران في لبنان ، ولبنان في إيران»(١٣١) . ويقول الشيخ «حسن طراد» أحد علماء الدين عن هذا الموضوع : «إن إيران ولبنان أمة واحدة ووطن واحد ، وكما يقول أحد كبار علماء إيران : نحن ندعم لبنان سياسياً وعسكرياً ، كما

128- Magnus Ranstorp, *Op. Cit*, p. 192.

١٢٩- **العهد** ، العدد ٨ ، ٢١ذي القعدة ١٤٠٤هـ (١٧آب/ ١٩٨٤) .

١٣٠- ملحق جريدة **النهار** ، ٤ تشرين الأول ١٩٩٥ .

١٣١- **النهار** ، ٥ آذار ١٩٨٧ .

ندعم إحدى محافظات إيران»(١٣٢) . ويقول الشيخ «علي ياسين» أحد علماء الدين الناشطين في حزب الله : «لو لا نجاح الثورة في إيران ، لكانت الحالة الإسلامية في لبنان تحتاج إلى ما لا يقل عن خمسين سنة لكي تصل إلى الحال التي هي عليها اليوم»(١٣٣) .

لقد كان تأثر حزب الله بقيم الثورة الإسلامية وتعاليمها واسعاً وسريعاً ، بحيث غيّر في مدة قصيرة نسبياً وجه المناطق اللبنانية التي تقطنها غالبية شيعية ، ويذكر المراقبون الذين كانوا قد رأوا لبنان قبل الحضور الإيراني فيه ، بكثير من التعجب التغيير والتحوّل الذي أصابه . يقول «محمد الخنسا» ، أحد كوادر حزب الله القدماء : «لقد طرحنا الإسلام كما كان قد طُرح في طهران ، واستخدمنا الشعارات نفسها ، وارتدينا الثياب نفسها»(١٣٤) . وتقول السيدة هلا جابر : «لقد بدأت النزعة إلى ارتداء «التشادور» تنمو بعد العام ١٩٨٢ (بُعَيْد ولادة حزب الله) ؛ وهي لم تكن شائعة من قبل حتى لدى النسوة الأكثر التزاماً في لبنان»(١٣٥) . ويقول «مارتن كريمر» أيضاً :

«للوهلة الأولى ، قد يصعب على المراقب غير المتمرس ، أن يميّز بين تظاهرة يقوم بها حزب الله في بيروت أو البقاع ، وبين تظاهرة مشابهة تجري في طهران ؛ إذ أنه من ناحية التأثر بالطراز ، على صعيد الزي الخارجي والمظهر الشخصي على سبيل المثال ، يلاحظ أن النموذج الإيراني له تأثير قوي وبديهي على عناصر حزب الله ، لكن التقليد يتعدّى الحدود إلى الرموز الظاهرية»(١٣٦) .

تشير هذه التصريحات إلى الحد الذي بلغته رسالة الثورة الإسلامية وقيمها وتعاليمها ، من التغلغل في أرواح شيعة لبنان وفي نفوسهم وغيرتهم ، ومهّدت

١٣٢- **النهار** ، ١١ كانون أول ١٩٨٦ .

١٣٣- **العهد** ، العدد ٨٨ ، ١٩جمادي الثاني ١٤٠٦هـ (٢٨ شباط/ ١٩٨٦) .

١٣٤- **مقابلة** مع «محمد الخنسا» ، ٢٧/٣/١٩٩٧ .

135- Hala Jaber, *Op. Cit*, p. 161.

136- Martin Kramer, *"The Pan-Tslamic of Hizballah"*, p. 53.

الأرضية لاعتناق رسالة الثورة الإسلامية السياسية .

إن تأثر حزب الله شكلاً ومضموناً بإيران ، كان دافعاً لأن يُنظر إليه ، في المحافل اللبنانية الداخلية ، وكذلك في المنطقة والعالم كـ «حزب إيراني» ، وكانت التهمة التي توجه إليه باستمرار أنه «صناعة الإيرانيين وصنيعتهم» . ففي مناسبة الذكرى الثانية عشرة لتغييب الإمام موسى الصدر ، شكك رئيس حركة أمل «نبيه بري» ، والمنافس القديم لحزب الله بلبنانية الحزب و«تجمع العلماء المسلمين» ، وقد قال صراحةً : «إن هذه المجموعات والتجمعات إيرانية كلها»[١٣٧] ؛ هذه التهمة يرفضها المحققون والباحثون الغربيون على الرغم من اعترافهم بتأثر حزب الله الشديد بإيران . يعتقد «رانستورپ» بأن التعبئة السياسية للمجتمع الشيعي اللبناني حدثت خلال المراحل التي سبقت الثورة الإسلامية الإيرانية ، ويقول : «من الخطأ - كما أشار ريتشارد نورثون- أن نفترض أن الشيعة برزوا في الساحة اللبنانية في العام ١٩٨٢ ، كإبداع إيراني فحسب ، على الرغم من الاعتراف بأن إيران لعبت دوراً حاسماً في نشوء حزب الله»[١٣٨] . ويقول المحلل الأميركي «ستيفن بللتيير» : «صحيح أن كل المتنسبين إلى حزب الله هم من اللبنانيين ، لكن المنطقة سارت ولا تزال تسير على النهج الإيراني . غير أن ذلك لا يعني أن الحزب خاضع لأوامر إيران بالمطلق ؛ إذ أن الانقسام الذي يعاني منه الإيرانيون ترك له مجالاً معتبراً للمناورة»[١٣٩] .

إن تأثر حزب الله الواسع والمتعدد الجوانب بتعاليم الثورة الإسلامية هو في الواقع العامل الأساسي وراء توجهه باتجاه الراديكالية ، لأن القضية الأهم في استخدام العنف السياسي ، أن الأدلة والبراهين الإيديولوجية والعقائدية ، هي التي توجّه مثل هذه الأعمال ، وتقنع القائم بهذا العمل ، أن عمله ليس عنفاً ولا جريمة ، وإنما هو عمل

١٣٧- **السفير** ، أول تشرين أول ١٩٩٠ .

138- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit***, p. 25.

139- Stephen Pelletiere, ***Op. Cit***, p. 12.

مشروع وصحيح ينجزه خدمة لهدفه السامي . هذا هو الجواب عن الجزء الأول من السؤال الأساسي لهذه الدراسة المبني على أن حزب الله اللبناني في الثمانينات بسبب تأثره الشديد بتعاليم الثورة الإسلامية وقيمها إتجه إتجاهاً راديكالياً . لكن لتوضيح هذا الجواب توضيحاً أشمل ، يجب دراسة العوامل التي جعلت حزب الله بتأثير تعاليم الثورة الإسلامية أكثر استعداداً للقيام بأعمال راديكالية .

أ - ولاية الفقيه وقيادة الإمام الخميني (قده)

الخصوصية الأساسية لحزب الله مقارنة بالمجموعات الإسلامية الأخرى في العالم العربي ، هي الإيمان المطلق بنظرية «ولاية الفقيه» وزعامة الإمام الخميني (قده) . وتسيطر هذه الخصوصية سيطرة كاملة على جميع القواعد التنظيمية ، وكذلك على آراء حزب الله ، وهي في الواقع أحد السببين الأساسيين ، وراء اندماج المجموعات الإسلامية الصغيرة في لبنان في العام ١٩٨٢ ، التي تشكّل منها حزب الله . ويصرح الحزب في الكتيب الذي أصدره موضحاً فيه تاريخ نشأته ووجهات نظره بما يلي :

« . . . وفي ما يتعلق بولاية الأمر ، نحن نلتزم بولاية المرجعية الرشيدة ، التي يجسدها الولي الفقيه ، الذي تتوافر فيه مجموع الشرائط والمواصفات ، مثل : الكفاءة والعلم والعدالة ، والخبرة والوعي التاريخي ، وحسن الإدارة ، والتقوى ، وما إلى ذلك . . . وإلى صفات الزعامة الدينية ، لا بد لهذه المرجعية أن تكون مرجعية متحركة ، تتصدى لقيادة المسلمين ، ليس عبر الترشيح أو التصويت ، إنما عبر حمل هموم الناس وقضاياهم في الصميم ، ونضالها الدؤوب للدفاع عنها ، وعن مصالح الإسلام وروحه ومعنوياته . وهذه المرجعية ليست لها صفة جغرافية أو مصلحية أو قومية أو غير ذلك ، وإنما هي قضية شرعية محددة في الأطر الشرعية»[١٤٠] .

ويقول السيد حسن نصر الله عن زعامة الإمام الخميني (ره) :

«الإمام الخميني بالنسبة إلينا ، يمثل مرجعاً دينياً وإماماً وقائداً بكل ما للكلمة من معنى ، كما

١٤٠- العلاقات الخارجية لحزب الله ، **حزب الله : النشأة والرؤيا** ، ص ١٩ .

يمثل أي رمز ديني كبير في أي طائفة دينية في العالم . الإمام يمثل ذلك بالنسبه إلينا ؛ ويمثل أكثر من ذلك أيضاً . يمثل رمز الثورة على الطواغيت والمستكبرين والأنظمة المستبدة . لقد بعث الأمل فينا أكثر من رمز ديني ، إنه في الحقيقة ملهم ليس بالنسبة إلينا فقط ، وإنما لكل الشعوب المستضعفة . هذه العلاقة الروحية والمعنوية ، كانت قائمة قبل ١٩٨٢ وقبل أن ينشأ حزب الله»[١٤١] .

وفي حديث للأمين العام للحزب إلى قناة «الجزيرة» سئل : «لماذا تعدّون إيران شريكة في انتصاركم في لبنان؟» قال : «لأن أساس فكرة المقاومة التي بدأت عملها ونشاطها في لبنان ، تعود في عمقها وقوتها ونشاطها وجديّتها إلى الإمام الخميني (قدس سره) . فهو الذي وهب المقاومة كل هذه الأبعاد» . وبعد أن يعدّد أولئك الذين يعدّون موقف المقاومة للجيش الإسرائيلي ، من المنظار العقلي والشرعي مجازفة وانتحاراً ، يقول :

«كانت المقاومة تحتاج أساساً في مشروعيتها الدينية والعقلية إلى شخص يقدم لها المساعدة والدعم والتأييد ، وحتى التأسيس . من هنا ، كان موقف الإمام الخميني ، موقفاً حاسماً من هذه الناحية ، ولم يكن جوابه للأخوة الذين كانوا قد ذهبوا إلى طهران في العام ١٩٨٢ جواباً دينياً فقط . . . فقد قال لهم الإمام ، إن واجبكم الشرعي أن تقاتلوا الصهاينة ، وتجعلوا لبنان مقبرة للمحتلين الصهاينة ، ورسم لهم كذلك أفق التحرك ، وقدّم لهم الحلول للمشكلات المطروحة ، وقال لهم : صحيح ، أنكم مجموعة صغيرة ، ولكنكم ستحققون بالإيمان وبالمجاهدة المستمرة وبالتوكل على الله ، الانتصار الحتمي ، وستهزمون الأعداء»[١٤٢] .

وهكذا أصبح الإمام الخميني المصدر الأول للحاكمية الشرعية في حزب الله ، بحيث أن عناصر الحزب إعتنقوا أفكار الإمام الخميني وكلامه «حرفياً» ونفذوها

١٤١- ملحق صحيفة **«النهار»** ، ٤ تشرين أول ١٩٩٥ .

١٤٢- صحيفة **«بهار»** الإيرانية ، ٢٨/ ٤/ ١٩٩٢ ، نص الحديث الكامل للسيد حسن نصر الله إلى قناة «الجزيرة» (القسم الأول) .

«عملياً» . ويؤكد هذا الموضوع كلام حسين الموسوي (أبو هشام) ، حين يقول : «نحن على المستوى السياسي والديني والعقائدي نتبع عقيدة الإمام الخميني وفكره»[١٤٣] . لهذا السبب يعتبر حزب الله إرتباط الناس بالولي الفقيه من أهم خصوصياته ، وليس من الضروري أن يكون الفقيه لبنانياً ، لأن الأرض والحدود التي يتحرك فيها حزب الله ليست محصورة بلبنان جغرافياً ، وإنما تمتد على امتداد الجغرافيا الإسلامية ، يقول السيد إبراهيم أمين السيد بهذا الصدد :

«نحن لا نستمدّ عملية صنع القرار السياسي لدينا إلا من الفقيه ، والفقيه لا تعرّفه الجغرافيا ، بل يعرّفه القانون (الشرع) الإسلامي . . . فنحن في لبنان لا نعتبر أنفسنا منفصلين عن الثورة في إيران ، وخاصة فيما يتعلق بمسألة القدس ، نحن نعتبر أنفسنا – وندعو الله أن نصبح – جزءاً من الجيش الذي يرغب الإمام في تشكيله من أجل تحرير القدس الشريف . ونحن نطيع أوامره لا نؤمن بالجغرافيا ، بل نؤمن بالتغيير . . .»[١٤٤] .

وبما أن حاكمية الإمام الخميني كولي فقيه ، لا تنحصر بأرض أو بحدود معينة ، فإن أي حدود مصطنعة وغير طبيعية تمنع عمل هذه الولاية ، تعدّ غير شرعية . لذا فإن حزب الله في لبنان يعمل كفرع من فروع حزب الله الواسعة الانتشار ، وهو لا يعدّ نفسه تنظيماً مغلقاً ومحدوداً بل تنظيم «أممي» ، يحمي جميع المسلمين المظلومين ويدافع عنهم ، ويناضل متسلحاً بتوجيهات الإمام الخميني ضد الإمبريالية والاستكبار العالميين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي .

إن الالتزام بالواجب وبإطاعة الأوامر ، ليس سهلاً دائماً ، وبخاصة حين يُفترض أن يُبادر الإنسان إلى أعمال ، تكون الحدود بين شرعيتها أو عدم شرعيتها شديدة الحساسية . لكن مثل هذا الالتزام يمكن أن يتحقق في ظل الإيمان بأن الإمام الخميني

١٤٣- السفير ، ٥ أيار ١٩٨٤ .

144- Martin Kramer, *Op. Cit.*, p.40.

والحركات الإسلامية في لبنان ، بيروت ١٩٨٤ ، مقابلة مع السيد إبراهيم الأمين .

يحظى بـ «الهداية الإلهية» ، ولذلك كان اعتماد حزب الله على قدرة الإمام الخميني الكاريزمية إعتماداً مطلقاً ، يقول السيد حسن نصر الله في توضيحه لهذا الاعتماد المطلق :

«الفقيه هو ولي الأمر زمن الغيبة ، وحدود مسؤوليته أكبر وأخطر من كل الناس ، ويفترض فيه إضافة إلى الفقاهة والعدالة والكفاءة ، الحضور في الساحة والتصدّي لكل أمورها ، حتى يعطي توجيهاته للأمة لكي تلتزم بتوجيهاته . نحن ملزمون باتباع الولي الفقيه ، ولا يجوز مخالفته . فولاية الفقيه كولاية النبي(ص) والإمام المعصوم(ع) ، وولاية النبي والإمام المعصوم واجبة ، لذلك فإن ولاية الفقيه واجبة ، والذي يردّ على الولي الفقيه حكمه ، فإنه يرد على الله وعلى أهل البيت(ع) . . . عندما يأمر الولي الفقيه بطاعة أحد الناس ، ويردّ هذا الأمر ، فهذه معصية للإمام ، فمن أمر الولي الفقيه بلزوم طاعتهم فطاعتهم واجبة»[١٤٥] .

الآراء المذكورة آنفاً ، توضح أن حزب الله كان مستعداً لإنجاز أي مهمة يأمر بها الولي الفقيه ، أو الذين يحملون إجازة تمثيله ، وكان يعتبر ذلك شرعياً وإسلامياً ، ويُعتبر مخالفته مخالفة للإسلام ، ولأوامر نبي الإسلام(ص) والأئمة المعصومين(ع) ، وعلى هذا الأساس ، تولّدت لدى الحزب الطاقة القوية للقيام بأعمال راديكالية .

ب – علماء الدين

إن الدور الذي يلعبه علماء الدين في فروع حزب الله المختلفة ، ليس له من سابقة في أي حزب أو منظمة أخرى في لبنان . فقد كان معظم أعضاء شورى قيادة حزب الله منذ تأسيسه وحتى اليوم ، من علماء الدين ، وكذلك رئاسة المجالس المهمة : المجلس التنفيذي والمجلس الجهادي ، في عهدة علماء الدين ، كما كان يُختار الناطق الرسمي باسم الحزب والأمين العام ونائب الأمين العام من بين علماء الدين ؛ إن «أحد

١٤٥- العهد ، العدد ١٤٨ ، ٢٦ شعبان ١٤٠٧هـ (٢٤ نيسان ١٩٨٧) ، ص ٢ .
إن آراء حزب الله الرسمية في ما يخصّ الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه ، نشرت في سبع مقالات تباعاً في جريدة العهد ، أواخر العام ١٩٨٦ ، في الأعداد من ١٢٤ إلى ١٣٠ .

أوجه تشبّه حزب الله بالجمهورية الإسلامية الإيرانية ، هو تولّي رجال الدين الرئاسة في مختلف مجالس وفروع حزب الله»[١٤٦] .

حتى بداية الثمانينات ، كان أكثر علماء الدين الشيعة اللبنانيين ، تلامذة في حوزة النجف ، وعاشوا هنالك خلال الستينات والسبعينات وشاهدوا بروز الحركة الثورية العراقية السرية ، التي عرفت بحركة «الدعوة الإسلامية» . في حوزة النجف ، درس طلاب العلوم الدينية الشيعة الشبان – الآتون من العراق وإيران ولبنان والدول الإسلامية الأخرى – وتأثروا بالنظريات الإسلامية الثورية التي أطلقها علماء الدين الشيعة الإيرانيون والعراقيون الكبار ، كالإمام الخميني وآية الله السيد محمد باقر الصدر[١٤٧] . وهكذا كان من الطبيعي أن تجمع الصداقات الشخصية بين المدرّسين والطلاب في النجف وكربلاء ، بغض النظر عن قومياتهم المختلفة . وفي الحقيقة كان نشاط علماء الدين في النجف ، يمثل القلب ومركز الثقل لغالبية الحركات الثورية أو الإحيائية بين الشيعة في العالم ؛ وعلى وجه التحديد ، كانت مدينة النجف المكان الذي أمضى فيه الإمام الخميني أربعة عشر عاماً من النفي ، وألقى فيه المحاضرات الشهيرة عن طبيعة النظام الإسلامي وحكم علماء الدين .

وكان حزب البعث بعد وصوله إلى سدّة الحكم في العراق ، قد شنّ حملة شاملة لقمع المؤسسات والشخصيات الدينية الشيعية . وأدّت ممارسة هذه السياسة إلى الترحيل الجماعي لعلماء الدين الأجانب ، وفي النتيجة عاد علماء الدين اللبنانيون الذين تعلموا في النجف إلى بلدهم حيث باشروا بإنشاء المؤسسات التعليمية ليلقّنوا الجيل الجديد النظرية الإسلامية الثورية . إجمالاً يمكن أن نذكر مرحلتين لعودة علماء الدين اللبنانيين من النجف إلى لبنان :

١- **المرحلة الأولى** : في نهاية الستينات ، بحيث أن علماء الدين الذين عادوا في

١٤٦- وضاح شرارة ، م . س ، ص ص ٥ و١٦ .
147- Magnus Ranstorp, *Op. Cit*, p. 29.

هذه المرحلة ، كانوا في معظمهم أعضاء في حزب الدعوة ، وقد التفّوا في البداية حول الإمام السيد موسى الصدر ، ثم انفصلوا عنه ، وأنشأوا حزب الدعوة اللبناني برعاية السيد محمد حسين فضل الله .

٢- المرحلة الثانية : في نهاية السبعينات ، وكان علماء الدين الذين عادوا في هذه المرحلة في أكثريتهم من الشبان ، ومتأثرين بأفكار الإمام الخميني ، وقد عادوا إلى لبنان بُعَيْد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية ، ولم ينخرطوا في تنظيم معيّن ، وإنما عملوا في مجموعات إسلامية صغيرة ومتفرقة في المناطق الشيعية اللبنانية دعماً للثورة الإسلامية .

وهكذا فإن تجربة «الوجود في النجف» لمعظم القادة من علماء الدين ، في حزب الله ، وعلاقاتهم الحميمة بالطلاب وعلماء الدين الإيرانيين ، أوجدت دعامتين أساسيتين لحزب الله هما الإيديولوجيا والبنية التنظيمية . كان في الصفوف الأولى لهذا الحزب الجديد ، علماء دين من الشباب متقاربون في السنّ ، معظمهم من تلاميذ آية الله السيد محمد باقر الصدر ، وقد تعرفوا إلى آراء الإمام الخميني وإلى أفكاره السياسية ، كانوا قد سافروا إلى النجف الأشرف ، وفي نيتهم الوصول إلى أعلى المراتب العلمية ، كالذين سبقوهم ، لكن السلطات العراقية في أواخر السبعينات ، وخوفاً من تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية في العراق ، رحّلت الطلبة غير العراقيين ، فعاد اللبنانيون منهم إلى بلدهم ، حاملين معهم التعاليم التي اكتسبوها في نطاق الإسلام السياسي والثوري .

الجدير ذكره ، أن هؤلاء الطلبة الشبان ، بعد عودتهم إلى لبنان ، رفضتهم المؤسسات الشيعية الرسمية (كالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ، برئاسة الشيخ محمد مهدي شمس الدين) ، لأن أفكارهم وآراءهم الراديكالية ، لم تكن تتلاءم مع آراء الشيخ شمس الدين المحافظة[١٤٨] . لذلك بدأوا يعملون في المناطق الشيعية اللبنانية

148- Martin Kramer, "*Hizballah, The Calculus of Jihad*", p. 16.

المختلفة بصورة متفرقة ومشرذمة ، لكن ما إن دخلت القوات الإيرانية في العام ١٩٨٢ إلى لبنان ، وتردّد نداء الثورة الإسلامية في سهل البقاع ، حتى أعلنوا ولاءهم للإمام الخميني ، وتولوا المناصب القيادية في حزب الله .

الأكبر سناً من علماء الدين الذين كانوا قد عادوا إلى لبنان في الستينات ، والذين انضموا أولاً إلى السيد موسى الصدر ، ثم انفصلوا عن حركته لاختلافهم معه حول بعض الأفكار ، نشطوا في حزب الدعوة اللبناني برعاية السيد محمد حسين فضل الله كما ذكرنا من قبل ، لكن محبّة اللبنانيين العارمة للسيد موسى الصدر ، وسرية حزب الدعوة ، التي كانت مورد انتقاد أعضائه أنفسهم ، حدّت من شعبية هذا الحزب[١٤٩] . لذلك ، بُعيد دخول القوات الإيرانية إلى الساحة اللبنانية ، إنضم أعضاء حزب الدعوة إلى الحزب الجديد (أي حزب الله) . وهكذا تحول حزب الله إلى مظلّة تحتمي بها كل المجموعات والشخصيات اللبنانية الإسلامية - الشيعية ، وبدأ نشاطه بقيادة علماء دين كانوا قد درسوا في حوزة النجف .

لعبت العلاقات الشخصية ، وعلاقات الصداقة التي انعقدت بين علماء الدين الإيرانيين واللبنانيين في النجف في أوائل السبعينات دوراً في نشأة حزب الله في العام ١٩٨٢ ، كما كان لها كذلك دور أساسي في نموّ هذا الحزب واستمرار فاعليته ، لوجود عدد من علماء الدين الإيرانيين من أصدقاء ومعارف قادة حزب الله ، في مؤسسات الثورة الإسلامية الفاعلة ، كرؤساء وأصحاب مناصب حساسة[١٥٠] . ولا

149- Nassif Hitti, "Lebanon in Iran's Foreign Policy: Opportunities and Constraints", in Hooshang Amirahmadi and Nader Entessar (eds.), ***Iran and the Arab World*** (London: Macmillan, 1993), pp. 182 - 183.

١٥٠- إن أحد أكثر علماء الدين الإيرانيين تأثيراً في نشأة حزب الله ، وتطوره ، هو حجة الإسلام علي أكبر محتشمي پور ، الذي كان في العام ١٩٨٢ سفير إيران في سوريا ، وهو كان أحد الذين كانوا إلى جانب الإمام الخميني (ره) في النجف الأشرف ، حيث تعرف إلى علماء الدين والطلبة اللبنانيين المقيمين في حوزة النجف . ويرى كثير من الباحثين الغربيين أن حجة الإسلام محتشمي پور هو العنصر الأساس وراء تشكّل حزب الله . لمزيد من التفصيل تجدر مراجعة :

Magnus Ranstorp, ***Chapter 2, 3.***

بد من الإشارة إلى أن «علاقة الأستاذ – التلميذ» ، التي تمثل عنصراً مهماً جداً ، من عناصر التراتبية العلمائية الشيعية ، تشكل الصلة العاطفية التي تربط بين علماء حزب الله وإيران[151] . وقد روّج هؤلاء التلاميذ ، بترجمتهم الكتب الفارسية إلى العربية ، رسالة الثورة الإسلامية بين شيعة البقاع أولاً ، ومن ثمّ في المناطق الشيعية كافة .

بعد تشكيل أول مجلس شورى قيادي لحزب الله في العام ١٩٨٢ ، «توجّهت هذه الشورى إلى طهران للقاء الإمام الخميني ، وتحدّث حينها السيد عباس الموسوي عن الظروف التي يعيشها لبنان وعن عزم الإسلاميين على مواجهة الجيش الإسرائيلي ، الذي احتلّ قسماً كبيراً منه ، وكان جواب الإمام : إن المهم هو العمل ، فمرحلتكم كربلائية ، ولا تنتظروا قطف الثمار في حياتكم»[152] . وهكذا ، توطّدت العلاقة الرسمية والتنظيمية بين حزب الله وإيران ، المبنية على اتباع ولاية الفقيه ، كذلك «فإن النفوذ الزائد للأصوليين الشيعة داخل طائفتهم ، مقارنة بنفوذ الأصوليين السنّة ، يبدو مستمداً من سلطة العلماء الدينية والسياسية ، التي هي أقوى في المذهب الإثني عشري ، منها عند السنة»[153] . ومما لا شك فيه أن تزايد نفوذ علماء الدين الشيعة في لبنان ، في الثمانينات عما كان عليه من قبل ، هو في الواقع من جملة ما تأثر به شيعة لبنان من الثورة الإسلامية . « . . . وكما في إيران يتحلق المؤيدون حول العلماء ، الذين يزوّدونهم بالإرشاد الروحي والسياسي . وعبّر هؤلاء الأشخاص ، ومن خلال مواعظهم وقدرتهم على الإقناع ، يتبلغ الناس رأي حزب الله فيما يتعلق بالمواضيع السياسية الرئيسية ، كما يتبلغون تبريراتهم لأعمال العنف»[154] . يرى الدكتور نزار حمزة أن «إيديولوجيا حزب الله المستمدّة أساساً من كتابات السيد محمد باقر الصدر

151- Kenneth Katzman, *Op. Cit.*, p. 10.

١٥٢– حسن فضل الله ، م . س . ص ٤١ .

١٥٣– هلال خشان ، م . س . ص ١٤ .

154- Hala Jaber, *Op. Cit*, p. 65.

وروح الله الخميني وتجارب الثورة الإسلامية الإيرانية ، قد تمت صياغتها على يد علماء الدين اللبنانيين»[155] .

وهكذا فإن علماء الدين الشيعة في حزب الله قد قاموا بدورين مهمّين : الأول ، إقامة جسر تواصل بين الولي الفقيه وبين أتباعه اللبنانيين ؛ والثاني ، لضمان ماهية حزب الله الإسلامية والمحافظة عليها ، يوضحون المسوّغات الشرعية لممارسات حزب الله ومواقفه وأعماله ، ومن بينها استخدام العنف السياسي لتحقيق الأهداف المرجوّة . ومن الواضح كلياً ، أن قدرة علماء الدين على تعبئة عناصر حزب الله للجهاد في سبيل الله ، منوطة بمدى إقناعهم لهم بأن بطولتهم واستشهادهم إنما هما من أجل «مثلهم العليا» ؛ كان لابد لحزب الله من إقناع جمهوره من المؤمنين بأن أعماله «لم تكن إجرامية بل جهادية باعتبار أن المظلومين يشنونها ضد الظالمين»[156] .

إن نضال حزب الله يجب أن يكون متطابقاً باستمرار مع المعايير الشرعية ، ومثل هذا التطابق موجود في الظروف العادية ، لكن في الأزمات والظروف المعقّدة والحسّاسة ، قام علماء الدين بدورهم في إيجاد مثل هذا التطابق والتلاؤم في حزب الله . يقول الشيخ «عبد الكريم عبيد» الذي خطفه الإسرائيليون في العام ١٩٨٩ : « . . .إن عالم الدين وحده قادر على تقديم الأجوبة حول شرعية مقاومة الاحتلال والاستشهاد ؛ فبدون إسهامه الأساسي ، لا يمكن أن يكون هنالك عنف مشروع ، لأن الإجابة عن هذين السؤالين ، لا يمكن أن تأتي من آمر عسكري ، وبخاصة بالنسبة إلى المقاتل المؤمن ، الذي يجب أن يرجع إلى عالم متميّز بالحماسة والاستجابة والالتزام بالمقاومة . . .»[157] . ويعتقد مارتن كريمر : «إن هؤلاء العلماء أرغموا حزب الله على مقاومة اثنين من الإغراءات القوية التي فرضتها بيئته اللبنانية :

١٥٥– نزار حمزة ، م . س . ص ٢٣ .

١٥٦– مقابلة مع حسين الموسوي (أبو هشام) ، صحيفة **كيهان** الإيرانية ، ٤ آب ١٩٨٦ .

١٥٧– **السفير** ، ٢٨ تموز ١٩٨٦ .

١- كان حزب الله مهدداً – في مراحل معينة – بالتراجع إلى مستوى الميليشيا الطائفية المكرّسة لقتال الميليشيات الطائفية الأخرى. وكان لا بد من محاربة هذا التردي، والحقيقة أن علماء الدين لم يتوقفوا لحظة عن تذكير مقاتلي الحزب بمهمتهم الرسالية وحثّهم على الجهاد في مواجهة الأجانب و«الكفر العالمي».

٢- بدأ بعض مقاتلي حزب الله – في بعض الفترات الخاصة – متحفّزين لتقليد الميليشيات الطائفية، من طريق استخدام العنف العشوائي. لكن علماء الدين، كانوا مصرّين دائماً على أن لا تؤذي الأعمال الجهادية الأبرياء؛ فلكي يكونوا إسلاميين، يجب على مقاتلي الحزب أن يناضلوا عالمياً من حيث المفهوم، شرط أن يميّزوا بين المذنب والبريء. وإذا راجعنا تاريخ نشاط حزب الله، نجد أن معظم أعمال العنف التي ارتكبها كان منسجماً مع هذا القياس، كما أن استخدام «الاستشهاديين» يؤكد على أن العمليات «الاستشهادية» حققت دقة متناهية، وهو ما لم تألفه بيروت، حيث كانت السيارات المفخخة تقتل الناس بشكل عشوائي»[١٥٨].

كان علماء الدين الشيعة إلى جانب صون المنتمين إلى حزب الله، من السقوط إلى درك المجموعات الميليشياوية المجرمة، قد تمكنوا من ناحية أخرى من إزالة ومحو الشبهات المحتملة من أذهان المنتمين إلى الحزب، بإقناعهم أن العمليات ضد الجيوش الغربية أو الإسرائيلية جائزة شرعاً وواجبة. يقول السيد فضل الله:

«... إن الأمم الرازحة تحت نير الجور لا تملك التكنولوجيا والأسلحة المدمّرة التي تملكها أميركا وأوروبا. لذلك يجب عليهم أن يقاتلوا بوسائل خاصة بهم... ونحن نعترف بحق الأمم في استخدام كل أسلوب تقليدي لقتال هذه الأمم المعتدية، ولا ننظر إلى ما يفعله مسلمو العالم المستضعفون بالوسائل البدائية وغير التقليدية، لمواجهة القوى المعتدية على أنه إرهاب، بل ننظر إليه على أنه حرب مشروعة ديناً ضد القوى العالمية الإمبريالية والمتحجّرة...»[١٥٩].

158- Martin Kramer, *Op. Cit.*, pp.26 - 29.

١٥٩- مقابلة مع السيد محمد حسين فضل الله، **كيهان**، ١٤ تشرين ثاني ١٩٨٥.

لكن السيد فضل الله رسم الخط الفاصل بحيث أن الأهداف المقدّسة لا يجب أن تتحقق بأساليب تنتهك الحرمات، ويقول شارحاً الأدلة المنطقية: «... إن كل خير فيه شر، وكل شر فيه خير، وليس هنالك من عمل فيه مائة بالمائة خير، وليس هنالك من عمل فيه مائة بالمائة شر...»[١٦٠]. «الأمر الخير المشتمل على الشر» يتبين بوضوح في العمليات الاستشهادية: «فالانتحار حرام في الإسلام»؛ ومسألة ما إذا كان موت الاستشهاديين يعتبر انتحاراً أو شهادة في سبيل الله، تبقى مطروحة على ضمائر علماء الدين في حزب الله. لكن بما أن الهجمات حققت نجاحاً دراماتيكياً، تمكّن العلماء من إخفاء وكبت كل الشكوك. غير أن السؤال عاد إلى البروز مرة ثانية، عندما بدأت الهجمات اللاحقة بإعطاء نتائج أقل من تلك التي كانت «متوقّعة» من حيث عدد الخسائر في صفوف الأعداء. ويقول فضل الله في هذا الصدد أن «... العملية الاستشهادية غير مسموح بها إلا إذا كانت قادرة على هزّ العدو... فالمؤمن لا يستطيع أن يفجّر نفسه إلا إذا كانت النتائج تعادل النفس أو تفوقها (من حيث الأهمية)؛ والعمليات الاستشهادية، ليست حوادث مميتة، بل ملزوميات شرعية تحكمها الأنظمة والقوانين؛ ولا يستطيع المؤمنون أن يخالفوا قوانين الله...»[١٦١].

على صعيد آخر، كانت الحرب بين حزب الله وحركة أمل سبباً في خلق حالة من القلق والكرب في أوساط علماء الدين، لأنها انطوت على قتل الشيعة للشيعة، وأصروا على اعتبار ما جرى بين الحركة والحزب «فتنة» وليس «جهاداً». ولكن التيار الراديكالي بقيادة الشيخ صبحي الطفيلي كان يعتقد بأن «أمل تآمرت مع أعداء الإسلام، داخل لبنان وخارجه. فهي قد أنكرت على إيران الإسلامية حق قيادة المسلمين على امتداد العالم، وأمّنت لإسرائيل الحماية من طريق حرمان حزب الله من الوصول إلى الجنوب»[١٦٢].

١٦٠- من خطبة الجمعة للسيد فضل الله، **العهد**: العدد ٧٦، ٢٤ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ (٥ كانون أول ١٩٨٥).

١٦١- **النهار**، ١٤ أيار ١٩٨٥.

162- Martin Kramer, *Op. Cit.*, p.37.

إن دراسة دور علماء الدين في حزب الله ، يشير إلى أن قادة الحزب من علماء الدين ، لكونهم كانوا صلة الوصل بين شيعة لبنان وبين الحكومة الإسلامية الإيرانية ، أوجدوا لأنفسهم مكانة رفيعة جداً في تنظيمات الحزب ، ولتشجيعهم عناصر الحزب والمنتمين إليه على استخدام العنف السياسي ، للوصول إلى أهدافهم ، كان لهم دور مهم في توجه حزب الله الراديكالي .

ج - الحرس الثوري

لم يكن مجيء الحرس الثوري الإسلامي الإيراني في العام ١٩٨٢ إلى لبنان نقطة تحول عسكرية فقط ، ذلك لأن مهمّة الحرس في لبنان ، لم تكن مهمة عسكرية محضة . فقد أرسلت الحرس إلى لبنان بعد الانتصار المشرّف على الجبهة العراقية وتحرير مدينة «خرمشهر» ، وكان أفرادها يتمتعون بمعنويات عالية ، وروح ثورية ومثالية رفيعة . وكانت مهمة هذه القوات تندرج في مسار التزام إيران بسياسة «تصدير الثورة» ودعم حركات التحرر في جميع أنحاء العالم . وقد تحوّل أعضاء الحرس الثوري الذين عاشوا في مناخ من الإيثار والتقوى والجهاد والشهادة ، إلى جسر لنقل ثقافة الثورة الإسلامية وتعاليمها إلى مسلمي لبنان وبخاصة الشيعة منهم .

أقدمت قوات الحرس الثوري ، بموازاة تعليمها الشبان وتدريبهم عسكرياً ، على القيام بالخطوات التالية لنقل ثقافة الثورة الإسلامية الإيرانية : إرسال الوعّاظ ؛ ترويج المجالس الحسينية بالأساليب الإيرانية التقليدية (الندب واللطم) ؛ تشكيل المكتبات العامة وافتتاح المكتبات لبيع الكتب الدينية وإجراء المسابقات ، وطباعة ونشر الكتيّبات والكتب والمنشورات ، وإقامة المعارض ، وتربية فرق الإنشاد والمسرح ، وإحياء المناسبات الدينية ، وكتابة الشعارات على الجدران ، ورسم صور الإمام الخميني (ره) والقادة الدينيين ، وتعليقها في المعابر العامة ، وغير ذلك .

إن الأساليب المذكورة أعلاه ، إضافة إلى المزايا الأخلاقية للعناصر المرسلة إلى لبنان : التواضع ، وأساليب العيش البسيطة ، والدعاء ، والإيمان بالله والتقوى ،

والإقدام على مساعدة عامة الناس في شؤونهم اليومية (زراعة ، بناء وغير ذلك) ، أدّت إلى بروز التحولات الثقافية التالية لدى شيعة لبنان : رواج روح الجهاد والاستشهاد ، تقليد الولي الفقيه وطاعته ، ذكر إمام الزمان(عج) ، تعميق العداء لأميركا وإسرائيل ، ترويج الوحدة الإسلامية في لبنان وغير ذلك .

يقول السيد إبراهيم أمين السيد في ما يخص تأثر حزب الله بقوات الحرس الثوري : «لقد نقل الأخوة الحرس من الجمهورية الإسلامية إلى لبنان ، الروح الثورية والاستشهاد وخط الثورة ، وقيادة الإمام الخميني إلى حد أنه بدا وكأننا مرتبطون جغرافياً إرتباطاً مباشراً بالجمهورية الإسلامية ، ولا نرى حدوداً تفصلنا عنهم»[١٦٣] . يقول المسؤول في حزب الله ، (النائب الحالي) «محمد سليم ياغي» بهذا الصدد : «منذ أن دخلت القوات الإيرانية إلى لبنان في العام ١٩٨٢ ، أوجدت تغييراً عجيباً ، لجهة إحياء الشعائر الإسلامية ، وإزالة الشعائر المسيحية بين المسلمين في لبنان ، وظهر لدى الشبان الشيعة اللبنانيين محبة فائقة وميلاً شديداً نحو الإسلام»[١٦٤] .

كان الشهيد السيد عباس الموسوي ، الأمين العام السابق لحزب الله ، من بين علماء الدين الذين تلقوا علومهم في النجف ، وتدرب على أيدي حراس الثورة في العام ١٩٨٢ ؛ غير أن تجربته الثانية (مع الحرس) كانت الأعظم تأثيراً . وفي هذا الصدد قال السيد الموسوي :

«أذكر واحداً من المواقف التي لا يمكن أن أنساها أبداً . . . فقد استيقظنا في إحدى الليالي على أصوات إخوة في الحرس وهم ينتحبون في صلاة الليل . أليست هذه أعظم مدرسة يمكن أن يتخرج فيها المرء؟ . . . وأذكر أيضاً عندما كان أحد الأخوة في الحرس يعطي درساً في استعمال السلاح . وفجأة ، بعد أن استوفى الشرح المطلوب ، وضع السلاح جانباً وأقسم قائلاً : كل الذي شرحته لكم لن يساعدكم . . . الله وحده يستطيع أن يساعدكم . . . عندما انضممت إلى

١٦٣- مجلة «پاسدار اسلام» الإيرانية ، السنة الخامسة ، العدد ٥٢ ، نيسان ١٩٨٦ .

١٦٤- صحيفة «جمهوري اسلامي» الإيرانية ، ١٠/ ١٢/ ١٩٨٣ .

الحرس، وجلست مع الأخوة في أول دورة أجروها في وادي البقاع، شعرت بأنني حصّلت فوائد جمّة...»[١٦٥].

أطلق السيد فضل الله على هذا التحول اسم «الثورة ضد الخوف»: «فقد بعثت القوى العظمى الرعب في نفوس المستضعفين الذين لم يكونوا يملكون إلا «لعب الأطفال»، لإعلان معارضتهم. لكن بالتغلب على مشاعر الخوف لديهم، من طريق القبول بنعمة الشهادة وفضلها، تمكن المستضعفون، من إثارة القلق والرعب في نفوس الظالمين وقلوبهم»[١٦٦]. وخلال فترة زمنية قصيرة، تغلب أعضاء حزب الله الأوائل على مخاوفهم، وفي هذا الصدد قال السيد عباس الموسوي أن: «... مدرسة الحرس الثوري الإسلامي، جعلت الشباب المسلم يعشق الشهادة... ونحن لم نفاجأ - بُعَيْد وصول حراس الثورة - عندما رأينا شاباً مسلماً في لبنان يبتسم للموت ومعه ١٢٠٠ كلغ من المتفجرات...»[١٦٧].

ويؤكد «إسبوزيتو» و«بيسكاتوري» على أن «... تدخل إيران غير بشكل حاد ومفاجئ في القرينة السياسية التي تحدّى فيها الشيعة المحليون الدولة اللبنانية»[١٦٨].

وقد اعترف حزب الله رسمياً بهذا التحول الأساسي: «لقد كان دور الحرس الثوري الإسلامي دوراً عظيماً، في تمكين شعب خائر القوى والمعنويات (بنتيجة الاجتياح والهزيمة)، وجعله شعباً ثائراً ركّع الأساطيل والجيوش الأطلسية وإسرائيل، وجعل من شعب لبنان أنموذجاً صالحاً للثورات كافة، يُقتدى به»[١٦٩]. دخول الحرس الثوري في لبنان سنة ١٩٨٢ كان «العامل الأساسي في تغيير تاريخ لبنان وتاريخ

١٦٥- **العهد**، العدد ١٧٣، ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ (١٦ تشرين أول ١٩٨٧).

١٦٦- **النهار**، ٢١ تموز ١٩٨٦.

١٦٧- **العهد**، العدد ١٧٣، ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ (١٦ تشرين أول ١٩٨٧).

١٦٨- هلال خشان، م. س. ص ١٣.

١٦٩- العلاقات الخارجية لحزب الله، م. س. ص ١٤.

المنطقة، فأسقط كل المشاريع الأميركية في لبنان، بفضل تجاوب المسلمين في لبنان وتفاعلهم، مع منطق الثورة كفكر وجهاد ومقاومة. كما أسقط المشروع الإسرائيلي، ومشروع الموارنة»[١٧٠].

د - الأدبيات السياسية والأساليب الدعائية

تدل الأدبيات السياسية لحزب الله، على تأثر هذا الحزب الشديد بالثورة الإسلامية. فالألفاظ والمصطلحات التي استخدمت في بيانات الحزب وفي آثاره المكتوبة، وفي خطب شخصياته خلال الثمانينات، مأخوذة حرفياً من الألفاظ والمصطلحات التي روّجتها الثورة الإسلامية الإيرانية، كما أن الأساليب والوسائل الإعلامية التي اعتمدها، تشبه شبهاً كاملاً الأساليب الدعائية في المجتمع الإيراني.

إن معجم شعارات حزب الله مستعار من معجم الثورة الإسلامية الإيرانية، ومع أن اسم «حزب الله» مستمد من الآيتين ٢٢ و٥٦ من سورة المائدة في القرآن الكريم:

﴿ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا، فإن حزب الله هم الغالبون﴾

﴿... أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم الغالبون﴾

لكنه في الوقت نفسه، مأخوذ من المعجم السياسي لإيران، في المرحلة التي أعقبت الثورة الإسلامية، كذلك لفظة «المستضعفين»، وقد سمّى الحزب أول محطة إذاعية له في بعلبك «إذاعة الإسلام، صوت المستضعفين»، وعرّف عن أمريكا والاتحاد السوفياتي كنموذجين عن «الاستكبار العالمي»، وإسرائيل «غدة سرطانية يجب استئصالها»، وكان يطرح موضوع «الوحدة الإسلامية» لمواجهة «أعداء الله والإسلام». إن كل هذه الألفاظ والمصطلحات التي استخدمها حزب الله[١٧١]،

١٧٠- **العهد**، العدد ١٣٣، ٩ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ (٩ كانون ثاني ١٩٨٧)، ص ١٠.

١٧١- هذه الألفاظ والمصطلحات تُرد بوضوح في جميع آثار حزب الله المكتوبة وفي خطب قادته، ويمكن لمزيد من التفصيل مراجعة جريدة **«العهد»** [الناطقة الرسمية باسم حزب الله في لبنان]، وكذلك: رسالة حزب الله المفتوحة، الواردة في كتاب: حسن فضل الله، م. س، ص ص ١٨٤ - ٢١٣.

إستعيرت بعينها من معجم الثورة الإسلامية وكلام الإمام الخميني (ره) .

حزب الله في الثمانينات كان متأثراً كذلك في أساليبه الدعائية بالثورة الإسلامية ، وكان للمسجد على سبيل المثال المكانة نفسها التي كانت له في الثورة الإسلامية الإيرانية : «يعبّر حزب الله عن «المسجد» بـ «الخلية الأساسية في تكوين المجتمع الإسلامي» وبـ «أصل المدرسة» ، و«مكان اتخاذ قرارات السلم والحرب» ، وهو «بيت الله الذي تنتظم فيه شؤون الجماعات الإسلامية» ، فرفعوا عليه أعلام إيران ، وأعلام الشيعة («يا أبا عبد الله» و«يا مهدي أدركنا»)[١٧٢] .

كان إلقاء الخطب في المساجد يُعد أهم تواصل بين حزب الله ومؤيديه ، ومصدر دائم لتعبئة أنصار الحزب في الثمانينات (قبل تأسيس تلفزيون المنار وإذاعة النور) ، وقد مهّد حزب الله بتأسيسه مئات المساجد الجديدة ، الأرضية لنشر رسالة الإسلام وتعميمها ، وكان ازدياد أعداد المصلّين يستدعي زيادة عدد أئمة الجماعة ، لذلك تأسست حوزات جديدة لتعليم الطلبة ، وكان أئمة الجماعة هؤلاء ينقلون إلى المصلّين أفكار الحزب ووجهات نظره[١٧٣] .

ومن الأساليب الدعائية التي استخدمها حزب الله مقلّداً الثورة الإسلامية ، أسلوب «المظاهرات» . فقد كان الحزب منذ تأسيسه وحتى اليوم ، يعمد في المناسبات الدينية والسياسية المختلفة ، كيوم عاشوراء ، أو يوم القدس العالمي ، إلى إقامة المظاهرات الشعبية التي يحشد فيها عشرات الآلاف في شوارع الضاحية الجنوبية لبيروت والمدن الشيعية في البقاع والجنوب . إن تعبئة مثل هذا العدد من الجماهير في بلد مجمل عدد سكانه ثلاثة ملايين ونصف ، يعدّ قوة استعراضية كبيرة ، ومثل هذه

١٧٢- وضاح شرارة ، م .س . ص ص ٢٠٨-٢٣٢ .

١٧٣- بعدما أكثر الخطباء من التوجه إلى الناس عبر المساجد والمنابر مما أوجد التباساً حيال الجهة الرسمية المعبّرة عن حزب الله ، بادر الحزب إلى تعيين ناطق رسمي باسمه ، وكان هو السيد إبراهيم أمين السيد (راجع ملحق **النهار** ، الأربعاء ٤ تشرين الأول ١٩٩٥) .

المظاهرات لا سابقة لها في لبنان قبل نشأة حزب الله ، وهي من الظواهر الجديدة في المعجم السياسي اللبناني . فحزب الله بحشده للأعداد الغفيرة من المواطنين في أثناء تشييع جثامين الشهداء ، يثير موجة من المشاعر الدينية ، وكانت توابيت الشهداء في الثمانينات تلفّ بالعلم الإيراني ، حتى «الندبيات» العزائية كانت تبث باللغة الفارسية[١٧٤] . مورد آخر من موارد تأثر قاموس حزب الله بإيران موضوع «رؤية الشهداء والأولياء في المنام» ، الذي يحتل مكانة مهمة في نقل الرسائل الثورية ، بخصوص استمرار الجهاد والشهادة ، وإطاعة الولي الفقيه ، وغير ذلك . في حين أن هذا لا يرد في أوساط السنّة[١٧٥] .

أيضاً ، إستخدام كاميرات الفيديو في تصوير العمليات العسكرية وتشييع جثامين الشهداء والمسيرات والخطب ، من الأساليب التي اعتمدها حزب الله متشبّهاً بالثورة الإسلامية الإيرانية ، ويشبه الخبراء ذلك باستخدام الثورة الإسلامية الإيرانية لـ «أشرطة التسجيل» لإيصال رسائل الإمام الخميني وخطبه إلى داخل إيران[١٧٦] .

هـ - الرمزية الشيعية

إن اعتماد حزب الله لرموز المذهب الشيعي في نقل الرسائل الثورية والراديكالية ، مظهر آخر من مظاهر تأثر هذا الحزب بالثورة الإسلامية الإيرانية (على الرغم من الاختلاف اللغوي والثقافي بين المجتمع الإيراني والمجتمع اللبناني) واستخدام رموز «كربلاء» و«عاشوراء» و«شهادة الإمام الحسين(ع)» و«حروب النبي محمد(ص) والإمام علي(ع)» و«خلافة الإمام علي(ع)» و«ظهور المهدي المنتظر(عج)» وغيرها ، أوصلت قدرة حزب الله على نقل الرسائل المتعلقة بالجهاد والشهادة والاستقامة والتقوى والصبر على الشدائد إلى أوجها . يقول «ماغنوس رانستورب» بهذا الصدد :

١٧٤- وضاح شرارة ، م .س . ص ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

١٧٥- م .ن . ص ص٢٧٧ و٢٧٨ .

١٧٦- م .ن . ص ٢٤٠ .

«لقد استخدم حزب الله الرموز الشيعية الأساسية ، وبخاصة المتعلقة منها بمراسم عاشوراء . . . لحشد التأييد وإلهاب الحماسة الثورية لمحاربة الطغيان والحرمان والظلم الاجتماعي ؛ وقد تمّ استخدام حزب الله للرمزية الشيعية كسلاح سياسي لتجسيد مظالم المجتمع الشيعي في ظل النظام الطائفي اللبناني»[١٧٧] .

يقول الشيخ «نعيم قاسم» موضحاً أهمية استخدام الرموز الدينية ، في تقريب مفهوم الشهادة إلى الأذهان : «لقد استُمدّ المفهوم التاريخي للشهادة من موقعة كربلاء التاريخية ، هذا المفهوم الذي يتضمن التضحية والإيثار ، والارتباط العميق بالمفهوم الحسيني عن الإسلام . وهكذا نشأ معنى جديد في المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان مستمدّ من العقيدة ، التي تشجع على الجهاد والشهادة»[١٧٨] .

إن رؤية حزب الله المتعلقة بالانتصار الحتمي للإسلام ، سببها إيمان أعضاء الحزب بظهور الإمام المهدي(عج) . ومع أن الثورة الإسلامية قد ظهرت أولاً في إيران ، لكن من منظار حزب الله ، هذه الثورة لم تكن ثورة إيرانية ، وإنما هي مقدمة لظهور الإمام المنتظر(عج) . يقول السيد حسن نصر الله تأكيداً على هذه الرؤية : «لقد تحقّقت دولة العدل الإلهية في بقعة من الأرض ، لا لتبقى في حدودها الجغرافية ، وإنما ليكون الفجر الذي يمتد ليتصل بظهور المهدي(عج) لتقوم دولة الإسلام في الأرض»[١٧٩] .

هذه الرؤية المهيمنة والمهيبة ، أي فكرة الانتصار الحتمي للإسلام ، أشبعت أعمق حاجات الشيعة ، وأكثرها ضرورة ، من طريق الانخراط في عضوية حزب الله . لأن علماء الدين والقادة والعناصر والمحازبين والمؤيدين للحزب ، كانوا يستطيعون تخطّي حدود الاتفاقات والتبعيات الضيّقة ، وأن يتشبثوا بالشعارات الكبيرة التي تذهب أبعد من حدود وثغور العائلة والعشيرة والطائفة والدولة . . .

177- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit,*** p. 40.

١٧٨- السفير ، ٥ نيسان ١٩٨٤ .

١٧٩- العهد ، العدد ٨٥ ، ٢٨ جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ (٨ شباط/ ١٩٨٦) .

إن رمزية حزب الله واستخدامه لرموز المذهب الشيعي ، كان من نتيجتها أن العناصر المنخرطين في هذا الحزب نفضوا أيديهم من كونهم لبنانيين ، أو أعضاء في إحدى الطوائف المحرومة في بلد مزقته الحرب الأهلية شر ممزّق ، فقد تحول القروي الفقير ، أو الشاب الشيعي الفقير المقيم في ضاحية بيروت الجنوبية إلى مسلم ثوري ، عضو في مجتمع ديني - سياسي ، يمتد على امتداد القارات الخمس ، وجندي في حركة عالمية بقيادة الإمام الخميني ، حركة تسعى إلى أن ينتصر الإسلام على الكفر العالمي ، وهذه المهمّة هي التي كانت وراء شرعنة استخدام عناصر الحزب للأساليب الراديكالية .

❖ ❖ ❖

بعد دراسة جميع العوامل التي أثرت بشكل أو بآخر في توجه حزب الله نحو الراديكالية ، بات بالإمكان تطبيق نظرية «إسملسر» على هذه العوامل ، وكما ذُكر في البحث النظري (الفصل الأول) ، فإن «إسملسر» عدّد ستة شروط كمصادر للعمل الجماعي :

١- **الحقل البنيوي** : أي الظروف الاجتماعية العامة الملائمة أو غير الملائمة لتشكل الأعمال الجماعية . إن خصوصية المجتمع الطائفي في لبنان ، تدل بوضوح على أن الظروف الاجتماعية العامة في لبنان كانت شروطاً مساعدة على تكون الأعمال الجماعية في قالب الجماعات والأحزاب الطائفية .

٢- **الضغوطات البنيوية** : أي الصراعات التي تؤدي إلى تضارب المصالح في المجتمع . الحرب الأهلية في لبنان ، والصراع على النفوذ داخل الطائفة الواحدة ، كانت في الواقع أشد أنواع الصراع الذي ينتج عنه تضارب في المصالح بين الطوائف الدينية المختلفة والأحزاب السياسية في لبنان .

٣- **إنتشار المعتقدات التعميمية** : أي الإيديولوجيات التي تبلور السخط العام وتقدم الحلول . فقد كانت تعاليم الثورة الإسلامية الإيرانية التي تأثر بها حزب الله بشدّة ، هي التي بلورت كإيديولوجيا ثورية ، عدم رضى شيعة لبنان عن نظام الحكم

في بلدهم ، وارتأت طريقاً للحل ، قَلْب هذا النظام ، وإقامة الحكومة الإسلامية .

٤- العوامل المسرّعة : أي الحوادث والمستجدّات التي تدفع الأفراد إلى ساحة العمل . لقد كان الاحتلال الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ وما تلاه من دخول للحرس الثوري الإيراني إلى لبنان ، من العوامل المسرّعة التي عبّأت الطائفة الشيعية بسرعة ، وجرّتها نحو ساحة الأعمال الجماعية (العسكرية والسياسية) .

٥- المجموعات المتجانسة والمعبّأة : المجموعات التي تحظى بشبكات اتصال وبمصادر دعم مالية . إندماج المجموعات الإسلامية الشيعية الصغيرة وإيجاد مجموعة متجانسة باسم «حزب الله اللبناني» ، الذي كان يلقى المال والسلاح من إيران ، وأوجد شبكة اتصالات قوية في أوساط الشيعة اللبنانيين .

٦- عمل الرقابة الاجتماعية : الأعمال القمعية التي يواجه الحكم بها الحركات . . . فحكومة أمين الجميل أقدمت منذ بداية تسلمها زمام الأمور ، معتمدة على دعم القوات المتعددة الجنسيات ، وعلى مساندة الجيش الإسرائيلي ، إلى مواجهة الحركات المعارضة لها (ومن بينها حزب الله) وإلى قمعها .

هذه العوامل المذكورة ، أدّت مجتمعة ، إلى الأعمال الجماعية الراديكالية التي صدرت عن حزب الله في الثمانينات ، لكن مع ذلك يمكن الادعاء أن السبب الأصلي ، وراء توجه حزب الله نحو الراديكالية في تلك المرحلة ، كان بشكل أساسي تأثّره الشديد بتعاليم الثورة الإسلامية الإيرانية ، من منطلق أن تلك الثورة إتخذت في تلك الآونة أيضاً ، أشد المواقف راديكالية بالنسبة إلى قضايا العالم الإسلامي ، والعداء للعالمَيْن الغربي والشرقي ، واقتدى بها حزب الله في ذلك .

إن باقي العوامل المذكورة ، كالاجتياح الإسرائيلي للبنان ، والحرب الأهلية فيه ، وتدخل الدول الغربية ، ونظام القطبين ، والنزاعات الاقليمية ، والقدرة التنظيمية والإطار التنظيمي المغلق لدى حزب الله ، كان لها كلها - كعوامل فرعية - تأثير ثابت في هذا التوجه ، ويقول ماغنوس رانستورب الخبير بقضايا حزب الله ، تأييداً لهذه

النظرية : «في الوقت الذي كان فيه التزام حزب الله الإيديولوجي برؤى وسلطة آية الله الخميني الإسلامية الشاملة ، حيوياً للغاية على صعيد صياغة طبيعة البنية التنظيمية للحزب ، والطريقة التي سعى الأخير بواسطتها ، إلى تطبيق استراتيجيته الإسلامية الرامية إلى الإطاحة بالنظام الطائفي ، وتأسيس جمهورية إسلامية في لبنان ، يحكمها القانون الإسلامي ؛ وقد أصبح إتقان حزب الله لأساليب العنف السياسية ولفنونه عنصراً أساسياً من عناصر سعيه إلى تحقيق أهدافه الإسلامية الشاملة ، وهو يقدّم نفسه كرأس حربة في النضال ضد أعداء الإسلام ، وبخاصة منهم الولايات المتحدة وإسرائيل ، وبدورها ، وفّرت هذه المقدّمة المنطقية علة وجود إيديولوجية لغالبية نشاطات الحزب السياسية والعسكرية في لبنان ، وباتت تمثّل سمةً متميزةً ، محدّدةً لعلاقة حزب الله الرمزية بإيران»[١٨٠] .

إنطلاقاً من النقاط التي ذُكرت في هذا الفصل ، تمّ إثبات النصف الأول من الفرضية الرئيسية ، وبطلان النصَف الأول من الفرضيات الفرعية لهذه الدراسة التي تطرقنا إليها في الصفحتين ٣١ و٣٢ . وفي الفصل التالي سنتطرّق إلى النصف الثاني من هذه الفرضيات ، لتشخيص «كيفية» توجه حزب الله باتجاه الواقعية والتعدّدية ، وماهية العامل الأصلي الكامن وراء هذا التوجه .

180- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.181.

الفصل الخامس

إحياء النظام الديمقراطي التوافقي

و اتجاه حزب الله نحو الواقعية

حدثت في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات من القرن العشرين تحولات دولية مهمة على مستوى العالم ومنطقة الشرق الأوسط ، تزامنت مع تحولات داخلية مهمة في لبنان ، يمكن أن نذكر من بينها :

١ - إنتهاء حرب العراق على إيران في تموز من العام ١٩٨٨ .

٢ - وفاة الإمام الخميني (ره) في حزيران ١٩٨٩ .

٣ - توقيع اتفاق الطائف (ميثاق الوفاق الوطني اللبناني) في تشرين الأول/ ١٩٨٩ .

٤ - إجتياح العراق عسكرياً للكويت في آب ١٩٩٠ .

٥ - إحياء محادثات «السلام» العربية - الإسرائيلية عبر مؤتمر مدريد في تشرين الأول/ ١٩٩١ .

٦ - إنهيار الاتحاد السوفياتي في نهاية العام ١٩٩١ .

هذه التحولات مجتمعة ، أحدثت تغييرات في صورة الشرق الأوسط . ولبنان (كجزء من الشرق الأوسط) أصابه من جرائها الكثير من التغيير مباشرة وغير مباشرة ، ما شكل نقطة عطف في تاريخه وفي مجتمعه . وقد تأثر حزب الله ، كأهم المجموعات السياسية وشبه العسكرية في هذا البلد بتلك التحولات ، التي أدت بالتدريج إلى تغيير كبير في ممارسات الحزب وفي مواقفه في التسعينات ، بحيث أن صورة حزب الله في نهاية التسعينات وبداية الألفية الثالثة ، بدت مختلفة عن صورته في الثمانينات .

لأثبات هذا الادعاء، ولدراسة الأسباب والعوامل المؤثرة، سنتعرض في القسم الأول من هذا الفصل، إلى دراسة ممارسات الحزب ومواقفه في التسعينات، وسنعمد في القسم الثاني إلى دراسة الأسباب والعوامل المؤثرة. وهكذا نضع الجزء الثاني من الفرضية الرئيسية لهذه الدراسة التي تحدثنا عنها في مقدمة الكتاب على محك الاختبار.

القسم الأول

مظاهر الواقعية لدى حزب الله

سينصب الجهد في هذا القسم على شرح وتحليل مواقف حزب الله وممارساته في العقد التاسع من القرن العشرين، ومدى اختلافها عن مواقفه وممارساته في العقد الثامن. سيخصص الجزء الأول من هذا القسم للممارسات، والجزء الثاني للمواقف، في العقد الأخير من القرن المنصرم.

أ- الواقعية في الممارسات

ذكرنا في الفصل الثالث، أن أعضاء المجلس النيابي اللبناني وقّعوا في العام ١٩٨٩ على اتفاق الطائف، الذي هو في الواقع «ميثاق الوفاق الوطني اللبناني»، وهكذا مهدت الأرضية الملائمة لإنهاء الحرب الأهلية. وقد تضمن هذا الاتفاق شطراً سياسياً وشطراً أمنياً، تعرض الأول لموضوع الأصلاحات السياسية في النظام السياسي اللبناني، القائم على أساس الامتيازات الطائفية، وتم التركيز على التقليص من صلاحيات رئيس الجمهورية (الماروني)، وزيادة صلاحيات رئيس الوزراء (السني)، كما طرأ تغيير على حصص الطوائف اللبنانية من النواب، بإقرار نسبة المناصفة بين النواب المسيحيين والمسلمين. لكن، بصورة عامة، أبقي على النظام الطائفي،

وكذلك على توزيع السلطات الثلاث على الطوائف ؛ هذه المحاصصة التي كانت من قبل نوعاً من «الاتفاق الشفوي» بين النخبة السياسية اللبنانية (منذ العام ١٩٤٣) ، ثبتت «كاتفاق رسمي ومدون»[١] .

في الشطر الأمني من اتفاق الطائف ، إعلان عن انتهاء الحرب الأهلية ، والدعوة إلى نزع أسلحة الميليشيات ، والاتفاق من ناحية أخرى على أن تشكيل جيش غير طائفي سيعيد إلى الحكومة المركزية هيبتها ، ويتيح لها بسط سلطتها على جميع الأراضي ، بداية في «بيروت الكبرى» وبعد ذلك في المناطق اللبنانية الأخرى ، وبالفعل فقد أنهى الاتفاق الحرب الأهلية بسرعة ، وقضى على الميليشيات . وهكذا استطاعت الحكومة اللبنانية ، التي كانت قد فقدت هيبتها أثناء الحرب ، أن تستعيد بالتدريج سلطتها وقوتها .

١- حزب الله واتفاق الطائف

عارض حزب الله منذ البداية ، المباحثات بين النواب اللبنانيين في مدينة الطائف ، للتوصل إلى «ميثاق الوفاق الوطني» ، لأنه كان يعتقد أنها تنفذ بناء على مشاريع ومخططات «أميركية» ، بواسطة «الدول العربية الرجعية» ، وبخاصة ، لأن قادة حزب الله ، لم يروا في اتفاق الطائف ، إطاراً سليماً لإصلاح النظام السياسي في لبنان ، ولم يكن بإمكانهم التأثير في تعديل الاتفاقات ؛ ولهذا السبب وصف حزب الله في بيان له اتفاق الطائف بأنه خطوة ناقصة وغير عادلة في إصلاح النظام السياسي اللبناني ، «لأنه أبقى الامتيازات الطائفية على حالها ، وأعاد صياغة النظام الطائفي من جديد»[٢] ،

١- على الرغم من أن اتفاق الطائف لحظ تشكيل هيئة ، لتعمل على دراسة كيفية التوصل إلى إلغاء الطائفية السياسية ، لكن حتى الآن ، لم تتشكل هذه الهيئة لأن واقع المجتمع الطائفي في لبنان ، لا يتيح في الوقت الحاضر مثل هذه الفرصة .

٢- الصحف اللبنانية ١٤ آب ١٩٨٩ .

ونعته بأنه «تكرار لخطأ تاريخي فادح ، وقع في العام ١٩٤٣ ، وكان العامل المباشر لعدم الاستقرار والخراب اللذين لحقا بالوطن»[٣] .

لكن بعد توقيع اتفاق الطائف ، وبعد أن اتضح أنه يحظى بالدعم الدولي (أميركا والاتحاد السوفياتي) ، وبدعم دول المنطقة (الدول العربية وبخاصة سوريا) ، ويلقى تأييداً من الرأي العام في لبنان ، عدّل حزب الله تدريجياً موقفه من المعارضة الكاملة للاتفاق ، إلى «معارضة الجزء المتعلق بالإصلاحات السياسية ، والموافقة على جزئه الأمني» ، وقد نشر المكتب السياسي للحزب كتيباً مفصلاً ، فنّد فيه مضمون اتفاق الطائف ، حيث انتقد مستوى الاصلاحات التي عرضها الاتفاق للنظام السياسي ، وأثنى على الجزء الأمني منه المتعلق بإنهاء الحرب الأهلية في لبنان ، شرط التمييز بين المقاومة ضد الاحتلال ، وبين أعمال الميليشيات ، وأن حزب الله على الرغم من موافقته على نزع أسلحة الميليشيات إلا أنه يعتبر المقاومة حقاً شرعياً للشعب في مواجهة المحتلين[٤] .

وهكذا فإن حزب الله إكتفى بمعارضة الاتفاق سياسياً ، على عكس الجنرال «ميشال عون» ، الذي شرع بمعارضته عبر حركة تمرد مسلحة . لقد سعى حزب الله إلى اتخاذ موقف تجاه «وثيقة المصالحة الوطنية اللبنانية» ، لا يكون مغايراً «للوثيقة» ، التي كانت تهدف إلى إنهاء الحرب الأهلية ، ولا يظهر في الوقت نفسه ، موافقته على إقامة نظام سياسي مرفوض منه ، وهكذا «في مواجهة هذا الوضع المحير والمربك ، أصبح حزب الله مستعداً لتبني أسلوب واقعي ، وفي إطار جملة مقررات مؤتمره الثاني (أيار ١٩٩١) ، وضع حزب الله حداً لحملته المكشوفة على اتفاق الطائف ، وبدأ يحضّر للاعتراف به ، أو - بمعنى أدق - للقبول ببنوده عملياً»[٥] . وهكذا تخلى حزب

٣- حديث لأحد قادة حزب الله إلى صحيفة **السفير** ، ٥ تشرين الأول ١٩٨٩ .

٤- المكتب السياسي لحزب الله ، «**وثيقة الطائف : دراسة في المضمون**» (بيروت : لجنة التحليل والدراسات ، ١٩٨٩) .

5- Eyal Zisser, "Hizbollah on the Crossroad" ***Middle East Review of International Affairs (MERIA)***. 1997, Sep.30, p.61.

الله عن موقفه الراديكالي ، القائل بتقويض النظام السياسي اللبناني ، وطالب فقط ، بضمان الحريات السياسية والفكرية والإعلامية ، وكان يعدّ هذه الأمور من «واجبات الدولة تجاه قضايا الوطن الحياتية»(٦) .

حين بدأت الدولة اللبنانية تنفذ بنود اتفاق الطائف ، وبخاصة البند المتعلق بنزع سلاح الميليشيات ، نقل حزب الله دون أي اعتراض أسلحته إلى جنوب لبنان ، وامتنع منذ منتصف العام ١٩٩١ ، عن الظهور العلني المسلح في بيروت أو البقاع ، وقد أخلى في شهر آب من العام ١٩٩٢ ثكنة «الشيخ عبدالله» في مدينة بعلبك - التي كانت مقراً استراتيجياً مشرفاً على هذه المدينة - بصورة سلمية ، وسلّمها إلى الجيش اللبناني . وقد تسبّبت إعادة هذه الثكنة - التي ظلت لمدة عقد كامل رمزاً لقوة حزب الله - إلى الجيش الكثير من الشبهات في أذهان عناصر الحزب ومؤيديه ، وقد ردّ أحد قادة الحزب على هذه الشبهات بقوله :

« .لقد جاؤونا طالبين إخلاءها لأنهم محرجون ، إذ أن قرارهم هو استعادة جميع أملاك الدولة ؛ منذ فترة وهم يطالبوننا ونحن نؤجّلهم ، إلاأن استعادتهم بقية أملاك الدولة ، وبالطريقة التي تتم ، دون مراجعة أحد ، ودون التنسيق مع أحد ، باستثنائنا نحن ، يؤكد على موقعيتنا المتميزة وعلى احترام الجميع لنا ؛ لم يعطوا أحداً مهلة ، نحن فقط الذين قالوا لنا ، وبكل لطف : «خذوا وقتكم الذي تريدونه ، وأقيموا ثكنة في أي مكان تريدونه» . هل من مصلحة لنا أن نرفض وأن ندخل في مواجهة مع الجيش ، ثم تتدخل الوساطات ، ليقال لنا إن هذه الثكنة للجيش ، وبإمكانكم اختيار مكان آخر؟»(٧) .

إذا قارنّا موقف حزب الله هذا تجاه الجيش اللبناني ، بمواقفه منه في الثمانينات ، نفهم بوضوح إلى أي حد بلغ إدراكه للواقع ، وللتغييرات التي طرأت على المجتمع اللبناني بعد اتفاق الطائف ، مما دفعه إلى تغيير مواقفه للإنسجام مع هذا الواقع ، ولهذا

٦- الصحف اللبنانية ، ٤ كانون الأول ١٩٩١ .

٧- حسن فضل الله ، **الخيار الآخر** (بيروت : دار الهادي ، ١٩٩٤) ، ص ١٢٠ .

السبب ، حين بدأ الجيش اللبناني(٨) بنشر قواته في كانون الأول ١٩٩٢ في ضاحية بيروت الجنوبية (منطقة نفوذ حزب الله) ، لم يظهر قادة الحزب أدنى مقاومة أو اعتراض .

٢- تنحية الجناح الراديكالي

كان حزب الله كغيره من المجموعات والأحزاب ، يضم في داخله أجنحة مختلفة ، وكان لقادته وكوادره آراء وأمزجة متنوعة ، وبخاصة أن هذا الحزب تكوّن من اندماج مجموعات متعددة ومختلفة ، لكل منها ماض وسوابق خاصة بها ؛ ومن هذه المجموعات على سبيل المثال : «الأعضاء السابقون في حزب الدعوة» ، «الأعضاء السابقون في المنظمات الفلسطينية» ، «الأعضاء السابقون في اتحاد الطلبة المسلمين» ، وغيرهم . لكن الخبراء والمحللين يتكلمون على جناحين بين قادة حزب الله هما «الجناح الراديكالي» و«الجناح الواقعي»(٩) . ولهذا السبب يعتقد البعض أن الازدواجية الواضحة بين الأهداف الحالية والأهداف السابقة لحزب الله ، ومساعي هذا الحزب ، لإظهار نفسه بوجه معتدل ، تشير إلى النزاعات الداخلية ، بين جناحي القيادة : الواقعي والمتزمت(١٠) .

مع تنفيذ بنود إتفاق الطائف ، وظهور تحولات جذرية في الأوضاع الداخلية اللبنانية ، بدأ يتضح بالتدريج أن الجناح الراديكالي لحزب الله بزعامة الشيخ صبحي

---

٨ - كان حزب الله يعتقد في الثمانينات ، أن الجيش اللبناني يعمل كحليف للميليشيات المارونية ، لذلك كانت له مواجهات مسلحة مع هذا الجيش ، ولم يكن مستعداً لاعطائه أي امتياز ، لكن بعد اتفاق الطائف ، وإعادة بناء الجيش على أسس وطنية ، غيّر حزب الله أيضاً موقفه .

9- Kenneth Katzman, “Hizbollah: Narrowing Options in Lebanon", in Stephen Pelletiere (ed.), ***Terrorism: National Security Policy and the Home Front*** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, U. S. Army War College,1995), p.39.

10- Stephen Pelletiere, ***A Theory about Fundamentalism: Hizbollah of Lebanon*** (Carlisle, P. A.: The Strategic Studies Institute, U. S. Army War College, Sep. 1995), p. 31.

الطفيلي (الأمين العام للحزب آنذاك) ، لا رغبة لديه بأن يكيّف نفسه مع الأوضاع والظروف الجديدة ، وأنه يريد أن يتابع السياسات والممارسات التي كان يقوم بها قبل اتفاق الطائف ، أما الجناح الواقعي [المعتدل] في الحزب فكان بزعامة السيد عباس الموسوي والسيد حسن نصر الله ، اللذين تمكنا من استمالة سائر القادة والكوادر الحزبية إلى صفهما ، ومن إقناعهم بوجوب إجراء تعديلات جذرية في التنظيم وفي الكادر القيادي وفي خط الحزب ، لضمان بقاء الحزب والمحافظة على استمراريته وحضوره في المسرح السياسي اللبناني .

وكانت النتيجة ، تنحية الشيخ صبحي الطفيلي في المؤتمر الثاني للحزب الذي انعقد في أيار ١٩٩١ ، من منصبه كأمين عام للحزب . واختير السيد عباس الموسوي أميناً عاماً ، والسيد حسن نصر الله رئيساً للمجلس التنفيذي . وهكذا «دخل حزب الله بتؤدة في المرحلة العقلانية ، وبدأ يتعاطى بانفتاح مع النظام السياسي اللبناني»[١١] .

إن فشل الشيخ صبحي الطفيلي ، في استعادة دفة القيادة في انتخابات حزب الله القيادية ، التي أجريت في أيار ١٩٩١ ، وشباط ١٩٩٢ (بعد اغتيال الشهيد السيد عباس الموسوي) ، نيسان - أيار ١٩٩٣ وتموز ١٩٩٥ ، أدى إلى تآكل نفوذ المعسكر الراديكالي والمتطرف في حزب الله ، وكان هذا واضحاً ، من خلال جعل الشيخ الطفيلي مجرد عضو في شورى القرار ذي حقيبة محددة حتى أيار ١٩٩٣ . وفي مقابلة أجرتها معه صحيفة «لوريون لوجور» في تموز ١٩٩٤ ، قال الطفيلي : « . . أنا محارب عادي . . ولا أشارك في صنع القرارات . وهذا الواقع قائم منذ انتخابات المجلس النيابي [عام ١٩٩٢][١٢] .

١١- «الشيعة في لبنان» ، **المجلة** ، العدد ٩١٥ ، ٢٤ آب ١٩٩٧ .

12- Magnus Ranstorp, ***Hizb'Allah in Lebanon*** (New York: St. Martin's Press, 1997), p.77.

في العام ١٩٩٧ ، بإعلانه «ثورة الجياع» ، خرج الشيخ صبحي الطفيلي من حزب الله . هو وأتباعه اليوم يعتبرون أنفسهم حزب الله الحقيقي .

كان السيد عباس الموسوي (الأمين العام الثاني لحزب الله) ، في النهج الذي يتعاطى به مع القضايا ، وفي طريقة نظرته إلى الأمور ، يختلف أشد الاختلاف عن الشيخ صبحي الطفيلي ، فقد كان بالنسبة إلى قضايا لبنان الداخلية ، يميل إلى «الابتعاد قدر الإمكان عن المواجهة» ، وكان يعتقد أن الواجب يقتضي تجنب سفك الدماء ، وأن المشاكل تحل دائماً بالطرق السلمية ، حتى وإن اضطر الحزب إلى تقديم التنازلات . أما الشيخ صبحي الطفيلي ، فكانت نظرته إلى القضايا اللبنانية الداخلية ، كنظرته إلى موضوع الصراع مع إسرائيل ، مرجحاً استخدام العنف ، دون أي تمييز بين «الخصوم» الداخليين و«الأعداء» الخارجيين[١٣] . وقد برز الاختلاف في وجهات النظر هذه في الممارسة العملية ، ففي مرحلة تولّي السيد عباس الموسوي منصب الأمانة العامة ،نجح حزب الله بوساطته لتحرير جميع الرهائن الغربيين في لبنان ، وأقفل هذا الملف نهائياً . علماً أن حزب الله بقي متشدداً في رفضه التوسط لإطلاق سراح هؤلاء في ظل قيادة الشيخ الطفيلي ، المعروف بنزعته الراديكالية القوية[١٤] .

لكن أهم دور للموسوي في موضوع تعديل استراتيجية حزب الله ، برز في قدرته على تغيير هذه الاستراتيجية من «السعي المستمر لإقامة الجمهورية الإسلامية في لبنان من طريق الكفاح المسلح» إلى «الاستعداد للمشاركة في النظام السياسي اللبناني»[١٥] . كانت واقعيته إنعكاساً لمساعي حزب الله الهادفة إلى مواجهة التحديات السياسية اللبنانية في «مرحلة ما بعد الميليشيات» . وعلى خلاف سلفه الشيخ صبحي الطفيلي ، أعلن السيد عباس الموسوي معارضته الصريحة لآية الله

١٣- أحمد الموسوي : «حزب الله من اللباس الإيراني إلى اللباس العربي» الجزء الثاني ، الترجمة الفارسية : م . باهر ، «**ترجمان سياسي**» ، العدد ٢١ ، ص ١٧ .

14- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p. 104.

١٥- ماغنوس رانستورب «**الوجه المتغير لحزب الله اللبناني**» ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث (بيروت ، أيار/ ٢٠٠٠) ، ص ٩ .

منتظري، وولاءه القوي لآية الله الخامنئي ولرفسنجاني»[١٦] .

كانت مرحلة تولي السيد عباس الموسوي للأمانة العامة قصيرة جداً، لأنه استشهد مع زوجته وطفلهما، على إثر إغارة هليكوبتر إسرائيلية على سيارته في شباط من العام ١٩٩٢، فخلا منصب القيادة في حزب الله، لكن الجناح الواقعي في حزب الله إنتخب بسرعة السيد حسن نصرالله خلفاً للموسوي، وقد تابع السيد نصر الله بمهارة مسيرة الموسوي الواقعية؛ ولذا أعلن الطفيلي والجناح الراديكالي المؤيد له معارضة نصر الله، واتهموه بالانحراف عن خط الجهاد ضد إسرائيل والاهتمام باللعبة السياسية الداخلية، لكن السيد نصرالله أثبت بتشكيله «المجلس الجهادي» تمسكه بالكفاح ضد الاحتلال الإسرائيلي، فتمكن بمهارة لافتة من جعل الجناح الراديكالي ينضوي تحت سلطته. وبتهميش دور الشيخ صبحي الطفيلي، لم يسمح لوحدات المقاومة الإسلامية بالمبادرة بالقيام بعمليات فردية وغير منظمة»[١٧] .

٣-التخلي عن أساليب الراديكالية

مع إضعاف الجناح الراديكالي المتطرف في حزب الله، ألغي استخدام الأساليب الراديكالية لتحقيق الأهداف التنظيمية من دستور عمل الحزب، لأنَّ الساحة السياسية اللبنانية لم تعد تشهد في التسعينات أعمال عنف كاحتجاز الرهائن، وخطف الطائرات، والاغتيالات، وزرع المتفجرات، ومهاجمة المصالح الغربية، وأكثر من ذلك، أفرج عن جميع الرهائن الغربيين في الفترة الواقعة بين آب وكانون الأول من العام ١٩٩١. وقد حصل حزب الله مقابل وساطته للإفراج عن الرهائن على مكسب مهم هو: «إعتراف الدولة اللبنانية رسمياً بالمقاومة»، وعلى إثر هذا التوافق المهم الذي حصل بمساعي سوريا وإيران، سمح لحزب الله بالاحتفاظ بأسلحته في الجنوب

16- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.74.
17- ***Ibid***, pp. 72 - 78.

لمقاومة إسرائيل[١٨] . وهكذا أسدل الستار عن أعمال العنف التي كان يقوم بها الجناح المتطرف بقيادة الشيخ صبحي الطفيلي، واختفت كذلك في بداية التسعينات منظمة الجهاد الإسلامي[١٩] .

إن قادة حزب الله لم يتخلوا فقط عن استخدام العنف السياسي، وإنما أدانوا كذلك رسمياً وعلنياً مثل هذه الأعمال، ورفضوها لأنها تعيد البلاد إلى مرحلة الحرب الأهلية. وقد صرح السيد حسن نصر الله في مقابلة أجرتها معه محطة الـM.T.V اللبنانية في ٥ آذار ١٩٩٧: «أن حزب الله ليس في وارد استخدام العنف والقوة للوصول إلى السلطة، وإنما هو على العكس، يطالب قبل أي فريق آخر بالحرية، لأن وجوده واستمراره رهن بها»[٢٠] . ورداً على سؤال «جبران تويني» رئيس تحرير صحيفة «النهار»، عن موقف حزب الله بالنسبة إلى استخدام العنف والإرهاب، أجاب نصرالله:

«إن الإسلام ضد (استعمال أساليب العنف والإرهاب للتعبير عن رفض حالة سياسية). أي عمل إرهابي يستهدف مدنيين، هو مرفوض حتى على المستوى الإسلامي وعلى المستوى الديني... لا مشكلة عندنا في إصدار بيانات إدانة، متى وجدنا أن الأميركيين والفرنسيين والأوروبيين يدينون الإرهاب، الذي حصل على أرضنا من إسرائيل»[٢١] .

وفي حديث إلى مراسل مجلة «الأهرام» الأسبوعية قال كذلك:

«إن حزب الله يؤكد على أهمية المحافظة على الوحدة الوطنية والأمن الاجتماعي. ونحن نؤمن

18- ***Ibid.***, p.105.

١٩- آخر خبر نشر عن منظمة الجهاد الإسلامي يعود إلى آذار ١٩٩٢. فبعد مضي شهر على اغتيال إسرائيل للسيد عباس الموسوي، وقع انفجار في سفارة إسرائيل في الأرجنتين وقد أعلنت وكالات الأنباء حينها، أن منظمة الجهاد الإسلامي تبنت على عاتقها مسؤولية هذه العملية: يراجع بهذا الصدد:
Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, pp.8, 21, 25.
Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, p. 67.

٢٠- **النهار**، ٢٨ شباط ١٩٩٨.

٢١- **ملحق النهار**، ٤ تشرين الأول ١٩٩٥.

أن الشعب اللبناني لا يجب أن يتوسل الحرب الأهلية ، تحت أي ظرف من الظروف . إن أي نوع من الاختلاف ، يجب أن يحل من طريق الحوار وبالوسائل السياسية ، ونحن نؤمن كذلك أن الحياة المشتركة السلمية هي التي يجب أن تكون أساس التعامل بين المسلمين والمسيحيين إلى أي جماعة أو حزب أو فرقة انتموا»[٢٢] .

وحتى في تعريفه «لأصولية حزب الله» ، رفض السيد حسن نصرالله استخدام العنف بشكل جذري . ورداً على سؤال غسان تويني : «هل حزب الله حركة أصولية؟»

أجاب : «إذا كان المقصود «بالأصولية» هو المعنى الذي يقصده في الغالب الغرب ، كتطرف وإرهاب ووحشية وقتل ، فإن حزب الله ليس أصولياً ويتبرأ من هذه الأصولية ، وفي هذا المعنى فإن إسرائيل هي الأصولية . أما إذا كان المقصود بالأصولية التمسك بالتراث الثقافي والتاريخي والحضاري والأصولي والعودة إليها ، فإن حزب الله هو أصولي من رأسه حتى أخمص قدميه»[٢٣] .

إن هذه التصريحات تدل على أن حزب الله على الرغم من دخوله في النظام السياسي اللبناني من بوابة المعارضة ، إلا أن معارضته من داخل النظام ومن خارجه لا يجب أن تلامس حد العنف . والنموذج البارز لهذا الموضوع ، ما جرى في مظاهرات ١٣ أيلول ١٩٩٣ . فقد سيّر حزب الله في ذلك اليوم مظاهرة حاشدة لإدانة اتفاقية «غزة - أريحا» ، تعرضت لهجوم من الجيش اللبناني ، وأصيب فيها حوالي خمسين شخصاً ما بين شهيد وجريح ، وقد أظهر حزب الله قدرة فائقة على ضبط النفس ، في حين أنه في الثمانينات ، وفي موقف مشابه ، رد حزب الله على نيران الجيش بمثلها . بعد الحادثة بعدة ساعات قال السيد حسن نصرالله : «إن حزب الله مع وحدة لبنان . .

٢٢- إيران والمقاومة الوطنية اللبنانية ، صحيفة «**صبح امروز**» الإيرانية ، ٢/ ١/ ٢٠٠٠ .

٢٣- **ملحق النهار** ، ٤ تشرين الأول ١٩٩٥ .

لن نطلق النار على الجيش ولا على أحد . . ولن ننجر إلى فتنة داخلية»[٢٤] ، وأضاف في مكان آخر : « . . .فخ ١٣ أيلول . . تجاوزناه بهدوئنا وضبط أعصابنا وأولوياتنا . . »[٢٥] .

٤- المشاركة في النظام السياسي اللبناني

كان حزب الله منذ بداية تأسيسه ، يعتبر النظام السياسي اللبناني نظاماً غير شرعي وغير إسلامي ، ويطالب بتقويضه ، ولكن في صيف العام ١٩٩٢ أعلن على الملأ ، قراره المهم والتاريخي المتعلق بالمشاركة في هذا النظام السياسي ، من طريق الاشتراك في الانتخابات البرلمانية . هذا القرار المصيري ، أثار تعجب الجميع في داخل لبنان وفي خارجه ، وقد اعتبر الباحث السياسي اللبناني «أنطوان سليمان» قرار الحزب هذا ، «أوج التبصر السياسي للحزب ، في تقويمه لأوضاع لبنان وسوريا والمنطقة» ، وأنه دليل على توصل الحزب إلى نوع من «العملانية السياسية والواقعية»[٢٦] .

إن قرار حزب الله المتعلق بالمشاركة في الانتخابات النيابية التي جرت في العام ١٩٩٢ ، لم يخرج بالسهولة المتصورة ، فقد عرف مخاضاً عسيراً ، وتوقف عند محطات بارزة ، فالسقف الذي دخل الحزب على أساسه في العملية الانتخابية ، هو أن تكون الانتخابات «حرة ونزيهة ومعبّرة عن رأي الشعب» ، وقد نوقشت هذه الحدود بإسهاب ، داخل قيادة حزب الله وقواعده ، وانتهت المناقشات بالموافقة على المشاركة في الانتخابات بإجماع الآراء[٢٧] . يعدّ قرار حزب الله المذكور تراجعاً للحزب عن أحد أهم مطالبه ، أي إسقاط النظام الطائفي في لبنان .

٢٤- وضاح شرارة ، **دولة حزب الله : لبنان ، مجتمعاً إسلامياً** ، (بيروت : دار النهار ، ط ٣ ، ١٩٩٨) ، ص ٣٤١ .

٢٥- **ملحق النهار** ، ٤ تشرين الأول ١٩٩٥ .

٢٦- صحيفة **العمل** ، ٢٣ كانون الأول ١٩٩٤ .

٢٧- حسن فضل الله ، م . س . ص ١٢٣ ؛ و**ملحق النهار** ، ٤ تشرين الأول ١٩٩٥ .

لا شك أن قرار المشاركة في الانتخابات النيابية الذي اتخذه حزب الله ، كان قراراً شديد الصعوبة بالنسبة إليه ، فعلى الرغم من أنه اتخذ بناء على استدلالات منطقية وواقعية ، إلا أن الشيخ صبحي الطفيلي ، الأمين العام السباق للحزب ، عارضه بشدة ، الذي اعتبر دخول الحزب إلى المجلس النيابي إبتعاداً عن خطه الإيديولوجي ، وأعلن كذلك أن هذا القرار دليل على تغييرات جذرية في داخل الحزب . وقد أشيع في تلك الأثناء أن أنصار الطفيلي وزعوا في البقاع بياناً باسم «أتباع خط الإمام الخميني في حزب الله» ، هددوا فيه ، بأنهم سيضرمون النار في مراكز الاقتراع . وقد ساد الظن على إثر هذه المواقف أن حزب الله سائر نحو التجزئة والإنقسام ، لكن ذلك لم يحدث ، وإنما على العكس ، أظهر حزب الله بقيادة السيد حسن نصرالله الحكيمة إنسجاماً كاملاً وانضباطاً لافتاً[٢٨] . وقد رد السيد نصر الله على اتهامات الطفيلي موضحاً أسباب المشاركة في الانتخابات النيابية بقوله :

«إن المجلس النيابي هو المنتدى السياسي الذي يجمع ممثلين عن فئات وشرائح متعددة في المجتمع اللبناني ، ويعدّ الموقع المؤثر في القرارات السياسية الخطيرة على مستوى البلد ومستقبله . . . كما أن المجلس النيابي هو الجهاز الأول في البلاد ، المسؤول عن عملية المراقبة على كل الأجهزة الحكومية ، من إدارات عامة ووزارات وغيرها . . وهذا ما يعطي المجال لنا عبر ممثلينا في المجلس النيابي ، لنكون في طليعة القوى التي تسأل الحكومات وتراقبها وتحاسبها ، كما أن ذلك يعطينا الفرصة لنحمل هموم الناس وقضاياهم ، ولنجعل منها عبر المنبر النيابي قضايا حيوية وهموماً غير منسية . . . وفي هذا السياق فإن دخولنا إلى المجلس النيابي يعتبر حضوراً رسمياً ، ليس في لبنان فحسب ، بل في جميع دول ومنظمات العالم . . وعلى الرغم من الملاحظات

٢٨- نزار حمزة ، حزب الله اللبناني : من الثورة الإسلامية إلى التسوية البرلمانية ؛ (النص الفارسي) ترجمة بهروز أبويي مهريزي ، «**دانش سياسي**» شماره سوم (العدد الثالث) مكتب الدراسات السياسية ، ص ٦٢ وكذلك :
Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, pp.8, 21, 25.

والتحفظات على قانون الانتخابات اللبناني . . كانت مشاركتنا في الانتخابات . . . على أساس برنامج إنتخابي متكامل . .»[٢٩] .

هذه الاستدلالات الحقوقية والقانونية كانت تخفي وراءها أمراً مهماً وهو «خطر الانزواء والعزلة السياسيين داخل الساحة الداخلية اللبنانية ، في حال عدم المشاركة في الانتخابات النيابية» ، ومن ناحية أخرى ، نصح القادة الإيرانيون والسوريون حزب الله ، أن يدخل في النظام السياسي اللبناني ، فيتمكن بذلك من الحصول على الاعتراف به رسمياً ، ويدحض إتهامات أميركا وإسرائيل له بالإرهاب ، ويربح الغطاء السياسي والقانوني اللازم ، للتواجد الدائم والقوي في الساحة السياسية اللبنانية[٣٠] .

إنطلاقاً من هذا الواقع ، قرر حزب الله الدخول في «الفسيفساء السياسية» للمجتمع اللبناني ، وعلى إثر هذه المشاركة ، وبعد وصف ريتشارد جونز سفير أميركا السابق في لبنان حزب الله بأنه مجموعة إرهابية ، ردَّ عليه الحزب بالقول : «إن هذا الكلام هو إهانة للشعب اللبناني ، لأن عدداً من عناصر الحزب هم نواب في البرلمان اللبناني»[٣١] .

٥- التحالفات الانتخابية

كان لحزب الله اللبناني قبل اتفاق الطائف ، علاقات عداء مع معظم المجموعات والأحزاب اللبنانية . ولكن في أثناء التحضير لانتخابات العام ١٩٩٢ ، تحالف مع عدد منها ، وهكذا وقف جنباً إلى جنب مع قوى كان إلى وقت غير بعيد في حرب معها ،

٢٩- العلاقات الخارجية لحزب الله «**حزب الله : النشأة والرؤيا**» ، ص ص ٢٥ -٢٧ ، وكذلك :
Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, pp.8, 21, 25.

٣٠- محمود حيدر ، **اللايقين السلمي : أحوال لبنان ما بعد الحرب** (بيروت : دار الفارابي ، ١٩٧٧) ص ص ١٨٣ - ١٩٠ ، وكذلك :
Hala Jaber, ***Hezbollah: Born with a Vengeance*** (New York: Columbia University Press, 1997), p.72.

٣١- **النهار** ، ١ شباط ١٩٩٦ .

فقد شكّل مرشحوه ومرشحو حركة أمل والحزب الشيوعي ، والحزب السوري القومي وحزب البعث معاً لائحة ائتلافية واحدة[٣٢] . ويعد هذا العمل بالنسبة إلى حزب الله دليلاً بارزاً على واقعيته .

في منطقة الجنوب تحالف الحزب مع نبيه بري ، خوفاً من أن يؤدي تنافس الحزب والحركة إلى إعادة إضرام نيران الحساسية الناجمة عن الحرب السابقة بين الفريقين . في منطقة البقاع ، ترك حزب الله في لائحته مكانين شاغرين لحفظ مكانة «حسين الحسيني» الرئيس السابق للمجلس النيابي اللبناني ، على الرغم من رفض هذا الأخير التحالف مع حزب الله . لكن بناء على كلام السيد حسن نصر الله : « . . . إننا أبقينا مقعدين شيعيين شاغرين في لائحتنا ، لأننا لم نرد أن ندخل في معركة «كسر عظم» ، مع الرئيس حسين الحسيني . . واعتبرنا أن إخلاء المقعدين يبقي الأبواب مفتوحة ، أمام الرئيس الحسيني ، لعودته مجدداً إلى مجلس النواب . . فلو أننا قدمنا لائحة مغلقة وكاملة ، لنجحت كاملة ، وقطعت الطريق على الآخرين . . »[٣٣] .

من ناحية أخرى تمكن حزب الله بتركه مقاعد خالية في لوائحه من الإفساح في المجال للمصالحة والتحالف مع جميع الجماعات وحتى العشائر الباقية ، وهكذا استطاع من خلال سياسة «الأخذ والعطاء» أن يعقد اتفاقات مهمة ، وبهذا الخصوص يقول الدكتور نزار حمزة الاستاذ في الجامعة الأميركية : «مقابل هذا التكتيك المحسوب لحزب الله ، ظهرت المجموعات والشخصيات الأخرى هاوية وغير محترفة»[٣٤] .

كانت نتيجة هذه المعركة الانتخابية الدقيقة إنتصاراً كاسحاً لحزب الله في الانتخابات النيابية في العام ١٩٩٢ ، حيث دخل المجلس ثمانية نواب شيعة ، وأربعة

٣٢- وضاح شرارة ، م . س . ص ٣٧٠ .

٣٣- ملحق **النهار** ، ٤ تشرين الأول ١٩٩٥ .

٣٤- نزار حمزة ، م . س ، ص ٣٨ .

من بقية الطوائف الأخرى من حلفاء حزب الله[٣٥] ، وتشكلت كتلة من اثني عشر نائباً باسم «كتلة الوفاء للمقاومة» تعد أول كتلة إسلامية في المجلس النيابي اللبناني . هذا الانتصار الكاسح لحزب الله دفع السيد حسن نصر الله في تقويمه لمكاسب الحزب البرلمانية إلى التأكيد أن «تجربة الدخول في البرلمان كانت تجربة إيجابية ، ولهذا السبب ، سيشترك حزب الله في الانتخابات المقبلة في العام ١٩٩٦»[٣٦] . وقال الشيخ نعيم قاسم أيضاً عن التحالفات الانتخابية لحزب الله في العام ١٩٩٦ : «إن إمكانية التحالف مع جميع الأحزاب غير المتعاملة مع إسرائيل واردة»[٣٧] ، وقد كرر حزب الله نجاحه في انتخابات العام ١٩٩٦ ، وبعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان في أيار من العام ٢٠٠٠ ، شارك الحزب كقوة أولى في المعارك الانتخابية في ذلك العام .

٦- لعب دور المعارضة

بعد تنفيذ اتفاق الطائف ، طرح موضوع تأليف الحكومة الجديدة برئاسة «رفيق الحريري» ، أحد أغنى الشخصيات السنية ، الذي تربطه علاقات وثيقة بالمملكة العربية السعودية وأميركا وفرنسا ، حيث وقف حزب الله في البداية موقفاً معارضاً لرئيس الحكومة ، لكن بعد دخول نواب الحزب إلى المجلس ، اتخذت هذه المعارضة شكلها القانوني ، وقام حزب الله مع كتل أخرى بدور المعارضة . لذلك حين طرحت الثقة بحكومة الحريري ، حجب حزب الله عنها الثقة ، وفي أثناء عرض الميزانية على المجلس ، حمل نواب الحزب على الفساد الحكومي ، دفاعاً عن الطبقات المحرومة[٣٨] .

على الرغم من معارضة حزب الله لحكومة الحريري ، سعى الحزب دوماً أن تكون

٣٥- مع الأخذ في الاعتبار أن عدد النواب في البرلمان اللبناني هو ١٢٨ عضواً ، للوهلة الأولى يبدو انتصار حزب الله غير ذي قيمة . لكن بما أن حصة الشيعة ٢٧ نائباً فقط ، إستطاع حزب الله في تجربته الانتخابية الأولى أن ينال وحده ثمانية مقاعد ، وأن تتوزع المقاعد الباقية على الكتل والشخصيات الشيعية الأخرى .

٣٦- مجلة **البلاد** ، ١٢ تشرين الأول ١٩٩٤ .

٣٧- **السفير** ، ٢ تشرين الأول ١٩٩٥ .

38- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 210

هذه المعارضة على أساس سياسة «المعارضة دون قطع العلاقة» ، خوفاً من أن يؤثر ذلك على قضية المقاومة . إن كتلة حزب الله ، برسمها سياسة وطنية بشأن القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مهدت لنفسها إمكانية المعارضة الشرعية للحكومة ، دون أن تدخل في صراع مباشر وعلني معها ومع المجموعات المؤيدة لاتفاق الطائف»[٣٩] . وأظهر الحزب في سلوكه الميداني ، ما يدل على وعيه للمضمر السياسي حياله ، وإن بالقدر الذي أتيح له من مجالات محاورة مع مراكز الحكم . لذلك ما إن تحسن سلوك رفيق الحريري تجاه حزب الله ، حتى غيّر الحزب أيضاً من سلوكه ، وحوّل بالتدريج موقفه ، من الرفض المطلق لجميع قرارات حكومة الحريري إلى «معارضة هادئة» ، وقد وجّه حزب الله هذا التغيير التدريجي بأن «خرج من موقف التحريم ، واحتفظ بموقف المعارض»[٤٠] . ويأتي تقدير السيد حسن نصر الله الصادق للرئيس رفيق الحريري ، وللدور الذي لعبه في موضوع تبادل الأسرى اللبنانيين مع أشلاء أحد الجنود الإسرائيليين في صيف العام ١٩٩٨ ، نموذجاً بارزاً لهذا التوجه .

كان نواب حزب الله ، يحاولون دائماً وبحسب الضرورة مواءمة نشاطهم وعملهم السياسي ، مع واقع الساحة السياسية اللبنانية المتحركة ، لذلك وعلى الرغم من أيديولوجيتهم الإسلامية ، لم يتطرقوا في داخل المجلس النيابي إلى المطالبة بتطبيق القوانين الإسلامية[٤١] ، وإنما ركزوا في معارضتهم لحكومة الرئيس الحريري ، على عجز الحكومة عن حل مشاكل الشعب المتفاقمة ، وعلى الفساد الحكومي والإداري ، وغياب البرامج الاقتصادية الواضحة ، وتقصير الحكومة في دعم المقاومة ، وغيرها من القضايا المشابهة .

39- Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, p.61.

٤٠- محمود حيدر ، م . س . ص ١٦٧ ، والسفير ١٧ آب/ ١٩٩٨ .

41- May Chartouni-Dubarry, "Hizballah: From Milita to Political Party", in Rosemary Hollis and Nadim Shehadi (eds.), ***Lebanon on hold*** (London: 1996), p. 61.

٧- حزب الله واللعبة الديمقراطية

كان لدخول حزب الله في النظام السياسي اللبناني ، ومراعاته لقواعد اللعبة السياسية تأثير متبادل على الطرفين ، حيث أوجدت مشاركة حزب الله في المعارك الإنتخابية ظاهرة جديدة غير معروفة في الساحة السياسية اللبنانية ، فقد قلب دخول الإسلاميين إلى المجلس النيابي المعايير والأصول التقليدية المتعارف عليها ، بصورة جذرية . كانت اللعبة السياسية من قبل محصورة في إطار العائلات النافذة التي كان لها - بحسب موقع كل منها - دور في تأسيس النظام السياسي وصياغة الميثاق الوطني في العام ١٩٤٣ . ولم تأت نتائج المعارك الإنتخابية في عامي ١٩٩٢ و١٩٩٦ ملائمة في الواقع لإرادة الموقّعين على اتفاق الطائف ، وظهر نوع من التحول «غير المرغوب به» بحسب منطق اللعبة السياسية ، وبتعبير أفضل ، إنتهت مرحلة الشخصيات والعائلات التقليدية النافذة ، ودخلت ساحة المجلس قوى جديدة من داخل خرائب الحرب .

على الرغم من هذا التحول الأساسي ، كان حزب الله مضطراً كغيره من القوى الجديدة ، التي دخلت المجلس النيابي للمرة الأولى ، أن يراعي قواعد اللعبة السياسية الجديدة ، ليقبل به المجتمع السياسي اللبناني رسمياً . فعلى سبيل المثال ، كان من واجب حزب الله أن يتخلى عن فكرة إقامة حكومة إسلامية في لبنان ، وأن يقبل النظام السياسي اللبناني كواقع ، ويشارك فيه بشكل إيجابي . وقد عبّر حزب الله نفسه عن هذا الموضوع كما يلي : «إن ساحة النضال ، حين تتغير من ساحة عسكرية إلى ساحة سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية ، يكون الفرق بين هذه الساحات وقواعد اللعب في داخلها كبيراً جداً»[٤٢] .

إن الاهتمام بالرأي العام هو من أهم قواعد اللعبة الديمقراطية ، وحزب الله الذي

٤٢- مقابلة مع رئيس المجلس السياسي السابق لحزب الله ، النائب محمد رعد (بيروت ، نيسان ١٩٩٧) .

كان في الثمانينات يعمل بناء على «الواجب الشرعي» فحسب، بات في هذه المرحلة لا يتخذ أي موقف يرفضه الرأي العام، والإرادة الشعبية، وكمثال على ذلك، فإنه على الرغم من شجبه لموقف «البابا» المؤيد لإسرائيل، فعل كما فعل الآخرون في أثناء زيارة البابا للبنان، ووجّه إليه رسالة ترحيب[٤٣].

وفي برنامجه الانتخابي الذي طرحه في العام ١٩٩٢، مطالب عديدة، تعدّ من قواعد اللعبة الديمقراطية، وأهمها احترام الحريات السياسية والإعلامية وحرية التفكير والتعبير، وحرية العمل السياسي، وعدم خضوع وسائل الإعلام الخاصة لرقابة الدولة[٤٤]. وفي هذا السياق، التحرك الذي قام به نواب حزب الله وآخرون من نواب المجلس بعد صدور القرار الحكومي بمنع المحطات الإذاعية والتلفزيونية الخاصة من بث نشرات الأخبار والبرامج السياسية والذي أسفر عن تراجع الحكومة عن قرارها. كذلك حين تعرض «طلال سلمان» رئيس تحرير صحيفة «السفير»، لضغط من رئيس الحكومة الحريري، وأوقفت صحيفته بصورة مؤقتة عن الصدور، طالب حزب الله «بالحرية الكاملة للمطبوعات»[٤٥].

إن رعاية حزب الله لقواعد اللعبة الديمقراطية تمثلت، كما يعتقد مارتن كريمر في «إن حزب الله أبدى استعداداً لاستبدال شعار الديمقراطية بشعار الثورة.. وفي انحراف شديد (عن المألوف) يظهر الحزب نفسه بمظهر البطل المدافع عن الديمقراطية، أي أن حزب الله بدأ بالتحول ببطء إلى حزب سياسي يتحدث علماؤه بلهجة أشبه بلهجة المرشحين»[٤٦].

٤٣- مقابلة مع الدكتور حبيب فياض (طهران، حزيران ١٩٩٧).

٤٤- حسن فضل الله، م.س. ص ٢١٩.

٤٥- مقابلة مع الدكتور حبيب فياض، م.س.

46- Martin Kramer, "Hizballah, the Calculus of Jihad", in Martin E. Marty and R. Scott Appelbu (eds.) ***Fundametalism and the State*** (Chicago: Chicago University Press, 1993), p. 44.

٨- المشاركة في النقابات والاتحادات

منذ بداية استقلال لبنان، تولّت «النقابات والاتحادات» مسؤولية حيز مهم من النشاط السياسي في المجتمع اللبناني، وكانت على علاقة وثيقة بالأحزاب والجماعات السياسية. وكان رؤساء النقابات والإتحادات، من الوجوه المعروفة على الصعيدين السياسي والاجتماعي، وكان لديهم القدرة على التأثير في القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقد كان ولا يزال لهذا الجزء من المجتمع المدني نشاط وحيوية لافتان في الحياة السياسية اللبنانية؛ أما حزب الله اللبناني فعلى العكس من سائر الأحزاب اللبنانية، لم يظهر أدنى اهتمام بهذا الحيز من المسرح السياسي اللبناني، ولم يبد أي اكتراث به حتى اوائل التسعينات.

بعد أن دخل حزب الله إلى البرلمان، وتوضحت لديه نتائج هذه المشاركة السياسية، تنبّه تدريجياً إلى المكانة التي تحتلها النقابات والاتحادات في الأنشطة السياسية للأحزاب الأخرى، لذلك أولى هذا الجانب أهمية، ودخل في نشاطات النقابات، كي لا يتأخر عن ركب الآخرين، وليستفيد من هذه الساحة الواسعة، لكنه دخلها بصورة مشتتة وغير منظمة؛ إلى أن أسس في العام ١٩٩٥، وحدة الشؤون النقابية في المجلس السياسي للحزب، وشارك بشكل منظم وهادف، في هذا النوع من النشاط السياسي - الاجتماعي. يقول «محمد الخنسا» المسؤول السابق عن شؤون الحزب النقابية، ورئيس بلدية الغبيري حالياً توضيحاً لأسباب وعوامل دخول الحزب في هذا الميدان:

«إنطلاقاً من التغييرات التي طرأت على الوضع اللبناني، أحسسنا بالحاجة إلى العمل النقابي، مع ما لهذا العمل من أهمية في إطار المجتمع المدني، فالمجموعات السياسية في مصر والأردن تنشط في قالب الاتحادات والنقابات، لأن هذا النوع من العمل، هو عمل دائم ومستمر، على عكس النشاطات العسكرية - السياسية المرتبطة بمرحلة زمنية خاصة؛ إن أي نوع من الاقتراب أو الدخول في النقابات والتجمعات، وبخاصة في هيئتها المركزية، سيفتح أمامنا أبواب الدخول إلى الساحة الدولية والعربية، لأن هذه التجمعات، أعضاء في المنظمات الدولية العربية ولها

ممثلون فيها . حين نرى نموذج «ليخ فاليسا» نتعرف على أهمية العمل النقابي ، لكن الحركات الإسلامية في لبنان ، ظلت بعيدة حتى وقت قريب عن ميدان العمل النقابي ، ولذلك كان الأمر يتطلب نشاطاً مضاعفاً لتوضيح أهمية العمل للجميع . ولفك الحصار الذي طوقتنا به الحكومة ، بدأنا العمل النقابي كأفضل الطرق ، للضغط على الحكومة ، لأن أي إضراب يضر بالحكومة ضرراً كبيراً ، لذلك يجد أولو الأمر أنفسهم مجبرين على التباحث وتقديم التنازلات . ولهذا السبب أيضاً دخلنا الاتحادات ، وهذا ما لم يفعله أي فريق إسلامي قبلنا ، وقد بلغ تأثير نشاطنا النقابي أن رئيس الاتحاد العمالي العام ، كان يؤكد في كل جلسة من جلسات الاتحاد ، على شرعية المقاومة والرفض القاطع للاحتلال» .

لقد دخل حزب الله مجال العمل النقابي من طريقين : الأول ، التغلغل داخل الإتحادات القائمة ، وبخاصة في هيئاتها الإدارية ، والثاني ، تشكيل اتحادات ونقابات جديدة . في الوقت الحاضر ، لحزب الله تواجد في جميع الاتحادات المهنية والعمالية ، وبخاصة المفصلية منها ؛ لهذا السبب كان له في المراحل الحساسة القدرة على التأثير في قرارات الحكومة . وقد استطاع حزب الله من طريق نشاطاته النقابية ، أن يشرك جميع طبقات المجتمع في التعبير عن تأييدها للمقاومة ، وأن يخرج هذا الأمر من حدود المساجد والحسينيات ، إلى فضاء أرحب . كما استطاع حزب الله في الواقع ، بتفعيله للنقابات والاتحادات أن يملأ الفراغ الذي نجم عن ضعف الأحزاب . بعد توقيع اتفاق الطائف ، ومنع تلاشي المجتمع المدني في لبنان[٤٧] .

٩- حزب الله والانتخابات البلدية

إن المجالس البلدية والاختيارية في القرى والمدن ، هي من المؤسسات الفاعلة في المجتمع المدني في لبنان ، وكان يتم اختيارها منذ بداية الاستقلال بالانتخابات العامة ، وهذه المجالس تنتخب بدورها رؤساء البلديات والمخاتير ، لكن الحرب الأهلية أعاقت

٤٧- هذه المعلومات حصلنا عليها في العام ١٩٩٧ ، من حديث أجريناه مع محمد الخنسا ، مسؤول الشؤون النقابية في حزب الله في حينه .

إجراء الانتخابات لمدة ثلاثة عقود ، وأول دورة انتخابية لهذه المجالس بعد الحرب الأهلية جرت في العام ١٩٩٨ .

لقد استفاد حزب الله من التجارب العديدة التي خاضها أثناء الانتخابات النيابية في عامي ١٩٩٢ و١٩٩٦ ، ودخل الانتخابات البلدية والاختيارية في العام ١٩٩٨ بكامل قدراته واستعداده ، لأن الفوز في هذه الانتخابات معناه الحصول على القدرة التنفيذية في النظام السياسي - الاجتماعي في لبنان . وقد تمكن حزب الله من الفوز في هذه الانتخابات فوزاً ساحقاً في ضاحية بيروت الجنوبية وفي البقاع والجنوب . ففي مجلس بلدية منطقة «الغبيري» في بيروت الذي يعدّ المجلس البلدي الثاني في لبنان من حيث عدد الأعضاء والغنى المادي ، فاز جميع مرشحي حزب الله ، وانتخب محمد الخنسا ، مسؤول الشؤون النقابية في الحزب رئيساً للبلدية ، وفي الجنوب الذي يعد تقليدياً منطقة نفوذ «نبيه بري» رئيس حركة أمل ، فاز جميع مرشحي حزب الله وحلفائهم في المجلس البلدي لمدينة النبطية ، وكذلك الأمر في عديد من القرى والبلدات ، وفي منطقة البقاع ، حيث فاز مرشحو الحزب في «الهرمل» ، كما فاز عدد من مرشحي الحزب في «بعلبك» .

وهكذا ، استطاع حزب الله - بعد مشاركته في المجلس النيابي الذي ينحصر دوره في التشريع - أن يفوز في الانتخابات البلدية التي مكّنته من المشاركة في السلطة التنفيذية ، لأن المجالس البلدية في لبنان تخضع لسلطة الدولة ، والحكومة هي التي تؤمّن لها الجزء الأكبر من ميزانياتها[٤٨] ، وهذا ما أوجد علاقة بين حزب الله والحكومة ، وتمكن قادة الحزب من عبور الطريق الديمقراطي والقانوني للوصول إلى السلطة بنجاح .

١٠- التسامح في تطبيق الأحكام الإسلامية

من التحولات التي طرأت على ممارسات حزب الله بعد اتفاق الطائف ، التعديل

٤٨- وائل الصغير «قراءة في الشعبية المتصاعدة لحزب الله» ، **نداء الوطن** ، ٢٣ أيلول/ ١٩٩٧ .

في نظرة الحزب إلى تطبيق الأحكام الإسلامية في المناطق الخاضعة لنفوذه ، فالمراقب في الوقت الحاضر ، حين يرى للمرة الأولى هذه المناطق وبخاصة ضاحية بيروت الجنوبية ، يصاب بالحيرة من مدى التسامح والتساهل اللذين يمارسهما الحزب في هذه المنطقة : تجول النساء غير المحجبات في الشوارع ، بيع أنواع الأشرطة الموسيقية دون حرج ، الاختلاط بين البنين والبنات ، وهذا دليل على تسامح حزب الله وسعة صدره في هذه المناطق . وهذا ما يعترف به «كنث كاتزمان» المحلل الأميركي ، حيث يقول : «إن حزب الله أصبح أقل تشدداً في فرض القوانين والقيم الإسلامية في المناطق الواقعة تحت سيطرته ، قياساً بما كان عليه الوضع قبل سنوات»[٤٩] . وتوضح هلا جابر «لقد توصل حزب الله من أخطائه السابقة حتماً إلى نتيجة مفادها أن فرض الأحكام الإسلامية على الناس ، لن تؤدي إلا إلى ابتعادهم عنه»[٥٠] .

وعلى الرغم من أن حزب الله لم يتحمل رسمياً مسؤولية أعمال العنف التي حصلت بذريعة تطبيق الأحكام الإسلامية ، ووصف هذه الأعمال أنها «أعمال مصدرها عاطفة وحماس بعض عناصر الحزب» ، لكنه يعترف ، كما جاء على لسان الشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام لحزب الله أن :

«ما كان يحصل في السابق هو أن الساحة كانت تخلو من الضوابط ، وليس فيها سلطات وقوى مؤثرة ، والناس يعيشون حالة عاطفية ، فالبعض كان يقوم بأعمال يلصقها الآخرون بنا كحزب ويحمّلوننا مسؤوليتها ، لأنها تحصل في مناطق لنا فيها نفوذ ، مع العلم أن لا علاقة لنا بها . كنا ننفي هذا الأمر . . أما ما حصل اليوم فإن الأجواء العامة ، أجواء ضبط ، وأجواء أخذ السلطات لمواقعها ، لذلك فإن بعض المتحمسين الذي كانوا يبادرون في السابق إلى مثل هذه الأعمال قد وقفوا اليوم عند حدّهم ، ونحن لا نغطي ولا نشجع أحداً ، ولا نؤمن بهذا الأسلوب»[٥١] .

49- Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p. 14.

50- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 161.

٥١- **مقابلة** مع الشيخ نعيم قاسم ، **السفير** ، ٢ تشرين الأول ١٩٩٥ .

في كل الأحوال ، من المسلّم به ، أن حزب الله لم يعد يمارس «التزمت» الذي كان يمارسه في السابق ، في ما يتعلق بتطبيق الأحكام الإسلامية في المناطق الخاضعة لنفوذه ، كما أنه يبدي الكثير من التساهل في المؤسسات التابعة له ، ففي صيف العام ١٩٩٨ ، وبعد استشهاد نجل الأمين العام السيد حسن نصرالله ، سارعت الوفود من جميع فئات المجتمع اللبناني لمواساته ، وقد كان من بين المعزّين عدد من المغنين والممثلين اللبنانيين ، الذين لم يتحفظ الأمين العام على استقبالهم .

١١- التحول في الأساليب الدعائية

منذ أواسط الثمانينات ، كان حزب الله يستخدم مؤسستين إعلاميتين هما إذاعة «صوت المستضعفين» وجريدة «العهد» ، ليعلن عبرهما مواقفه وآراءه على الجماهير ، وكذلك كان يستخدم المسيرات الحاشدة ، والاحتفالات المتنوعة ، ونصب اللوحات الإعلانية ، والملصقات ، والكتابات الجدارية ، والصور ، كأساليب دعائية للتعبير عن مواقفه . لكن الاستخدام المبالغ به لهذه الأساليب الدعائية ، قلّل من تأثيرها على الرأي العام تدريجياً[٥٢] .

أطلق حزب الله في نهاية الثمانينات إذاعة «النور» ، وفي بداية التسعينيات أسس قناة «المنار» ، كوسيلتين إعلاميتين جديدتين ، معتمداً أساليبه القديمة فيهما ، فقد كان تلفزيون المنار في البداية نسخة عن التلفزيون الإيراني من حيث الصور والبرامج والأناشيد التي يبثها .

لكن خطاب حزب الله بدأ يتغير بالتدريج ، وخرج من الحالة الشيعية المحضة ، وتحول إلى خطاب عام موجّه إلى جميع اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، وقد بلغ هذا التحول أوجه أثناء الغارات الإسرائيلية الجوية في العام ١٩٩٦ ، فقد تغير فجأة محتوى الإعلام السياسي لحزب الله ، وطرحت القضايا الوطنية ، وكانت المرة

٥٢- **مقابلة** مع الدكتور علي فياض ، مسؤول مركز الدراسات في حزب الله (بيروت ، أيلول/ ١٩٩٧) .

الأولى التي يطرح حزب الله نفسه كحزب لبناني وطرح شعارات أخرى مثل «كلنا مقاومة» و«كلنا للوطن» . هذا التغيير في الخطاب السياسي ، أدى إلى دعم المسيحيين والدروز للمقاومة ، وهم الذين استقبلوا في منازلهم الجنوبيين الذين هجرتهم الحرب ، وقدموا المال لمساعدتهم ودعماً للمقاومة .

ثم زادت بالتدريج برامج الترفيه والتسلية في تلفزيون الحزب وإذاعته ، وبث المسلسلات العربية وبعض الأفلام الغربية . وقد اعتمد القيّمون على إعلام حزب الله سياسة تظهرهم محايدين وغير أيديولوجيين ، حتى أن المستمع إلى «إذاعة النور» - إذا تجاوزنا الأخبار - لا يظن أنها تابعة لحزب الله ، كما أن الرقابة الدينية الصارمة التي اعتمدت في تلفزيون الحزب وإذاعته في البداية ، خفت وبهت لونها[٥٣] .

وهكذا فإن حزب الله بإدراكه لواقع المجتمع اللبناني ، خفف من حدة خطابه الأيديولوجي في وسائله الإعلامية ، ليتمكن من جذب العدد الأكبر من المستمعين والمشاهدين ، علماً أن في منافسته لسائر الشبكات التلفزيونية في لبنان ، التي تبث أنواعاً من البرامج ، دون أي ضابط ديني أو مذهبي ، سيتعرض إلى صعوبات وعراقيل كثيرة .

ب- الواقعية في المواقف

بعد ستة أشهر من تنفيذ الجزء الأمني من اتفاق الطائف ، إنعقد المؤتمر الثاني للحزب في أيار ١٩٩١ ، وقد صدرت عن هذا المؤتمر قرارات ، تبين بوضوح التغيير والتحول الذي طرأ على مواقف حزب الله . وكانت أهم مقررات هذا المؤتمر عبارة عن[٥٤] :

٥٣- إن معظم الجزء المتعلق بالتحول الذي طرأ على أساليب حزب الله الإعلامية ، مأخوذ من حديث مع «الدكتور محمد محسن» و«الدكتور عباس مزنر» من مسؤولي حزب الله الإعلاميين ، وجزء آخر مأخوذ من مشاهدات الباحث أثناء إقامته في لبنان .

٥٤- حسن فضل الله ، م . س . ص ٩٦ .

١ - تحرير الجنوب من الاحتلال الإسرائيلي ، وتكريس مبدأ العداء لاسرائيل .

٢ - الانخراط الفعال في الحياة السياسية .

٣ - الانفتاح السياسي على الأطراف اللبنانية باستثناء المتعاملين مع إسرائيل .

٤ - إلغاء الطائفية السياسية وإقامة نظام على أساس الاختيار الشعبي .

٥ - تأكيد الوحدة الإسلامية .

٦ - تأكيد التماسك الشيعي الداخلي .

وفي هذا المؤتمر نحّي الشيخ صبحي الطفيلي ، وخلفه السيد عباس الموسوي .

إن المقررات التي اتخذها الحزب ، وبخاصة المتعلقة منها بقبول النظام السياسي اللبناني والمشاركة الفاعلة فيه ، والانفتاح السياسي على معظم الأطراف والأحزاب اللبنانية والتنسيق معها ، والتركيز على تحرير الجنوب اللبناني (وليس تحرير القدس) ، تدل كلها على عمق التحولات التي طرأت على مواقف الحزب ، ومواءمتها لواقع المجتمع اللبناني بعد انتهاء الحرب الأهلية ؛ وفي هذا السياق ، يصرح الشيخ نعيم قاسم (نائب الأمين العام) : «إن حزب الله حزب شعبي ، لذلك ، إنسجاماً مع الظروف ، أبدى انعطافاً في عدد من الموضوعات ، وطرأ تعديل على أولوياته على الصعيد العملي»[٥٥] . لكن ما هي الحدود التي بلغتها تلك التغييرات والتعديلات؟ :

١- التخلي عن نظرية إقامة الحكومة الإسلامية في لبنان

كان قادة حزب الله قبيل اتفاق الطائف ، يتكلمون باستمرار عن قلب النظام السياسي اللبناني ، وإقامة حكم إسلامي بديل ، ليلتحق لبنان بالوطن الإسلامي الكبير ، لكن الواقع اللبناني بعد انتهاء الحرب الأهلية ، أجبرهم على الكف عن الدعوة إلى إقامة «حكم إسلامي في لبنان» ، وعلى الإعلان ، أن ذلك «شعار» إسلامي ، يفتقد إلى مقومات التنفيذ ؛ لقد أدرك قادة الحزب أن المسيحيين والدروز لن

٥٥- السفير ، ٢ تشرين الأول ١٩٩٥ .

يقبلوا مثل هذا الحكم ، وأن أهل السنّة كذلك ينظرون بريبة إلى الحكومة الإسلامية التي تقام على أساس الفكر الشيعي . وبهذا الصدد يقول السيد حسن نصر الله :

« . .من حق المسيحيين وغير المسيحيين أن يخافوا ، لأن هنالك مسلمين أيضاً قد لا يوافقون على إقامة دولة إسلامية في لبنان . . نحن نرفض استعمال القوة لإقامة دولة إسلامية ، لأنه بطبيعة إقامة الدولة الإسلامية فإن هدفها تحقيق العدالة . . . سوى ذلك لا يمكن إقامة دولة إسلامية ، وإذا قامت هذه الدولة ، فإنها سرعان ما تنهار . .»[٥٦] .

وقد سأل الإعلامي جبران تويني ، السيد حسن نصرالله : «مادمت قد قلت إن مشروع الدولة الإسلامية بعيد ، فكيف يتعاطى حزب الله مع الحياة السياسة اللبنانية؟» فأجابه قائلاً :

«أحياناً يوجّه إلى الحركة الإسلامية إتهام هو أنها تضع شعبها أمام خيارين ، إما الدولة الإسلامية وإما الفوضى أو الحرب الأهلية ، وهذا غير صحيح . نحن نقول : ما دامت الظروف غير متوافرة ولا الشروط ، وكذلك الإرادة الشعبية الجماهيرية الكبيرة حول هذا الخيار غير متوافرة أيضاً ، فإننا سنكون بحاجة إلى نظام سياسي . إن موضوع السلم الأهلي بالنسبة إلينا هو من الأصول والأسس ، وخط أحمر لا يجوز أن يتجاوزه أحد . . . وحتى نكون موضوعيين ، فإن الدولة الإسلامية لا يستطيع حزب إقامتها ، ولا جيش ، ولا فئة من فئات الشعب اللبناني ، أو من أي شعب من الشعوب . إن الدولة الإسلامية بحاجة إلى تبنٍ شعبي وجماهيري كبير وعريض ، وليس إلى تبنٍ نظري . . نحن لا نضع البلد بين خيارين لا ثالث لهما ، بل نحن مع نظام يرتضيه اللبنانيون بغالبيتهم ، لأن لا نظام يرتضيه جميع اللبنانيين . . .»[٥٧] .

وهكذا فإن قادة حزب الله بإدراكهم واقع أن ظروف المجتمع الطائفي في لبنان لا تسمح لهم بإقامة حكومة إسلامية ، وجدوا أنفسهم على مفترق طريقين : الطريق الأول ؛ رفض النظام السياسي اللبناني ، وعدم المشاركة فيه ، والثاني ؛ قبوله والمشاركة

٥٦- ملحق صحيفة **النهار** ، ٤ تشرين الأول/ ١٩٩٥ .

٥٧- م ن .

الفعالة فيه . الطريق الأول معناه إنعزال حزب الله وتهميشه وإضعافه وإضعاف رسالته ، والحد من تأثيره في مسار القرارات السياسية . لكن الطريق الثاني ، معناه الاستفادة من الفرصة المتاحة والممكنة ، ولعب دوره كمشارك أساسي ، ونيل حصته في تقاسم السلطة . ولهذا السبب إختار حزب الله الطريق الثاني . وهذا الاختيار أدى إلى نشوء مشكلات عقائدية وأيديولوجية ، حيث كان على قادة الحزب أن يسوّقوا «قبولهم ومشاركتهم في نظام هو غير إسلامي بالمنظور العقائدي» ، وهم حلّوا هذه المشكلة من طريقين : أولاً ، حصلوا على تأييد شرعي لعملهم من «الولي الفقيه» أي من آية الله الخامنئي ، ثم أعلنوا أن قرارهم المصيري هذا مطابق للأحكام الشرعية الإسلامية ، وقد صرح السيد حسن نصر الله في حديث إلى صحيفة «الشرق الأوسط» : «أن لا مانع من وجهة نظر الشرع ، من المشاركة في النظام السياسي طالما أنه يؤدي إلى تأمين مصالح الشعب ، وإلى إقرار العدالة والإنصاف»[٥٨] .

واستخدم فقهاء الحزب القاعدة الفقهية المهمة التي تقول «إن الضرورات تبيح المحظورات» ، وأصل «التزاحم» الفقهي المبني على أنه «في حال تزاحم أمران مهمان ، واقتضت الضرورة إختيار أحدهما ، يقدم الأهم على المهم» ، فسوّغوا بذلك إعتماد الحزب السياسة الواقعية ، وابتعاده عن تطبيق الأحكام الإسلامية .

لقد ركّز حزب الله بعد مشاركته في النظام القائم في لبنان ، على المطالب المتعلقة بإقامة نظام غير طائفي ، وإصلاح النظام الحالي ، وتعديل الأجور ، والقضاء على الفقر والحرمان في المجتمع اللبناني[٥٩] . لكن قادة الحزب لم يقدموا حتى الآن تعريفاً دقيقاً «للنظام غير الطائفي» الذي يريدونه ، ولم يوضحوا شكل النظام الذي يطالبون بإحلاله مكان النظام السياسي الحالي ، ويرى الدكتور نزار حمزة أن سبب هذا الابهام والبعد عن الشفافية في هذا الموضوع هو أن «التعريف الكامل للنظام غير الطائفي ،

٥٨- **الشرق الأوسط** ، ١٦ تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

٥٩- العلاقات الخارجية لحزب الله ، م . س . ص ص ٢٤ - ٢٥ .

معناه رفض نظرية «ولاية الفقيه» . وبناء على ذلك ، فإن الابهام وعدم الصراحة أتاحا لحزب الله أن يتعاون مع الآخرين»(٦٠) .

٢- لبننة حزب الله

كما أوضحنا في الفصل السابق ، لم يكن قادة حزب الله في الثمانينات يعدّون حزبهم تنظيماً محلياً ، وإنما جزءاً من أمة «حزب الله» المنتشرة في أنحاء العالم ، ومرتبطاً إرتباطاً وثيقاً وعلنياً بالجمهورية الإسلامية الإيرانية «أم القرى للثورة الإسلامية» ، مما دفع الآخرين إلى النظر إليه «كحزب إيراني» ، وقد دعم هذا الإتهام أكثر ، بعض الأعمال والممارسات التي كان يقوم بها مناصرو الحزب وأعضاؤه ، كرفع العلم الإيراني علانية ، وتمزيق العلم اللبناني وغير ذلك .

من التجليات الأخرى لواقعية حزب الله ، بالنسبة إلى موضوع «ابتعاده عن اللون والمذاق الإيرانيين» ، المسار الجديد الذي اعتمده قادة الحزب في التسعينات ، والمعروف «باللبننة» ، وهو من المطالب المهمة التي وجد حزب الله نفسه مضطراً للاستجابة لها ، يقول وائل الصغير عن معنى «اللبننة : التلبنن أي عدم التصرف على أنه حزب له دعاماته الاقليمية فقط ، بل منخرط في الاجتماع اللبناني»(٦١) . ويقول الباحث اللبناني ، «هيثم مزاحم» في هذا الصدد :

«اللبننة المطلوبة من الحزب تكون في :

- إبراز استقلاله السياسي والفكري ، وتوضيح أسس علاقته بإيران ، وتنظيمها ضمن الأطر التي لاتتعارض مع القوانين والمصالح اللبنانية ، وصوغ خطاب فكري سياسي جديد يوفق بين الأيديولوجيا الإسلامية والخصوصية اللبنانية/ العربية .
- قيام الحزب بمراجعة نقدية شاملة لطروحاته وتجربته السياسية في لبنان ، وإعلان نتائج هذه

٦٠- د . نزار حمزة ، م . س . ص ٢٥ .

٦١- وائل الصغير ، م . س .

المراجعة للرأي العام اللبناني ، أي الاعتراف بالنواقص ، كي لا تبقى مبرراً لانتقادات الآخرين . . والخروج من أسر الشعارات غير الواقعية ، حتى لو شكل ذلك تراجعاً عن مبادئ وأهداف سابقة ظهر عدم صلاحها ، وذلك حفاظاً على مصداقية الحزب»(٦٢) .

يكتب الصحافي اللبناني «نصير الأسعد» في مقالة تحت عنوان : «في جديد حزب الله وشروط استكمال اللبننة» :

«إن المدخل الذي نراه من وجهة نظرنا أساسياً ، حتى يمضي حزب الله في اللبننة ، أي التحول حزباً لبنانياً ، ليس في جنسية أعضائه وقياديه فحسب ، فيصبح جزءاً من تعددية البلد وبنيته ، هو أن يتقدم الحزب بقراءة للكيان اللبناني ، بما يحقق ما يسميه بعضنا المصالحة مع الكيان . فالإعتراف لا بد أن يحصل :

١ - بفرادة الكيان اللبناني لجهة أنه بلد إسلامي - مسيحي ، وليس بلداً إسلامياً (بحتاً) .

٢ - إنه كيان شرعي بين سائر الكيانات العربية في المنطقة ، بعد انقضاء هذا الزمن الغابر على تجزئة المنطقة كيانات عدة . وأنه ليس جزءاً من كيان آخر .

٣ - إنه وطن نهائي يساهم أبناؤه في بناء ديمقراطيته»(٦٣) .

وكتب «وائل الصغير» حول «ولاية الفقيه ولبننة حزب الله» : إن «ولاية الفقيه» تربط حزب الله بعلاقة مركزية مع الجمهورية الإسلامية في إيران ، والمطلوب من الحزب أن يبرهن على أن ولاية الفقيه ليست قيداً على «التلبنن» المنشود . . وأن لبنان بلد إسلامي - مسيحي ، وأن مشروع «الجمهورية الإسلامية» منافٍ لفكرة الكيان أصلاً . . .»(٦٤) .

كان قادة حزب الله وأعضاؤه يظهرون حساسية فائقة تجاه الاتهام بأن «حزب الله

٦٢- هيثم مزاحم ، «حزب الله وإشكالية التوفيق بين الأيديولوجيا والواقع» ، **مجلة شؤون الاوسط** ، العدد ٥٩ ، شباط/ ١٩٩٧ ، ص ٦٨ .

٦٣- نصير الأسعد ، «في جديد حزب الله وشروط استكمال اللبننة» ، **النهار** ، ٧ تشرين الأول ١٩٩٧ .

٦٤- وائل صغير ، م . س .

إيراني» ، ويعتقدون أن الحزب بتضحياته الجسام من أجل لبنان والشعب اللبناني ، وإخراجه العدو الإسرائيلي دون قيد أو شرط من بلد عربي ، لا يجب أن يوجّه إليه مثل هذا الاتهام ، وإنما هو الذي يجب أن ينظر إلى مدى ارتباط الأحزاب الأخرى بلبنان وبشعبه . يقول السيد حسن نصر الله عن علاقة الحزب بإيران :

«إن حزب الله حزب لبناني ، وقيادييه وأعضاءه لبنانيون وتوجهاتهم لبنانية أيضاً ، وهو بهذه الصفة يقيم علاقاته مع الدول الأخرى . ورداً على المنتقدين المشككين ، أقول أن هذه العلاقة لا تختلف عن العلاقات الخارجية لأي حزب آخر . لكن لماذا لا يشكك أحد بهويتهم»؟(٦٥) . ويقول تأكيداً على استقلالية الحزب : «إن حزب الله لا يأخذ قراراته من سفير إيران في بيروت ، لكنه يفتخر بأن له علاقة بإيران . نحن نعترف أن الإمام الخميني(قده) هو ملهم المقاومة وملهم حزب الله في لبنان ، لكن ذلك لا يعني أننا حزب إيراني»(٦٦) .

إلى جانب هذه التصريحات الصريحة والواضحة ، خفف قادة الحزب تدريجياً من الحديث علناً عن علاقتهم بإيران ، وعبارة «الاتحاد مع إيران في إطار الوطن الإسلامي الأكبر» لم تعد تصل إلى الأسماع . وصار العلم اللبناني يرفع في الاحتفالات والبرامج التي يقيمها الحزب ، وفي المؤسسات الإعلامية التابعة له . والاستشهاديون الذين كانوا من قبل يعلّقون العلم الإيراني على صدورهم ، صاروا يقرأون وصيتهم وبجانبهم العلم اللبناني . يقول الشيخ نعيم قاسم بشأن «تلبنن» الحزب : «عندما نقول ، إن الدولة اللبنانية هي عبارة عن أرض هذا البلد ، والشعب الذي يعيش على هذه الأرض ، فنحن جزء من هذه الدولة ، ونتمسك بأرضنا وبحقوقنا في هذا الوطن»(٦٧) .

ويقول الأمين العام للحزب أيضاً في حديث إلى جبران تويني ، معبّراً عن اعتقاده

٦٥- العهد ، العدد ٥٣١ ، ٢٠ ربيع الأول ١٤١٥هـ (٢٦ آب ١٩٩٦) .

٦٦- «الشيعة في لبنان» ، **المجلة** ، العدد ٩١٥ ، ٢٤ آب ١٩٩٧ .

٦٧- **النهار** ، ٥ تموز ١٩٩٦ .

بأن الشعب اللبناني إرتضى هذا البلد وطناً نهائياً له : « . . .هناك معاهدة سايكس – بيكو التي قسّمت العالم العربي والعالم الإسلامي إلى دول وأنظمة وكيانات . هذه الكيانات كانت وليدة ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم أخذ كل شعب داخل كل كيان يتباهى بأن الكيان كيانه ، يريد العيش فيه وهذا هو الواقع . وحتى نكون نحن منسجمين مع أنفسنا ومع تاريخنا ، ومع فكرنا ، نتمنى أن يأتي اليوم الذي تزول فيه هذه الخارطة ، لأنها لم تكن من صنع الأمة ، بل من صنع المستعمرين . لكنه حلم أن نرجع في يوم من الأيام دولة واحدة وأمة واحدة»(٦٨) .

إن إدراك هذا الواقع أدى بالتدريج إلى تغييرات واضحة في مواقف الحزب وفي خطابه ، وقد أظهر الحزب تعاوناً وتفهماً أكبر لخصوصيات المجتمع اللبناني ، وأخذ يخاطب عبر مواقفه وبياناته الرسمية كل الشعب اللبناني ، من جميع الطوائف والمذاهب . وقد أعلن السيد حسن نصر الله بعد استشهاد نجله هادي في الجنوب ، أن ابنه «استشهد من أجل كل لبنان» ؛ وفي مكان آخر ، أعلن أن الجنود اللبنانيين ، الذين قتلوا جراء غارات إسرائيلية جوية في شهر آب ١٩٩٧ ، هم «شهداء حزب الله» . وكما يقول الدكتور «علي فياض» مسؤول مركز الدراسات التابع لحزب الله «كلها إشارات تدل على أن حزب الله جعل نفسه أكثر تكيفاً وانسجاماً مع الواقع اللبناني الداخلي ، وجميع هذه المسائل دليل على اهتمام أمين عام حزب الله ، بأن يظهر الحزب تكيفاً أكبر مع قضايا المجتمع اللبناني . وهذا التحول هو في الواقع تقدم نوعي»(٦٩) .

بعد المؤتمرات العامة لحزب الله في التسعينات ، التي يمكن أن يقال عنها أنها شكلت منعطفاً مهماً في تاريخ الحزب بتكريسها كماً من تغييرات ، كانت بدأت بالتراكم منذ أكثر من سنتين . هذه التغييرات الحاصلة على مستويات عديدة ، تنظيمية

٦٨- **ملحق النهار** ، ٤ تشرين الأول/ ١٩٩٥ .

٦٩- مقابلة مع الدكتور علي فياض ، (بيروت ، أيلول ١٩٩٧) .

وسياسية وبرنامجية ، تندرج كلها في إطار عام عنوانه لبننة حزب الله[٧٠] .

كذلك فإن خطة الأمين العام لحزب الله المتعلقة بتشكيل «سرايا المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي» في العام ١٩٩٨ ، لجذب مشاركين غير شيعة وغير مسلمين لمحاربة إسرائيل ، دليل آخر على هذا المسار ، ولم يأت اختيار اسم «لبنانية» لهذه السرايا صدفة ، وإنما اختير قصداً لدلالاته .

إن مسار «تلبنن» حزب الله ، وتحوله إلى حركة اسلامية لبنانية ، هو إحدى المراحل الشائكة من المراحل التي اجتازها حزب الله بعد اتفاق الطائف . وقد أضعف هذا التحول بقدر لافت موقع الجناح الراديكالي المتزمت داخل الحزب ، وأظهر قدرة الحزب على تكييف نفسه مع واقع المجتمع اللبناني الجديد . يقول ماغنوس رانستورب بهذا الشأن : «لقد أظهر حزب الله في مسيرة اللبننة ، مقدرته الكامنة في انتهاج الواقعية ، والتحرك على خيط رفيع وسط برامج متناقضة . لقد تمكن حزب الله ، بتخفيفه من نهجه الثوري في إطار النظام السياسي اللبناني ، أن يظهر وجهاً حانياً ، وانعطافاً تجاه الطوائف غير الشيعية ، وأن ينال احتراماً زائداً من الأطراف الأخرى»[٧١] . هذه الشعبية التي اكتسبها تدل على أن مسيرة تلبنن الحزب قد حققت نجاحاً ملحوظاً . وقد كتبت مراسلة صحيفة «لوموند» في المشرق العربي السيدة «فرانسواز شيبو» في عدد الصحيفة الذي صدر في ٢١ شباط/ ١٩٩٥ ، أن «حزب الله الموالي لإيران ، صار حزباً لبنانياً حقيقة وفعلاً»[٧٢] .

لقد تمكن حزب الله في الواقع ، أن يوفّق جيداً في مواقفه وآرائه بين العوامل الثلاثة المختلفة والمتناقضة : «إنه إسلامي وشيعي ولبناني» ، واستطاع مع المحافظة على ماهيته الإسلامية ، وبتعديل مواقفه وآرائه تجاه المسائل الداخلية اللبنانية ، من إبعاد تهمة الحزب «الإيراني» عنه .

٧٠- زين حمود «حزب الله من الداخل : أسرار وخفايا» ، مجلة الشراع ، ١٤ آب/ ١٩٩٥ .

٧١- ماغنوس رانستورب ، م . س . ص ٥ .

٧٢- وضاح شرارة ، م . س . ص٣٧٧ .

وكأحد أهم المؤشرات على تحول حزب الله الملموس نحو مزيد من «التلبنن» والواقعية مسألة علم الحزب الخاص حيث غيّر حزب الله كلمة واحدة من الشعار المرفوع على العلم ، لكنها كانت ذات أهمية كبيرة لجهة دلالاتها ، فتم إبدال عبارة «الثورة الإسلامية في لبنان» إلى «المقاومة الإسلامية في لبنان» ، وقد جرى ذلك في النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي ، ومن دون إعلان رسمي من قبل الحزب ومؤسساته .

ويبدو أن العامل الرئيسي في هذا التحول هو ما حصل بعد العدوان الإسرائيلي المسمّى «عملية عناقيد الغضب» ، من تأييد واسع من قبل معظم فئات الشعب اللبناني للمقاومة واحتضان لأهالي الجنوب الذين هجروا بفعل العدوان في مختلف المناطق اللبنانية ، إضافة إلى التحول الذي حصل في سياسة الحكومة اللبنانية في عملية إخراج «تفاهم نيسان» الذي شرَّع العمل المقاوم وحمى المدنيين اللبنانيين .

إن المتغيرات التي شهدها لبنان قبل تفاهم نيسان كان لها تأثير مهم أيضاً في إقرار حزب الله لتحوله المذكور أنفاً ، والذي يمكن لنا تفسير مضامينه بأن إقامة الحكم الإسلامي في لبنان لم تعد هي الأولوية بالنسبة للحزب كما كانت الحال في الثمانينات ، بل إن مشروع المقاومة للكيان الإسرائيلي هو الأساس في حركة الحزب واستراتيجيته .

وبكلام آخر فإن حزب الله لم يعد يعتبر نفسه حركة ثورية تريد إسقاط النظام اللبناني بالقوة وإقامة حكم إسلامي مكانه ، بل أصبح حركة مقاومة إسلامية تريد تحرير وطنها من الاحتلال الإسرائيلي كهدف مركزي ، مقابل اعتمادها الوسائل السلمية -على اختلافها- في التعاطي مع الواقع اللبناني المتنوع .

٣- تحرير القدس

كان قادة حزب الله ، منذ بداية مقاومتهم لإسرائيل ، يعلنون دائماً وبصراحة ، أن حربهم مع إسرائيل لن تقتصر فقط على تحرير الأراضي اللبنانية ، ولكنهم بعد هذا التحرير سيواصلون نضالهم لتحرير القدس والقضاء على «الكيان الصهيوني» (وقد

تعرضنا لهذه النقطة في الفصل السابق) ، لكن هذا الموقف تغير منذ بداية التسعينات ، وأعلن حزب الله رسمياً أنه سيواصل نضاله لاخراج الجيش الإسرائيلي من لبنان ، وأن هنالك فرقاً بين تحرير الجنوب اللبناني وتحرير القدس ، وتأكيداً لهذه الرؤية الجديدة يقول نائب الأمين العام لحزب الله : « . . .أن أقول إنني معاد لإسرائيل مسألة ، أما كيفية ترجمة هذا العداء فمسألة أخرى . . »(٧٣) .

لقد كررت وحدة العلاقات الخارجية في حزب الله في الكتيب الذي نشرته في النصف الأول من التسعينات ، المواقف المتشددة نفسها تجاه إسرائيل ، وانتقدت الاتفاقيات المبرمة بين ياسر عرفات والقادة الإسرائيليين ، لكن لم يصدر عن الحزب في هذا الكتيب - على عكس ما أورد في الرسالة المفتوحة التي نشرها في منتصف الثمانينات - أي ادعاء بشأن استمرار الحرب بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان ، بهدف تحرير القدس(٧٤) . وكان قادة حزب الله - وبخاصة الأمين العام - يصرحون دائماً في خطبهم وفي أحاديثهم ، أن مبدأ «تحرير القدس» هو بالنسبة إليهم «قضية» ، وليس لديهم في الوقت الحاضر برنامج تنفيذي وعملي لتحقيقه .

وقد اقتنع قادة حزب الله ، أخيراً ، أن تحرير القدس عمل يفوق طاقتهم ، وأنه يفرض وحدة جميع الدول العربية والإسلامية ، وتهيئة جيش موحد مشترك . . يقول حسن فضل الله تأكيداً على هذا الأمر : « . . .مع إمكانية مرحلة عملية تحرير فلسطين ، فحزب الله يؤمن بنظرية المراحل ، إذ ركز جهده على تحرير الجنوب ، مخففاً من توسيع إطار برنامجه العملي ولو مرحلياً»(٧٥) .

لقد أدرك قادة حزب الله جيداً واقع عدم وجود إجماع لدى الرأي العام اللبناني ، ولو نظرياً ، على استمرار الحرب ضد إسرائيل بعد انسحاب جيشها من لبنان ، لأن أي

73- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 208.

٧٤- العلاقات الخارجية لحزب الله ، م . س . ص ص ٢٢ - ٢٤ .

٧٥- حسن فضل الله ، م . س . ص ٥٧ .

عملية يقوم بها الحزب وراء الحدود الدولية ، سيرد عليها الجيش الإسرائيلي بعنف ووحشية ، وسيدمر البنية التحتية الاقتصادية والصناعية وطرق المواصلات في لبنان . ومثل هذا الحدث ، سيؤدي بسرعة إلى زعزعة مكانة حزب الله ونفوذه الشعبيين ، وسيحرمه من قطف ثمار الانتصار على الجيش الإسرائيلي في الساحة اللبنانية الداخلية ، لذا فإن الأمين العام لحزب الله ، بعد خروج إسرائيل من الأراضي اللبنانية ، أعلن بشأن تحرير القدس والقضية الفلسطينية :

«إن الاعتماد الأساسي هو على الشعب الفلسطيني وانتفاضته ومقاومته ، وما يجب أن يدرس بحكمة وتدبير وتعقّل هو كيفية تقديم المساعدة للشعب الفلسطيني ، ليتمكن من تحرير أرضه واستعادة حقوقه المغتصبة . وهذا عنوان عام حتماً يحتاج إلى دراسة هادئة وإلى تمعن وتشاور وتنسيق بين الفصائل الفلسطينية المختلفة ، وإن عبء النضال المباشر يقع في الدرجة الأولى على عاتق أبناء فلسطين ، داخل الأراضي المحتلة وخارجها ، لتحقيق هذه المهمة»(٧٦) .

٤- التحول في مقاومة الاحتلال

بتعديل رؤية حزب الله تجاه تحرير القدس تغيرت ماهية الحرب في جنوب لبنان ، فمنذ ذلك الحين ، إنحصر الهدف من وراء مقاومة اسرائيل ، بتحرير الجنوب ، وهذا ما ورد مراراً في تصريحات كبار القادة في حزب الله .

لقد نجح حزب الله في بداية التسعينات في أن لا يشمله قرار نزع سلاح الميليشيات ، وأن يحتفظ بأسلحته لمحاربة إسرائيل . وهو أدرك جيداً أن عليه لمتابعة جهاده أن يجعل موضوع مقاومة إسرائيل «قضية وطنية» في الساحة السياسية اللبنانية ، ليحظى بتأييد الرأي العام ، وبدعم الحكومة العملي ؛ وعن هذا الموضوع يقول السيد نواف الموسوي عضو المجلس السياسي لحزب الله : «يجب على حزب الله ، ليتخلص من الصورة التي رسمها له الإعلام الغربي ، كمجموعة إرهابية ، أن

٧٦- صحيفة بهار الإيرانية ، ٢٢/٧/٢٠٠٠ .

يعرّف عن نفسه كحركة تحرر ونضال»[٧٧] . لهذا السبب طرحت وسائل إعلام الحزب شعاري «كلنا مقاومة» و«كلنا للوطن» ، وأعلن قادة الحزب أن اتصاف المقاومة التي قادها حزب الله بالإسلامية ، لا يلغي مضمونها الوطني ، باعتبار أن الدين وبخاصة الإسلام ، يحمل بعداً وطنياً[٧٨] .

لقد اضطر حزب الله ، ليحوّل موضوع «المقاومة» إلى «قضية وطنية» ، إلى حصر المقاومة «بتحرير الأراضي اللبنانية» ، وأن يستبعد الهدف الأكبر أي تحرير القدس من برنامجه العملي . يقول «محمد رعد» رئيس المجلس السياسي السابق للحزب : «إن رؤية قيادة حزب الله واقعية ، تنظر إلى مصالح لبنان الوطنية . وحين ينتهي الاحتلال ، ستعمل المقاومة على هدي حكمة قادتها وبعد نظرهم» ، «لأن الهدف من المقاومة تحرير الأراضي اللبنانية ، وهناك حاجة بعد الانسحاب إلى مرحلة إعادة بناء»[٧٩] .

كان حزب الله حريصاً في أثناء حربه مع إسرائيل ، أن يعمل بطريقة لا تستفز مشاعر الرأي العام اللبناني ؛ فعلى سبيل المثال ، كان إطار العمليات العسكرية ينظّم على أساس أقل عدد ممكن من «الشهداء» ، لأن ارتفاع عدد «شهداء» الحزب في العمليات العسكرية ، سيثير مشاعر الرأي العام اللبناني وبخاصة شيعة الجنوب ، وسيتعرض قادة الحزب والمسؤولين العسكريين في المنطقة إلى الانتقاد الشديد[٨٠] .

دليل آخر على واقعية حزب الله ، يمكن ملاحظته في موضوع «إطلاق صواريخ الكاتيوشا» . فقد كان حزب الله خلال التسعينيات يستخدم صواريخ الكاتيوشا

٧٧- مقابلة مع السيد نواف الموسوي ، أيلول ١٩٩٧ .

٧٨- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** (بيروت : دار الهادي ، ط٢ ، ١٩٩٨) ، ص ٨٩ .

79- Nicholas Blandford, "Hizballah: Lebanon's Heir Apparent", ***JANE'S INTELLEGENCE Review***, November 1999), p. 30.

Augustus Richard Norton, "Hizballah From Radicalism to Pragmatism", ***Middle East Policy, Volume*** V, No.4, January, p.151

٨٠- **مقابلة** مع بعض المسؤولين العسكريين لحزب الله في جنوب لبنان ، تشرين الثاني ١٩٩٧ .

لقصف المستعمرات في شمال «إسرائيل» . وكان لهذه العمليات تأثير سلبي بالغ على تلك المنطقة ، لأنها تعدّ قطب الرحى بالنسبة إلى قطاعات الزراعة والصناعة والسياحة في «إسرائيل» ، وتؤدي إلى تهجير عدد كبير من المستوطنين ، وإلى اضطراب الأوضاع الأمنية هنالك . لذلك كانت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تسرع إلى تقديم التنازلات لحزب الله ، لاعادة الحالة الطبيعية في المستوطنات .

وعلى الرغم من التأثير الفائق لصواريخ الكاتيوشا على مواقف القادة الإسرائيليين ، إلا أن حزب الله لم يبادر مطلقاً إلى استهداف المستعمرات الإسرائيلية في شمال فلسطين ، إلا بعنوان «المقابلة بالمثل» ، بعد قصف الجيش الإسرائيلي للمناطق السكنية الآهلة ، وللمدنيين اللبنانيين . وهذا واقع اعترف به جميع المحللين ، حتى الخبراء الأميركيين والإسرائيليين ، وقادة حزب الله أيضاً يقرّون بهذا الأمر ويقولون : «إن حزب الله لا يستخدم سلاح الكاتيوشا ضد المستعمرات اليهودية إلا بعد أن تتعرض المناطق الآمنة في جنوب لبنان للاعتداء الإسرائيلي ، عدا ذلك ، فإن الحزب لا يقصف المستعمرات مطلقاً»[٨١] . سفير إيران السابق في لبنان يعتقد أيضاً أن «إطلاق حزب الله لصواريخ الكاتيوشا لم يكن من ضمن استراتيجيته ، وإنما كان يلجأ إلى هذه العمليات حين يتعرض للضغط ، ولم يكن في نية المقاومة بداية أن تهاجم شمال «إسرائيل» مطلقاً»[٨٢] .

إن مثل هذه المواقف من حزب يعدّ كل فرد إسرائيلي مغتصباً ، ويعتبر إنشاء المستعمرات اليهودية نموذجاً صارخاً على سياسة إسرائيل التوسعية ، لدليل حاسم على مدى واقعيته وعلى مراعاته لقواعد اللعبة السياسية في الساحة اللبنانية .

٨١- **نداء المقاومة** . نشرة مكتب حزب الله في طهران ، العدد ٧٨ ، ٢٤/ ٩/ ١٩٩٩ .

٨٢- **مقابلة** مع السيد همايون علي زادة سفير إيران السابق في لبنان ، حزيران/ ٢٠٠٠ .

٥- سياسة الانفتاح (الأبواب المفتوحة)

حزب الله الذي كان في مرحلة الحرب الأهلية اللبنانية، ينظر بريبة وتوجس إلى الجماعات والأحزاب اللبنانية الأخرى، وبخاصة المسيحية منها، بنى حوله حصناً عزل نفسه في داخله، وحصر علاقاته ببعض المجموعات والشخصيات الإسلامية السنية؛ تنبّه بعد انتهاء الحرب الأهلية إلى أن عليه، ليقوّي حضوره في الساحة السياسية الداخلية، وليتفادى مقررات اتفاق الطائف السلبية، أن يوثّق علاقاته بسائر الجماعات والأحزاب اللبنانية. هذه السياسة الجديدة، التي تسمّى في المعجم السياسي اللبناني «الانفتاح»، هي أحد العناصر البارزة للاتجاه الواقعي في مواقف حزب الله. وبهذا الصدد يقول السيد «نواف الموسوي» «إن القضية هي بين الانفتاح والتقوقع. فلبنان لوجود المسيحيين فيه، لديه مؤسسات ثقافية دينية وغير دينية، لذلك هو الأكثر انفتاحاً في العالمين العربي والإسلامي»[٨٣].

إن الصياغة الأولى لكيفية إقامة حوار مع المسيحيين، ظهرت في المؤتمر الثاني للحزب في العام ١٩٩١، عندما وضعت ضوابط مكتوبة حددت الأطراف التي يمكن الإتصال بها، وتلك التي لا يسمح بإقامة علاقة معها. وكانت هذه الضوابط مطابقة للتوجهات العامة القائمة على أساس محاربة إسرائيل وعملائها، والاستكبار والنظام الطائفي، وبطبيعة الحال رموزه من الموارنة. أدى هذا التحديد من قبل الحزب إلى إطلاق أفكار جديدة وهي بالترتيب والأولوية:

١ - القيام بزيارات إلى بعض العوائل المسيحية في الضاحية الجنوبية والبقاع، لتقديم التهنئة لها بمناسبة عيد الميلاد.

٢ - ثم رفع مستوى الاتصال إلى لقاءات مباشرة مع ممثلين لبعض الأحزاب المسيحية الصغيرة، التي كانت تحاول إيجاد نافذة لها في المنطقة الإسلامية.

٨٣- مقابلة مع السيد نواف الموسوي؛ أيلول/ ١٩٩٧.

٣ - ثم توسيع هذه اللقاءات لتشمل شخصيات مسيحية أساسية.

٤ - دخول مرشحين مسيحيين في لوائح الحزب في الانتخابات النيابية.

بعد دخول حزب الله المجلس النيابي في العام ١٩٩٢، قلّل الحزب من اتصالاته بالرموز المارونية، مقابل فتح قنوات اتصال مع الأقطاب المسيحية الأساسية في الحكم والنظام[٨٤]. وقد أطلق حزب الله حواراً سياسياً مع القادة المسيحيين اللبنانيين؛ وهذا الحوار مع الذين اعتبرهم حزب الله من قبل دمى في أيدي أميركا وإسرائيل كان أمراً محرَّماً قبل بضع سنوات[٨٥]. وكان الحزب يرى أن شرط أي حل سياسي «أن لا تكون للموارنة أي حصة في الحكومة المقبلة، وإلا سيكون حلاً ضد الإسلام والمسلمين»[٨٦].

على الرغم من المواقف السابقة، بدأ حزب الله في العام ١٩٩٣ «سياسة الانفتاح»، عبر الانخراط في لقاءات «الحوار الإسلامي - المسيحي»، والمساهمة في استيلاد بيئات للمحاورة على قاعدة التقريب بين المذاهب الإسلامية، ثم التقى قادة الحزب بقادة المسيحيين الموارنة في لبنان»[٨٧]. لكن حزب الله لم يقم علاقات أو محادثات مع «القوات اللبنانية» بسبب علاقتها بإسرائيل، إلا أنه أجرى حوارات مع حزب الكتائب، وبخاصة بعد خروج أمين الجميل من لبنان، والتغييرات التي طرأت على قيادة الحزب ومواقفه الداخلية، ومواقفه من سوريا، وبخاصة بعد البيان الذي أصدره المكتب السياسي للحزب، والذي يدين فيه الاعتداءات الإسرائيلية على أهل الجنوب[٨٨].

٨٤- حسن فضل الله: **الخيار الآخر**، ص ص ١٣٧ و١٤٠.

85- Kenneth Katzman. ***Op. Cit.***, p.29.

٨٦- الكلام للسيد إبراهيم أمين السيد، في محاضرة له في مؤتمر الطلاب المسلمين؛ **النهار** ١٧آب/ ١٩٨٧.

٨٧- محمود حيدر، م. س. ص ص ١٧٤ و١٧٧ - **العهد**؛ العدد ٥١٦، ٣ ذي الحجة ١٤١٤هـ (١٣ أيار ١٩٩٤).

٨٨- **السفير**، ٢٤ أيار/ ١٩٩٥.

بالنسبة إلى العلاقة مع الجماعات والأحزاب اللبنانية الأخرى، قام حزب الله بخطوات لافتة، بحيث أنه لم يكتف بإقامة علاقات معها، وإنما أيضاً رفع شعار «إحياء دور الأحزاب» في المجتمع اللبناني، بعد انتهاء الحرب الأهلية. والجدير بالذكر، أن رفيق الحريري كان قد صرح بعد اتفاق الطائف «بأن مرحلة الأحزاب قد انتهت». وطرحت الشخصيات المسيحية أيضاً موضوع «أزمة العمل الحزبي». لذا فإن معظم الأحزاب السياسية اللبنانية، خرجت من الساحة في النصف الأول من التسعينات وانعزلت، وسيطر على المجتمع اللبناني الفراغ السياسي؛ لكن حزب الله نجح، في النصف الثاني من التسعينات، بعد إقامة العلاقات الثنائية مع الأحزاب والمجموعات الأخرى، في إحياء العمل الحزبي في الساحة الداخلية اللبنانية. إن الشعبية والمكانة اللتين حظي بهما حزب الله بعد الهجوم الجوي الإسرائيلي في العام ١٩٩٦ مكّنتاه من لعب دور محوري في إحياء الأحزاب وتعزيز دور المجتمع المدني.

في صيف العام ١٩٩٧، إقترح حزب الله تنظيم مؤتمر لأبرز الأحزاب اللبنانية، وقوبل هذا الاقتراح بترحيب واسع من المجموعات اللبنانية من مختلف الطوائف والاتجاهات. وقد اجتمع سبعة وعشرون حزباً ومجموعة برئاسة حزب الله في ١٨ آب، في فندق بريستول ببيروت، وشكلوا بعد المباحثات وتبادل وجهات النظر حول القضايا اللبنانية، لجنة للتنسيق وللعمل المشترك لمواجهة سياسات الحريري الهادفة إلى إضعاف الأحزاب، حيث صدرت «وثيقة البريستول» وإحدى النتائج الفورية لهذا التجمع، كانت مواجهة قرار حكومة الحريري القاضي بإقفال المحطات الإذاعية والتلفزيونية الخاصة، والتي أسفر عنها تراجع الدولة عن هذا القرار[٨٩]. إن عقد مثل هذا الاجتماع، وقدرة حزب الله على جمع الأحزاب المختلفة، والمتناقضة معاً، والتي أثارت إعجاب الجميع، تدل إلى أي مدى أصبح حزب الله مقبولاً من الجماعات

٨٩- مقابلة مع «محمد الخنسا» المسؤول عن تنظيم مؤتمر الأحزاب وكذلك محمود حيدر، م.س.

الأخرى. بناء على ذلك يمكن أن يقال بجرأة «إن حزب الله بتلبننه، أصبح قادراً على تولّي قيادة الأحزاب المختلفة»[٩٠]. يقول الأمين العام للحزب عن هذه المكانة الخاصة لحزب الله:

«إن لحزب الله اليوم أهم وأوسع العلاقات السياسية مع الأحزاب اللبنانية كافة.. كذلك فإن لنا علاقات بالمثقفين، وبالإعلام المكتوب وبالشخصيات المختلفة، ونراهم جميعاً ونحاورهم.. لكننا في الداخل [الحزب] بحاجة إلى تغيير خطابنا السياسي، وإلى تفعيل حضورنا. إن معظم اهتمامنا منصب على القضايا السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وحل الأزمات القائمة في البلاد، بالتعاون مع القوى السياسية المختلفة، والحكومة، والمؤسسات الرسمية»[٩١].

السيد حسن نصر الله في حديثه إلى مراسل قناة «الجزيرة»، إرتفع بسياسة الانفتاح هذه إلى أقصى درجاتها، ولم يعتبر نجاح حزب الله بإخراج الجيش الإسرائيلي من لبنان نجاحاً للحزب وحده، وإنما:

«هذا الانتصار هو انتصار للجميع. ساهم فيه كل اللبنانيين بأشكال مختلفة: فالذي ناضل وحارب، والذي كتب المقالة، أو أنشد الشعر، أو الذي قدم الدعم، أو الذي صبر وتحمل المشاكل الناجمة عن الحرب، هو شريك في هذا الانتصار. إنه لمن الطبيعي أنه يوظّف هذا الانتصار في خدمة وحدة لبنان الوطنية، وتمتين العلاقات بين مختلف الفرقاء، واستبعاد النزاعات والمواجهات والتنافس السلبي عن الحلبة السياسية»[٩٢].

وأضاف في هذه المقابلة حول الانفتاح والتسامح في حزب الله بقوله:

«إن معتقد حزب الله وخطه السياسي في لبنان، مبني على أسس الانفتاح، وتمتين العلاقات مع جميع الفرقاء والجماعات، دينية كانت أم سياسية أم طائفية. إن لبنان بحاجة إلى تعاطف أبنائه، وتعاون أحزابه وتجمعاته السياسية والدينية والطائفية، والاعتراف بالآخر، وتجنب أي

٩٠- مقابلة مع السيد «محمد إيراني» القائم بالأعمال في السفارة الإيرانية في لبنان، ١٦/١٠/١٩٩٧.

٩١- صحيفة بهار الإيرانية؛ ٢٧/٧/٢٠٠٠.

٩٢- م.ن.

نوع من أنواع العنف لحل المشاكل والمعضلات، والأزمات الداخلية. إن حزب الله يؤمن بالحياة المسالمة، ويعارض بشدة تجدد الحرب الأهلية»[٩٣].

هذه التصريحات، مقارنة مع مواقف الحزب في الثمانينات (كما أوضحنا في الفصل السابق)، دليل على حجم التغييرات، ومقدار الواقعية التي طرأت على أفكار حزب الله.

٦- الهوية الطائفية لحزب الله

إن أحد مواقف حزب الله الرسمية الذي لم يطرأ عليه أي تغيير، وظل ثابتاً دائماً، هو معارضة «النظام الطائفي اللبناني». كان حزب الله قبل اتفاق الطائف وبعده، يطالب باستمرار بالغاء تقاسم السلطة على أساس الحصص الطائفية، لكنه قبل اتفاق الطائف كان يدعو إلى «قلب النظام السياسي اللبناني»، وبعده طالب فقط بالغاء النظام الطائفي، إلا أن خصوصية المجتمع اللبناني، في ما يخص التقسيم الطائفي، أثبتت للجميع واقع أنه ما من فرد أو جماعة أو حزب، مهما بلغ نفوذه وشعبيته، بإمكانه أن يعمل متجاوزاً الطائفية، لأن اللبنانيين في نهاية الأمر يؤيدون الجماعة أو الأشخاص التابعين لطائفتهم. وقد ثبت هذا الواقع بالنسبة إلى الإمام موسى الصدر؛ فهو على الرغم مما حظي به من مودة وشعبية في أوساط المسلمين والمسيحيين، وجد نفسه في نهاية الأمر، حين بدأت الحرب الأهلية في لبنان، مضطراً أن يضطلع بدور القائد الشيعي، ولم يلق النداء الذي أطلقه للتعاون مع المسيحيين أدنى استجابة.

لقد تقبل قادة حزب الله هذا الواقع بالتدريج، وهم - على الرغم من مطالبة الحزب الرسمية بإلغاء الطائفية - قد تنبهوا إلى أن رمز بقائهم ونجاحهم رهن بتعزيز مكانتهم في أوساط الطائفة الشيعية، فعملوا إلى تلبية احتياجات شيعة لبنان، والقضاء على الحرمان في أوساطهم قدر الإمكان. يعتقد السيد نواف الموسوي عضو

٩٣- م ن.

المجلس السياسي في حزب الله:

«إن الشيعة يتطلعون إن كنا نسعى «للتضحية بشيعة لبنان جميعاً في سبيل النضال ضد إسرائيل» أو على العكس من ذلك، إن «تعزيز التواجد الشيعي في لبنان هو طريق أفضل لضرب إسرائيل» يجب أن يعمل حزب الله بحيث يشعر شيعة لبنان أنهم بحاجة إليه، ونحن يجب أن نستخدم كامل قدراتنا وإمكاناتنا، لنصبح أقوى وأكثر تجذراً في طائفتنا. وحين تلتحم مصالح الشيعة بنا، فإن ضعفنا سينعكس عليهم، لذلك سيدعموننا، يجب أن يستقر حزب الله في إطار الطائفة الشيعية، لأن وجوده في خارجها سيسهّل ضربه»[٩٤].

ويفترض «الشيخ شفيق جرادي»، أحد علماء الدين في حزب الله، نظرياً وجود الحالات الثلاث التالية التي تتمحور فيها علاقة الحزب بالشيعة:

١ - العلاقة العقائدية والإيديولوجية.

٢ - العلاقة المبنية على الضغط والإكراه.

٣ - العلاقة المبنية على تأمين المصالح والخدمات.

وهو يصرح بأن معظم قادة حزب الله يؤكدون على الحالة الثالثة، نموذجاً لعلاقة الحزب بشيعة لبنان[٩٥].

النتيجة المنطقية للنظرة الثالثة، أن حزب الله طالما هو قوي ومنتصر، بإمكانه أن يؤمّن مصالح الشيعة، وأن يقدم لهم الخدمات، علماً أن حزب الله، حتى في مرحلة الحرب ضد إسرائيل، كان يعطي أولوية خاصة للقضايا اللبنانية الداخلية، وحل مشاكل الشيعة وتلبية احتياجاتهم.

في أي من الحالات الثلاث، فإن حزب الله على أساس «القواعد التقليدية للعبة السياسة في لبنان»، هو حزب شيعي مهم متميز، وفي كل الأحوال، أياً كان المعتقد

٩٤- مقابلة مع السيد نواف الموسوي، أيلول ١٩٩٧.

٩٥- مقابلة مع الشيخ شفيق جرادي أحد علماء الدين في حزب الله، تشرين الأول/ ١٩٩٧.

والأيديولوجيا اللذين يسير حزب الله على هديهما ، فهما يجب أن يوضعا في قالب الطائفة الشيعية السياسية . ولهذا السبب ، على الرغم من شعبيته الواسعة ، وترفّعه عن الطائفية ، الذي توصل إليه بعد العملية العسكرية الإسرائيلية «عناقيد الغضب» في العام ١٩٩٦ ، لكنه كان يتطلع ، في الانتخابات النيابية التي أجريت بعد ذلك بستة أشهر ،إلى تأييد الشيعة للحصول على المقاعد النيابية .

إن وجهات نظر القادة الشيعة السياسيين والدينيين ، في ما يخص الأوضاع الحالية للطائفة الشيعية ، ومستقبلها ، مختلفة تبعاً لمكانة كل واحد منهم وتطلعاته ، ولكن وجهة النظر المشتركة بينهم ، أن من الواجب في الوقت الحاضر تعزيز علاقة الشيعية بالنظام السياسي اللبناني ، والانخراط الكامل في إطار الدولة اللبنانية[٩٦] . لقد انتهج حزب الله أيضاً هذا الخط ، لأنه إن فعل العكس ، كان سينعزل في داخل الطائفية الشيعية وسيهمّش .

وجد حزب الله بعد دخوله في النظام السياسي اللبناني أن تقوية الطائفة الشيعية معناها تقوية الحزب والعكس صحيح ، لذلك اعتمد سياسة محورية للعمل في داخل الطائفة الشيعية ، وهي «تجنب التورط في النزاعات الشيعية الداخلية» . سيتابع حزب الله هذه السياسة ، علماً أنها تؤدي إلى تجنب منافسة حركة أمل على ترؤس الطائفة الشيعية ؛ يقول محمد رعد ، رئيس المجلس السياسي السابق في حزب الله : «إذا كنا نختلف مع نبيه بري ، إلا أننا حريصون ، أن لا يؤدي هذا الاختلاف إلى إضعاف الطائفة الشيعية في الحكم . لقد تخلينا في الحقيقة عن الكثير من المكاسب ، لنوفّق بين هويتنا الشيعية وبين دورنا في المقاومة ، وسعينا جاهدين أن لا نثير حساسية منافسنا الشيعي (نبيه بري)»[٩٧] ؛ ومن ناحية أخرى ، حسّن حزب الله علاقته «بالمجلس الشيعي الأعلى» ، الذي كان يرأسه «الشيخ الراحل محمد مهدي شمس الدين» ،وقد

٩٦- المجلة ، العدد ٩١٥ ، ٢٤ آب/ ١٩٩٧ .

٩٧- جاء كلام محمد رعد أثناء اللقاء معه في المجلس السياسي للحزب في تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

أبدى تعاوناً مع المجلس في السنوات الأخيرة ، في حين أنه كان في الثمانينات ، يسمّي هذا المجلس ، بسبب المواقف المحافظة لقادته ومسؤوليه «المجلس الماروني»[٩٨] .

٧- حزب الله والغرب

في الرسالة المفتوحة التي نشرها الحزب في النصف الأول من الثمانينات ، ذكر أن العدو الأساسي للحزب ، هو بلدان العالم الغربي المستكبرة ، وهو سعى لإخراج القوات العسكرية الغربية وللقضاء على نفوذ هذه البلدان في لبنان ، كما ذكرنا في الفصل السابق . لكن في المرحلة الجديدة من تاريخ لبنان ، غيّر حزب الله من لهجته الحادة في الكلام على الغرب ، ولم يعد يطرح مقولته السابقة ، أي النضال العسكري ضد الغرب ، واقتصرت مواقفه على الصراع الثقافي والسياسي معه . يقول الشيخ نعيم قاسم ، نائب الأمين العام لحزب الله : «إن الغرب يريد دون الأخذ في الاعتبار أصولنا ومبادئنا - أن يفرض علينا سياسته . إن الغرب يسعى إلى دمجنا في سياسته وثقافته»[٩٩] .

يقول «ريتشارد نورثون» الباحث الأميركي والخبير بقضايا حزب الله نقلاً عن أمين عام الحزب : «إن أميركا ليست هدفاً لعملياتنا» ؛ ويدّعي هذا الكاتب الأميركي ، أن مسؤولي حزب الله على مستوى القيادة ، ومن بينهم رئيس المجلس السياسي السابق للحزب ، أشاروا إلى إمكانية إجراء محادثات مع أميركا[١٠٠] . حتماً كان لتغيير نظرة البلدان الغربية إلى حزب الله ، تأثير فاعل في تعديل نظرة حزب الله إلى الغرب . فبعد عملية «عناقيد الغضب» الإسرائيلية في العام ١٩٩٦ ، أدانت الدول الغربية ، جرائم «إسرائيل» الوحشية (وبخاصة سقوط الأبرياء في مجزرة قانا) ، واعترفت

٩٨- حسن شاهين ، السفير ، ٦ تموز/ ١٩٩٣ .

99- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 56.

100- Augustus Richard Norton, ***Op. Cit.***, p. 152.

بشرعية المقاومة . حتى «ريتشارد جونز» السفير الأميركي الأسبق في لبنان حين سئل عن مقاومة حزب الله لإسرائيل أجاب : «إن هذا ليس إرهاباً»[١٠١] .

ومن مظاهر تقليص العداء للغرب لدى حزب الله ، موضوع إيجاد علاقة بين الحزب ووسائل الإعلام الغربية . فقد كان حزب الله خلال السنوات السابقة ينظر بريبة مطلقة إلى وسائل الإعلام تلك وإلى مراسلي وكالات الأنباء الغربيين ، ويعتبرهم جواسيس للمخابرات الغربية ، أما في السنوات الأخيرة ، بعد أن أنشأ حزب الله مكتب علاقات عامة قوي وفاعل ، بدأ تعاطيه المنفتح مع ممثلي وكالات الأنباء الغربية . وقد اعتبر «ماغنوس رانستورب» الخبير بشؤون حزب الله ، أن إنشاء الحزب لأربع مواقع متقدمة على شبكة الانترنت ، دليل آخر على سياسة إنفتاح الحزب[١٠٢] .

أحد المظاهر الأخرى التي تدل على تغيير نظرة حزب الله إلى الغرب ، قبوله وساطة الدول الأوروبية (وبخاصة ألمانيا) وكذلك المؤسسات الدولية كالصليب الأحمر ، في موضوع مبادلة الأسرى اللبنانيين بجثث الجنود الإسرائيليين . فقد جرت من العام ١٩٩٦ وحتى الآن ، عدة عمليات تبادل بين حزب الله وإسرائيل ، بوساطة ألمانيا والصليب الأحمر الدولي ؛ وقد نظر كثيرون إلى هذه العمليات باعتبارها محطات بارزة في تطور الأداء السياسي والحضور المعنوي لحزب الله ، لاكتسابها معاني مختلفة في الحضور الشعبي ، خلال مراسم التشييع أو في أبعادها الإقليمية والدولية وفي ما منحته للحزب من علاقات دولية[١٠٣] .

كذلك فإن تعديل نظرة الحزب إلى منظمة الأمم المتحدة ، دليل آخر على الواقعية في سلوك الحزب السياسي . فحزب الله في الثمانينات ، أطلق حملة إعلامية على

١٠١- من كلام لمحمد رعد خلال اللقاء مع المجلس السياسي للحزب في تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

١٠٢- ماغنوس رانستورب ، م . س . ص ١٣ .

١٠٣- حسن فضل الله ، **حرب الإرادات** ، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١- ٢٢٦ .

المنظمة الدولية ، والقرار ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن ؛ لكن بعد العام ١٩٩٢ تكيّف حزب الله مع القرار[١٠٤] ، بحيث حين أعلنت إسرائيل استعدادها لتطبيق القرار من جانب واحد ، ومن ثم عملت لاحقاً مرغمة بمفاده ، عدّ حزب الله ذلك تحقيقاً لأهدافه وانتصاراً لسياسته كما أن لقاء الأمين العام للحزب و«كوفي أنان» الأمين العام للأمم المتحدة في تموز/ ٢٠٠٠ ، وهو اللقاء الأول بين الحزب والمنظمة الدولية ، دليل على الأهمية والمكانة التي يوليها كل واحد من الطرفين للطرف الآخر .

٨- العالم العربي في رؤية حزب الله

توقف حزب الله عن تكرار دعوته القديمة إلى الشعوب العربية ، بإسقاط الحكومات العربية «الرجعية» و«العميلة لأميركا» ، وأصبحت هذه الدعوة شعاراً قديماً ، وحلّ محلها إدانة الحزب لأعمال العنف التي تمارسها الجماعات الإسلامية المتطرفة في مصر والجزائر وغيرها من البلدان العربية . وقد أعلن أحد مسؤولي الحزب في مقالة نشرت في صحيفة النهار بصراحة : «إن سلوك حزب الله ، مخالفة عملية للعمليات الأصولية التي يدّعي منفذوها الإسلام ، ويقتلون الأبرياء . إن حزب الله معارض بصورة حاسمة للجرائم التي ترتكبها الحكومة والمتظاهرون بالإسلام في الجزائر ، وللفواجع التي تتسبب بها «الجماعة الإسلامية» في مصر[١٠٥] ؛ وقد انتقد السيد حسن نصرالله بجرأة وشجاعة كبيرتين ، جهل بعض الحركات الإسلامية التي :

١ - تساوي بين الجهاد والعنف

٢ - تساوي بين الأنظمة القائمة والجاهلية .

٣ - تكفّر «على الطالع وعلى النازل» وهي تعتبر أن التكفير ركن في العقيدة الإسلامية[١٠٦] .

١٠٤- هيثم مزاحم ، «القرار ٤٢٥ ، حزب الله وسوريا : سياسة المواجهة في الجنوب اللبناني» . **مجلة شؤون الأوسط** ، العدد ٨٠ ؛ شباط/ ١٩٩٨ ، ص ص ٤٨ - ٤٩ .

١٠٥- **النهار** ، ٢٨ شباط ١٩٩٨ .

١٠٦- نصير الأسعد . م . س .

مواقف السيد حسن نصر الله هذه دفعت الصحافي الفرنسي المعروف «أريك رولو» إلى وصف شخصيته بقوله : «إن الأمين العام لحزب الله ، حاد الذكاء ، متنور ورجل سياسة بالمعنى الكامل . . والأهم من ذلك ، أنه في طروحاته الإسلامية لبناني صرف ، ولديه اهتمام خاص بالمصلحة اللبنانية ، وهذه المسألة تميزه من القادة الإسلاميين الآخرين ، الذين يسيئون إلى بلدانهم باستمرار ، في كلامهم وفي خططهم السياسي»[١٠٧] .

وهكذا استطاع حزب الله أن ينأى بنفسه عن التوجهات الراديكالية ، والمطالب الرجعية التي وقعت فيها الحركات الإسلامية في العالم العربي ، وأن يتبرأ منها كذلك . هذه المواقف لم تخف على القادة العرب . فحين استشهد نجل الأمين العام على يد الجنود الإسرائيليين ، زار سفيرا الكويت والسعودية في لبنان السيد نصر الله ونقلاً إليه رسائل تعزية من أمير الكويت وملك العربية السعودية[١٠٨] ؛ كما أن حسني مبارك رئيس جمهورية مصر في الزيارة التاريخية للبنان في آذار ١٩٩٩ ، والأولى التي يقوم بها رئيس مصري إلى لبنان بعد أربعة عقود ، أعلن رسمياً وبصراحة دعم مصر للمقاومة في لبنان ، مما أثار غضب أميركا وإسرائيل ، وقد اعترضت إسرائيل رسمياً على موقف مبارك هذا . بعد ذلك ، إلتقى الأمير عبد الله ولي عهد المملكة العربية السعودية نواب حزب الله في المجلس النيابي اللبناني ، أثناء زيارته للبنان ، وأعلن دعمه للمقاومة . وتبرع للحزب بمبلغ مئة مليون دولار نقداً[١٠٩] .

يعتقد مسؤولو حزب الله أن تقديم حزب الله لسلوك سياسي نموذجي من خلال عمله ومواقفه ، وعلاقاته السياسية بالقوى المختلفة ، والمتميز عن سائر الحركات الإسلامية في العالم العربي ، أتاح الفرصة للآخرين الذين يختلفون عن حزب الله في التوجهات السياسية والاتجاهات الفكرية ، أن يقبلوا عليه وأن يولوه اهتمامهم[١١٠] .

١٠٧- «إريك رولو يتحدث عن أدوار اللاعبين في الشرق الأوسط» ، صحيفة **إيران** ، ١٧/ ٤/ ١٩٩٩ .

١٠٨- كلام للشيخ خضر نور الدين أثناء المقابلة مع المجلس السياسي لحزب الله في تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

١٠٩- مع أن الحزب إعتذر بلباقة عن قبول التبرع .

١١٠- من كلام للحاج حسن حدرج في **المقابلة** التي أجريت معه في المجلس السياسي للحزب في تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

إن التعديل والتحول الذي طرأ على عمل حزب الله وعلى مواقفه في التسعينات ، والذي تكلمنا عليه في هذا الفصل ، يدل على «الكيفية» التي انتقل فيها حزب الله من الراديكالية إلى الواقعية . لقد استطاع حزب الله في ظل قيادة السيد حسن نصر الله الحكيمة ، أن يعيد بناء نفسه بنجاح ويتحول من مجموعة ثورية راديكالية ؛ إلى حزب سياسي ، اجتماعي ، قانوني وقوي . هذا التحول دفع الباحثين الغربيين كماغنوس رانستورب الذي كان ينظر باستمرار إلى حزب الله كمجموعة إرهابية ، إلى الاعتراف أن «حزب الله في الوقت الحالي منظمة تغيرت مقارنة بماضيها السري والعنفي بصورة تثير الاعجاب»[١١١] ، ويقول نصير الأسعد وهو من منتقدي الحزب اللبنانيين أن «حزب الله اليوم قد تحول شيئاً فشيئاً إلى حزب واقعي ومنطقي»[١١٢] .

يلخص «مارتن كريمر» سبب هذا التغيير على هذا النحو : «حين كان حزب الله يظهر كحالة إسلامية راديكالية ، كان يعتبر آراءه جزءاً لا يتجزأ من الدين ، لكنه حين شارك في النظام السياسي ، فإنه استخدم آراءه فقط بهدف تحقيق الأهداف السياسية ، وليس الشعائر المذهبية ، ليقترب من السلطة»[١١٣] .

ويعبّر محمود حيدر عن هذا الاتجاه تحت عنوان : «التخفف من أعباء الخطاب الأيديولوجي» ، وبقوله : «الاحتفاظ بالأيديولوجيا كخطاب داخلي تعبوي ، بينما تؤدي السياسة دورها المعلن ، بطريقة توازن بين الثوابت الكبرى وفن الممكن[١١٤] . وفي سبيل كهذا ، سوف يتسنى للحزب صوغ علاقاته وتحالفاته ، على أساس من قبول الآخر ، والتعامل معه وفق مقاييس اللعبة السياسية اللبنانية»[١١٥] .

١١١- ماغنوس رانستورب . م . س . ص ٤ .

١١٢- **النهار** ، ١٧ تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

113- Martin Kramer, ***Op.Cit.***, p.33.

١١٤- بمعنى أن حزب الله ماهيته إسلامية ووجهه لبناني .

١١٥- محمود حيدر ، م . س . ص ١٦٥ .

القسم الثاني

عوامل التسهيل للواقعية لدى حزب الله

كنا في القسم الأول من هذا الفصل قد ركزنا على «كيفية» تحول حزب الله من الراديكالية إلى الواقعية، ومحاور ذلك التحول المختلفة. وفي هذا القسم سندرس ونحلّل أسباب هذا التحول في توجهات حزب الله، والعوامل المختلفة التي لعبت دوراً في هذا المجال، لنجيب بذلك عن القسم الثاني من فرضية هذا البحث الرئيسية.

١- التحولات في إيران

كما أوضحنا في الفصل السابق، أن للنظام العقائدي والفكري لجماعة ما، بحسب نظرية «فيبر»، تأثير فاعل ومباشر ومحدد في أسلوب العمل الجماعي لتلك الجماعة، كما أن العمل الجماعي لأي حزب أو منظمة، يستلهم بنيته من التزام الأعضاء المبدئي بنظام عقائدي وفكري معين. وفي حال أجرى القيّمون على هذا النظام العقائدي تغييراً أو تعديلاً في معتقداتهم ومواقفهم، يكون من السهل - منطقياً- على المجموعات المعتنقة لهذا النظام العقائدي، أن تعيد النظر في مواقفها وممارساتها، وأن تخضعها للتعديل.

في أواخر الثمانينات شهدت إيران تطورات مهمة وعميقة ، منها :

– قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ ، وانتهاء حرب العراق على إيران في صيف العام ١٩٨٨ .

– إنتخاب الشيخ هاشمي رفسنجاني رئيساً للجمهورية في العام ١٩٨٩ ، والذي اعتمد نهجاً براغماتياً في السياسة الخارجية ، كان من نتائجه تأييد إيران للكويت والسعودية أثناء حرب الخليج الثانية في العام ١٩٩٠ ، وتحسّن العلاقات الإيرانية – الأوروبية . هذه التطورات أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على حزب الله اللبناني ، الذي أصيب بحالة من الحيرة والإرتباك جراء قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ ، وانتهاء حرب العراق على إيران ؛ فمن ناحية إعتبر في لبنان قبول إيران لهذا القرار تراجعاً عن شعارات الثورة الإسلامية ، ومن ناحية أخرى ، كان بعض شباب حزب الله قد قاموا بعمليات عديدة بدعم من إيران داخل لبنان وخارجه ضد المصالح العراقية ، إيماناً منه بأن انتصار إيران على «نظام صدام» أمر ضروري لتحرير فلسطين ؛ لذا كانت استراتيجيته النضالية مبنية على أساس فكرة «طريق القدس تمر من كربلاء»[١١٦] . أما إيران فقد وجهت جلّ اهتمامها – بعد الموافقة على القرار ٥٩٨– لإعادة إعمار ما هدمته الحرب ، وكان على حزب الله أن يرسم لنفسه استراتيجية جديدة .

لقد حمل وصول الشيخ هاشمي رفسنجاني إلى سدة رئاسة الجمهورية معه تحولات مهمة في سياسات إيران الداخلية والخارجية ، ففي الداخل ، كان «البناء» محور سياسته الأساسي ، بمعنى توجيه الدولة اهتمامها لإعادة إعمار الدمار الناجم عن الحرب ، وتحسين الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للناس ، وهذا الأمر يستدعي بالضرورة تعديلاً في النهج المتبع في السياسة الخارجية ، وتحسين العلاقات مع الغرب ، وبخاصة أوروبا ، وهذا ما كان رفسنجاني قد أعلنه : عدم «المغامرة» في

١١٦– مقابلة مع أعضاء المجلس السياسي لحزب الله . حديث لمحمد رعد ، نيسان/ ١٩٩٧ .

الساحة الدولية . بناء على ذلك كان لبنان إحدى الساحات التي كان يجب أن تتغير فيها سياسة إيران الخارجية ، واعتبار حل أزمة الرهائن الغربيين مفتاح تحسين علاقات إيران بالغرب .

في الوقت الذي كان فيه حزب الله يواجه تدريجياً ، التطورات التي أعقبت اتفاق الطائف ، كانت إيران تمر بمرحلة تغيير وتحول ، بعد وفاة الإمام الخميني(ره) . حين تولى رفسنجاني مهامه الرئاسية ، أخرج من الحكم الشخصيات التي كانت تدعو إلى «تصدير الثورة» . وبعد أن أحكم سلطته ، أعلن التحول في السياسة الخارجية للدولة ؛ ومن ناحية أخرى كانت سوريا قد أعلنت تأييدها التام لاتفاق الطائف ، وإصرارها على تنفيذ بنوده ، لذلك حدّت من نشاط الحرس الثوري في لبنان[١١٧] ، ونتيجة لذلك خفف قادة حزب الله – أمام هذا الواقع – من حدة معارضتهم لاتفاق الطائف ؛ أدى تغيير نهج السياسة الإيرانية الخارجية في لبنان ، إلى تخلي إيران عن سياستها التقليدية ، التي كانت قائمة على «حصر علاقتها بلبنان من طريق حزب الله» ، وإلى تحسين علاقتها بالحكومة اللبنانية الجديدة (بعد اتفاق الطائف) ، وكذلك توطيد علاقاتها بسائر الشخصيات السياسية وعلماء الدين الشيعة والمؤسسات الشيعية الرسمية[١١٨] .

وقد أدت هذه السياسة الجديدة إلى ظهور بعض التوتر في العلاقة بين إيران وحزب الله ، حيث ارتفعت حدة التوتر بين إيران والحزب ، الذي كان بقيادة شخصية راديكالية (الشيخ صبحي الطفيلي) ، للاختلاف في وجهات النظر بين الفريقين ، على موضوعين هما : «استمرار المعارك بين أمل وحزب الله في جنوب لبنان» و«الوساطة للإفراج عن الرهائن الغربيين»[١١٩] .

117- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.103.
118- ***Ibid***, p. 102.
Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p.151.
Kenneth Katzman, ***Op.Cit.***, p.35.
119- Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.126.

وافق الشيخ صبحي الطفيلي على توقيع اتفاق وقف إطلاق النار مع حركة أمل ، رضوخاً لضغوط سوريا وإيران ، ولضغط الرأي العام الشيعي في لبنان ، الذي أنهكته معارك «أمل» وحزب الله ، لكنه لم يبد استعداداً للوساطة للإفراج عن الرهائن الغربيين ، لذلك بدأ رفسنجاني يعمل على إقناع بعض أعضاء شورى القرار في الحزب الذين صوتوا لصالح الشيخ صبحي الطفيلي في العام ١٩٨٩ ، لإحلال أمين عام معتدل مكان الشيخ الطفيلي المتشدد[١٢٠] . وقد أثمرت مساعيه في النهاية ، واقتنع هؤلاء بضرورة التكيف مع التطورات المستجدة . وبهذا الصدد يقول مارتن كريمر : « . . الحديث عن الثورة الإسلامية ، كغيرها من الثورات ، وعن القبول بالعالم كما هو ، لم يكن يجد آذاناً صاغية لدى علماء حزب الله الآخرين في بادئ الأمر . لكن ، سرعان ما اعترف هؤلاء بأن على حزب الله أيضاً أن ينعطف»[١٢١] .

في أيار ١٩٩١ ، إنتخب حزب الله في مؤتمره الثاني السيد عباس الموسوي أميناً عاماً للحزب ، وقد أوصل انتخابه الكادر القيادي الجديد في الحزب إلى السلطة ، الذي كان أقرب إلى مواقف القادة الإيرانيين من ناحية ، وقد توسّط السيد عباس الموسوي لإطلاق الرهائن بعد ثلاثة أشهر من تولّيه مهامه ، بعد محادثات ومفاوضات بهذا الشأن ، وأقفل بذلك ملف الرهائن الغربيين في لبنان ؛ ومن جهة أخرى استطاع السيد عباس الموسوي أن ينال رضى أعضاء الحزب وأنصاره وتأييدهم ، لحصوله على مكتسبات مهمة كالاحتفاظ بسلاح المقاومة ، وكذلك تحرير أسرى حزب الله المعتقلين في سجن «الخيام»[١٢٢] .

120- Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p32.

121- Martin Kramer, ***Op. Cit***. p. 35.

١٢٢- بعد تقديم الحزب معلومات موثوقة تتعلق بوفاة جنديين إسرائيليين كانا قد أسرهما حزب الله في العام ١٩٨٦ للوسطاء الدوليين ، أفرجت إسرائيل عن ٧٧ أسيراً وعن تسعة جثث لشهداء من حزب الله : راجع :

Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p.106.

يعتقد عدد من المراقبين والخبراء بشؤون حزب الله ، أن القادة الإيرانيين ، شجعوا حزب الله بعد حل أزمة الرهائن ، على إيجاد موطئ قدم ثابت له في النظام السياسي اللبناني ، وعلى مهادنة الزعماء الشيعة ، الذين هم خارج الحالة الإسلامية[١٢٣] . يعتقد الدكتور نزار حمزة أن «نفوذ إيران على حزب الله ، أوجد معطى جديداً مبنياً على احترام النظام السياسي اللبناني ، والتعاون معه بدلاً من الاطاحة به ، وكان هدف القيادة الإيرانية منذ العام ١٩٨٩ إضفاء المشروعية على حزب الله ، من طريق دفعه للمشاركة في النظام السياسي اللبناني ، والعمل من داخله وليس من خارجه»[١٢٤] .

لم ينحصر تأثير التطورات الإيرانية على حزب الله بحقبة رئاسة رفسنجاني للجمهورية ، وإنما شهدت مواقف حزب الله بعد انتخاب السيد خاتمي رئيساً للجمهورية تأثراً واسعاً بالتطورات الإيرانية الداخلية ، نذكر نموذجاً على ذلك ، الرسالة التي وجّهها حزب الله إلى رئيس الحكومة المكلف سليم الحص في العام ١٩٩٨ على لسان نواب كتلة المقاومة الذين عرضوا مطالبهم وبينها موضوعان جديران بالاهتمام[١٢٥] :

١ - إنجاز «الاصلاحات السياسية» ، وإقامة دولة «القانون» .

٢ - تعزيز دور «المجتمع المدني» ومكانته من طريق حراسة وحماية الحريات العامة .

إن إستخدام حزب الله في بياناته للمرة الأولى مصطلحات مثل «الاصلاحات السياسية» و«دولة القانون» ، و«المجتمع المدني» ، تبين مدى تأثر حزب الله بأفكار السيد خاتمي . أنموذج آخر في هذا السياق ، هو احتدام حدة البحث في «الإصلاحات

123- Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p34.

١٢٤- نزار حمزة ، م . س . ص ٢٥ .

١٢٥- مطالب كتلة حزب الله في البرلمان من رئيس الوزراء د . سليم الحص . السفير ، ٤ كانون الأول ١٩٩٨ .

الداخلية في تنظيم حزب الله» ، فعلى الرغم من أن هذا الموضوع كان قد طرح في داخل الحزب قبل رئاسة السيد خاتمي ، إلا أنه حظي بمكانة مميزة بعد زيارة خاتمي للبنان في العام ١٩٩٦ ومن ثم بعد انتخابه رئيساً[١٢٦] . يقول بسام الحركة صاحب كتاب «الإصلاح والرؤيا» بشأن تأثير التطورات الإيرانية بعد رئاسة السيد خاتمي : «إن نشاطات «أنصار حزب الله» في إيران أضرّت بصورة حزب الله في لبنان ، وعرّضت آراءه حول بعض القضايا كالحرية والمجتمع المدني – التي قدم سلوك الحزب العملي صورة إيجابية عنها – للإستفهام»[١٢٧] .

إذا أخذنا في الاعتبار التأثير الذي تركته التطورات الإيرانية على مواقف حزب الله وممارساته ، هل يمكننا عدّ «التطورات الإيرانية» السبب الرئيسي وراء توجه حزب الله من الراديكالية نحو الواقعية؟ الجواب : إنه على الرغم من التأثير الذي لا يمكن التغاضي عنه للتطورات الإيرانية على حزب الله ، لكن هذا الموضوع لا يعدّ السبب الرئيسي وراء تغيير اتجاه الحزب من الراديكالية إلى الواقعية ، لأن المجتمع الإيراني في المراحل الواقعة بين صيف ١٩٨٨ وصيف ١٩٨٩ ، شهد تطورات مهمة وعميقة ، أدت إلى تغيير وتحول في سياسة إيران الداخلية والخارجية ؛ لكن الشيخ صبحي الطفيلي ، الذي كان معروفاً كشخصية راديكالية في حزب الله ، وصل إلى منصب الأمين العام في صيف العام ١٩٨٩ ، فلو كانت تحولات إيران هي السبب الرئيسي في تحول حزب الله ، لكان من الواجب انتخاب شخصية متزنة كالسيد عباس الموسوي أميناً عاماً ، في حين أن هذا الاختيار لم يتم إلا بعد ذلك بسنتين .

على الرغم من أن حزب الله نشأ برعاية إيران ، وكانت له – ولا تزال – علاقات

١٢٦- مقالة «المرحلة الختامية والمناقشة حول الاصلاحات الداخلية في حزب الله» بقلم سالم مشكور ، **النهار** ، ١٨ آذار/ ١٩٩٨ .

١٢٧- م . ن .

مميزة ووثيقة بإيران ، لكن ، بحسب قول «استيفان بلتيير» المحلل في وزارة الدفاع الأميركية والخبير بشؤون حزب الله ، «ما من شك في أن اقتداء حزب الله بإيران ، ليس معناه ، خضوع هذا الحزب خضوعاً مطلقاً لأوامر إيران»[١٢٨] .

يقول «تيمور غوكسيل» ، الناطق السابق باسم قوات الأمم المتحدة في لبنان أنه «على الرغم من تأثير إيران القاطع على حزب الله عسكرياً وسياسياً ودينياً ، لكن هذا التأثير خف بمرور الزمان ، وأخذ الحزب يتصرف باستقلالية . لقد كانت إيران في البداية تدير عملياً تنظيمات الحزب ، لكن الحزب يعمل الآن كحزب مستقل»[١٢٩] .

كنا قد أوضحنا من قبل أن حزب الله تكوّن من اندماج مجموعات متباينة ، لذا فإن كل واحد من قادة الحزب ، دخل حزب الله بمنطقه الخاص به ، وكانت لدى هؤلاء رؤى مختلفة حول العديد من القضايا ؛ كلهم يعلمون أن للجمهورية الإسلامية الإيرانية دين عظيم في أعناقهم ، لأنها أخرجتهم من حالة التفرقة والضعف والتهميش ، وجعلتهم من أقوى الأحزاب في لبنان ، مع ذلك هنالك اختلاف في ما بينهم تجاه القيادة الإيرانية . ففي حين يؤكد فريق من قادة الحزب على «الإخلاص الكامل إيران» ، فإن فريقاً آخر يكتفي «باظهار المحبة والتعاون» فقط .

إنطلاقاً مما ذكرنا أعلاه يمكن القول إن «التطورات الإيرانية» ، على الرغم من تأثيرها المهم في التحول لدى حزب الله ، لكنها ليست العامل الرئيسي في توجه هذا الحزب من الراديكالية إلى الواقعية .

٢- إنتهاء الحرب الباردة وانهيار نظام القطبين

كما أوضحنا في الفصل السابق ؛ إن تنافس القوتين العظميين فيما بينهما – في مرحلة الحرب الباردة – هيأ الأجواء الملائمة لنشاطات المجموعات الثورية الراديكالية

128- Stephen Pelletiere, *Op. Cit.* p.12.

129- Nicholas Blandford, *Op. Cit.*, p. 31.

في جميع أنحاء العالم، حيث ظهرت في الحقبة الواقعة بين الستينات والثمانينات، مجموعات ثورية راديكالية، لم تتورع عن استخدام العنف للوصول إلى أهدافها السياسية. لكن هذه الظروف والأجواء الملائمة اضمحلت، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وتفكك الحكومات الشيوعية في أوروبا الشرقية، ونجحت أميركا في استقطاب الرأي العام العالمي حول موضوع إدانة «الإرهاب»، ووضع حد للنزاعات إنطلاقاً من المصالح الوطنية: «التدخل الفاعل لأميركا والعالم الغربي في «حرب الخليج الثانية»، وتنفيذ «الحصار الإقتصادي على العراق»، و«حل أزمة البوسنة» و«حل أزمة كوسوفو» و«محاكمة مجرمي الحرب الصربيين في المحاكم الدولية» و«ملاحقة أسامة بن لادن وأمثاله»، وغيرها، تدل كلها على تغيّر المناخ الدولي وعدم شرعية النشاطات الراديكالية العنفية.

كما ذكرنا في البحث النظري من هذه الدراسة (الفصل الأول)، في طرحنا للإطار النظري حول «العمل الجماعي للجماعات الإسلامية»، إن للنظام الدولي وتطوراته تأثيراً في استخدام الحركات الإسلامية للأعمال الجماعية العنفية أو السلمية: ففي مرحلة الحرب الباردة كان نظام القطبين عاملاً مساعداً على العنف لدى المجموعات الثورية ومن ضمنها المجموعات الإسلامية، لكن بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي، طرأت على النظام الدولي تطورات كبيرة، ولم يعد النظام الجديد، «الأحادي القوة»، أو «النظام العالمي الجديد»، يحتمل استخدام المجموعات الثورية للعنف، وهو تصدى لها بقوة وبجميع الوسائل، لذا فإن أوضاع النظام العالمي الجديدة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي كمتغير ضبط للعنف، تعمل على الحد من العمل الجماعي العنفي.

هل يمكننا إذاً، بناء على هذه المعطيات، أن نقول إن إنهيار النظام ذي القطبين، كان السبب الرئيسي في توجّه حزب الله من الراديكالية إلى الواقعية؟ الجواب، أن حزب الله على الرغم من أنه كان قد استفاد من أجواء التنافس بين القوتين العظميين بصورة غير مباشرة، إلا أن انهيار الاتحاد السوفياتي لم يؤثر عليه بصورة مباشرة، إذ لم

تكن تربطه به علاقات سياسية أو عسكرية أو مالية، وإنما على العكس من ذلك، كان معادياً للاتحاد السوفياتي بسبب سياسته في أفغانستان.

واقعياً، كانت سياسة الاتحاد السوفياتي بالنسبة إلى الشرق الأوسط، قد بدأت تتغير منذ منتصف الثمانينات، ولم يبد غورباتشوف استعداداً لمتابعة سياسة خلفائه، بدعم العرب وبخاصة سوريا، وقد صرح بموقفه هذا لحافظ الأسد حين التقى به في موسكو في نيسان ١٩٨٧[١٣٠]. إضافة إلى أن آخر عمل راديكالي نُسب إلى حزب الله يعود إلى العام ١٩٩٢ (تفجير السفارة الإسرائيلية في الأرجنتين)، أي بعد عدة سنوات من التغيير الذي طرأ على سياسات الاتحاد السوفياتي على يد غورباتشوف وتفكك الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة، لذلك يمكن الاستنتاج: أن انهيار نظام القطبين لم يكن هو العامل الرئيسي وراء تحول مواقف حزب الله وممارساته، لكنه أثر فيها بصورة غير مباشرة، كما يقول «إميل ساحلية» في مقالته ضمن «مشروع الأصولية» لجامعة شيكاغو: «..لا بد لإيعازات الواقعية السياسية من أن ترغم الأصوليين على القبول بأهداف أقل مستوى من أهدافهم المثالية»[١٣١].

٣- إحياء مفاوضات السلام العربية - الإسرائيلية

بعد اجتياح النظام العراقي للكويت في العام ١٩٩٠، إبتلي العالم العربي بمزيد من الفرقة والتمزق، فبعض البلدان العربية كالأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات أيدت العراق، في حين أن مصر وسوريا أيدتا الكويت والسعودية، ودخلتا الحرب ضد العراق بإرسالهما قوات انضمت إلى قوات التحالف الغربية؛ وبعد هزيمة العراق، تعمقت حالات التفرقة بين الدول العربية، فضعف موقفها تجاه إسرائيل. وفي مثل هذه الأجواء، إستطاعت أميركا والعالم الغربي أن يعقدا مؤتمر

١٣٠- أحمد خالدي وحسين ج. آغا. **سوريا وإيران: تنافس وتعاون**، ترجمة عدنان حسن (بيروت: دار الكنوز الأدبية، أكتوبر ١٩٩٧)، ص ص ٥١ - ٥٢.

١٣١- إميل ساحلية، **مقارنة بين الأصوليات الدينية**، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث (بيروت، آب ١٩٩٨)، ص ٣٦.

مدريد لإحياء مفاوضات السلام العربية - الإسرائيلية ، حيث غير هذا المؤتمر الذي عقد بمشاركة الاتحاد السوفياتي وعدة دول عربية ، الأجواء السياسية في الشرق الأوسط ، ووافق جميع المشاركين على أن يتحرك قطار السلام المتوقف .

أما ياسر عرفات ، فقد انعزل عربياً بسبب تأييده لصدام حسين ، فقد دخل في مفاوضات سرية مع الإسرائيليين ، ووقّع اتفاقية أوسلو ، فخرجت هكذا بعض المنظمات الفلسطينية من ساحة الصراع ، وفقد شعار «تحرير فلسطين» الذي ظل لعقود ملهم الحركات الثورية العربية ، تأثيره .

وكما ذكرنا في الفصل الأول من هذه الدراسة (البحث النظري) ، يعتقد المنظّرون لأنموذج الديمقراطية التوافقية أمثال «ليبهارت» و«نورد لينغر» و«ملك ري» ، أن التهديد الخارجي هو أحد شروط نجاح أنموذجهم في تثبيت الاستقرار الداخلي والوحدة الوطنية . هذه النقطة بالنسبة إلى لبنان تحتاج إلى مزيد من التنقيح ، في الثمانينات لم يؤد التهديد الخارجي ولا محيط المنطقة المضطرب بسبب الصراع العربي - الإسرائيلي إلى الوحدة الداخلية ، وإنما ضاعف النزاعات بين المجموعات والطوائف اللبنانية المختلفة . لكن في التسعينات ، ومع تغيير المعطيات في العالم وفي المنطقة ، وتحرك عجلة المفاوضات العربية - الإسرائيلية ، تعمق الاستقرار الداخلي في لبنان ، الذي أوجدته اتفاقية الطائف ، والجماعات المتناحرة التي كانت قد استفادت من اضطراب الأجواء في المنطقة ، فقدت حماتها التقليديين .

على الرغم من أن مؤتمر مدريد لم يكن له نتائج عملية ، لكن مشاركة سوريا ولبنان في هذا المؤتمر ، دلّت على أن الظروف الجديدة في الشرق الأوسط ستؤثر في الوضع الداخلي اللبناني ، وستغير شروط الصراع مع إسرائيل ، لذا فإن عدداً من المراقبين يعتقدون أن : «انطلاق عملية التسوية العربية - الإسرائيلية وفقاً لصيغة مدريد ١٩٩١ ، . . ودخول لبنان وسوريا في مفاوضات التسوية مع إسرائيل ، . . قد دفعت قيادة حزب الله إلى مراجعة خطابها السياسي وانتهاج سياسة واقعية (Real Politik)

للتكيف مع هذه المستجدات . .»[١٣٢] . حيث لم تقدم المقاومة نفسها كحاجز مادي أمام الوفدين اللبناني والسوري في المفاوضات ، وإن أعلنت صراحة رفضها لأي شكل من أشكال التفاوض[١٣٣] .

على الرغم من أن حزب الله ، كان يرفض أي نوع من أنواع التفاوض مع إسرائيل (مباشرة أو غير مباشرة) ، وكان يراه اعترافاً ضمنياً بالكيان الإسرائيلي ، لكنه وافق في أثناء الهجوم الإسرائيلي الموسّع على لبنان في العامين ١٩٩٣ و١٩٩٦ ، على «التفاوض غير المباشر مع الكيان الصهيوني» ، الذي نتج عنه اتفاقاً «شفوياً» في تموز ١٩٩٣ ، واتفاقاً «مكتوباً» في نيسان ١٩٩٦ ، والموافقة على هذين الاتفاقين : «تمثل تحولاً في رؤية حزب الله للصراع مع إسرائيل التي يتعاطى الحزب معها كأمر واقع موجود ، دون أن تكون لها أي صفة شرعية»[١٣٤] .

نص هذان الاتفاقان ، على أن حزب الله لن يكون البادئ بقصف المستعمرات اليهودية في شمال «إسرائيل» ، لكنه يحتفظ بحقه في الرد بالمثل ، في حال قام الجيش الإسرائيلي باعتداءات على المناطق اللبنانية المدنية الآهلة بالسكان . اللافت هنا ، أن حزب الله في أواخر التسعينات ، كان أكثر التزاماً من إسرائيل بمضمون هذين الاتفاقين ، وقد أعلن موافقته على اتفاق نيسان ١٩٩٦[١٣٥] . إن تصرف حزب الله هذا يشير إلى أن الحزب على الرغم من معارضته الشديدة والعلنية ، لمفاوضات

١٣٢- هيثم مزاحم ، م . س . ص ٤٩ .

١٣٣- هذا الموقف لقي ترحيباً لبنانيا ، وحتى عربياً في بعض الأحيان . راجع حسن فضل الله م . س . ص ٢٣٣ .

١٣٤- هيثم مزاحم : «**حزب الله وإشكالية التوفيق بين الأيديولوجيا والواقع**» ، ص ٦٧ .

١٣٥- حسن فضل الله ، م . س . ص ٢٠٠ وكذلك :
Raymond Tanter, ***The Peace between Syria and Israel*** (Michigan: The University of Michigan, Spring 1997), p. 112.

التسوية العربية – الإسرائيلية ، كان مستعداً للتكيف مع الظروف التي ستنتج عنها[١٣٦] .

كان نهج حزب الله بالنسبة إلى مفاوضات التسوية ، إعتماد سياسة الصبر والانتظار ، وهذا النهج كان قد اتخذ مراعاة للرأي العام اللبناني ، وبخاصة أهل الجنوب الشيعة . فقد كان اللبنانيون ينتظرون بفارغ الصبر نتائج مفاوضات السلام ، لأن معالجة المشاكل الاقتصادية ، كانت على رأس أولوياتهم[١٣٧] . ويعبّر محمد رعد عن ذلك بصراحة بقوله ، «كان بعض أعضاء الحزب يعتقدون أن حزب الله لا يجب أن يعتمد كثيراً على موضوع انهيار محادثات السلام ، وإنما يجب أن يحضّر نفسه «لمرحلة ما بعد التسوية»[١٣٨] .

إنطلاقاً من المواقف والوقائع المذكورة أعلاه ، هل يمكننا القول أن إحياء مباحثات التسوية بين العرب وإسرائيل ، هو السبب الرئيسي وراء تغير مواقف حزب الله وممارساته ، وتوجهه باتجاه الواقعية؟ الجواب أن النهج الواقعي لدى حزب الله كان قد بدأ قبل سنة من انعقاد مؤتمر مدريد وإحياء مفاوضات السلام . والمثال الأبرز على ذلك ، إنتخاب السيد عباس الموسوي أميناً عاماً للحزب ، والوساطة للإفراج عن الرهائن الغربيين .

ومن ناحية أخرى ، سوريا على الرغم من مشاركتها في مفاوضات السلام ، كانت تدرك بأن إسرائيل لم تكن تعتزم جدياً التوقيع على اتفاقية صلح معها لأسباب عدة . هذا الموقف السوري خفف إلى حد كبير من ضغوط مباحثات السلام على حزب الله ، وسمح له بمعارضة مسيرة التفاوض . وقد ظل الحزب طيلة التسعينات يعلن اعتراضه على هذه المفاوضات بالمؤتمرات والتظاهرات ، وتأييد المنظمات

136- Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, pp.3 & 18.

137- Stephen Pelletiere, ***Hamas and Hizbollah: The Radical Challenge to Israel in the Occupied Territories*** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, 1994), p.73.

١٣٨- لقاء مع أعضاء المجلس السياسي في حزب الله من كلام محمد رعد ، نيسان ١٩٩٧ .

الفلسطينية المعارضة للمفاوضات . وفي هذا السياق ، وقعت الحادثة التي تصدى فيها الجيش اللبناني للمظاهرة التي أطلقها حزب الله في ١٣ أيلول ١٩٩٣ .

وكان حزب الله يعلن دائماً أن «دخول الأنظمة العربية في عملية التسوية مع إسرائيل ، يجب أن لا يؤدي إلى الاعتراف بشرعية إسرائيل وبحقها في الوجود ، وبحدودها كدولة «أمر واقع» مكان فلسطين التي لا يمكن اختزالها إلى أجزاء من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، وبقسم من الشعب الفلسطيني وبحكم ذاتي محدود عليها»[١٣٩] . إنطلاقاً من هذا الواقع ، يمكن القول أن «إحياء مفاوضات السلام» ، ليس هو السبب الرئيسي وراء تغيير توجهات حزب الله من الراديكالية نحو الواقعية .

٤- التحولات التنظيمية

في مرحلة الحرب الأهلية ، كان حزب الله تنظيماً مغلقاً وسرياً ، تغلب عليه الناحية الأمنية – العسكرية . لكن في خريف العام ١٩٨٩ ، إتخذ قادة الحزب قرارات مهمة ، تتعلق بهيكلية الحزب ، وطريقة اختيار شورى القيادة ، وإيجاد منصب الأمين العام ، واتخذ القرار في أن يتم انتخاب شورى قيادة الحزب (شورى القرار) من طريق الاقتراع المباشر للكوادر الحزبية[١٤٠] . هذه القرارات ، كان من نتيجتها انفتاح الحزب وعلنيته في الساحة الداخلية اللبنانية ، وصار حزب الله منذ ذلك التاريخ يعلن عن هوية أعضاء قيادته ، ويطلع الرأي العام على نتائج الانتخابات في داخل الحزب ، بواسطة وسائل الإعلام ، بعد مرور أيام قليلة على صدور هذه النتائج[١٤١] . يقول الشيخ «نعيم قاسم» نائب الأمين العام لحزب الله ، عن التعديلات التنظيمية في الحزب :

١٣٩- هيثم مزاحم ، م . س . ص ٦٧ .

١٤٠- مقابلة طوني عبد الله وسامي الحسين مع الشيخ نعيم قاسم ، السفير ، ٢٢ كانون الأول ١٩٩٥ .
وكذلك :
Magnus Ranstrop, ***Op. Cit.***, p 68.

141- Hala Jaber. ***Op. Cit.*** pp. 66-67.

«إننا منذ سبع أو ثماني سنوات، بدأنا نختار الشورى، التي هي الواجهة القيادية للحزب، عن طريق الانتخاب، بينما كانت في البداية عن طريق التوافق. فحصلت تعديلات تنظيمية سببها الأساسي إتساع الجسم الحزبي.. وعادة عند كل مؤتمر ينظر في المستجدات التي تتطلب إنشاء حقائب جديدة أو إلغاء حقائب، أو ضم مناطق أو فرز مناطق. وهذا طبيعي. لأن الشكل التنظيمي ليس شكلاً محدداً حتى يجمد عليه الإنسان، بل يجب أن يواكب المستجدات وقدرة الحركة الأفضل»[١٤٢].

يعتقد «كنث كاتزمان» أن حزب الله أقدم على تعيين منصب الأمين العام لمواجهة التشعبات شبه المستقلة التي نشأت داخل الحزب، وليعزز تنظيمه ومركزيته[١٤٣]. لكن السيد عباس الموسوي الأمين العام الثاني لحزب الله، يقول عن اعتماد الحزب لأسلوب «الانتخاب» بدلاً من النهج التوافقي: «إن الحزب الواثق من نفسه، يعتمد نهج الانتخابات الشعبية، ونحن نقيم كل سنتين مؤتمراً، تنتخب فيه الكوادر الحزبية الأمين العام والقيادة الجديدة، وهذه سنّة موجودة في جميع الأحزاب»[١٤٤].

في الهيكلية الجديدة لحزب الله (مقارنة بالثمانينات)، يتولى الأمين العام رئاسة شورى القرار، وتتخذ القرارات في الشورى بالاقتراع. وكل عضو في شورى القرار، يتولى مسؤولية محددة، ويتابع تنفيذ قرارات الشورى الداخلة في نطاق مسؤوليته. وأعضاء شورى القرار هم الذين ينتخبون الأمين العام للحزب[١٤٥]. وقبل شهر عادة من انعقاد المؤتمر الجديد للحزب، يقوم شورى القرار الموجود بجمع الاقتراحات المتعلقة بالتغييرات التنظيمية الضرورية، المقدّمة من الكوادر الحزبية، وينفذ هذه التعديلات داخل التنظيم، وبعد أن تنتخب الكوادر الحزبية الشورى الجديد، يعمل

١٤٢- مقابلة مع الشيخ نعيم قاسم أجراها طوني عبدالله وسامي الحسين، **السفير** ٢٢ كانون الأول ١٩٩٥.

143- Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p12.

١٤٤- السفير، ٢٢ أيار ١٩٩١. يعقد المؤتمر العام لحزب الله مرة كل ثلاث سنوات منذ العام ١٩٩٥، بعد ما كان يعقد مرة كل عامين منذ المؤتمر الأول في العام ١٩٨٩.

145- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 66.

هذا الشورى المنتخب على أساس التنظيمات الجديدة، وقد أصبح هذا النهج سنّة حزبية. وبحسب المعلومات التي أدلى بها السيد حسن نصر الله: «يتم اتخاذ قرارات حزب الله عن طريق اعتماد غالبية أصوات القادة؛ لكن في ما يتعلق بالقرارات الرئيسية، يحاول الحزب عادة تحقيق الإجماع»[١٤٦].

يقول الدكتور «إستروبمان» الخبير في وزارة الخارجية الإسرائيلية «أنه على الرغم من أن أكثر قرارات الحزب المهمة والحساسة تتخذ بإجماع الآراء في مجلس قيادة الحزب، إلا أن نيل رضى إيران ضروري أيضاً»[١٤٧]. أدى أسلوب اتخاذ القرارات داخل حزب الله، إلى أنه ما من مسؤول أو قائد في الحزب يمكن أن يتخذ أي قرار مصيري منفرداً. لذا فإن الغياب المفاجئ لقائد الحزب (إغتيالاً أو خطفاً..)، لا يؤدي بالضرورة إلى تغيير سياسة الحزب أو تعديل مواقفه[١٤٨].

إن برنامج «التحول الديمقراطي» في حزب الله، والانتخابات التي تجري كل ثلاث سنوات، لتعيين أعضاء مجلس القيادة، والمسؤولين الحزبيين، لا تدل فقط على تداول السلطة والمسؤوليات، وإنما تعبّر كذلك عن تحولات المجتمع اللبناني، التي تواجه الحزب. «لفهم هذا النهج التنظيمي لدى حزب الله، يجب الأخذ في الاعتبار مقدرة قياديي الحزب على ملاءمة آراء الحزب ومواقفه مع الواقع السياسي في المجتمع

146- Kenneth Katzman, ***Op. Cit.***, p13.

١٤٧- د. إسترو بمان، **حزب الله اللبناني**، ترجمة: مركز الاستشارات والبحوث (بيروت ١٩٩٨)، ص٢٧.

١٤٨- مع أن السيد حسن نصرالله بعد استشهاد السيد عباس الموسوي تابع سياسة الموسوي الواقعية ونهجه، لكن عهد السيد نصرالله شكّل من نواح عدة، تحولاً جيلياً تدريجياً داخل قيادة حزب الله، بعيداً عن «الحرس التقليدي القديم» الذي أسس هذا الحزب، باتجاه دائرة «الكوادر الجديدة»، التي تكيفت وتأقلمت مع التغييرات الضرورية لنجاح الحزب في مواجهة التحديات التي فرضتها أجواء ما بعد الحرب الأهلية اللبنانية. راجع:

Magnus Ranstorp, ***Op. Cit.***, p. 78.

اللبناني»(١٤٩) . والدليل على هذا الادعاء ، خروج الشيخ صبحي الطفيلي من شورى القرار في الحزب ، وملاحظة الحساسيات الشيعية المناطقية ، في تعيين أعضاء شورى القرار من شيعة البقاع أو الجنوب .

على الرغم من جميع التحولات الديمقراطية التي شهدها حزب الله تنظيمياً ، إلا أن مسؤولي الحزب يعتقدون بأن عليهم إجراء تعديلات أكبر . يقول الدكتور «علي فياض» مسؤول مركز الدراسات في حزب الله : « . . .إن الهيكلية التنظيمية تحتاج إلى التطوير وإلى المزيد من المرونة والابتكار بهدف مواكبة التطورات التي حصلت . وبتقديري السؤال المركزي هو عن كيفية تكييف الجسم بما ينسجم مع هذه التحولات»(١٥٠) .

المقصود بالتحولات الجديدة ، المرحلة التي ستعقب خروج إسرائيل من لبنان ، فيقول محمد رعد رئيس المجلس السياسي السابق في حزب الله ، وهو يخطو خطوة أبعد : «إن حزب الله يحتاج إلى توسعة قاعدته الشعبية والارتقاء بها ، وتعزيز حضوره داخلياً وخارجياً»(١٥١) .

لكن ما يثير قلق قادة الحزب ، هو مصير بعض المسؤولين الأمنيين في داخل الحزب بعد تلك التحولات ، لأن الإدارة الأميركية حضّرت لائحة بأسمائهم ، وطلبت من الحكومة اللبنانية تسليمهم إليها ، ومحاكمتهم بسبب حوادث الثمانينات ، وعن هذا الموضوع يقول السيد نواف الموسوي عضو المجلس السياسي في حزب الله : «نحن في المرحلة التالية ، حيث سيكون لحزب الله أدوار سياسية وثقافية ، يجب أن نتوصل إلى ترتيبات سياسية وإلى اتفاقيات ، كي لا تتعرض قياداتنا الأمنية للملاحقة»(١٥٢) .

149- ***Ibid,*** p.183.

١٥٠- في لقاء مع المجلس السياسي ؛ من كلام الدكتور علي فياض ، ١٣/ ١٠/ ١٩٩٧ .

١٥١- م . س ، من كلام محمد رعد .

١٥٢- مقابلة مع السيد نواف الموسوي ، أيلول/ ١٩٩٧ .

إن استعداد حزب الله وقدرته على إجراء تعديل مستمر في تنظيمه ، أثار إعجاب المحللين والخبراء ، يقول «استيفان بلتيير» بهذا الشأن : «إن أحد أوجه حزب الله الأكثر إثارة للإهتمام والاستغراب ، هو ميله إلى إعادة تجديد نفسه»(١٥٣) . لقد أتاحت هذه الخصوصية لحزب الله ، أن يخرج من حالة السرية والانغلاق ، ليصبح حزباً سياسياً منفتحاً وعلنياً ، وتغلبت فيه بالتدريج الناحية السياسية على الناحيتين العسكرية والأمنية ، وجعلته قادراً على إقامة علاقات مع «الآخرين» ، وأن يتعاون معهم . بعد هذه التحولات التنظيمية تغيرت صورة حزب الله «المخيفة» بنظر سائر الأحزاب والمجموعات ، وارتسمت له صورة «جذابة ومنفتحة» في الأذهان العامة .

الآن ، إذا أخذنا هذا الواقع بعين الاعتبار ، هل يمكن اعتبار «التحولات التنظيمية» لدى حزب الله العامل الرئيسي في توجهه الواقعي؟ الجواب ، أنه على الرغم من التأثير المتبادل لهذين الموضوعين ، لكن لا يمكن عدّ التحولات التنظيمية العامل الرئيسي في تغيير توجهات حزب الله ومواقفه ، لأن هذه التحولات التنظيمية ، جاءت - في الواقع - جواباً عن التحولات الناجمة عن اتفاق الطائف في المجتمع اللبناني . بعبارة أفضل يمكن القول : إن إدراك حزب الله الصحيح والواقعي لمضمون إتفاق الطائف ، دفعه إلى إجراء تعديل على هيكلية التنظيمية ، وحوله إلى حالة منفتحة وعلنية . فتوجه حزب الله من الراديكالية إلى الواقعية ، هو في الحقيقة ، سبب إجراء التعديلات التنظيمية ، وليس العكس . لكن كما قيل ، إن للأمرين تأثير متبادلاً ، وأي تعديل على أحدهما سيؤثر تلقائياً في الآخر : أي أنه كلما ارتفعت وتيرة التطورات التنظيمية ، وأصبح هذا الحزب أكثر انفتاحاً وعلنية ، سترجح كفة الواقعية فيه . وكلما تغلبت الواقعية على مواقف الحزب ، يصبح هنالك إحساس شديد بضرورة ملاءمة التنظيم الحزبي للواقع الجديد .

153- Stephen Pelletiere, ***A Theory about Fundamentalism***, p. 21.

٥- النفوذ السوري في لبنان

بعد دخول الجيش السوري إلى لبنان في العام ١٩٧٦ بسبب الحرب الأهلية، تحولت سوريا إلى أحد اللاعبين الأساسيين في الساحة اللبنانية، لكن نفوذها ضعف بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ وانسحاب الجيش السوري إلى سهل البقاع، حيث دخلت الحكومة اللبنانية عملياً تحت النفوذ الإسرائيلي. لكن حين أجبر الجيش الإسرائيلي على إثر ضربات المقاومة الإسلامية وبخاصة العمليات الاستشهادية، على أن ينسحب من الجزء الأعظم من الأراضي اللبنانية في العام ١٩٨٥ والتمركز في الحزام الأمني، تمكنت سوريا من إستعادة دورها من جديد في لبنان، وعاد الحكم اللبناني ليخضع مرة أخرى للنفوذ السوري. ومن حيث أن سوريا ترى أن استمرار مصالحها يكمن في بقاء النظام الطائفي في لبنان وإضعاف التنظيمات والجماعات المتواجدة فيه، بدأت منذ العام ١٩٨٥ باستهداف معارضيها ومن بينهم المجموعات الفلسطينية، وحركة التوحيد الإسلامي بقيادة الشيخ سعيد شعبان، ومعارضيها المسيحيين بقيادة ميشال عون، كما أن دعم سوريا لحركة أمل في حربها مع حزب الله دخل في سياق هذه السياسة.

إن علاقات سوريا وحزب الله تعود تاريخياً إلى العام ١٩٨٢، عندما بدأت الانطلاقة الأمنية في البقاع الخاضع لسيطرة القوات السورية... وبقيت هذه العلاقة حتى العام ١٩٨٧، منحصرة في الجانب الأمني.. لأسباب عديدة أبرزها العامل الداخلي لحزب الله الذي كان يعدّ تشكيلاته وأطره التنظيمية، بعيداً من أعين الآخرين، وفي ظل ريبة وشك تجاه القوى المؤثرة في الساحة اللبنانية، خشية جرّها إلى سياسات لا تريدها، وإضافة إلى هذا العامل، فإن هناك عاملاً مماثلاً حكمته النظرة السورية إلى القوى اللبنانية، حيث حرصت دمشق على عدم إعطاء هذا التيار غطاء سياسياً، خاصة في بداية انطلاقته التي شكلت صدمة لمختلف القوى السياسية اللبنانية، أو تلك المؤثرة في البلد[١٥٤].

١٥٤- حسن فضل الله، **الخيار الآخر**، ص ص ١٤٣ و١٤٤.

تعدّ حادثة ثكنة فتح الله في العام ١٩٨٧ التي أسفرت عن استشهاد عدد من شباب حزب الله على يد الجيش السوري، نقطة تحول في علاقات هذا الحزب بسوريا، وجد الحزب بعدها، «أن عليه الإذعان إلى أن الوجود السوري في لبنان أمر واقعي، وأن عليه أن لا يعمد إلى التصدي له»[١٥٥].

في الواقع، أدرك حزب الله جيداً أن دعم إيران له هو مصدر مشروعيته الدينية، وأن انسجام الحزب مع السياسات السورية في لبنان، هو عامل تسهيل لنشاطاته. لذلك أظهر حزب الله مرونة أكبر في علاقته بسوريا بعد اتفاق الطائف؛ لكن هذه المرونة لم تكن بالتأكيد موضع تأييد الجناح الراديكالي في حزب الله، إلا أن تدخل إيران دفع أعضاء الحزب إلى تغيير نظرتهم إلى سوريا. يقول أبو سعيد الخنساء بهذا الخصوص: «إن بعض أصدقائنا كانوا ينظرون إلى سوريا كعدو، ولو لم يتدخل السيد القائد [آية الله الخامنئي] مباشرة لما صححت هذه النظرة»[١٥٦]. بعد هذا التحول، رسم حزب الله لنفسه خطين أحمرين في ما يخص القضايا اللبنانية الداخلية.

١- المحافظة على السلم الأهلي في لبنان؛

٢- عدم المساس بالعلاقة مع سوريا[١٥٧].

مع مراعاة هذين المحذورين، إنبنت علاقة حزب الله بسوريا في التسعينات، على قاعدة الأهداف المشتركة القصيرة والمتوسطة الأمد للطرفين في مواجهة إسرائيل. وقد شكّلت العمليات العسكرية للمقاومة الإسلامية ضد الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان، عاملاً داعماً لسوريا خلال مفاوضاتها مع إسرائيل، وهذا هو دافع سوريا الأساسي في دعمها لحزب الله. كما أن حزب الله إستفاد في المقابل من الدعم

١٥٥- وضاح شرارة، م. س. ص٣٦٢.

١٥٦- **مقابلة** مع محمد الخنسا، نيسان ١٩٩٧.

١٥٧- حسن فضل الله، **حرب الإرادات**، ص ٢٣٢.

السوري لإستمرار المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي وتعزيز موقعه في الساحة السياسية اللبنانية .

كان قادة حزب الله يعرفون طبيعة مصالح سوريا ، ولم يكن في نيتهم إغضاب النظام السوري ، وتعريض الحزب للخطر ، هذا الإدراك المتبادل بين حزب الله وسوريا ، كان ضمنياً . يقول «تيمور غوكسيل» الناطق الرسمي السابق باسم القوات الدولية في لبنان بهذا الشأن : «إن حزب الله حساس جداً إلى الإشارات الصادرة من سوريا ، وحزب الله ، حتى وإن لم يكن عملياً شديد الصلة بسوريا ، لكن مصالحه تقتضي أن تكون علاقته بسوريا جيدة ، مع هذا ، إن ذلك لا يعني في الواقع أن سوريا تقول لحزب الله : إفعل كذا ولا تفعل كذا»(١٥٨) .

إن إدراك حزب الله الواقعي لدور سوريا في لبنان ، برز في الانتخابات البرلمانية التي أجريت في العام ١٩٩٦ ، فحينها لم يكن حزب الله راغباً في التحالف مع نبيه بري ، وكان قد شكّل لائحة مستقلة لمرشحيه ، وبما أن ذلك كان سيؤدي إلى هزيمة بري ، دخلت سوريا الساحة لدعم حليفها التقليدي ، وهددت حزب الله ، أنه إذا أصر على عدم التحالف ، فإن ذلك سيؤثر على إستمرار المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان ، وقد أدى ضغط سوريا هذا إلى تراجع قيادة حزب الله عن موقفها ، وأعلنت تحالفها مع نبيه بري(١٥٩) . في العام ١٩٩٥ كان قد وقع حدث آخر مماثل ، حيث طرح التمديد لـ «إلياس الهراوي لرئاسة الجمهورية ، بعد نهاية الدورة الأولى من مرحلة رئاسته» ؛ عارض حزب الله في البداية موضوع التمديد ، وأعلن الأمين العام صراحة : «نحن أساساً مخالفون للتمديد ، ويجب أن يعمل مجلس النواب على انتخاب رئيس جديد للجمهورية»(١٦٠) . لكن بعد ذلك بزمن قصير ، حين أدرك

158- Nicholas Blandford, ***Op. Cit.***, p.31.

١٥٩- ماغنوس رانستورب ، م . س ، ص ١٢ ، محمود حيدر ، م . س ، ص ١٦٨ ، وكذلك Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 212.

١٦٠- حديث غسان تويني مع السيد حسن نصرالله ، **ملحق النهار** ، ٤ تشرين الأول/ ١٩٩٥ .

حزب الله أن سوريا راغبة بالتمديد ، وإيران قد أعلنت تحت ضغط من سوريا ، أن التمديد للرئيس الهراوي مسألة داخلية»(١٦١) ، غيّر حزب الله موقفه ، واقترع نواب الحزب في البرلمان لمصلحة التمديد(١٦٢) .

ردت سوريا الجميل لحزب الله ، بالضغط على السياسيين اللبنانيين للاعتراف بوجود الحزب وقوته في الساحة الداخلية اللبنانية ، وتجنّب الاصطدام به ؛ لأن أي صدام يمكن أن يؤدي إلى تجدد الحرب الأهلية ، وتنتهي المعادلة من جديد لمصلحة إسرائيل . وكانت سوريا قد أدركت ذلك ، في أثناء الاجتياح الإسرائيلي الموسع للبنان في تموز/ ١٩٩٣ ، حيث قررت الحكومة اللبنانية تحت ضغط إسرائيل أن تنشر جيشها في منطقة النزاع بين حزب الله وإسرائيل ، وبدأت بتنفيذ هذا القرار ، لكنها توقفت عن التنفيذ بعد تدخل سوريا دعماً لحزب الله(١٦٣) ؛ وفي أثناء العدوان الإسرائيلي في العام ١٩٩٦ (عناقيد الغضب) ، بحثت الحكومة اللبنانية في ١١ نيسان موضوع «إيقاف نشاط المقاومة» ، في مجلس الوزراء ، لكن تدخل سوريا ودعمها لاستمرارية المقاومة ، دفع الحكومة اللبنانية إلى شطب هذا الموضوع عن جدول أعمالها(١٦٤) ، إلى أن حصل في النهاية إتفاق نيسان ١٩٩٦ ؛ إن دعم سوريا لحزب الله دفع الحزب إلى إقامة توازن دقيق بين نشاطاته وبين نهج سوريا في المنطقة ؛ وقادة حزب الله ، لا ينكرون نفوذ سوريا هذا وتأثيرها على حزب الله . ويبدو أنه في حال «وصلت مفاوضات السلام العربية - الإسرائيلية إلى نتيجة ، فإن منحى نشاط حزب الله سيكون مرتبطاً بمضمون الاتفاق المحتمل بين سوريا وإسرائيل ، وبماهية علاقة سوريا بأميركا وبإيران» .

إنطلاقاً من هذه الوقائع ، هل يمكننا اعتبار النفوذ السوري في الساحة الداخلية

١٦١- **الحياة** ، ٢٢ تشرين الأول/ ١٩٩٥ .

162- Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, p. 62.

١٦٣- **السفير** ، ٢ آب/ ١٩٩٣

١٦٤- **النهار** ، ٢٢ نيسان/ ١٩٩٣ .

اللبنانية السبب الرئيسي وراء توجه حزب الله من الراديكالية إلى الواقعية؟ الجواب، أن لا أحد يستطيع أن ينكر نفوذ سوريا في لبنان، وتأثيرها في تغيير التوجه السياسي لجميع الأحزاب والجماعات اللبنانية؛ والجميع يعترفون بأن النفوذ السوري له دور في إحلال السلم الأهلي وإشاعة الاستقرار في لبنان، لكن بالنسبة إلى حزب الله يجب القول أن النفوذ السوري ليس العامل الأساسي في تغيير توجهات الحزب، ويمكن ذكر أدلة متعددة على هذا الموضوع:

أوضحنا في بداية هذا القسم من البحث، بأن النفوذ السوري في لبنان بدأ منذ العام ١٩٧٦، وترسخ بعد اتفاق الطائف وقمع الجيش السوري لميشال عون؛ لكن سوريا على الرغم من – رغبتها الذاتية، ربما – لم تستطع أن تقمع حزب الله، وتجعله منقاداً لها، حتى أن دعم سوريا لحركة أمل في حربها ضد حزب الله، لم يعط النتيجة المرجوة لسوريا، وإنما انتهى بإضعاف حركة أمل، التي أصبحت في الوقت الحاضر، مشرذمة تنظيمياً وسياسياً، ولولا وجود نبيه بري في السلطة، لكانت هذه الحركة قد حلّت عملياً. من ناحية أخرى، فإن موضوع الرهائن الغربيين دليل آخر على عدم مقدرة سوريا على إحكام سيطرتها الكاملة على الساحة الداخلية اللبنانية، فالحكم السوري لم يكن على علم بمجريات خطف الرهائن الغربيين، وكان دوره ثانوياً أيضاً في عملية الإفراج عنهم.

كانت سوريا قد فقدت حليفها الاستراتيجي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، لذلك لم يبق لها من أي دعم في صراعها مع إسرائيل سوى المقاومة في جنوب لبنان. وكان حافظ الأسد قد أدرك جيداً، أن أفضل وسيلة لإضعاف موقف إسرائيل هي دعم المقاومة في الجنوب، لذلك أعلن في التسعينات دعمه الكامل غير المنقوص لهذه المقاومة. وكانت سوريا من ناحية أخرى بحاجة إلى دعم إيران، لإقامة التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط، وهي كانت مهددة من جاراتها الثلاث إسرائيل وتركيا والعراق، فيخفف تحالفها مع إيران من تهديد هذه الدول لها، لذلك فإن مراعاة حلفاء إيران في لبنان، وبخاصة المكانة المميزة لحزب الله، هي أحد أوجه

التعاون والتحالف بين سوريا وإيران، وقد أدرك الحكم السوري أنه «على الرغم من أن مصالح سوريا وحزب الله في لبنان متعارضة في بعض الأمور، إلا أن محاولة القضاء على حزب الله ستنطوي على كلفة باهظة بالنسبة إلى السوريين»[١٦٥].

إن حزب الله ليس مجموعة «مقيّدة الرجلين واليدين» أمام سوريا، ولا يمكن إنكار حقيقة أنه «لا يقدم التنازلات بسهولة»[١٦٦]، وحين الضرورة يتشبث بمواقفه. لقد وقف حزب الله مرات عديدة ضد التوجهات السورية، «والقادة السوريون يقبلون معارضة الحزب هذه، لأنهم يؤمنون أن قادته صادقون، وغير متلوّنين»[١٦٧]. إن العلاقات بين حزب الله وإيران وسوريا متبادلة، لا يستطيع أحد الأطراف الثلاثة أن يتجاهلها، يقول الدكتور نزار حمزة بهذا الصدد: «إن كلاً من إيران وسوريا وحزب الله يعرف من منظور استراتيجي حدود الآخر والخطوط الحمراء التي لا يجب تخطيها»[١٦٨]، وإن ماهية العلاقة بين حزب الله وسوريا، كامنة في أن كلا الطرفين لديه إدراك واقعي عن الآخر، لذلك لا يحاول إثارة عداوته. إنطلاقاً من هذا الواقع يمكن القول أن النفوذ السوري في لبنان على الرغم من تأثيره على توجه حزب الله الواقعي، لكنه لا يعدّ العامل الأساسي في هذا التوجه.

٦- إتفاق الطائف وإحياء النظام الديمقراطي التوافقي

بتنفيذ بنود اتفاق الطائف، إنتهت الحرب الأهلية في لبنان، واستطاع الحكم الجديد تدريجياً أن يثبّت الاستقرار الداخلي والسلم الأهلي، وتمثلت عودة الاستقرار السياسي والديمقراطية النسبية، وتراجع الراديكالية في المجتمع اللبناني بتسلّم الهراوي زمام الرئاسة في بداية التسعينات، وتوقف النزاعات المسلحة بين المجموعات

165- Augustus Richard Norton, ***Op. Cit.***, pp. 16 - 17.

١٦٦- محمود حيدر، م. س. ص١٦٨.

١٦٧- مقابلة مع محمد إيراني، القائم بالأعمال الإيراني في لبنان؛ تشرين الأول ١٩٩٧.

168- Nicholas Blandford, ***Op. Cit***., p. 32.

الداخلية ، وإجراء ثلاث دورات انتخابات برلمانية ، ودورتي انتخابات بلدية واختيارية ، وأربع دورات انتخاب رئاسية .

من البديهي ، أن هذه التطورات تحتاج إلى توضيح دقيق ، لذا ، من الضروري الإجابة عن هذا السؤال : ما هي أسباب انخفاض حدة التوتر والمواجهات الداخلية في لبنان منذ أوائل التسعينات وما بعدها ، وتحول هذا البلد من مجتمع مضطرب وراديكالي إلى مجتمع مستقر ومعتدل؟ يجدر القول في الجواب أن «النظام السياسي اللبناني في هذه المرحلة ، تحرك باتجاه التطابق النسبي مع أنموذج الديمقراطية التوافقية ، وهذا التحول هو السبب في عودة الاستقرار السياسي والاعتدال إلى لبنان من جديد»(١٦٩) . من الممكن توضيح التجليات المتنوعة لهذه الحركة الإصلاحية ، والاتجاه نحو الأنموذج الديمقراطي المبني على التوافق ، في النقاط التالية :

أ- رغبة النخبة في إيجاد ائتلاف جديد

على الرغم من اعتراض النخب المسيحية (المارونية) في البداية ، ورفضهم الشديد لتشكيل حكومة وفاق جديدة ، وإجراء إصلاحات سياسية في الميثاق الوطني/ ١٩٤٣ ، وكذلك على الرغم من الإصرار المبدئي ، من قبل بعض المجموعات الإسلامية (من بينها حزب الله) على إلغاء النظام اللبناني الطائفي وإحلال نظام إسلامي مكانه ، فإن أكثرية النخب المسلمة والمسيحية وافقت في مؤتمر الطائف على إصلاح النظام السياسي وتحقيق وفاق جديد ، على أساس توافق القوى السياسية الطائفية . لذلك لم تؤد معارضة ميشال عون لقرارات مؤتمر الطائف إلى أي نتيجة ، سوى هزيمته وفراره من لبنان . في النهاية أدى توجه الفرقاء الأساسيين من المسلمين والمسيحيين لإصلاح النظام السياسي اللبناني مجدداً ، إلى تشكيل وفاق بين النخب ، وكان تحقيق هذا المبدأ الأساسي من مبادئ الديمقراطية التوافقية ، سبباً في عودة

١٦٩- حميد احمدى ، «ثبات سياسى ، دموكراسى وجامعه مدنى در جوامع ناهمگون» ، فصلنامه **مطالعات خاورميانه** ، سال چهارم ، زمستان ١٣٧٦ ، ص١٥٠ .

الاستقرار مجدداً ، وانتهاء الحرب الأهلية ، ما خفف إلى الحد الأدنى من أعمال العنف السياسي .

ب- تعديل مبدأ المحاصصة في السلطة السياسية

كان اتفاق الطائف في الأساس نوعاً من التعديل لمبدأ المحاصصة في السلطة على أساس نسبة عدد السكان لكل طائفة من الطوائف في لبنان ؛ وكما كنا قد أوضحنا في الفصل السابق ، إن أحد الأسباب الرئيسية لعدم الاستقرار السياسي وقلة الاحترام لتوزيع السلطات في النظام اللبناني القديم ، تزايد السكان المسلمين وبخاصة الشيعة منهم نسبة إلى المسيحيين ؛ في أواخر الثمانينات وافق النواب المسيحيون في الطائف على زيادة حصة المسلمين في السلطة السياسية ، وصار هذا الأمر أساس الوفاق الجديد بين النخب السياسية . إن دراسة دقيقة لأسس اتفاق الطائف ، وتطورات الاصلاح في البرلمان ، تدل على تزايد حصة المسلمين .

لقد نقل اتفاق الطائف والإصلاحات الجديدة السلطة في الواقع إلى حد ما من رئاسة الجمهورية إلى رئاسة مجلس الوزراء ، وكما نرى تعديل نظام توزيع السلطات لمصلحة المسلمين في تزايد سلطة رئيس الحكومة وسلطة رئيس المجلس النيابي .

١ - مجلس النواب

في الجلسة التي عقدها مجلس النواب في آب ١٩٩٠ ، للمصادقة على اتفاق الطائف ، تمت المصادقة على زيادة عدد النواب من ٩٩ إلى ١٠٨ ، بحيث تساوى عدد النواب المسيحيين وعدد النواب المسلمين ، بدلاً من نسبة ٦ مسيحيين مقابل ٥ مسلمين . وفي تموز ١٩٩٢ قرر البرلمان زيادة عدد النواب من ١٠٨ إلى ١٢٨ ، وكانت هذه خطوة إيجابية لتمثيل جميع الطوائف في السلطة التشريعية (يراجع الجدول التوضيحي رقم ١)(١٧٠) .

١٧٠- هذه الحصص المتساوية هي حتماً غير منصفة ، إذا أخذنا في الاعتبار عدد السكان في العام ١٩٩٠ (خلال توقيع إتفاق الطائف) ، لأن المسلمين كما ذكرنا في هذا الفصل يشكلون من ٦٥٪ إلى ٧٠٪ في حين =

وبحسب اتفاق الطائف، فإن رئيس مجلس النواب إضافة إلى نواب المجلس صار لهم دور مهم في تكليف رئيس مجلس الوزراء. لذلك فإن زيادة مدة رئاسة المجلس من سنة إلى أربع سنوات، كانت خطوة مهمة إضافية، في تزايد قوة الشيعة، كما أن اتفاق الطائف نزع من يد رئيس الجمهورية سلطة حل مجلس النواب.

الجدول رقم ١: توزيع المقاعد البرلمانية في لبنان بين المسيحيين والمسلمين:

المسيحيون	عدد المقاعد	المسلمون	عدد المقاعد
الموارنة الكاثوليك	٣٤	السنّة	٢٧
الروم الأرثوذكس	١٤	الشيعة	٢٧
الروم الكاثوليك	٨	الدروز	٨
الأرمن الأرثوذكس	٥	العلويون	٢
الأرمن الكاثوليك	١		
البروتستانت	١		
الأقليات	١		
المجموع	٦٤	**المجموع**	٦٤
مجموع المقاعد البرلمانية/ ١٢٨			

٢- مجلس الوزراء

السلطة التي اعطاها اتفاق الطائف لرئيس مجلس الوزراء، ألحقت ضرراً برئيس الجمهورية. ففي التعديلات الجديدة، فقد رئيس الجمهورية حقه بحل مجلس الوزراء، ويجب عليه قبل تكليف رئيس الحكومة أن يتشاور مع النواب. قرارات

أن

= نسبة المسيحيين وسائر المذاهب تتراوح من ٣٠٪ إلى ٣٥٪ من أصل الشعب اللبناني، ومن بين النواب الـ ١٢٨، عدد النواب الموارنة وحدهم ٣٤ نائباً من أصل ٦٤ نائباً لجميع المسيحيين. في حين أن عدد النواب الشيعة بحسب الجدول أعلاه يعادل عدد النواب السنّة. وهكذا لا تزال حصة الأسد للموارنة؛ ولا يزال هناك إجحاف بحق الشيعة.

رئاسة الجمهورية يجب أن يوقّعها رئيس مجلس الوزراء أيضاً (باستثناء حالتي: تكليف رئيس مجلس الوزراء، وقبول استقالة الحكومة). وعلى الرغم من أن رئيس الجمهورية لا يزال هو قائد القوات المسلحة، لكن الجيش يتبع الحكومة. كذلك فإن حق رئاسة جلسات مجلس الوزراء، وتعيين برامج الجلسات، أو حق نقض البرامج والقرارات، ليست هي الأخرى بيد رئيس الجمهورية. إضافة إلى ذلك، أنه في حال شغر منصب رئاسة الجمهورية، فإن رئيس الحكومة يتسلّم مهامه.

الجدول رقم ٢: توزيع الحقائب الوزارية على الطوائف

المسيحيون	عدد الوزارات	المسلمون	عدد الوزارات
الموارنة	٦	السنة	٦
الأرثوذكس	٤	الشيعة	٦
الكاثوليك	٣	الدروز	٣
الأرمن	٢		
المجموع	١٥	**المجموع**	١٥

هذه الاصلاحات تدل على أن قسماً من السلطة التنفيذية في النظام السياسي اللبناني، إنتقل عملياً من رئاسة الجمهورية إلى رئاسة مجلس الوزراء ورئاسة المجلس النيابي[171]. هذه المسألة يمكن ملاحظتها في تقسيم الوزارات بالتعادل بين المسلمين والمسيحيين في الجدول رقم (٢).

ج- تزايد قوة الدولة واعتبارها

إن أحد الأدلة على عودة الاستقرار السياسي النسبي إلى المجتمع اللبناني، إزدياد حاكمية الدولة وسلطتها واعتبارها، مقارنة بسنوات الهرج والمرج والحرب الأهلية.

171- Charles Winslow, ***Lebanon: War and Politics in a Fragmented Society*** (London: Routledge, 1996), p. 30.

ومع أن تزايد قـوة الدولة وسلطتـهـا لم تصل إلى حـدودها الكاملة ، لكـن من الواجب القول أن الحكومة اللبنانية بعد اتفاق الطائف باتت تتمتع بصورة مستمرة بسلطة أقوى واعتبار أكبر .

ومن النمـاذج المهمـة عـلى تزايد سلطة الدولـة اللبنانيـة واعتبـارهـا ، إجراء ثلاث دورات انتـخـابات برلمانيـة ، ودورتي انتـخـابات بلدية واختـيـارية ، وأربع دورات انتخابات رئاسية . كما أن تمركز الجيش اللبناني في مختلف المناطق اللبنانية ، إبتداء من شباط ١٩٩١ وما بعده ، نموذج آخر يدل على تزايد سلطة الدولة . ففي شهر آذار ١٩٩٢ ، صادقت الحكومة على حل جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية ؛ ومنعت الحكومـة أي نوع من أنواع التـواجـد للمسلحين الفلسطينيين في لبنان وألغت اتفـاق القـاهرة (١٩٦٩) ، الذي أعطى الفلسطينيين الحق بالوجـود العـسكري ، وحـمل الأسلحة والقيام بالعمليات ضد إسرائيل ، ورفضت الحكومة اللبنانية كذلك تشكيل لواء فلسطيني في الجيش اللبناني للمحافظة على أمن المخيمات الفلسطينية ، ومنعت الفلسطينيين من القيام بعمليات عسكرية ضد إسرائيل من الأراضي اللبنانية[١٧٢] . لقد كان قرار الدولة بتقوية الجيش ، وإدخال الميليشيات ضمن القوى العسكرية الرسمية ، من الادلة الأخرى على ازدياد قوة الدولة واعتبارها[١٧٣] .

د- الهدوء في محيط لبنان الخارجي

كنا قد ذكرنا من قبل ، أن أحد أهم الأدلة على عدم الاستقرار في لبنان ، تأثير العوامل الخارجية المثيرة للاضطراب الناجمة من المحيط العربي ، وظروف المنطقة

١٧٢- حميد احمدى ، م . س . ص ١٥٤ .

١٧٣- قررت الحكومة اللبنانية في ٢٩ أيار ١٩٩١ ، أن تضم عشرين ألفاً من أفراد الميليشيات في الجيش وقوى الأمن الداخلي : فدخل ٦٥٠٠ عنصر من «القوات اللبنانية» المسيحية و٢٨٠٠ من حركة أمل ، و٢٨٠٠ من الميليشيات الدرزية والبقية من أهل السنّة ، وهذا دليل آخر على العودة إلى مبدأ المحاصصة المتعادلة في التمثيل . راجع : حميد احمدى ، م . س . ص١٦٦ .

والعالم . ففي السنوات الأخيرة من الثمانينات ، حدثت تطورات في محيط لبنان الخارجي ، مختلفة جداً عن ماضي المنطقة المضطرب .

١- نهاية الفكر القومي العربي الراديكالي

كان الفكر القومي العربي الراديكالي قد بلغ أوجه في الخمسينات والستينات ، وكان من أهم العوامل في تسييس القوى اللبنانية وفي صراعها في ما بينها ، وقد ضعف هذا الفكر القومي الراديكالي بعد نكسة العام ١٩٦٧ ، لذا فقد القوميون العرب الراديكاليون في لبنان حماسهم ، وخفّ شعورهم العدائي تجاه المسيحيين الموارنة إلى حد كبير .

٢- غلبة الاعتدال والوسطية على الراديكالية الدينية في بداية التسعينيات

بعد هزيمة العرب في العام ١٩٦٧ ، راجت الافكار الإسلامية الراديكالية في مصر وبقية أرجاء العالم العربي . وفي السبعينات وأوائل الثمانينات ، وقف الإسلاميون المتأثرون بأفكار سيد قطب والثورة الإسلامية الإيرانية ، في مواجهة الأنظمة العربية لكن بعد منتصف الثمانينات ، تحولت استراتيجية الإسلاميين الأساسية ، باتجاه الاعتدال والوسطية والمشاركة السياسية في كل من مصر والأردن والجزائر وتونس والسودان . وقد تركت هذه الظاهرة تأثيراً في لبنان وبخاصة في أوساط الجماعات الإسلامية من أهل السنّة . ومن ناحية أخرى ، عملت إيران بعد انتهاء حرب العراق عليها في العام ١٩٨٨ ، على توسيع علاقاتها بالعالم العربي والدول الأوروبية . وقد ظهر تأثير هذه السياسة منذ بداية تنفيذها ، لدى مناصري الثورة الإسلامية في لبنان وبخاصة حزب الله . كما أن الجماعات والشخصيات المارونية المتطرفة كحزب الكتائب و«القوات اللبنانية» ، اضطرت أن تقبل وثيقة الطائف ، وأن تكفّ عن معارضتها له ، أما ميشال عون فقد هزِم وطلب اللجوء السياسي في فرنسا .

٣- بدء المحادثات العربية - الإسرائيلية

لقد ترك مؤتمر مدريد الذي انعقد في العام ١٩٩٢ ، واتفاق «أوسلو» بين الفلسطينيين والإسرائيليين في العام ١٩٩٣ ، تأثيراً مهماً على الأوضاع اللبنانية ، بانتفاء العامل الفلسطيني منذ بداية التسعينات الذي كان وراء تحول مسلمي لبنان باتجاه الراديكالية ، والذي ساهم في الحرب الأهلية في لبنان .

٤- رغبة الدول الأجنبية بتثبيت الاستقرار في لبنان

بدأت منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي مساعي الدول العربية ، والشرق أوسطية والغربية ، في حث الأفرقاء اللبنانيين على إصلاح النظام السياسي ، وإعادة الاستقرار والديمقراطية التوافقية . في حين أن هذه الجهات نفسها هي التي كانت في الستينات والسبعينات ، ضالعة مباشرة أو غير مباشرة في إشاعة الاضطراب والعنف في لبنان ، بتقويتها لأتباعها .

ومنذ العام ١٩٨٥ ، بدأت هي نفسها تتدخل لوضع حد نهائي للصراعات الداخلية وكنماذج يمكن ذكر الأمور التالية :

- الطرح الفرنسي في العام ١٩٨٩ إجراء المصالحة في لبنان ، الذي وافقت عليه الحكومة السورية ومعظم الجماعات اللبنانية .

- المساعي الأميركية لحث الموارنة على قبول الاصلاحات قبل اتفاق الطائف في العام ١٩٨٩ (والذي وصفه ميشال عون أنه مسعى لزرع الفرقة بين المسيحيين وبين أنصار سوريا في لبنان) ، ودعم أميركا بعد ذلك لاتفاق الطائف ، وتغاضيها عن قمع الجيش السوري لحركة ميشال عون ، وكانت مكافأة سوريا لأميركا على هذا الصمت ، مشاركتها في قوات التحالف في العراق في أثناء حرب الخليج الثانية ؛ وكذلك تقديم أميركا المساعدات المالية للبنان في السنوات الأخيرة .

- مساعي الجمهورية الإسلامية الايرانية الناجحة ، لاقرار وقف إطلاق النار ، وإنهاء المواجهة بين حركة التوحيد الإسلامية والقوات العسكرية التابعة للحزب السوري القومي الاجتماعي في عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦ ، وكذلك رعايتها لقرار وقف إطلاق النار بين حركة أمل وحزب الله في عامي ١٩٨٩ و١٩٩٠ .

- وفي النهاية مساعي العرب (باستثناء العراق) ، لتنفيذ قرار المصالحة بين الأجنحة اللبنانية المختلفة ، بتشكيل اللجنة العربية الثلاثية في العام ١٩٨٩ ، المدعومة من معظم الدول العربية .

وكما ذكر «دكمجيان» في دراسته حول شروط إقرار الديمقراطية التوافقية ، إن المحيط الخارجي غير المستقر ، هو أحد العوائق الأساسية في الحصول على الاستقرار السياسي في الدول الطائفية ، والتطورات المتلاحقة في المنطقة والعالم في السنوات العشر الأخيرة ، هي تعبير عن الانخفاض الشديد في حدة الاضطرابات في الدول المحيطة بلبنان[١٧٤] ؛ إن عوامل «كانهيار نظام القطبين» و«إحياء مفاوضات السلام العربية - الإسرائيلية» ، و«انتهاء حرب العراق على إيران» ، و«التحولات اللاحقة في إيران» ، التي درست كل على حدة ، تندرج تحت هذا العنوان ، لأن كلاً من هذه العوامل يشير إلى ناحية من نواحي الاستقرار في المحيط الخارجي للبنان ، والتي كان لها تأثير مباشر أو غير مباشر على القضايا اللبنانية الداخلية .

لهذا السبب ، فإن الباحث وافق على أن كل عامل من هذه العوامل كان له تأثير في تغيير توجهات حزب الله ، لكن بما أن تأثير هذه العوامل الخارجية على حزب الله كان فرعياً ، يمكن أن نضعها في إطار «هدوء المحيط الخارجي المضطرب» في نظرية الديمقراطية التوافقية ، وهكذا يتم توضيح تأثير هذه العوامل في توجه حزب الله نحو الواقعية ، وأيضاً إثبات صحة كون تأثيرها فرعي .

إن التحولات الآنفة الذكر ، سمحت في التسعينات بتثبيت الاستقرار السياسي في

١٧٤- حميد احمدى ، م . س . ص ص ١٥٤ - ١٥٦ .

المجتمع اللبناني ، وأتاحت إمكانية المشاركة السياسية في النظام ، والوصول إلى السلطة بالطرق القانونية ، وأعاقت إمكانية تجدد العنف السياسي ؛ ولم يكن بإمكان أي من المجموعات المتناحرة في لبنان ، أن تمارس أساليبها العنفية والراديكالية ، لأن الرأي العام اللبناني حتى داخل الطائفة التي ينتمي إليها الفريق السياسي ، بات رافضاً لاستخدام القوة والعنف رفضاً قاطعاً ، فاتفاق الطائف غطى الحيز الذي كانت تتحرك فيه الميليشيات . وقد جعلت التحولات الناتجة عن اتفاق الطائف وانتهاء الحرب الأهلية ، الأحزاب اللبنانية بما فيها حزب الله في مواجهة الحقائق التالية(١٧٥) :

١ - إن المجتمع اللبناني مجتمع فسيفسائي متعدد الطوائف ، وليس بإمكان أي طائفة منها أن تسيطر على الطوائف الأخرى ، لذلك فإن التعايش هو الطريق الأمثل والوحيد الممكن للجميع .

٢ - إن التيارات الثقافية والأيديولوجية في لبنان كثيرة ومتعددة ، ولا تتيح لأي أيديولوجية (ومن الجملة الأيديولوجية الإسلامية) ، أن تسيطر على البلد بأكمله ، مهما كانت قوة هذه الأيديولوجية نسبة إلى غيرها .

٣ - إن شيعة لبنان أكثر استعداداً من غيرهم لتقبل التعددية والتنوع الثقافي والسياسي والاجتماعي .

٤ - إن مصلحة النظام السوري العلماني ، تكمن في قمع الحركات الإسلامية الملتزمة ؛

٥ - إن شيعة لبنان أكبر طائفة بين الطوائف اللبنانية ، لكنهم في العالم العربي أقلية

١٧٥- هلال خشان ، **الإسلام والعصر الحديث** ، ترجمة مركز الاستشارات والبحوث (بيروت : ١٩٩٨) ، ص١٢ .

وإميل ساحلية ، م . س . ص ٤٤ وكذلك

Martin Kramer, ***Op. Cit.***, p.5.

Eyal Zisser, ***Op. Cit.***, pp. 11 - 12.

صغيرة في محيط سنّي واسع .

٦ - إن حزب الله لا يمكنه في أحسن الأحوال أن يستقطب اكثر من ٥٠٪ من دعم مختلف طوائف الشعب اللبناني .

٧ - إن حزب الله بتقديمه للخدمات الاجتماعية يستطيع أن يستقطب الشيعة ، لكن ذلك يتطلب انخراطه في النظام السياسي اللبناني ، والحصول على السلطة القانونية ، وهذا بدوره يستلزم القبول بالنظام الطائفي .

إن الحقائق المذكورة أعلاه هي نتيجة التعددية في المجتمع اللبناني ، التي تشكلت بسبب انقسام هذا المجتمع إلى طوائف مختلفة ، لكن على الرغم من ذلك ، أسست لعدد من خصوصيات المجتمع المنفتح والحر في لبنان . لقد تجذرت هذه التعددية في لبنان إلى حد أن الجيش الإسرائيلي في أثناء احتلاله لبيروت لم يتمكن من القضاء عليها ؛ والحرب الأهلية على الرغم من جميع جوانبها السلبية ، أدت إلى تجذير حقوق الطوائف المختلفة ، وإلى حرية التعبير والتفكير شيئاً فشيئاً ، حتى أن الساسة السوريين عملوا في لبنان على نحو آخر ، وصاروا يتقبلون حرية التعبير والتفكير من خلال الكتابة والصحافة ووسائل الإعلام ، والخط الأحمر الذي لا يُسمح للفاعليات السياسية أن تتخطاه ، هو عدم هز استقرار المجتمع اللبناني وزعزعة العيش المشترك ، هذا الواقع الذي لا يمكن إنكاره ، دفع قادة حزب الله إلى دراسة عميقة لمجمل مواقفهم وممارساتهم ، ويقول محمد رعد بهذا الخصوص :

«لقد زادت سلطة الدولة بعد اتفاق الطائف ، وكان من الضروري أن يتجه حزب الله باتجاه الحياة السياسية في لبنان . لقد تشكل النظام السياسي في لبنان تدريجياً ، وكان أمامنا خياران : إما الانخراط في إطار النظام السياسي ، أو الصراع معه ، وبعد مباحثات مطولة إخترنا الخيار الأول ، وانخراطنا في النظام السياسي اللبناني من طريق البرلمان ، كي لا نبقى منعزلين ووحيدين في مواجهة القوى الأخرى»(١٧٦) .

١٧٦- لقاء في المجلس السياسي لحزب الله ، من كلام للنائب محمد رعد ، ١٩٩٧ .

يشير تصريح رعد هذا إلى أن الواقعية في المواقف السياسية ، ليست ناجمة عن تغيير آراء الحزب الأيديولوجية ، وإنما هي نتيجة ضرورات فرضها واقع المجتمع اللبناني بعد الحرب على الحزب . فحين وجد حزب الله نفسه عاجزاً عن تغيير هذا الواقع ، إضطر أن يكيّف نفسه معه ، وسعى إلى حل التناقض بين «هويته اللبنانية» و«التزامه أيديولوجياً بالثورة الإسلامية» ، مقابل التهديدات التي كانت تواجهه في مرحلة «ما بعد الحرب» في لبنان ، وإفشال المساعي لحل هذا الحزب «بشرعنة وجوده» . لقد أدرك حزب الله جيداً أن الحصانة التي يكتسبها من طريق المشاركة في النظام السياسي ، لا يمكنه الحصول عليها من أي طريق آخر . إضافة إلى ذلك ، فإن حزب الله يستطيع من طريق المشاركة في النظام السياسي ، لعب دور مهم في انتزاع مشروعية داخلية واقليمية .

بعد هذه الخطوات ، كان حزب الله باستمرار ، يتخذ مواقف وأعمال جديدة ، ليكيّف نفسه مع واقع المجتمع اللبناني ، الذي هو في حالة تغير ، وهذا ما يتفق عليه أكثرية المراقبين والمتخصصين بشؤون حزب الله الذين يعتقدون «أن حزب الله نجح في إقامة توازن بين أيديولوجيته الإسلامية وواقع الساحة السياسية اللبنانية»[177] . هذا الاجماع في الرأي لدى الخبراء يلخصه «تيمور غوكسيل» على هذا النحو :

«على عكس الصورة الأصولية التي عرف بها حزب الله ، أظهر من بعدُ مرونة وعملانية لافتين لضمان استمرارية حياته ونضجه في الساحة السياسية اللبنانية ، على الرغم من أن حزب الله قد دفع ثمناً باهظاً ، لتكييف نفسه مع واقع لبنان الجديد ، فقد أثبت أنه من أكثر التنظيمات اللبنانية حذقاً وصبراً ومرونة ، ونجح في تكييف نفسه مع الواقع اللبناني المتغير ، لذا فإن التسوية المحتملة بين لبنان وإسرائيل وتوقف المقاومة ، لا يمكن أن يكون ضربة قاتلة لحزب الله»[178] .

في دراستنا لأسباب توجه حزب الله نحو الواقعية يمكن أن تطبق نظرة «إسملسر» على العوامل التالية :

177- Hala Jaber, ***Op. Cit.***, p. 211.

178- Nicholas Blandford, ***Op. Cit.***, p. 32.

١ - **الحقل البنيوي** : بعد تنفيذ بنود اتفاق الطائف ، لم تعد الظروف الاجتماعية العامة ملائمة للقيام بأعمال جماعية راديكالية ، وإنما تتيح خصوصيات المجتمع الطائفي اللبناني إمكانية الأعمال الجماعية السلمية .

٢ - **الضغط البنيوي** : مع انتهاء الحرب اللبنانية الأهلية ، إنتفت التشنجات المؤدية إلى تناقض المصالح بين الأحزاب والجماعات المتصارعة .

٣ - **إتساع المعتقدات التعميمية** : الاصلاحات التي طرأت على سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية الخارجية في التسعينات ، أثرت في أيديولوجيا حزب الله الثورية ، وزعزعت أفكاره التعميمية الطابع وغيّرت فيها .

٤ - **العوامل المسرّعة** : بانسحاب إسرائيل إلى الحزام الأمني في الجنوب ومن ثم من لبنان ، وتحرر مناطق واسعة من الأراضي اللبنانية ، إنتفت العوامل المسرّعة لدخول الأفراد في ساحة الأعمال العنفية .

٥ - **المجموعة المتجانسة المعبّأة** : بظهور جناحين أحدهما راديكالي والآخر واقعي بين قادة حزب الله ، فقد هذا التنظيم الإجماع حول استمرارية الأعمال الجماعية الراديكالية .

٦ - **عمل الرقابة الاجتماعية** : لقد هيأ النظام السياسي الجديد في لبنان ، الذي ولد بعد اتفاق الطائف ، إمكانية المشاركة السياسية بالطرق القانونية نسبياً ، لذلك انتفَى الدافع للقيام بأعمال جماعية راديكالية .

إنطلاقاً من الحقائق المذكورة أعلاه ، هل بات بإمكاننا أن نعتبر أن «التحول الذي طرأ على المجتمع اللبناني بعد اتفاق الطائف وانتهاء الحرب االأهلية ، الذي أعاد الاستقرار السياسي والديمقراطية النسبية إلى هذا البلد «على أساس أنموذج الديمقراطية التوافقية» ، وأتاح الفرصة للمشاركة السياسية وزوال الراديكالية» ، هو العامل الأصلي في تغيير توجه حزب الله من الراديكالية على الواقعية؟

إن جميع المسائل التي طرحت حتى الآن والأدلة التالية ، تثبت صحة الجواب . .

إن التغيير الذي طرأ على المجتمع اللبناني بعد انتهاء الحرب الأهلية ، وإعادة إحياء النظام الديمقراطي التوافقي ، لم يدفع حزب الله وحده إلى تغيير مواقفه وتوجهاته ، بل إن جميع الميليشيات والتنظيمات السياسية الراديكالية ، التي كانت ناشطة بين الطوائف المذهبية اللبنانية المختلفة ، إضطرت أن تعدّل مواقفها وأعمالها ، وتكيّفها مع الوقائع الجديدة . . وليس أدل على ذلك من دخول قادة الميليشيات في تركيبة الحكم الجديدة ، وحتماً لا يمكن عدّ «التطورات الإيرانية» ، أو «إحياء مفاوضات السلام العربية – الإسرائيلية» و«التحولات التنظيمية» ، أو «انهيار نظام القطبين» ، عوامل في تعديل مواقف قادة الميليشيات كإيلي حبيقة مثلاً أو سمير جعجع ، أو آخرين ممن كانوا يعتبرون حلفاء لإسرائيل ولأميركا ؛ بناء على ذلك ، فإن العامل المشترك الوحيد المؤثر في جميع المجموعات الراديكالية المسلمة والمسيحية ، هو تغيير أوضاع لبنان وظروفه بعد انتهاء الحرب الأهلية ، وفقدان الأرضية الملائمة لاستخدام العنف .

من ناحية أخرى ، إذا افترضنا أن الحرب الأهلية اللبنانية لم تنته ، ولم يتحقق الاستقرار السياسي وإمكانية المشاركة السياسية ، من طريق إحياء النظام الديمقراطي التوافقي ، فإن جميع التنظيمات المسلحة ، كانت قادرة كذلك على الرغم من تأثير العوامل الخارجية ، أن تتابع نهجها الراديكالي واستخدامها للعنف السياسي لتحقيق أهدافها ؛ يمكننا على الأقل توقع ذلك بالنسبة إلى حزب الله الذي كان الجناح الراديكالي فيه سيستمر باستخدام أساليب العنف (وإن بصورة فردية) ، لأن هذا الجناح بقيادة الشيخ صبحي الطفيلي ، لا يزال محبذاً لاستخدام العنف ضد الحكومة اللبنانية ، فالأساليب والأعمال التي استخدمها الشيخ صبحي الطفيلي أثناء ثورة الجياع ، قادته في النهاية إلى المواجهة مع الجيش اللبناني . بناء على ذلك ، من الواضح أنه لو لم تتوقف الحرب الأهلية ، ولو لم يتجدد النظام السياسي ، ولم تتهيأ أرضية المشاركة فيه (وبخاصة بحسب أنموذج الديمقراطية التوافقية) ، ما من ميليشيا كان يمكن أن تتخلى عن أسلحتها ، ولاستمر ميشال عون وسمير جعجع في حربهما على الآخرين ، ولتابع حزب الله مطالبته بقلب النظام الطائفي اللبناني ، وإقامة الحكم الإسلامي مكانه .

خاتمة

يمكن الاستنتاج أن حزب الله في الثمانينات بسبب عوامل متعددة ، إتجه نحو الراديكالية ، إلا أن السبب الرئيسي لهذا التوجه ، كان «تأثر حزب الله الشديد بتعاليم الثورة الإسلامية الإيرانية» . ومن ناحية أخرى ، كانت هنالك أيضاً في التسعينات أسباب مختلفة وراء توجه حزب الله نحو الواقعية والتعددية . لكن السبب الأساسي لهذا التغيير والتحول في توجهات حزب الله يبقى : «إنتهاء الحرب الأهلية ، وتغير ظروف المجتمع اللبناني بعد اتفاق الطائف» .

لقد أثبتت تجربة حزب الله أن ممارسات الحركات الإسلامية ، لا تتأثر فقط بالقيم الأيديولوجية الدينية ، وإنما أيضاً بخصوصيات مجتمعاتها وظروفها ، وتتكيف على المدى الطويل مع واقع المجتمع الذي تتحرك فيه . بناء على ذلك فإن الحركة الإسلامية الناشطة في مجتمع متعدد ، على الرغم من مواقفها الراديكالية والثورية ، تجد نفسها في النهاية مجبرة على تعديل مواقفها ، للمحافظة على وجودها واستمرارية نشاطها ، وبقبولها للتعددية هي تراعي قواعد اللعبة الديمقراطية .

ويبدو أنه من الممكن الاستنتاج – إنطلاقاً من نشاط حزب الله السياسي ، كدراسة ميدانية (Case Study) – أن «المعتقدات الأيديولوجية الدينية تدفع على المدى القصير المجموعات الإسلامية باتجاه الراديكالية ، لكن ظروف المجتمع والمحيط الذي تتحرك فيه هذه المجموعات ، تؤيد إلى تغيير توجهها على المدى الطويل باتجاه الواقعية» . وتؤيد

تجربة «الإخوان المسلمين» في مصر ، و«جبهة الانقاذ الإسلامية» في الجزائر صحة هذا الاستنتاج .

إن الانسحاب شبه الكامل للجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان في أيار من العام ٢٠٠٠ ، ستنبثق عنه بالتدريج ظروف جديدة في لبنان ، وعلى الرغم من أن المشاكل الأمنية على الحدود اللبنانية - الفلسطينية لم تحل نهائياً حتى الآن ، ولا تزال هنالك خلافات عديدة بين لبنان و«إسرائيل» حول الكثير من القضايا ، لكن الأوضاع ستستقر بمرور الزمان ، وهنالك احتمال قوي أن يصبح الوضع في جنوب لبنان مشابهاً للوضع القائم على الحدود السورية - الفلسطينية ؛ وحين تصبح الأوضاع الأمنية في لبنان عادية ومستقرة ، ستتغير الأولويات في المجتمع اللبناني وبخاصة لدى الشيعة . وسيضطر قادة حزب الله مقابل التغيير الذي سيطرأ على مناخات الرأي العام في لبنان ، إلى إيجاد مرحلة جديدة من التحول والتعديل في مواقفهم ، وإلى تعزيز مسيرة الحزب «الواقعية» .

الأمر الذي يهدد حزب الله هو «إعادة طرح الخلافات المناطقية والعشائرية في أوساط الشيعة اللبنانيين» . فتقليدياً ، كان شيعة البقاع يعتقدون أن المقدّرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للطائفة هي في أيدي شيعة الجنوب ، وأنهم كانوا محرومين باستمرار في تولي الأدوار القيادية داخل هذه الطائفة . وقد طغت قضية المقاومة خلال الثمانينات والتسعينات على هذا الموضوع وأنستهم إياه ، ولذلك شارك عدد كبير من الشباب البقاعيين في المقاومة الإسلامية ، واستشهد الكثيرون منهم . لكن ، بعد انتهاء الاحتلال ، طرح موضوعان متعارضان : إما «إعادة إعمار المناطق المحررة في جنوب لبنان» ، وإما «إزالة الفقر والحرمان من المناطق الشيعية في البقاع» ؛ وتحقيق الأمرين في الوقت نفسه يتعذر ، إذا أخذت في الاعتبار المشاكل الاقتصادية في لبنان ، وفساد الإدارة في المؤسسات الرسمية . لذلك يجد حزب الله نفسه مضطراً - ولديه مؤسسات مثل «جهاد البناء» و«جمعية الإمداد» وغيرها - لتلبية هذه الاحتياجات . وعلى حزب الله - كي يسهم في حلّ هذه المشاكل - أن ينخرط بشكل أقوى في

مؤسسات الدولة الرسمية ، ليتمكن من تخصيص حصة أكبر من ميزانية الحكومة لهذا العمل ، وهذا الأمر بدوره يتطلب قدراً من الانسجام أكثر مع سياسات النظام اللبناني وممارساته .

هنالك موضوع آخر بالنسبة إلى حزب الله هو كـ «سيف ذي حدين» متعلق بسياسة الدولة الإيرانية التي تعمل لمزيد من التقارب مع الحكومة اللبنانية ومؤسساتها الرسمية ، هذه السياسة وإن كانت تؤدي إلى ضمان أمن حزب الله وبقائه في لبنان ، لكنها ستخفف بالتدريج من موقع حزب الله في معادلات السياسة الخارجية الإيرانية ، وسيتعين على قادة حزب الله لمواجهة هذا الوضع أن يتوسلوا طريقين : الأول ؛ تعزيز العلاقة بالمؤسسات والمنظمات الإيرانية غير الحكومية (المؤسسات التي تخضع لسلطة الولي الفقيه ، كالحرس الثوري ، ومؤسسة الشهيد ، وجمعية الإمداد ، ومؤسسة الجرحى وغيرها) ، والثاني ؛ تمتين علاقة الحزب بالحكومة السورية ؛ فقد أدرك حزب الله جيداً واقع أن لبنان سيبقى إلى أجل غير معلوم تحت النفوذ السوري ، وفي الوقت عينه سيتزايد اعتراض مسيحيي لبنان على استمرار الوجود السوري في لبنان . وستكون هنالك مصلحة مشتركة بين حزب الله وسوريا ، لأن كل فريق منهما يحتاج لتعزيز دوره في لبنان إلى التعاون مع الفريق الآخر . وهكذا سيتعرض حزب الله لضغوط قوتين متعارضتين : فالمؤسسات الإيرانية التي سيسعى حزب الله إلى تمتين علاقته بها ستسعى بدورها إلى تعزيز مواقف الحزب الإسلامية ، وهذا الموضوع لن ترضى عنه الحكومة السورية ، وستعمل على معارضته . إن ما يتوقعه الباحث ، هو أن رؤية قادة حزب الله الواقعية ستؤدي إلى مزيد من التقارب بين الحزب وسوريا .

لكن بما أن حزب الله الذي يحظى بقيادة حكيمة لديها إطلاع واف على واقع المجتمع اللبناني ، لن يخسر بعد توقف أعمال المقاومة الإسلامية ، دوره في لبنان ، وإنما سيتمكن كونه الفريق الوحيد الذي لم يتلوث بفساد السياسة اللبنانية[1] ، من أن ينال

١- إن إحدى النقاط التي يتفق حولها جميع الخبراء بشؤون حزب الله (من الغربيين والعرب) ، هي «أن قادة حزب الله وأعضاءه يتمتعون بالنزاهة ، والصدق ، وعدم التورط بالفساد المالي أو الأخلاقي أو السياسي» ، =

بالتدريج – كممثل للطائفة الشيعية – نصيباً مهماً في المعادلة السياسية اللبنانية ، وهذا واقع يعترف به ، حتى الخبراء الغربيون . يقول ريتشارد نورثون في توصية يوجهها إلى القادة الأميركيين : «إن حزب الله – شئنا أم أبينا – هو طرف فاعل في الساحة اللبنانية . . ومن المفيد أن يعترف القادة الأميركيون – على الرغم من الحوادث المؤلمة التي تقع – رسمياً وبصورة علنية بحزب الله ؛ ليس كفريق مسلح عنيف ، بل كأحد أركان السياسة اللبنانية . . وعلى الرغم من أن فتح باب «المحادثات بين القادة الأميركيين الرفيعي المقام وبين حزب الله» يعتبر مغامرة سياسية ، إنما يجب الاعتراف بهذا الأمر الواقع ، وهو أن التوصل إلى السلام بين لبنان وإسرائيل يبدو مشكلة عويصة ، دون القيام بمحادثات جدية يكون لحزب الله دور فيها»(٢) .

وفي الخلاصة ، فإن تقدير مؤلف هذا الكتاب بأن تخلّي حزب الله عن بعض طروحاته الراديكالية واندماجه المتنامي في الواقع اللبناني (منذ بداية التسعينات إلى

= على عكس الكثير من الأطراف اللبنانية الأخرى . .

لتفصيل أكبر تجدر مراجعة :

– وضاح شرارة : **دولة حزب الله : لبنان ، مجتمعاً إسلامياً** (بيروت : دار النهار ، ط ٣/ ١٩٩٨) ، ص ٣٨٢ .

– جهاد الزين «السيد حسن نصرالله : رجل العام ١٩٩٧ في لبنان» ، **صحيفة النهار** ، ٢٧ كانون الأول ١٩٩٧ .

– ماغنوس رانستورب ، **الوجه المتغير لحزب الله اللبناني** ، ترجمة : مركز الاستشارات والبحوث (بيروت ، ٢٠٠٠) ، ص ٦ .

Augustus Richard Norton, "Hizballah From Radicalism to Pragmatism", ***Middle East Policy***, Volume V, No.4 January, p. 152.

Hala Jaber, ***Hezbollah: Born with a Vegeance*** (NewYork: Columbia University Press, 1996), p. 85.

Kenneth Katzman, ***"Hezbollah: Narrowing Options in Lebanon", in Stephen Pelletiere, Terrorism: National Security Policy and the Home Front*** (Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, U. S. Army War College, 1995), p.36.

2- Augustus Richard Norton, ***Op. Cit.***, pp. 90 - 91.

اليوم) لن يؤدي بالضرورة إلى انكفاء الحزب عن لعب دوره الرئيسي في مقاومة «إسرائيل» وعدوانها الدائم على جيرانها ، وواقع المقاومة الراهن يؤكد – برغم تعقيده وحساسيته وخطورته – أن الحزب سيظل حزب «مقاومة وجهاد ضد إسرائيل» ومشاريعها التوسعية ، سواء في لبنان أو على مستوى المنطقة ، بموازاة مواصلة قيادة حزب الله الحكيمة سياسات الاندماج في المجتمع اللبناني ، ومحاولات إصلاح أو تغيير جوانب من نظامه السياسي – الطائفي ، ولكن بحسب الظروف والإمكانيات ، في إطار حسابات وقراءات دقيقة تعوّد عليها اللبنانيون من قيادة الحزب منذ تسعينيات القرن الماضي .

إن مزيداً من انخراط حزب الله في التصدي للقضايا السياسية والاجتماعية ، من ضمن خطة واضحة وأولويات محددة ، قد يؤدي إلى ترسيخ أكبر لعمله المقاوم ، بما يصعّب على الآخرين استهدافه ، إن على المستوى السياسي أو على المستوى الأمني ؛ أي بمعنى أن نجاح حزب الله (المفترض) مستقبلاً في متابعة الملفات الداخلية المعقدة ، سيؤدي إلى مزيد من «شرعنة» عمله المقاوم لتحرير مزارع شبعا من جهة ، وللدفاع عن لبنان ضد الخطر الإسرائيلي الذي يتهدده باستمرار ؛ هذا فضلاً عن دور الحزب المؤثر في دعم المقاومة والانتفاضة في فلسطين المحتلة . . .

إن تحقيق حزب الله لبعض من أهدافه المعلنة في المديين القريب أو المتوسط ، ومنها محاربة الفساد الداخلي وتطبيق الإصلاحات السياسية والإدارية وتحسين أوضاع المناطق أو الفئات المحرومة ، هو إنجاز سيصب في خانة تقوية المقاومة عبر تثبيت قواعدها الشعبية والسياسية والمادية التي من دونها لا مجال لاستمرار حزب الله في مقاومته للمشاريع الإسرائيلية والأميركية التي تستهدف لبنان وكل دول وشعوب منطقة الشرق الأوسط .

المصادر و المراجع

أ- المصادر العربية

١- آغا ، حسين وأحمد خالدي . **سوريا وإيران : تنافس وتعاون** . ترجمة عدنان حسن . بيروت ، دار الكنوز الأدبية ، أكتوبر/ ١٩٩٣ .

٢- إستروبمان ، د . **نواح بارزة في نزعة العداء للسامية في أيديولوجيا حزب الله وحماس** . ترجمة مركز الاستشارات والبحوث . بيروت ، تموز/ ١٩٩٨ .

٣- العلاقات الخارجية لحزب الله . **حزب الله : النشأة والرؤيا** .

٤- القاق ، منى حرب . **سياسات التنظيم المدني في الضاحية الجنوبية لبيروت** . ترجمة مركز الاستشارات والبحوث . بيروت ، ١٩٩٨ .

٥- المكتب السياسي لحزب الله . **وثيقة الطائف : دراسة في المضمون** . بيروت ، لجنة التحليل والدراسات/ ١٩٨٩ .

٦- باجوق ، محمد . إيران - لبنان : **عرض توثيقي لأبرز المواقف الإيرانية حيال لبنان ١٩٧٧ - ١٩٩٣ ، ١٩٩٥** .

٧- بكاسيني ، جورج . **أسرار الطائف** . بيروت ، تعاونية الطباعة ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ .

٨- حيدر ، محمود . **اللايقين السلمي : أحوال لبنان ما بعد الحرب** . بيروت ، دار الفارابي ، ١٩٩٧ .

٩- خشان ، هلال . **الإسلام والعصر الحديث** . ترجمة مركز الاستشارات والبحوث . بيروت ١٩٩٨ .

١٠- رانستورب ، ماغنوس . **الوجه المتغير لحزب الله اللبناني** . ترجمة مركز الاستشارات والبحوث . بيروت ٢٠٠٠ .

١١- ساحلية ، إميل . **مقارنة بين الاصوليات الدينية** . ترجمة مركز الاستشارات والبحوث . بيروت ، آب ١٩٩٨ .

١٢- شرارة ، وضاح . **دولة حزب الله : لبنان ، مجتمعاً إسلامياً** . بيروت ، دار النهار ، الطبعة الثالثة ١٩٩٨ .

١٣- شمص ، محمد و حسين مرجي . **الجمهورية الإسلامية في لبنان** . الجزء الأول . بيروت ، الوكالة الشرقية للتوزيع ، ١٩٨٩ .

١٤- فضل الله ، حسن . **الخيار الآخر** . بيروت : دار الهادي ، ١٩٩٤ .

١٥- ———— . **حرب الإرادات** . بيروت ، دار الهادي ، الطبعة الثانية١٩٩٨ .

١٦- مزاحم ، هيثم . «القرار ٤٢٥ ، حزب الله وسوريا : سياسة المواجهة في الجنوب اللبناني» . مجلة **شؤون الأوسط** ، العدد ٨٠ ، شباط ١٩٩٩ .

١٧- ———— . «حزب الله وإشكالية التوفيق بين أيديولوجيا والواقع» . مجلة **شؤون الأوسط** ، العدد ٥٩ ، شباط/ ١٩٩٧ .

١٨- **ومضات من المقاومة الإسلامية** . ١٩٩٨ .

ب) المصادر الفارسية

١- آرنت ، آنا . **توتالتياريسم** ، ترجمه محسن ثلاثی . تهران : جاویدان ، ١٣٦٤ .

٢- آرون ، ریمون . **مراحل اساسی اندیشه در جامعه شناسی** . ترجمه باقرپرهام . جلد١ . تهران : جیبی ، ١٣٥٤ .

٣- احمدی ، حمید . «آینده جنبشهای اسلامی در خاورمیانه» . **فصلنامه مطالعات خاورمیانه** ، سال پنجم ، شماره ٢ و ٣ ، تابستان وپاییز ١٣٧٧ .

٤- ———— . «ثبات سیاسی ، دمکراسی و جامعه مدنی درجوامع ناهمگون» ، **فصلنامه مطالعات خاورمیانه** ، شماره ٤ ، زمستان ١٣٧٦ .

٥- إسپوزیتو ، جان . ال . «جنگ خلیج فارس ، جنبشهای اسلامی و نظم نوین جهانی» ، ترجمه م . ضیایی . **دانش سیاسی** ، پیش شماره سوم ، بهمن و اسفند ١٣٧٢ ، مرکز تحقیقات دانشگاه امام صادق(ع) ، دفتر مطالعات و تحقیقات سیاسی .

٦- اسداللهی ، مسعود . **از مقاومت تاپیروزی** . تهران : نشر ذکر ، تابستان ١٣٧٩ .

٧- الموسوی ، احمد . «حزب الله از لباس ایرانی تا لباس عربی» . مترجم م . باهر ، **ترجمان سیاسی** ، شماره های ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٨ .

٨- بشیریه ، حسین . **انقلاب و بسیج اجتماعی** . تهران : دانشگاه تهران ، ١٣٧٢ .

٩- ———— . **جامعه شناسی سیاسی : نقش نیروهای اجتماعی در زندگی سیاسی** . تهران : نشرنی ، ٤٧٣١ .

١٠- بلک ، یان و بنی موریس . **جنگهای نهانی اسرائیل : تاریخ ناگفته دستگاه جاسوسی اسرائیل** . ترجمه جمشید زنگه . تهران : دفتر نشر فرهنگ اسلامی ، ١٣٧٣ .

١١- بهزاد ، حسین . **در انتهای افق : زندگینامه سرلشگر پاسدار حاج احمد متوسلیان** . بی جا : بنیاد شهید ، ١٣٧٦ .

۱۲- چامسکی ، نعام . **مثلث سرنوشت آمریکا ، اسرائیل و فلسطینیها** . ترجمه هرمز همایون پور . تهران : مؤسسه انتشارات آگاه ، پاییز ۱۳۶۹ .

۱۳- چالمرزف آلن اف . **چیستی علم** . ترجمه سعید زیباکلام . تهران : علمی و فرهنگی ، ۱۳۷۴ .

۱۴- حمزه ، نزار . «حزب الله لبنان : از انقلاب اسلامی تا سازش پارلمانی» . ترجمه بهروز ابوئی مهریزی . **دانش سیاسی** ، پیش شماره سوم ، بهمن واسفند ۱۳۷۲ ، مرکز تحقیقات دانشگاه امام صادق(ع) ، دفتر مطالعات سیاسی .

۱۵- دکمجیان ، هرایر . **جنبشهای اسلامی در جهان عرب** . ترجمه حمید احمدی . تهران : یکهان ، ۱۳۷۲ .

۱۶- رابینسون ، گلن . «آیا اسلام گرایان می توانند دمکرات باشند ، بررسی تجربه اردن» . ترجمه حمید احمدی . **اطلاعات سیاسی واقتصادی** ، شماره ۱۲۶ - ۱۲۵ ، بهمن واسفند ۱۳۷۶ .

۱۷- رایت ، رابین . **شیعیان : مبارزان راه خدا** . ترجمه علی اندیشه . تهران : نشر قومس ، ۱۳۷۲ .

۱۸- رایزنی فرهنگی جمهوری اسلامی ایران در لبنان . **آشنایی با تجمع علمای مسلمین** . تهران : مرکز اطلاع رسانی سازمان فرهنگ و ارتباطات ، سند شماره ۶۰۷۱ .

۱۹- ________ . **اولین انتخابات پارلمانی پس از ۲۰ سال** . تهران : مرکز اطلاع رسانی سازمان فرهنگ و ارتباطات ، سند شماره ۶۰۷۲ .

۲۰- ________ . مصاحبه مجله اشپیگل با **سید حسن نصرالله** . تهران : مرکز اطلاع رسانی سازمان فرهنگ و ارتباطات ، سند شماره ۱۰۲۳۳ .

۲۱- رفیع پور ، فرامرز . **کندوکاوها وپنداشتها** . تهران : انتشار، ۱۳۷۲ .

۲۲- ریتزر ، جرج . **نظریه جامعه شناسی دوران معاصر** . ترجمه محسن ثلاثی . تهران : علمی ، ۱۳۷۴ .

۲۳- سروش ، عبدالکریم . **درسهایی در فلسفه علم الاجتماع** . تهران : نی ، ۱۳۷۴ .

۲۴- ________ . **علم شناسی فلسفی : گفتارهایی در فلسفه علوم تجربی** . تهران : مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی ، ۱۳۷۲ .

۲۵- سلامه ، غسان . اسلام و غرب . ترجمه علی مرشدی زاد . **دانش سیاسی** ،پیش شماره نخست ، مهر و آبان ۱۳۷۲ ، مرکز تحقیقات دانشگاه امام صادق(ع) ، دفتر تحقیقات و مطالعات سیاسی .

۲۶- شیفر ، شیمون ، **توپ برفی : عملیات اسرائیل در لبنان** . ترجمه محمود شمس . تهران : انتشارات رسا ، ۱۳۶۸ .

۲۷- کپل ، ژیل . **پیامبر و فرعون** . ترجمه حمید احمدی . تهران : کیهان ، ۱۳۷۵ .

۲۸- کیوی ، ریمون ولوک وان کامپنهود . **روش تحقیق در علوم اجتماعی** . ترجمه عبدالحسین نیک گهر . تهران : توتیا ، ۱۹۷۶ .

۲۹- گر ، تدرابرت . **چرا انسانها شورش می کنند** . ترجمه علی مرشدی زاد . تهران : انتشارات پژوهشکده مطالعات راهبردی ، ۱۳۷۷ .

۳۰- گیدنز ، آنتونی . **جامعه شناسی** . ترجمه م . صبوری . تهران : نشرنی ، ۱۳۷۲ .

۳۱- لوبون ، گوستاو . **روان شناسی توده ها** . ترجمه ک . خواجوی ها . تهران : روشنگران ، ۱۳۶۹ .

۳۲- لتیل ، دانیل . **تبیین در علوم اجتماعی : درآمدی به فلسفه علم الاجتماع** . ترجمه عبدالکریم سروش . تهران : نشر صراط ، ۱۳۷۳ .

۳۳- وبر ، ماکس . **مفاهیم اساسی در جامعه شناسی** . ترجمه احمد صدارتی . تهران : نشر مرکز ، ۱۳۶۷ .

۳۴- هیکل ، محمد حسنین . **پاییز خشم** . ترجمه محمد کاظم موسائی . تهران : امیرکبیر ، ۱۳۶۳ .

ج) المصادر الإنكليزية

1- Ajami, Fouad. ***The Vanished Imam: Musa Alsadr and the Shia of Lebanon.*** Ithaca: Cornell University Press, 1986.

2- Ayubi, Nazih. ***Political Islam.*** London: Routledge, 1991.

3- Banks, J.A. ***The Socology of Social Movements.*** London: Macmillan, 1972.

4- Bannerman, M. Greame. "Republic of Lebanon" in David E. Long and Bernard Reich (eds.), ***The Government and Politics of the Middle East and North Africa.*** Boulder: Westview Press, 1986.

5- Barkat, Halim. "Social and Political Integration in Lebanon: A Case of Social Mosau", Middle East Journal, 27 (1973).

6- Binder, Leonard (ed.). ***Politics in Lebanon.*** New York, 1966.

7- Blandford, Nicholas. "Hizballah: Lebanon's heir apparent?", ***Jane's Intelligence Review***, November 1991.

8- Buheire, M.R. (ed.), ***Intellectual Life in the Arab-East 1890 - 1930.*** Beirut, 1981.

9- Chamie, Joseph. "Religious Groups in Lebanon: A Descriptve Investigation", ***International Journal of Middle East Studies***,11 (1990).

10- Dekmejian, Richard Hrair. "Consociational Democracy in Crisis: The Case of Lebnon", ***Comparative Politics*** 10.2 (January 1978).

11- Fisk, Robert. ***Pity the poor Nation.*** London: Oxford University Press,1992.

12- Hitti, Nassof. "Lebanon in Iran's Foreign Policy: Oppprtunities and Constraints", in Hooshang Amirahmadi and Nader Entessar (ed.), ***Iran and the Arab World.*** London: Macmillan, 1998.

13- Huddson, Micheal ***C. The Precarious Republic: Political Modernization in Lebanon.*** New York: Random House, 1968.

14- Jaber, Hala. ***Hezbollah: Born With a Vengeance.*** New York: Columbia University Press, 1997.

15- Katzman, Kenneth. "Hizbollah: Narrowing Options in Lebanon", in Stephen Pelletiere (ed.), ***Terrorism: National Security Policy and the Home Front.*** Carlisle, P. A.: The Strstegic Studies Institute, U.S. Army War College, (1995).

16- Kramer, Martin. "Hizballah, The Calculus of Jihad", in Martin E. Marty and R. Scott Appelbu (ed.), ***Fundamentalism and the State.*** Chicago: The Chicago University Press, 1993.

17- ___________. "Redeeming Jerusalem: The Pan-Islamic Premise of Hizballah", in David Menashri (ed.), ***The Iranian Revolution and the Muslim World.*** Boulder, Co: Westview Press, 1990.

18- ___________. "The Moral Logic of Hizballah", in Walter Reich (ed.), ***Origins of Terrorism.*** Cambridge: University of Cambridge Press, 1990.

19- ___________. "Sacrifice and Fraticide in Shiite Lebanon", ***Terrorism and Political Violence.*** Vol.3, No.3, Autumn 1991.

20- Lijphart, Arned. ***Democracy in Plural Societies.*** New Haven: Yale University Press, 1977.

21- ___________. "The Puzzel of Indian Democracy: A Consociational Interpretation". ***American Political Review.*** 90.2 (June 1996).

22- ___________. "Typologies of Democratic Systems". ***Compartive Political Studies*** 1 (1968).

23- Mallat, Chibli. ***Shi'i Tought From the South of Lebanon.*** Oxford, GB: Center for Lebanon Studies, 1988.

24- McDowell, ***S. Lebanon: A Conflict of Minorities.*** London, 1985.

25- Norton, Augustus Richard. ***Amal and the Shi'a: Struggle for the soul of Lebanon.*** Austin, TX: University of Texas Press, 1986.

26- _________________. "Aspects of Terrorism in Lebanon, The Case of Shia's. ***New Outlook.*** January 1984.

27- _________________. "Harakat Amal (The Movement of Hope)". ***Political Anthropology*** 3 1984.

28- _______________. "Hizballah: From Radicalism to Pragmatism". ***Middle East Policy.*** Vol. V, January 1998.

29- _______________. "Making Enemies in South Lebanon". ***Middle East Insight*** 3. Jan - Feb 1984.

30- _______________. "Shiism and Social Protest in Lebanon". In Juan R.I. Cole and Nikki R. Kiddie (eds.), ***Shiism and Protest.*** New Haven: Yale University Press, 1988.

31- _______________. ***External Intervention and the Politics of Lebanon.*** Washington, D.C.: Washington Institute for values in Publicy,1984.

32- Oberschall, ***A. Social Movements: Ideologies, Interests and Indentities.*** New Brunswick: Transaction Books, 1993.

33- Olmert, Joseph. "The Shiites of Lebanon", in Martin Kramer (ed.), ***Shiism, Re-***

sistance and Revolution. London: Mansell Publication, 1987.

34- __________. "Iranian –Syrian Relation: Between Islam and Realpolitik", in David Menashri (ed.), ***The Iranian Revolution and the Muslim World***. Boulder, CO: Weastview Press, 1990.

35- Pelletiere, Stephen. ***A Theory about Fundamentalism: Hizbollah of Lebanon.*** Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, U.S. Army War College. Sep. 1995.

36- ____________. ***Hamas and Hizbollah: The Radical Challenge to Israel in the Occupied Territories***. Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, 1994.

37- ____________. (ed.), ***Terrorism: National Security Policy and the Home Front***. Carlisle, P.A.: The Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 1995.

38- Ranstorp, Magnus. ***Hizb'Allah in Lebanon***. NewYork: St. Martin's Press, 1997.

39- Salem, Paul. "The Politicsl Framework for a Stable Lebanon", in ***Panorama of Events.*** Beirut, 1984.

40- Seale, Patrick. ***Asad***. Berkeley; C.A.: University of California Press, 1988.

41- Shapira, Shimon. "The Origins of Hizballah". ***The Jerusalem Quarterly***, Vol. 46, (Spring 1988).

42- Suleiman, M.W. "The Role of Political Parties in a Confessional Democracy: The Lebanon's Case". ***Western Political Quarterly*** 20. (1967).

43- Tanter, Raymond. ***The Peace between Syria and Israel***. Michigan: The University of Michigan, Spring 1997.

44- Tilly, C. ***From Mobilization to Revolion***. New Haven: Yale University Press, 1978.

45-Trendle, Giles. "The Grass Roots of Success", ***The Middle East***, February 1993.

46- Winslow, Charles. ***Lebanon: War and Politics in a Fragmented Society***. London: Routledge, 1996.

47- Wright, Robin. ***In the Name of God: The Khomeini Decade***. New York, N.Y.: simon & Schultz, 1989.

48- __________. "Lebanon", in Shreen T. Hunter (ed.), ***The Politics of Islamic Revivalism***. Indianapolis. I.N.: Indiana University Press, 1988.

49- Zisser, Eyal. "Hizbollah on the Crossroad", ***Middle East Review of International Affairs (MERIA)***, Sep. 30, 1997.

د) المقابلات واللقاءات

١- لقاء مع المجلس السياسي لحزب الله . بيروت ، تشرين الثاني١٩٩٧ .

٢- مقابلة مع السيد محمد إيراني ، القائم بالأعمال السابق في السفارة الإيرانية . بيروت- تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

٣- مقابلة مع همايون عليزاده ، السفير الإيراني السابق في لبنان . طهران ، حزيران ٢٠٠٠ .

٤- مقابلة مع أبو سعيد الخنساء ، مسئول الشؤون النقابية السابق في حزب الله . بيروت أيلول/ ١٩٩٧ .

٥- مقابلة خاصة مع مسؤول أمني بارز في حزب الله ، نيسان/ ١٩٩٧ .

٦- مقابلة مع الدكتور حبيب فياض . طهران ، حزيران/ ١٩٩٧ .

٧- مقابلة مع الدكتور محمد محسن والدكتور عباس مزنر . بيروت ، أيلول/ ١٩٩٧ .

٨- مقابلة مع السيد نواف الموسوي ، عضو المجلس السياسي في حزب الله . بيروت/ ١٩٩٧ .

٩- مقابلة مع الشيخ شفيق جرادي ، أحد علماء الدين في حزب الله . بيروت ، تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

١٠- مقابلة مع الدكتور علي فياض ، رئيس مركز الدراسات في حزب الله . بيروت ، أيلول/ ١٩٩٧ .

١١- مقابلة مع جمع من المسؤولين العسكريين في حزب الله في جنوب لبنان . تشرين الأول/ ١٩٩٧ .

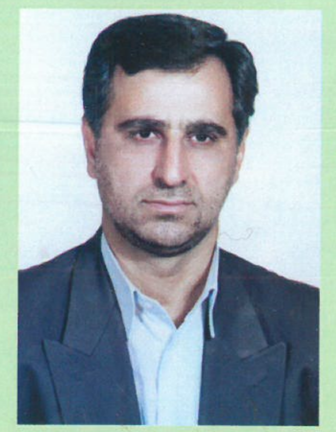
هـ) الصحف والمجلات العربية

١ - السفير
٢-المجلة
٣-الشراع
٤ - الوطن العربي
٥ - الحياة
٦ - شؤون الأوسط
٧-النهار
٨-العهد
٩-الشرق الجديد
١٠ - العمل
١١-البلاد
١٢-نداء الوطن
١٣-الشرق الأوسط

و) الصحف والمجلات الفارسية

١-بيان
٢-نداى مقاومت
٣-همشهري
٤-كيهان فرهنگى
٥- پاسدار اسلام
٦- صبح امروز
٧-بهار
٨-ايران
٩-اطلاعات
١٠-كيهان

فهرس الأعلام



نبذة عن المؤلف:

- من مواليد عام 1960 – إيران
- حاصل على دكتوراه في العلوم السياسية – جامعة الإمام الصادق – طهران (2000)
- خبير بشؤون الشرق الأوسط والحركات الإسلامية
- له مؤلفات عديدة باللغة الفارسية
- أستاذ العلاقات الدولية في عدة جامعات إيرانية
- البريد الإلكتروني: m_asadollahi@yahoo.com

نبذة عن الكتاب:

- الكتاب هو أطروحة دكتوراه عالجت بأسلوب موضوعي تاريخ حزب الله في لبنان وظروف تنامي قوته وتأثيره وصولاً إلى تمكّنه من دحر الاحتلال الإسرائيلي عن جنوب لبنان في أيار من العام 2000، بموازاة بحث الكتاب عن العوامل والأسباب التي أدت بحزب الله إلى تكييف سياساته ومواقفه المتعلقة بالداخل اللبناني، دولة ومجتمعاً.
- يبتعد هذا الكتاب عن التوثيق العادي للمحطات الرئيسية لحزب الله، ويعتمد مقاربة علمية حديثة لهذا الحزب. هذه المقاربة العلمية تستند إلى أحدث النظريات السياسية ضمن علم الاجتماع السياسي، وأساسها «العمل الجماعي» و«الديمقراطية التوافقية» الذين استند الكاتب إليهما لتبيان «نموذج تحليلي» لدراسة مواقف وممارسات حزب الله في حركته السياسية الداخلية خلال مراحل مسيرته الطويلة.
- ساعد المنهج الأكاديمي المذكور مؤلف الكتاب في الاستفادة بشكل دقيق من مختلف الكتابات والمصادر التي تحدثت عن حزب الله (العربية والأجنبية) من ناحية، وعلى تكوين رؤية موضوعية شاملة في فهم حركة الحزب وسياساته من ناحية أخرى.
- حصل هذا الكتاب على جائزة أفضل كتاب لعام 2000 من وزارة الإعلام في إيران.

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb
ص. ب. 13-5574 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb


مركز الاستشارات والبحوث
الغبيري، شارع درغام،
ص. ب. 25/408 بيروت – لبنان
البريد الإلكتروني: bouhouth@yahoo.com

